الشيخ محمّد علي برّو العاملي

الكتاب المقدّس في الميزان

الدار الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع

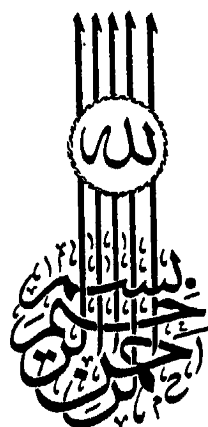
الكتاب المقدَّس

في

الميزان



المركز الرئيسي: بيروت - كورنيش المزرعة - الحسن سنتر
هاتف ٨١٦٦٢٧ ص.ب. ١٤/٥٦٨٠
فرع حارة حريك. مفرق الحلباوي.



الإهـــداء

إلى الكلمة والروح التي أوحاها الله إلى البتول العذراء .

إلى من شقّ حجب النور وصدع برسالة ربه ، وعرف أن خالقه أهلاً للعبادة فعبده ، فكان عبداً له ورسولاً إلى الناس .

إلى النبي العظيم الذي ظلمه أتباعه بإتخاذهم إياه ربّاً .

إلى عيسى بن مريم روح الله أقدم كتابي راجياً من الله القبول .

﴿ يا أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضُرُّ ، وجئنا ببضاعةٍ مُزجاةٍ فأوفِ لنا الكيل ، وتصدّق علينا ، إنّ الله يجزي المتصدّقين ﴾ .



المقــدمــة

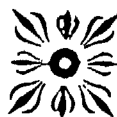
من غير ميعاد ، وصدفة بلا تعمل ، جاءني يوماً أخ كريم ـ على ما أنا فيه من تبلبل البال وتزاحم الأشغال ـ يحمل منشوراً لبعض المبشرين النصارى ، وكان المنشور يحمل العنوان التالي :

القرآن يشهد

ويهدف المبشرون من هذا المقال المختصر الاستشهاد على مزاعمهم من أن القرآن يشهد بعدم تحريف الكتاب المقدس ، والتاريخ أيضاً ؛ وقد استشهدوا بآيات لا تدل لا من قريب ولا من بعيد على مزاعمهم ، وهي إن دلّت على شيء فإنما تدل على جهلهم بالقرآن والكتاب المقدس ، وتحاملهم على التاريخ ؛ وهذا ما حملني على كتابة هذا الكتاب كجواب على ذلك المنشور . وإنني أعترف أن ما كتبته هو غيض من فيض ، وأن الحديث عن الكتاب المقدس طويل ربما لا يفي عمر الإنسان لذلك ، وهذا ما يحتاج إلى عشرات المجلدات ، ولكنني مطمئن كل الإطمئنان بأنني أسديت بهذا العمل خدمة للعلم والحق والدين ، وللسيد المسيح (عليه السلام) ، راجياً من المولى عز وجل أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع ، ويجعله زادًا ليوم الميعاد ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ولا يخفى على القارىء الكريم أنني كتبت هذا الكتاب وأنا مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية ، وكلّي ثقة بتقبل الشعب الأمريكي للكلمة الطيبة ، والنقد البنّاء ؛ وهذه من الصفات الحميدة التي يتحلى بها هذا الشعب ، فهو يتبع من القول

أحسنه ، وهذا ربما لا نجده في نصارى الشرق الذين يغلب عليهم التعصب ، وقد شعرت خلال إقامتي في هذه البلاد أن هذا الشعب يملك حرية التفكير والرأي ، وهو أهل لأن يخاطب بلغة الفكر والبحث العلمي ، لذا أشعر بأنه لو كشف له الغطاء ، وأزيلت من أمامه الحجب والسدود ، لعرف الحق واتّبعه ، ولدخل في الإسلام أفواجاً أفواجاً ، وذلك حينما يطّلع هذا الشعب على عظمة هذا الدين وسمو تعاليمه الإلهية . وإنني أضرع للمولى عز وجل أن يحقق هذه الأمنية لتسعد البشرية ؛ ويعم العالم الأمن والسلام في صبح قريب . وأملي أن يحظى هذا الكتاب بالترجمة إلى اللغة الإنكليزية في أقرب وقت ، ليكون باكورة أعمال مؤسستنا الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية .



بسم الله الرحمٰن الرحيم

تصدير

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ، ألّا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ﴾(١) .

منذ فجر التاريخ وحينما حبا الإنسان على مسرح الوجود وقع الخلاف بين الإنسان وأخيه ، فقتل قابيل هابيلاً ، ولا يزال الخلاف والنزاع هو الظاهر والغالب على شعوب العالم في جميع مراحل التاريخ ؛ وإذا أردنا أن نكشف سر هذا الاختلاف والتناحر عند البشر ، نجد أن منشأه هو حب الدنيا ، الذي هو رأس كل خطيئة .

وهذا هو الذي حمل أتباع الأنبياء على أن يتعصبوا لمذهبهم ، ويخالفوا حتى تعاليم أنبيائهم ، فيقفوا في وجه الأنبياء الآخرين ؛ ويا حبذا لو توحد دعاة الأديان اليوم من أجل قلع جذور الفساد والقتل والدمار التي تسود المجتمعات البشرية ؛ ولو صبّ هؤلاء جهودهم من أجل توعية حكام العالم حتى لا يستخدموا العلم والتكنولوجيا في النهب والسلب والدمار . لأسدوا للبشرية أعظم خدمة ؛ وإنني أتمنى على المبشرين النصارى خاصة أن يحيوا تعاليم المسيح (عليه السلام) ، بزرع المحبة في قلوب حكام الغرب ، وأمرهم باتّباع الحق والصدق والعدل

(١) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

والإنتصاف في معاملتهم لشعوب العالم الثالث ، وأن يوجّهوا جهودهم من أجل إنقاذ المجتمعات الغربية من الفساد والانحلال الخلقي الذي عمّ تلك المجتمعات . ولو كنّا نصبّ جهودنا لتوعية الناس ، ومحاربة المخدرات ومراكز الدعارة والفساد ، لبارك المسيح والناس وجميع الأنبياء أعمالنا .

إن الكنيسة لا تستطيع اليوم أن تتهرب من الدور الرسالي الملقى على عاتقها ، بعد أن اعتزلت الساحة السياسية وأوكلت الأمور كلها للحكام الذين يعبدون الكراسي ، ويقدمون آلآف القرابين والضحايا البشرية لهذه الكراسي ، والذين لا يتحلّون غالباً بالأخلاق الحميدة ، ولا بالقيم الإنسانية . وكنا نتمنى على العالم الغربي الذي يتزعم الحضارة اليوم ، أن تكون صادراته الحقيقية ـ بالإضافة إلى التكنولوجيا ـ الأخلاق والقيم بدلاً من التكنولوجيا والإيدز .

الإنسان والاختلاف

يمكن لنا تقسيم الاختلاف إلى قسمين :

١ ـ الاختلاف التكويني ، وهو الواقع في عالم الخلقة والتكوين .

٢ ـ الاختلاف الإجتماعي ، وهو المنبعث من اختلاف الميول والأفكار والآراء والأهواء .

أما الأول ، فلو أنّنا سبرنا الكون بمجراته وكواكبه وكل ما يحيط بنا لوجدنا أن الاختلاف التكويني هو عامل انتظام الكون واستمرارية الحياة على وجه المعمورة ، ولولا هذا الاختلاف لتحوّلت الحياة إلى جحيم .

والقرآن الكريم جعل الإختلاف التكويني آية على عظمة الكون ، ودليلاً على عظمة المنظم والمبدع ووحدانيته ؛ فكل الإختلافات الظاهرة بين جميع الكائنات تتوحد لتصبّ في هدف واحد وهو انتظام العالم ، وقد دعا القرآن الكريم للتفكر في هذه الإختلافات والتدبّر فيها ، لِأنها دليل وحدانية الخالق :

﴿ إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق

السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك ، فقنا عذاب النار ﴾[1] .

﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾[2] .

﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة مَن إلٰهٌ غير الله يأتيكم بضياءٍ أفلا تسمعون ﴾[3] .

﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة مَن إلٰهٌ غير الله يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه ، أفلا تبصرون ﴾[4] .

فإختلاف الليل والنهار ، والفصول الأربعة ، والشمس والقمر ، والجبال والبحار ، والأمطار والرياح ، واختلاف الذرات في عدد البروتونات والنترونات هو علة اختلاف العناصر وتعدد الأنواع وانتظام الكون بأسره وكذلك الاختلاف في اللسان ، والذكاء والبلاهة ، والقوة والضعف ، والعلم والجهل ، والشجاعة والجبن . كل ذلك هو عامل أساسي في سعادة البشر واستمرارية الحياة . وهذه الاختلافات في الكائنات تصبّ كلّها في هدف واحد تدور عليه رحى النظام الكوني ليكون آية على وحدة الصانع وحكمته وعدله .

الاختلاف الإجتماعي

إن الاختلاف التكويني الذي يقوم عليه النظام الكوني ويسعد البشر في ظله ربما يستفيد منه الإنسان أكثر من الحد الذي وضع له ، فيستعبِدَ القوي الضعيف ، ويسخِّر العالم العلم لمآربه وأغراضه ، وهكذا سائر المواهب الأخرى؛ ومن هنا نشأ الاختلاف الاجتماعي ؛ ومن أجل الحفاظ على حقوق الجميع بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء ، وشرع الشرائع ، وسنَّ القوانين لتخفيف الإختلافات والمشاجرات في المجتمعات البشرية .

﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين ، وأنزل معهم

(١) سورة آل عمران : الآية ١٩٠ ـ ١٩١ .
(٢) سورة الروم : الآية ٢٢ .
(٣) سورة القصص : الآية ٧١ .
(٤) سورة القصص : الآية ٧٢ .

الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلاّ الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾(1) .

فالإنسان مفطور على التعاون والحياة الإجتماعية ، وهذا معنى قول الفلاسفة « الإنسان مدني بالطبع » .

لقد كان الناس في بدء حياتهم أمة واحدة ، وبعد أن قطعوا شوطاً في الحياة وكثرت الجماعات اختلفت الرغبات وتنازع الأفراد ، وهذا ما استدعى بعث الرسل لحلّ هذه المنازعات والاختلافات طبق القانون الإلهي .

ولكن السؤال يبقى ماثلاً أمامنا وهو أن الله بعث الأنبياء وشرع الأحكام لرفع الاختلافات ، فهل أن الاختلافات زالت من الوجود ؟ من الواضح أن الاختلافات لا يمكن أن تزول من المجتمع البشري ، وإنما شرعت الأحكام من أجل تخفيفها وتهذيبها .

ولا يخفى على اللبيب أن الله سبحانه امتحن جميع الأمم بعد أنبيائها ، ليميز المؤمنين من الكافرين ، ويكشف الذين يخالفون تعاليم أنبيائه ويعبدون أهواءهم وشهواتهم :

﴿ تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيّدناه بروح القدس ، ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ، ولكن اختلفوا ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد ﴾(2) .

﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً ، والذي أوحينا إليك ، وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾(3) .

﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ، ولولا كلمة سبقت من

---

(1) سورة البقرة : الآية ٢١٣ .

(2) سورة البقرة : الآية ٢٥٣ .

(3) سورة الشورى : الآية ١٣ .

ربك إلى أجلٍ مسمّى لقضي بينهم ، وإنّ الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفي شكّ منه مريب ﴾[1] .

ومن خلال هذه الآيات نجد أن أتباع الأديان اختلفوا فيما بينهم في أصول الدين وفروعه ، وفي المبدأ والمعاد ، وفي الثواب والعقاب ؛ فاختلّت بذلك وحدة الدين ، وتعددت الأحزاب والفرق . والقرآن الكريم ينسب الاختلاف في عدم قبول الدين الأخير إلى أهل الكتاب الذين تمت عليهم الحجة وعرفوا الحق ، ولكنهم جحدوه :

﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحقَّ بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾[2] .

آيات الحق

في خضمّ هذه الاختلافات العاتية والأمواج المتلاطمة من الأهواء والشهوات ، والتعصبات والحروب المدمرة التي وقعت بين أتباع الأديان التي لم تُشرَّع إلا لتوحيد البشرية ورصّ الصفوف ورفع الخلافات .

﴿ وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ﴾[3] .

ومن خلال تجارب الأنبياء وعلمهم اللدني باستفحال الخلاف وتناحر الناس ، وخاصة أتباعهم من بعدهم ، كما يحدثنا التاريخ والكتب السماوية فمن الطبيعي أن يتساءل كلّ عاقل : كيف يمكن لله عز وجل الذي بعث عشرات الآلاف من الأنبياء إلى المعمورة عبر مئات القرون ، كيف يمكن أن يترك الناس في خضمّ هذه الفتن بلا آيات أو علامات يرجعون إليها لكي يعرفوا الحق من الباطل والصدق من الكذب ، مع أننا نعلم أن هناك الكثير ممن ادّعوا النبوة كذابين ، هذا بالإضافة إلى المنافقين الذين كانوا ولا يزالون يستغلون إيمان الناس ، فيتخذون الدين وسيلة

---

(١) سورة الشورى : الآية ١٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧١ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

للوصـول إلى أهدافهم الشيـطانية . وعليـه فنحن أمام حقيقتين لا منـاص من الإلتزام بواحدة منهما :

الأولى : أن الله سبحانه لم ينصب عـلامةً ولا آيـةً للناس كي يعـرفوا الحق من الباطل حين وقوع الخلاف والتناحر ، ولازم هذه الحقيقة أن رسـالات الأنبياء كـانت ناقصة ، لأن النبي ـ ما دام حياً ـ يكون هو الميزان في الحق والباطل ، وأما بعد وفاته فليس هناك ميزان ؛ وهذه فكرة لا تنسجم مع حكمة البارىء وعدلـه ، إذ ليس المدار على إنزال الشريعة ، بل المدار على استمرارها وبقائها وقوة ضمانات إجرائها .

الثانية : أن الله سبحانه وتعـالى نصب آياتٍ وعـلاماتٍ ومصـابيح تنيـر الطريق أمام البشريـة المعذبـة حينما تعصف فيهـا رياح الاختـلافات والمنـازعات ، والسؤال الثاني الذي يطرح نفسه هو : ما هي هذه العلامات والآيات التي نصبهـا البارىء عـز وجل لعباده طوال رحلة البشرية وعبورها قنطرة الدنيا ؟

والجواب أن العلامات على قسمين :

القسم الأول : الآيات والمعاجز الزمنيـة التي كانت في أوقـات خاصـة ، وهي المعـاجز التي كـانت تظهـر على يد أنبيـائه خـلال وجـودهم بين ظهـرانيهـم ، وهـذه العـلامات متّفق عليهـا عنـد جميـع الأمم ، وإنمـا الكـلام في القسم الثـاني ، وهـو المعاجز والآيات التي نصبها سبحـانه وتعـالى إلى يوم القيـامة ، والتي تشمـل جميع الأمم والشعوب ، ولا تختص بزمن أو أمة خاصة ، وهذا هو بيت القصيد الـذي تدور عليـه دراستنـا في هـذا الكتـاب . وطبـعـاً ليست الإجـابـة على هـذا السؤال بهـذه السهولة ، ولـذا لا بدّ لي من التمهيـد ببيان بعض الحقـائق كي تتوصـل إلى الجواب الصحيح .

وحدة الدعوة والدين

إن كل من يتعمق في الأديان السماوية الإلهية يجد أنها تكمل بعضها البعض ، وهي مراحل تتدرج شيئاً فشيئاً لتصل إلى تمام الدين وختمه بعد كماله ، ولذا نجد أن كل نبي كان يبشر بالنبي الذي يأتي من بعـده ، ويعرّف النـاس أن دعوتـه هي مكملة لدعوة من سبقه من الأنبياء .

فجميع الأديان هي في الواقع دين واحد ، لأن الذي بعث الأنبياء هو إلٰه واحد ، ودعوته واحدة ، وإنما نشأت الفِرَق والمذاهب من الاختلافات النابعة من الأهواء والشهوات ، وليست من الدين في شيء ، فالأنبياء دعوا إلى عبادة الواحد القهار وترك عبادة الأصنام والطاغوت ، وهذه الدعوة قام بها جميع الأنبياء ؛ ونحن إذا رجعنا إلى تاريخ الأنبياء نجد أن كثيراً من الأنبياء عاشوا في زمن واحد ، وكان كل واحد منهم سنداً للآخر يسدّد بعضهم بعضاً ، ولم يحصل في أي فترة من فترات تاريخ الأنبياء أن نبيَّيْن قد اختلفا ولو مرة واحدة ؛ فقد عاش موسى وهارون وشعيب في زمن واحد ، ولوط وإبراهيم وإسماعيل في زمن واحد ، وعيسى ويحيى (يوحنا المعمدان) وزكريا في زمن واحد ، وسليمان وداود أيضاً . وإذا تجردنا عن التعصب ونظرنا إلى حقيقة الدين نجد أن الدين واحد ، وهو الإسلام ، ولا أقول ذلك لأنني مسلم ، أو لأن القرآن يقول ذلك ، بل كل من عرف معنى الدين والإسلام يعترف بهذه الحقيقة ؛ فالإسلام هو التسليم لأمر الله والعبودية المطلقة له ، بحيث تذوب إرادة الإنسان (والأنا) التي فيه أمام إرادة الله ورضاه ، وهذه حقيقة الدين الذي يبشِّر به كل نبيّ ، ولا أظن أن أحداً من أتباع الأديان ينكر ذلك .

والتسليم المطلق لله ليس خاصاً بالإنسان ، بل يشمل جميع المخلوقات :

﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض ﴾[1] ؟

معرفة الأنبياء بوقوع الخلاف بعدهم

إن من سبر الكتب السماوية يجد أنها تصرّح بلسان الأنبياء العظام بوقوع الخلاف والتناحر بين أتباعهم من بعدهم ، بل هي صريحة أيضاً بمخالفة أتباعهم لهم في حال حياتهم ، وترك تعاليمهم ؛ وللتدليل على ذلك لا بدّ لي أن أذكر الآيات الواردة في هذا الصدد ، ففي التوراة التي هي أقدم الكتب السماوية :

«ولما رأى الشعب أنَّ موسى أبطأ في النزول من الجبل، إجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم إصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لِأنَّ موسى الذي أصعدنا من مصر لا نعلم ماذا أصابه - ثم تدعي التوراة أن هارون صنع لهم عجلاً -

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٨٣ .

فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر(ثم قدّموا الذبائح في اليوم الثاني وجلسوا للأكل والشراب واللعب) .

فقال الرب لموسى : إذهب لِأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر ، زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به ، وقال الرب لموسى : رأيت هذا الشعب وإذا هو صلب الرقبة ، فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم »[1] .

وبنو إسرائيل هم أكثر الناس وأشد الأمم مخالفة وعصياناً للأنبياء ، فقد تكرر كلام الربّ في التوراة حول عناد بني إسرائيل ومخالفتهم لموسى وسائر الأنبياء من بني إسرائيل ، وعبَّر الربّ عن جلافة بني إسرائيل بأنهم صلب الرقاب وعرف موسى بأنهم سوف يرتدّون من بعده وينقضون عهده :

«وقال الرب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التي هو داخل إليها في ما بينهم ويتركني وينكث عهدي الذي قطعته معه »[2] .

ولذا حمي غضبه عليهم في حياة موسى وأراد أن ينتقم منهم ويعذبهم ، ولكن موسى تشفّع لهم ، مع أنّه كان يعرف بأنهم أيضاً سوف يخالفون تعاليمه ووصاياه . ولذا لمَّا أكمل موسى كتابة كلمات الرب .

أمر اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلًا :

« خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب عهد الربّ إلٰهكم ، ليكون هناك شاهداً عليكم ، لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة ؛ هوذا وأنا بعد حيّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الربّ ، فكم بالحريّ بعد موتي ! إجمعوا إليَّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد

---

(١) الخروج : ١/٣٢ ـ ١٠ ، تنسب التوراة صناعة العجل لهارون وحاشا نبي الله هارون من هذه الفرية العظيمة ، والحق أن الذي أضلّهم وصنع العجل لهم هو السامريّ كما نصّ على ذلك القرآن : **﴿ فكذلك ألقى السامري * فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار ، فقالوا هذا إلهكم وإله موسى ، فنسي * أفلا يرون ألاّ يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ﴾** سورة طه : الآية ٨٧ ـ ٨٩ .

(٢) التثنية : ١٦/٣١ .

عليهم السماء والأرض ، لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ، ويصيبكم الشرّ في آخر الأيام ، لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم » .(١)

ويكفي دليلاً على صلافة بني إسرائيل ومخالفتهم لموسى وهو لا يزال حياً بين أظهرهم أن الله أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم ليتوب عليهم بعد عبادتهم للعجل :

« **فوضعوا السيف في بعضهم البعض ، وقتلوا أنفسهم حتى قتل منهم نحو ـ ثلاثة آلاف رجل** »(٢) .

وقد تحدثت الكتب السماوية الأخرى عن جلافة بني إسرائيل وعنادهم ، وخاصة القرآن الكريم الذي أبدع في تصوير الغربة التي كان يعيشها موسى بعد جهاد عظيم ، وتحرير بني إسرائيل من عدوهم اللدود فرعون ، وظهور الآيات والمعجزات على يدي موسى ، وبعد إغراق فرعون :

﴿ **وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء ، وجعلكم ملوكاً ، وآتاكم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين * يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين * قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن خرجوا منها فإنا داخلون * قال رجلان من الذين يخافون ، أنعم الله عليهما ؛ ادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين * قالوا يا موسى إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون * قال ربِّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرُقْ بيننا وبين القوم الفاسقين * قال فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين** »(٣) .

فانظر إلى هذه الصورة التي يرسمها القرآن الكريم ، وإلى موقفهم من موسى ، وكيف أن القرآن يبين عقيدتهم في إله موسى وأنه غير إلههم ، ولذا دائماً يقولون له : « ربّك » ولا يقولون : « ربنا » ، « إذهب أنت وربك » « ادع لنا ربك » الخ . .

---

(١) التثنية : ٣١/ ٢٤ ـ ٢٩ .

(٢) الخروج : ٣٢/ ٢٧ ـ ٢٩ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٢٠ ـ ٢٦ .

وأما المسيح (عليه السلام) فقد كان لهم معه أشدّ المواقف وأصلفها ، ولذا قال لهم :

« لا تظنوا أني أشكوكم إلى الأب ، يوجد الذي يشكوكم ، وهو موسى الذي عليه رجاؤكم ؛ لأنكم لو كنتم تصدّقون موسى لكنتم تصدقونني ، لأنه هو كتب عني ، فإن كنتم لستم تصدقوني كُتبَ ذاك ، فكيف تصدقون كلامي »[١] .

حتى أن التلاميذ الإثني عشر الذين هم زبدة أنصار المسيح وحواريّه وصفهم بأنه لا إيمان لهم ، وقد تخلّوا عنه في آخر لحظات حياته ، وقد أنكر بطرسُ المسيحَ بعد أن ألقوا القبض عليه وادّعى أنه لا يعرفه :

« فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف : إني لا أعرف الرجل ، وللوقت صاح الديك ، فتذكّر بطرس كلام يسوع الذي قال له : إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات »[٢] .

وكان بطرس ـ وهو كبير التلاميذ ـ ينتهر المسيح ، حتى قال له المسيح :

« إذهب عني يا شيطان ، أنت معثرة لي ، لأنك لا تهتم بما لله ولكن بما للناس »[٣] .

وقد مال التلاميذ الإثنا عشر إلى الرئاسة الدنيوية ، وتشاجروا فيما بينهم من يكون الأكبر ويخلف السيد المسيح ، ولمّا أخبرهم بما يجري عليه ، وأنه ماضٍ عنهم ، وعظهم ومنّاهم بما يرغبهم في الإئتلاف وعدم التشاجر »[٤] .

وقد اغتاظ عشرة من التلاميذ على السيد المسيح من أجل الأخوين »[٥] .

---

(١) يوحنا : ٥/ ٤٥ ـ ٤٦ .
(٢) متى : ٢٦/ ٧٤ ـ ٧٥ ، مرقس : ١٤/ ٧١ ـ ٧٢ ، يوحنا : ١٨/ ٢٧ .
(٣) متى : ١٦/ ٢٢ ـ ٢٣ .
(٤) لوقا : ٢٢/ ٢٢ ـ ٣٠ .
(٥) متى : ٢٢/ ٢٤ .

« وقـد وبّخهم على قلة إيمانهم وأنـه ليس لهم من الإيمـان »[1] « مثـل حبة خردل »[2] « ووصفهم أيضاً بغلظ القلوب »[3] .

« وقد طلب منهم أن يسهروا معـه ليلة هجوم اليهـود عليه ، فلم يفعلوا ولم يواسوه مـع ما هـو عليه من الإكتئـاب والحزن ، حتى وبخهم على ذلـك مراراً ، ولما أمسكه الجنود تـركه التلاميذ وهربوا »[4] .

وقد بيّن القرآن الكريم في عدة آيات مخالفة الأمم لأنبيائها ، وقتلهم الأنبياء ؛ ولبني إسـرائيـل القسط الأوفى في هـذا المضمـار ؛ وبيّـن أيضـاً اختـلاف أصحـاب الرسل من بعدهم :

﴿ تلك الـرسـل فضّلنـا بعضهم على بعض ، منهم من كلّم الله ورفـع بعضهم درجاتٍ ، وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس ، ولو شاء الله ما اقتتل الـذين من بعدهم ، من بعـد ما جـاءتهم البينـات ، ولكن اختلفـوا ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكنّ الله يفعل ما يريد ﴾[5] .

وهذا حكم عام في جميع الأمم ، والتاريخ خير شـاهد على صحـة هذه السنّـة الإجتماعية .

كما أن القرآن أشار إلى مخالفة الصحابة لرسول الله في حال حياته ، وفـرارهم عنه في أُحد وحنين :

﴿ إذ تصعـدون ولا تلوون على أحـد ، والـرسـول يـدعـوكم في أخــراكم ، فـأثابكم غمّـاً بغمٍّ لكيلا تحـزنـوا على مـا فـاتكم ولا مـا أصـابكم ، والله خبيـر بمـا تعملون ﴾[6] .

﴿ لقد نصركم الله في مـواطن كثيرةٍ ويـومَ حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغني

---

(١) متى : ١٦/ ٨ .
(٢) مرقل : ٤/ ٤٠ .
(٣) متى : ١٧/ ٢٠ .
(٤) متى : ٢٦/ ٣٦ ـ ٥٦ .
(٥) سورة البقرة : الآية ٢٥٣ .
(٦) سورة آل عمران : الآية ١٥٣ .

عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم ولّيتم مدبرين ﴾ [1] .

وقد وبّخهم القرآن على خذلانهم للرسول والفرار عنه :

﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين ﴾ [2] .

وخالفوا الرسول في صلح الحديبية ، ثمّ رضي الله عنهم بعد ذلك :

﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ [3] .

ومع ذلك فقد كان مع رسول الله ثلّة من الصحابة لا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولم يكن لأحد من الأنبياء من الصحابة في الإخلاص والأخلاق وقوة الإيمان ما كان لرسول الله محمد بن عبد الله (ص) : **﴿ والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ؛ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾** [4] .

ومن درس حياة الرسول الأعظم محمد بن عبد الله (ص) ، وخاصة في أخريات أيامه ، يجد أنه كان يحثّ المسلمين على الإتحاد ويحذّرهم من الفتنة والاختلاف .

وقد بيّن في حديث رواه المسلمون ، الاختلاف الذي وقع في الأمم السابقة والذي سيقع من بعده فقال : « تفرّقت أمة موسى على إحدى وسبعين فرقة ، سبعون في النار وواحدة في الجنة ؛ وتفرّقت أمّة عيسى على اثنين وسبعين أمة ، إحدى

---

(١) سورة التوبة : الآية ٢٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٤٤ .

(٣) سورة الفتح : الآية ١٨ .

(٤) سورة الفتح : الآية ٢٩ .

وسبعون منها في النار ، وواحدة في الجنة ، وتعلو أمّتي على الفرقتين جميعاً بملةٍ ، اثنتين وسبعين في النار ، وواحدة في الجنة »[1] .

وفي معركة خيبر حينما وصل النبي (ص) والمسلمون إليها مرّوا بشجرة يعلّق المشركون عليها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط ، فقالوا : يا رسول الله إجعل لنا ذات أنواط ، فقال : الله أكبر ، هذا كما قال قوم موسى لموسى : إجعل لنا إلَهاً كما لهم آلهة »[2] .

وفي حجة الوداع التي هي أوّل وآخر حجة حجها رسول الله ، ودعا المسلمين ليحضروا أعظم مؤتمر عقد للحج في حياته ؛ وبعد أن انتهت أعمال الحج خطب رسول الله (ص) الناس وودّعهم ، وأخبرهم بأن هذه آخر حجة يحجها ، ولن يلقوه بعد ذلك العام ، وقد ضمّن خطبته البيان الختامي لرسالته فقال : « أيها الناس اسمعوا قولي فاعقلوه ، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في هذا الموقف ، ثم قال : لا ترجعوا بعدي كفاراً مضلّين يملك بعضكم رقاب بعض ، إني قد خلّفت فيكم ما أن تمسّكتم به لن تضلّوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ؛ ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد[3] .

وهذا غيض من فيض من الأحاديث والآيات التي تدل على الاختلاف والتناحر بعد رسول الله وسائر الأنبياء ، ويكفي دليلاً على صحة حديث افتراق الأديان الثلاثة الذي روى عن رسول الله الواقع فإن اليهود والنصارى والمسلمين تفرقوا إلى عشرات الفرق ، وكل فرقة تكفّر الأخرى وتدّعي أنها هي الفرقة الناجية .

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي : ٦/ ٣٤٢ ح ٣٦٦٧ ، وأخرجه أبو داود عن أبي هريرة وعن معاوية ، حديث ٤٥٩٦ و٤٥٩٧ ، سنن الترمذي حديث ٢٦٤٢ .

(٢) مسند أبي يعلى : ٣/ ٣٠ ، سنن الترمذي حديث ٢١٨١ ، مسند أحمد : ٥/ ٢١٨ ، مصنف عبد الرزاق حديث ٢٠٧٦٣ ، دلائل النبوة : ٥/ ١٣٥ ، كنز العمال : ١١/ ٢٠٦ ، مصنف ابن أبي شيبة ١٥/ ١٠٦ .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢/ ١١١ - ١١٢ . وهذه الخطبة متواترة وإن اختلف المحدثون في نقل ألفاظها ، ولكن المعنى واحد . راجع صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى : ٢/ ٢١٥ - ٢١٦ حديث ١٣٧٩ ، مسند أحمد : ٢/ ١٧ و٤/ ٧٦ - ٢٥٨ و٥/ ٣٩ - ٤٠ - ٦٨ ، مسند أبي داود الطيالسي ص ٩٢ - ١١٥ ، كنز العمال حديث ٣٠٩٠١ ، صحيح مسلم : ١/ ٨٢ ، طبقات ابن سعد ٢/ ١٨٤ .

وبعد هذا العرض للاختلاف والتمزق الذي لا يزال يتسع يوماً بعد يوم في الأديان السماوية وبين أتباع الدين الواحد ، يقوى ويتأكد السؤال الذي طرحناه في بداية البحث ـ وخاصة بعد أن نأخذ بعين الاعتبار أن الله سبحانه وتعالى أرسل عشرات الآلاف من الأنبياء للبشر ليوطّد الأخوة والمحبة ، ويوحد الصفوف ، ويقضي على الخلافات بين أبناء البشر ، وإلا لما أرسل مائة وأربعة وعشرين ألف نبي إلى الأرض . ومن هنا نتعطش للجواب على السؤال الذي لم نجب عليه حتى الآن ـ وهو : إذا كانت الخلافات بين أبناء البشر وبين الأديان والفرق بهذه القوة وبهذه السعة فكيف لم ينصب تعالى آياتٍ وعلامات ومصابيح تنير الطريق أمام البشرية المعذبة ، وخاصة لطالبي الحق والسذج من الناس ؟ ومن الواضح أن كل عاقل يحسّ بوجدانه وعقله الفطري وإن كان محدوداً أن الله لا يمكن ـ بحسب حكمته وعدله ـ أن يترك الناس ألعوبة في يد المنحرفين والمغرضين ، بل لا بدّ أن ينصب للخلق طريقاً واضحاً ومشعلاً ينير الدرب لهم في وسط هذه الظلمات الحالكة . إذاً ما هي هذه العلامات التي نصبها عز وجل لهداية الخلق من أجل معرفة الحق ؟ وهنا يحاول كل فريق من أصحاب الأديان الجواب عن هذا السؤال ، وغالباً ما يكون الجواب نابعاً من هوى النفس والتقاليد الإجتماعية التي يعيشها كل فرد .

فاليهود لا بد يكون جوابهم أن الآية التي نصبها الله عز وجل للخلق في كل عصر هي التوراة بل التلمود .

ومن الطبيعي أن يقتنع اليهود بهذا الجواب ، ولكن بما أن أكثرية الأمم والشعوب في العالم اليوم من غير اليهود ، حيث إن نسبة اليهود إلى الأديان والمذاهب الأخرى لا تصل إلى واحد بالمائة من سكان العالم ، فلا يمكن أن يؤمن بجواب اليهود غيرهم من الشعوب والأديان الأخرى ؛ هذا بالإضافة إلى أن الدين اليهودي دين عنصري لا يُقبل فيه إلا من تولّد من يعقوب ، وهو إسرائيل ، ابن الله البكر كما تزعم التوراة (١) .

وقضية شعب الله المختار تحسم المسألة ولا تدع أي مجال للشك ، فبنو إسرائيل أحبّاء الله لأنهم أبناؤه وقد سمّاهم إله التوراة بهذا الاسم في قوله :

---

(١) الخروج : ٤/٢٢ .

« **أنتم أولاد للرب إلهكم** » .

ويزداد الغرور الإسرائيلي بهذا التفوق العنصري بقول إله التوراة :

« **لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك ، إيّاك قد اختار إلهك لكي تكون له شعباً أخصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض** »[1] .

هذا إذا أخذنا بما تقوّلوه عن التوراة ، وأما إذا رجعنا إلى التلمود فهناك يقف اليراع متحيراً أمام الجرأة على الله ، والغرور الذي لم يصل إليه أحد من الشعوب عبر التاريخ .

فقد جاء في التلمود :

« **إن الله لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ، ولما خلقت الأمطار والشمس ، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش** » .

وجاء أيضاً :

« **إنَّ الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة ، فإذا ضرب أُمِّيٌّ (وهو من ليس يهودياً) إسرائيلياً فكأنَّه ضرب العزة الإلهية**[2] » .

ويعتبر التلمود غير اليهود كلاباً ، ويؤيد ذلك ما في التوراة :

« **إن الأعياد لم تجعل للأجانب ولا للكلاب** »[3] .

وقد عبر عن عقيدة التلمود في غير اليهود الحاخام (أباربانيل) فقال :

« **المرأة الغير اليهودية هي من الحيوانات ، وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم ، لأنه لا**

---

(١) التثنية : ٧/ ٦ .

(٢) التلمود . سنهدرين : ص ٢ ـ ٥٨ نقلاً عن كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٧٣ ، وهناك عقائد عجيبة يذكرها صاحب الكتاب المذكور من التلمود أعرضنا عن ذكرها إجلالاً للقلم ، فمن أرادها فليراجع الكتاب .

(٣) الخروج : ١٦/١٢ ، هذه العبارة ليست في التوراة المطبوعة في بيروت وإنما هي في طبعة قديمة للتوراة طبعت في مدينة النبدقية ، راجع كتاب الكنز المرصود ص ٧٤ .

يناسب لأمير أن يخدمه ليلاً نهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية ، كـلاّ ثم كلاّ »[1] .

واليهـود بحسب تعـاليم التـوارة والتلمـود لا يمكن أن يكـون جـوابهم حـلاً للمشكلة ، وخاصة أن مشاكل العالم إذا دققنا النظر فيها نجـدها من اليهـود ، فهم لا يزالون حتى اليوم يعيشون حيـاة القبلية والإنـزواء عن الأمم الأخرى ، ويحملون كـل حقـدٍ وحسدٍ وعـداوةٍ لشعـوب العـالم ، ويـرون جـواز ارتكـاب كـل جـريمـة وظلم ضدهم ؛ وهذه الحقيقة لا نقولها نحن ، بل التـوراة وأنبيـاؤهم هم الذين يصفـونهم بهذه الأوصاف فيقول إشعياء :

« بـل آثامكم صـارت فـاصلة بينكم وبين إلهكم ، وخـطايـاكم سـترت وجهه عنكم حتى لا يسمع لأن أيديكم قد تنجّست بالدم ، وأصابعكم بالإثم ؛ شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهـج بالشـر ، ليس من يدعـو بالعـدل ، وليس من يحـاكم بالحق ؛ يتّكلون على البـاطل ، ويتكلمـون بالكـذب ، قد حبلوا بتعب وولدوا إثماً ، فقّسوا بيض أفعى ، ونسجـوا خيـوط العنكبـوت ، خيوطهم لا تصير ثـوباً ولا يكتسـون بأعمـالهم ، أعمالهم أعمـال إثم ، وفعل الظلم في أيديهم ؛ أرجلهم إلى الشـر تجري وتسـرع إلى سفك الـدم الزكي ، أفكارهم أفكار إثم ، في طـرقهم اغتصاب وسحق ؛ طـريق السلام لم يعـرفوه وليس في مسالكهم عدل ، جعلوا لأنفسهم سبـلاً معوجّـة كل من يسيـر فيها لا يعرف سلاماً »[2] .

وعليه فليس من عدل الله وحكمته أن يجعل التوراة هي مصباح الإشـراق الذي ينيـر الطريق للمعـذبين في الأرض ، وهي تجوّز لليهـود سفك الـدماء وارتكـاب كـل جـريمة في حق الآخـرين ، ولا يخفى علينا أيضـاً أن اليهـود لا يعتـرفـون بـالمسيـح عيسى بن مريم (عليه السلام) لا من قريب ولا من بعيد ، ويعتبرونه كاذباً ، مع أنـه من بني إسرائيل ، وقد تآمروا عليه وأخذوه أسيراً وصلبوه كما يقول النصارى .

هذا بالإضافة إلى أن التوراة الحالية ليست واحدة ، فالسامريون لا يعترفون إلا بالأسفار الخمسـة الأولى منها ، وأمـا العبرانيـون فتوراتهم تبلغ ٣٩ سفـراً ، وهي مع

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٥ .

(٢) إشعياء : ٥٩/٢ ـ ٨ .

ذلك ناقصة لأن التوراة الحالية تذكر بعض الأسفار مثل سفر (حروب الرب) (وسفر ياسر) وسفر أخبار (ملوك يهوذا) (وسفر أخبار ملوك إسرائيل) وسفر (الانتساب)[1] وهي غير موجودة في التوراة العبرانية الحالية[2] .

والتوراة الحالية تحمل في طياتها كثيراً من عقائد الوثنيين وتأمر بالسلب والنهب والكذب والزنى وشرب الخمر ، كما سوف نبيّن ذلك مفصلاً .

جواب النصارى

ومن الواضح أن يجيب النصارى عن السؤال الذي طرحناه بقولهم : إن الآية التي نصبها الله سبحانه وتعالى للخلق حين تشتد الفتن ويختلط الحق بالباطل هي العهد الجديد ، وهو عبارة عن الأناجيل الأربعة و ٢٣ كتاباً آخر جمعت في كتاب واحد سمي بالعهد الجديد ، ولكن من الحق لكل إنسان ـ حتى النصراني ـ أن يتساءل في نفسه ، أي إنجيل يجب اتباعه ؟ فهناك أربعة أناجيل وهي مختلفة في كثير من نصوصها التي تتناقض مع بعضها البعض حتى في الحادثة الواحدة ؛ مع أننا نعلم علم اليقين أن الإنجيل الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على المسيح هو واحد ، وهو مفقود حتى بين التلاميذ أنفسهم ، ولم نسمع أن أحداً في العالم ادّعى أنه رأى إنجيل المسيح منذ فجر المسيحية حتى يومنا هذا ؛ ونحن بكل تواضع نتمنى على الكنيسة وعلى قداسة البابا بالخصوص أن يخرج لنا إنجيل المسيح إذا وجد .

وأما الأناجيل الحالية فما هي إلا رسائل ينسب ثلاثة منها لتلامذة السيد المسيح ، وهي كتب تتناول حياة المسيح ومعجزاته وأقواله ، فهي أشبه بكتب السيرة عند المسلمين ، وهذه الكتب تنسب لأصحابها فيقال : إنجيل متى ، وإنجيل لوقا ، ومرقس ، ويوحنّا .

وهي تتبنّى عقائد الوثنيين والخرافات ، وليس لها سند ، ولا يعرف تاريخ كتابتها ولا كاتبها ؛ هذا بالإضافة إلى أنها حرّفت كثيراً عن الصورة الأولى التي كتبت عليها ، وسوف نبيّن ذلك مفصلاً .

---

(١) نَحَمْيا : ٧/٥ .

(٢) العدد ، وسوف يأتي بيان ذلك .

جـواب المسلميـن

ومن الطبيعي أيضاً أن يجيب المسلمـون عن السؤال الذي طـرحناه سـابقاً بـأن الآية الوحيدة التي يمكن أن تنير الدرب للبشرية المعذبة عبر التاريخ وأمـام الظلمـات التي تعصف بالمجتمعات البشـرية هي القـرآن الكريم ، ويستـدلون على ذلـك بعدة أدلة :

الأول : إن القـرآن الكريم هـو كتاب واحـد متواتـر في جميع الـطبقـات عنـد المسلمين . والمسلمـون وإن اختلفوا إلى عشـرات الفرق ، وبعضهم يكفـر البعض الآخـر إلا أن القرآن واحد عند جميع الفرق ، حرفاً بحـرف وحركـة بحركـة ، وأكبر شـاهد على ذلـك طبعاتـه المتعددة والصـادرة عن كـل فـرقـة من الفـرق الإسـلاميـة الموجودة في العالم اليوم .

الثاني : إن القرآن الكـريم هو الكتـاب السماوي الـوحيد الـذي تحدّى البشـر وطلب منهم أن يأتوا ولو بسورة صغيـرة مثله ، وهذا التحـدي نجده في عـدة آيات ، وبكل صراحة تحدى الجن والإنس على أن يأتوا بمثله :

﴿ قـل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتـوا بمثل هـذا القرآن لا يـأتـون بمثله ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيراً ﴾[1] .

وقال تعالى : **﴿ وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنـا فأتـوا بسورةٍ من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ـ ولن تفعلوا ـ فـاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدّت للكافرين ﴾**[2] .

وقال أيضاً : **﴿ أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشـر سورٍ مثله مفتـريات وادعـوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾**[3] .

فهذا التحدي الصـارخ للإنس والجن ، حتى لـو كان بعضهم لبعض ظهيـراً ، والتحدي لكل الأمم والأجيال والوعيد بالعذاب والنار لمن لم يؤمن بالقرآن بعد عجزه

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٨٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٣ ـ ٢٤ .

(٣) سورة هود : الآية ١٣ .

ـ هذا التحدي لم يصدر عن أي كتاب سماوي آخر ، وقد أثبت الواقع بعد أربعة عشر قرناً عجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن ، ولو بسورة صغيرة ؛ هذا مع كثرة الأعداء واتحادهم ومحاولتهم ذلك مراراً ، ولكنهم باؤا بالخيبة والفشل الذريع .

الثالث : لا يوجد كتاب سماوي يعلن وبكل وضوح وصراحة أن الله سبحانه وتعالى تكفّل بحفظه من التحريف والزيادة والنقصان غير القرآن الكريم :

﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾(١) .

ولذا أجمع علماء الإسلام ـ في شتى المذاهب ـ على بطلان الروايات التي تدّعي تحريف القرآن ، والسرّ في بطلانها هو أنها لا تفيد إلا الظن ، وهو لا يغني عن الحق شيئاً ، ولِأنَّ القرآن قطعيّ الصدور متواتر اللفظ حفظه المسلمون في صدورهم جيلاً بعد جيل .

فهذه الروايات تعارض القرآن وكل ما عارض القرآن يضرب به عرض الجدار ، لأنه زخرف وباطل ؛ والميزان في كل شيء هو كتاب الله ؛ وقد حاول بعض المسلمين توجيه تلك الرواية لأنها وردت في الصحاح في نظرهم .

قال الإمام الخوئي في كتابه القيّم « البيان » :

« المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن ، وأن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم »(٢) .

إذاً فالقرآن الذي أنزل على رسول الله (ص) قبل أربعة عشر قرناً هو بعينه الموجود حالياً بين أيدي المسلمين ، وهذا لا يحتاج إلى برهان لأن دليله وحجته فيه ؛ فالكتاب الذي يدّعي أنه كلام الله تعالى ، وأنه محفوظ من قبله ، ويتحدى مع ذلك الجن والإنس ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، هذا الكتاب لا يمكن أن يكون فوقه حجة أعلى منه يستدل بها على صحة دعواه .

وخير دليل على أن القرآن الحالي هو القرآن الذي نزل على رسول الله (ص)،

---

(١) سورة الحجر : الآية ٩ .

(٢) البيان في تفسير القرآن : ص ٢١٦ ـ ٢٥٢ راجع البحث هناك .

دون أي زيادة أو نقصان هو الأوصاف التي ذكرها القرآن الكريم لنفسه ، وموجودة فيه .

فهو يصف نفسه بأنه نور وهداية يرشد الناس إلى الحق والحقيقة ، ويقول : إنني أبيّن ما يحتاج إليه الإنسان ويتّفق مع فطرته السليمة . ويقول أيضاً : إنني كلام الله ، ومن لا يصدق فليجمع الإنس والجن للإتيان بمثلي ، أو ليأتوا ببعض ما أتى به محمد (ص) الذي لم يتعلم من أحد طيلة حياته . وأخيراً أنظروا فيَّ هل تجدون اختلافاً أو تناقضاً في أسلوبي أو علومي أو أحكامي وهذه الأوصاف بعينها موجودة في القرآن الكريم بخلاف الكتب السماوية الأخرى فلا نجد فيها الأوصاف التي وصفها القرآن بها ولا التي وصفت نفسها به .

الرابع : القرآن هو المعجزة الخالدة التي جاء بها نبي الإسلام ، وهذه المعجزة لكل الأجيال والأمم ، بخلاف معاجز سائر الأنبياء الآخرين ، حيث إن معاجزهم كانت مقصورة على فترة زمنية خاصة بحياتهم ؛ ولذا كان القرآن أعظم معجزة جاء بها الأنبياء عبر التاريخ ، هذا بالإضافة إلى المعجزات الكثيرة التي جاء بها رسول الإسلام ، وكانت خاصة بزمان حياته وبعد موته ؛ وهذه المعجزات متواترة نقلها المسلمون في كتبهم طبقة بعد طبقة ، وكتبوا حولها العديد من المؤلفات ، وهي تمتاز عن معجزات الأنبياء من ناحيتين :

الأولى : قرب الزمان ، فإن النبأ إذا كان قريب الوقوع كان الخبر بوقوعه أيسر .

الثانية : كثرة الرواة الذين شاهدوا تلك المعجزات ، فهم أكثر بكثير من الذين مثلاً كانوا قلة يخافون أن يتخطفهم الناس ولذا تركوه ليلة هجوم اليهود عليه وتبرؤا منه ؛ ومعاجزه تعود إلى هؤلاء بل إلى أصحاب الأناجيل الذين شاهدوا تلك المعجزات دون غيرهم ، فإذا صحّ نقل معجزات الأنبياء بطريق التواتر ، فبطريق أولى ثبوت معجزات رسول الإسلام .

الخامس : إن القرآن الكريم هو كتاب الوحي الوحيد الذي بقي مصوناً من أي تحريف ، وهو الكتاب الوحيد الذي حفظ معاجز الأنبياء العظام ، واعترف بها ؛ وهو

أصدق وأصحّ سندٍ لكتب الأنبياء ومعاجزهم تملكه البشرية حتى اليوم وإلى يوم القيامة .

السادس : لم يعترف القرآن الكريم بنبوة سائر الأنبياء الذين بشروا برسول الله فحسب ، بل أثنى عليهم الثناء الجميل ، ووصفهم بالعصمة والكمال ونسب لهم كل مأثرة كريمة تلازم قداسة النبوة ونزاهة الرسالة والسفارة الإلهية :

﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصةٍ ذكرى الدار * وإنهم عندنا لمن المصطَفَيْنَ الأخيار * واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل ، وكلٌّ من الأخيار ﴾[1] .

﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذريّة آدم وممّن حملنا مع نوحٍ ، ومن ذريّة إبراهيم وإسرائيل وممّن هدينا واجتبينا ، إذا تتلى عليهم آيات الرحمٰن خرّوا سُجّداً وبكيّا ﴾[2] .

﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً * وناديناه من جانب الطور الأيمن وقرّبناه نجيّاً * ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ﴾[3] .

﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صدّيقاً نبياً * ورفعناه مكاناً علياً ﴾[4] .

وقد نقل القرآن الكريم بعد هذا الثناء معاجزهم ، وجعل الإيمان بهم أصلاً من أصول الإسلام ، وربط الإيمان بهم بالإيمان برسول الله ، وجعل التفكيك بينهما خروجاً عن الإسلام ؛ فالقرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي نزّه الأنبياء عن كل قبيح وفحشاء ، مع أن الكتاب المقدس ينسب لهم كل فحشاء من الزنى والكذب والخداع وسفك الدماء وشرب الخمر ، كما سوف يظهر لك .

إذاً الإيمان بجميع الأنبياء هو جزء وأصل من أصول الإسلام ، ولا يتم إسلام امرءٍ إلا بالإيمان بجميع الأنبياء ، وهذا بخلاف التوراة الحالية التي لا تؤمن بنبوة

---

(١) سورة ص : الآية ٤٥ ـ ٤٨ .
(٢) سورة مريم : الآية ٥٨ .
(٣) سورة مريم : الآية ٥١ ـ ٥٣ .
(٤) سورة مريم : الآية ٥٦ ـ ٥٧ .

عيسى ولا محمد وكذلك بخلاف الإنجيل الحالي الذي لا يؤمن بنبوة أحد بعد عيسى :

﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير ﴾(1) .

﴿ قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا ، وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيّون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون ﴾(2) .

وهذا أظهر دليل على أن القرآن هو كتاب الوحي الوحيد الذي نصبه الله جلا جلاله آية ، وجعله مشعل نورٍ ينير الطريق أمام الإنسانية المعذبة المتخبطة في ظلمات التعصب والجهالة .

فالقرآن الذي لا يرى فضلاً لإنسان على إنسان إلا بالتقوى ، ولا لقوم على قوم اعترف بجميع الأديان السماوية وقدّسها واعتبرها ديناً واحداً :

﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾(3) .

﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾(4) .

وهو يصرح بأن الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات من أيّ دين من الأديان التي ذكرتها الآية ، فإنهم على خيرٍ إذا إتبعوا تعاليم الأنبياء وعملوا بقول أيّ نبيّ منهم ، لِأنه لا يمكن التفكيك بين دعوة أي واحد منهم ودعوة الآخر ، وهذه السعة والشمولية لا نجدها في أيّ كتاب آخر ، أو أي دين غير الإسلام .

---

(1) سورة البقرة : الآية ٢٨٥ .
(2) سورة البقرة : الآية ١٣٦ .
(3) سورة آل عمران : الآية ١٩ .
(4) سورة البقرة : الآية ٦٢ .

السابع : إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة ، والناموس الإلهي الكامل والدائم ، الذي جعله تعالى لجميع الطبقات وجميع الأمم والأجيال ؛ ولما كانت نبوّات الأنبياء السابقين مختصة بزمنهم ومجتمعاتهم التي عاشوا فيها ، لذا كانت معجزاتهم محدودة ؛ لأنها معاجز لنبوّات محدودة ، فالذي كان يراها تقوم عليه الحجة ، والذي تنقل إليه بالتواتر تقوم عليه الحجة أيضاً ، وأما الغائب ومن لم ير المعجزة فلا تقوم عليه الحجة ؛ وكان تكليف البعيد بتصديق النبوة والإيمان بها تكليفاً بالممتنع ، وهو مستحيل في حقه تعالى .

فالقرآن إذاً هو المعجزة التي تفوق جميع معاجز الأنبياء لأنها مستمرة ، وهي لكل زمان ومكان ، والقرآن كتاب دائم وأبدي على مرّ العصور وإلى يوم القيامة ، وذلك لأن الكلام إذا كان صحيحاً تاماً بصورة مطلقة فلا يمكن تحديده بوقت من الأوقات أو زمان من الأزمنة .

وقد نصَّ القرآن على تمامية كلامه وكماله ، **﴿ وإنه لقولٌ فصل * وما هو بالهزل ﴾**(١) .

وهكذا جميع المعارف والمبادىء التي تناولها القرآن الكريم من أصول الأخلاق والأحكام والشرائع ، فهي نتيجة تلك الحقائق الثابتة ولا يتطرق إليها البطلان ، ولا تزول بمقتضى الأعوام والقرون :

﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾(٢) .

﴿ وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾(٣) .

وأما عدم استمرارية المعجزة للأنبياء السابقين في الشرائع المتقدمة ، فيلازمه كون الشرائع منتهية ومنقطعة بانتهاء وانقطاع زمان المعجزة التي جاء بها الأنبياء السابقون ؛ واليهود متفقون على أنَّ التوراة فقدت في السبي البابلي ، وبعد عشرات السنين كتبها عزرا بعد عودته من السبي ، ولا يُعرف من هو ، ولا مدى معرفته بالتوراة الحقيقية كما سوف يأتي مفصّلاً .

(١) سورة الطارق : الآية ١٣ ـ ١٤ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٠٥ .

(٣) سورة فصّلت : الآية ٤١ ـ ٤٢ .

الثامن : ومما تفرّد به القرآن الكريم وتفوّق به على سائر الكتب أنه تكفل بهداية البشر :

﴿ إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ويبشّر المؤمنين ﴾(١) .

﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾(٢) .

﴿ آلم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾(٣) .

فالقرآن هو مصباح الإشراق الذي أزهر في صدور المؤمنين ، وحوّل الأمة العربية ـ التي كانت تعبد الأصنام وتتناحر فيما بينها ، لتعيش على السلب والنهب والغزو ـ إلى أمة متماسكة ذات خطر في معارفها ، وذات عظمة في تاريخها ؛ حوّل تلك الأمة من رعاة الإبل إلى ملوك الأرض ، بما أوجد فيها من أواصر المحبة والأخوة الصادقة والتعاون والاتحاد ؛ فأصبح أبناؤها من كبار قادة العلم ورجال التاريخ ، يتنافسون في سبيل إحياء الشريعة وبث العلم ونشره في جميع الطبقات ؛ وبذلك أصبح المسلمون كالجسد الواحد ؛ وقد افتتحوا الكثير من بلاد العالم في مدة لا تتجاوز ثمانين عاماً ، وحققوا بذلك ما لم يحققه الآخرون بمئات السنين .

التاسع : ومما يدل على أن القرآن هو المعجزة الخالدة ، والمصباح الذي نصبه المولى عز وجل لعباده ، لينير لهم الدرب في ظلمات الحياة ، هو تعظيمه للعلم ودعوته للتفكير ؛ عظّم العلم والعلماء ، وحثّ في آيات كثيرة البشر على التفكر في آيات الله وخلقه ، وقد جعل التفكير أعظم العبادات ، وبذلك أحيا المعارف والعلوم الإنسانية في شتى المجالات .

وقد قطعت البشرية شوطاً جباراً بدعوة الإسلام للعلم والتفكير ، وجعله العلم فريضة واجبة على كل فرد كوجوب سائر العبادات من الصلاة والصوم والحج ؛ وقد وصف الذين لا يتفكرون في آيات الله بالجهل ، وكفى به قبحاً أن يتبرأ منه حتى الجهال :

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ﴾(٤) .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٩ .
(٢) سورة الإسراء : الآية ٨٢ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١ ـ ٢ .
(٤) سورة آل عمران : الآية ١٨ .

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾[1] .

﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب ﴾[2] .

﴿ إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك ، فقنا عذاب النار ﴾[3] .

﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبثّ فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخّر بين السماء والأرض ، لآياتٍ لقوم يعقلون ﴾[4] .

وإذا رجعنا إلى مادة « علم » وما اشتق منها ، نجد أن القرآن استخدمها في مئات الآيات ، وما ذلك إلا لتعظيمه للعلم والتفكير ، وبذلك أصبح القرآن منبع العلوم المختلفة ، ومدار بحث العلماء والمفكرين في شتى مجالات العلوم البشرية .

وقد تحدث القرآن عن نظريات علمية وحقائق كونية لم يتوصل إليها العلم الحديث حتى اليوم ، مع ما قطعت البشرية من أشواط عظيمة في ميادين العلوم والإكتشافات ؛ فهناك من الحقائق العلمية التي لم يتقدم فيها العلم خطوة واحدة ، لأنها في المسائل التي تتجاوز حدود العلوم المادية ؛ ونحن نشير إلى بعض تلك النظريات إشارة عابرة من باب التدليل ليس إلا ؛ وهذا الموضوع بالذات فيه مادة خصبة ربما نوفّق للتوسع فيها في دراسة أخرى .

١ ـ القرآن الكريم يرى أن الزوجية نظام عام في جميع الكائنات من الذرة إلى المجرّة ، وحتى الغيوم والذرّات التي تتركب منها العناصر الأولية ؛ وليس هناك فرد

---

(١) سورة المجادلة : الآية ١١ .
(٢) سورة الزمر : الآية ٩ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١٩٠ ـ ١٩١ .
(٤) سورة البقرة : الآية ١٦٤ .

إلا الله الواحد الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

﴿ ومن كلّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾[١] .

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون ﴾[٢] .

﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه ﴾[٣] .

٢ ـ القرآن الكريم يرى أن جميع الأعمال التي تصدر من كل إنسان منّا مجسدة في عالم الوجود ، وإن كنّا نجهل ذلك ، فكما تسجل عدسة (الكاميرا) حركات الإنسان وسكناته وصوته ، كذلك الكون شاعر وحسّاس يسجل كل حركة من حركات الإنسان وتتجسد فيه جميع الأعمال التي تصدر منه ، ويوم القيامة يجدها بعينها أمامه :

﴿ يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خيرٍ محضراً ، وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾[٤] .

﴿ ووضع الكتاب ، فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ؟ ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً ﴾[٥] .

٣ ـ إن الشعور والإحساس في نظر القرآن لا يختص بالإنسان والحيوان والنبات ، بل يشمل جميع الكائنات :

﴿ وإنْ من شيء إلاّ يسبّح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾[٦] .

﴿ يسبّح لله ما في السماوات والأرض ، الملك القدّوس ﴾[٧] .

---

(١) سورة الرعد : الآية ٣ .
(٢) سورة الذاريات : الآية ٤٩ .
(٣) سورة الحجر : الآية ٢٢ .
(٤) سورة آل عمران : الآية ٣٠ .
(٥) سورة الكهف : الآية ٤٩ .
(٦) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .
(٧) سورة الجمعة : الآية ١ .

والقرآن يثبت الإدراك والمعرفة حتّى للحشرات :

﴿ حتّى إذا أتوا على وادِ النمل قالت نملة : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾[1] .

٤ ـ يرى القرآن أن الأرض على شكل بيضة وليست كروية كما كان معروفاً ، وهذا آخر ما توصّل إليه العلماء ، وقد استخدم القرآن الكريم للتدليل على هذه الحقيقة لفظاً لا يوجد غيره في اللغة العربية :

﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾[2] .

والدحية هي بيضة النعام ، وهي أكبر حجم لنوع البيض الذي تشاكله الأرض ، واستخدام القرآن لهذا اللفظ هو دليل على إعجازه .

ومن هنا نعلم أن القرآن الكريم يبيّن الحقائق العلمية كما هي ، لا كما هو المعروف عند الناس ، وإن لم يعرف الناس تلك الحقائق إلا بعد تطوّر العلم ، ولو بعد عشرات القرون ؛ ومن أمثلة ذلك أن القرآن الكريم يعبّر عن تبرّي الإنسان من الشيطان قرينه يوم القيامة بالتعبير التالي :

﴿ حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ، فبئس القرين ﴾[3] .

ومن المعروف أن الذي يريد أن يبيّن غاية البعد بينه وبين عدوه يقول : ما بيني وبينه ما بين المشرق والمغرب ، إلاّ أن القرآن يجعل نهاية البعد بين الإنسان وقرينه الشيطان هو البعد بين المشرقين ، لا المغرب والمشرق ، وهذا هو الحق ؛ وقد أثبت العلم ـ بما أن شكل الأرض مدوّر ـ أن كل مشرق هو مغرب في نفس الوقت ، فهو مشرق لأهل الغرب ، ومغرب لأهل الشرق ، والشمس إذا غابت عن بلد ففي نفس الوقت تشرق على آخر ، وأما المشرق فإنه يقابله المشرق على الطرف الثاني من الأرض ، فغاية البعد تكون بين المشرقين على وجه الأرض لا ما بين المشرق والمغرب ، كما هو المعروف عند الناس .

---

(١) سورة النمل : الآية ١٨ .

(٢) سورةالنازعات : الآية ٣٠ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٣٨ .

٥ ـ القرآن الكريم يرى للإنسان ثلاثة عوالم : عالم الناسوت وهو عالم الدنيا والطبيعة التي نعيشها على سطح المعمورة ؛ وعالم البرزخ ، وهو وسط بين عالم الدنيا وعالم الآخرة :

﴿ حتّى إذا جاء أحدهم الموتُ قال ربِّ ارجعون * لعلّي أعمل صالحاً في ما تركت ، كلّا إنّها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾(١) .

والعالم الثالث هو عالم القيامة والآخرة ، وقد ركّز القرآن على هذا العالم ، واعتبر الحياة الحقيقية للإنسان هي الحياة الآخرة :

﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾(٢) .

ولذا اعتبر عالم الدنيا قنطرة يعبر عليها الإنسان إلى عالم الآخرة ، وركز أعظم تركيز على عالم الآخرة ، وأكثر من أسماء يوم القيامة ليوقف الإنسان بكثرة أساميها على كثرة معانيها ؛ فليس المقصود تكرير الأسامي والألقاب ، بل الغرض تنبيه أولي الألباب ؛ فتحت كل إسم من أسماء القيامة سر ، فهو يوم القيامة ، ويوم الحسرة ، ويوم الندامة ، ويوم المحاسبة ، ويوم المسألة ، ويوم المسابقة ، ويوم الزلزلة ، ويوم الدمدمة ، ويوم الصاعقة ، ويوم الواقعة ، ويوم القارعة ، ويوم الراجفة ، ويوم الرادفة ، ويوم الغاشية ، ويوم الواهية ، ويوم الآزفة ، ويوم الحاقة ، ويوم الطامة ، ويوم الصاخة ، ويوم المآب ، ويوم العذاب ، ويوم الفرار ، ويوم اللقاء ، ويوم البلاء ، ويوم البكاء ، ويوم الحشر ، ويوم الوعيد ، ويوم الخزي ، ويوم الفتح ، ويومٌ عظيم ، ويومٌ عقيم ، ويومٌ عسير ، ويوم الدين ، ويوم اليقين ، ويوم النشور ، ويوم المصير ، ويوم النفخة ، ويوم الصيحة ، ويوم الرجفة ، ويوم الرجة ، ويوم الزجرة ، ويوم السكرة ، ويوم الفزع ، ويوم الجزع ، ويوم المنتهى ، ويوم المأوى ، ويوم الميقات ، ويوم الميعاد ، ويوم المرصاد ، ويوم القلق ، ويوم العرق ، ويوم الافتقار ، ويوم الوقوف ، ويوم الخروج ، ويوم الخلود ، ويوم التغابن ، ويومٌ موعود ، ويوم الوعيد ، ويوم تبلى السرائر ، ويوم تشخص فيه الأبصار .

وهناك الكثير من الأسماء الأخرى تركناها خوفاً من الإطالة ؛ وهذا بخلاف

---

(١) سورة المؤمنون : الآية ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٦٤ .

التوراة التي لم تذكر عالم الآخرة إلا في موردين أو أكثر ، والإنجيل ذكره في بعض آياته ، وسوف نكشف السر عن عدم ذكر التوراة الحالية لعالم الآخرة وعالم ما بعد الطبيعة ، الذي أولاه القرآن تلك الأهمية العظمى .

وكل ما تحدّث عنه القرآن حول عالم الدنيا من علوم ومعارف إنما ذكره من أجل تقوية معارف الإنسان وإيمانه بعالم الآخرة ؛ والقرآن الكريم هو الناموس الإلهي ومصباح الإشراق الذي يشعّ في قلوب المؤمنين الذين عظُمَ الخالق في أنفسهم فصَغُر ما دونه في أعينهم ؛ والذين خاطبهم ربهم في بصائرهم فعبدوه حق العبادة ، ووحدوه كمال التوحيد :

﴿ **هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم** ﴾(1) .

وليس هناك مجال لليراع ليدخل إلى عالم المعنى والعرفان ، وإنما تجربة الإنسان وتجرّده عن حطام الدنيا ، وقربه من الله سبحانه وتعالى ، وطهارته ، هو الذي يدخله في ذلك العالم المقدس ؛ ومن شاء فليقرأ القرآن ، ويحكّم عقله ووجدانه ؛ وكم هناك من الفرق الشاسع بين كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قد نزّه الأنبياء عن كل نقيصة ، وبين الكتاب المقدس الذي لم يترك صفةً قبيحة إلّا وصفهم بها !!

العاشر : مما يدل على أن القرآن هو كتاب الوحي الوحيد الذي جعله الله سبحانه وتعالى مناراً لهداية البشر ، أن القرآن يدعو كل الأمم والشعوب إلى الله ، ولا يخصّ الأمة العربية دون الأمم الأخرى ، كما أنه لا يخص خطاباته بالمسلمين بل يوجه خطاباته إلى كل الناس وكل المذاهب والفرق ، والشاهد على ذلك الخطابات الكثيرة التي وجّهها القرآن للكفار والمشركين ، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، واحتجّ على كل طائفة بما يبطل مزاعمها ، ودعا الجميع إلى معارفه الحقة والتدبّر في آياته ، وأعار جميع الطوائف اهتمامه ودعاهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ فهو يخاطب كل البشر :

﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** ﴾(2) .

---

(1) سورة العنكبوت : الآية ٤٩ .

(2) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربّكم وشفاء ﴾[1] .

﴿ يا أيها الناس كلوا ممّا في الأرض حلالاً طيباً ﴾[2] .

﴿ يا أيها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم ﴾[3] .

﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾[4] .

﴿ يا بني آدم لا يفتننّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾[5] .

وقد خاطب أهل الكتاب من اليهود والنصارى على نحو العموم فقال :

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ألّا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾[6] .

﴿ يا أهل الكتاب لمَ تُحاجّون في إبراهيم وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ، أفلا تعقلون ﴾[7] .

﴿ قل يا أهل الكتاب لمَ تكفرون بآيات الله ﴾[8] .

﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وأنتم تعلمون ﴾[9] .

وقد خاطب اليهود خاصة بقوله :

﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ، وإيّاي فارهبون ﴾[10] .

---

(١) سورة يونس : الآية ٥٧ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٦٨ .
(٣) سورة الانفطار : الآية ٦ .
(٤) سورة الأعراف : الآية ٣١ .
(٥) سورة الأعراف : الآية ٢٧ .
(٦) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .
(٧) سورة آل عمران : الآية ٦٥ .
(٨) سورة آل عمران : الآية ٩٨ .
(٩) سورة آل عمران : الآية ٧١ .
(١٠) سورة البقرة : الآية ٤٠ .

﴿ يا أيّها الذين هادوا إنْ زعمتم أنَّكم أولياءُ للّه من دون الناس فتمنَّوا الموت إن كنتم صادقين ﴾[1] .

كما أنه خاطب الكفار بقوله :

﴿ قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون ﴾[2] .

كما أنه خاطب المؤمنين بقوله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبـاءٍ فتبيّنوا أن تصيبـوا قومـاً بجهالـةٍ ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[3] .

وممّا تفرّد به القرآن عن سائر الكتب السماوية أنه يخاطب أتباع الأديان الأخرى من أصحاب المبادىء والمشاعر الإنسانية الحـرة ، والذين لا عنـاد لهم ولا تعصب ، تراه يخاطبهم بذلك الخطاب الذي يأخذ بالقلوب والعقول ولا يترك أي مجال للشـك ـ حتى عنـد غير المسلمين ـ بـأنه كتـاب وحي وإلهام يخـاطب الـوجـدان البشـري ، وأصحاب الضمائر الحية من رجال الفكر والتحقيق ؛ يقول القرآن واصفـاً الأحرار من علماء النصارى :

﴿ ولتجدنّ أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنّـا نصارى ، ذلـك بأنّ منهم قسّيسين ورهباناً ، وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل الله إلى الـرسول تـرى أعينهم تفيض من الـدمـع ممـا عـرفـوا من الحق ، يقـولـون ربّنـا آمنّـا فـاكتبنـا مـع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بـالله وما جـاءنا من الحق ، ونـطمع أن يـدخلنا ربّنـا مع القوم الصالحين * فأثابهم الله بما قالوا جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين ﴾[4] .

فهذه الخطابات لا تخصّ المسلمين ، بل هي لكل البشر وكـل الأديان ، وهي صريحة بأن الله لم يخصّ العرب ولا المسلمين بخـطاباتـه ؛ نعم ، في العهد المكي

---

(١) سورة الجمعة : الآية ٦ .

(٢) سورة الكافرين : الآية ١ ـ ٢ .

(٣) سورة الحجرات : الآية ٦ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٨٢ ـ ٨٥ .

حيث كان العدو الوحيد الذي كان يحارب النبي والمسلمين عملياً هم مشركو العرب ، والدعوة لم تنتشر بعد في خارج الجزيرة العربية ، وجّه القرآن خطاباته للمشركين العرب ؛ أما بعد الهجرة ، وبعد انتشار الإسلام لم يبق مجال لتوجيه الخطاب إلى أمة دون غيرها .

وهذا بخلاف التوراة والإنجيل الموجودَيْن فإن الخطابات فيهما تختص ببني إسرائيل ، وقد احتكرت هذه الكتب الإله لهم دون غيرهم من الناس ، فجعلته إلّهاً عنصرياً لا يحب إلا اليهود ، وخصّوا أنفسهم به ، وقالوا إنهم شعبه المختار وأبناؤه ، وجعلوا لأنفسهم الجنة دون العالمين ، وكذلك النصارى :

﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، تلك أمانيّهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾[1] .

وقد أخطأ (ول ديورانت) حينما قال : « وكانت الكثرة الغالبة من المسيحيين تعتقد أن المسلمين جميعاً في النار لأنهم حُرموا من الجنة ، كما كانت الكثرة الغالبة من المسلمين ـ ما عدا النبي محمداً ـ تعتقد أن المسيحيين جميعاً سيُلقون في النار »[2] .

وقد فات هذا العالم أن القرآن والمسلمين لا يقرّون هذه العقيدة التي ينسبها لهم ، وإنما الذي يدخل النار هم الكفار المعاندون الذين يموتون وهم على عنادهم وكفرهم ، قال الله تعالى :

﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[3] .

وقال بعد الآية (١١١) من سورة البقرة التي ذكرناها :

---

(١) سورة البقرة : الآية ١١١ .

(٢) قصة الحضارة : ٦/١٦ وليعلم القارىء الكريم أنني اتخذت أرقام المجلدات الخارجية لقصة الحضارة في الترقيم ، لا كما قسم المؤلف كل مجلد إلى عدة أجزاء ، وذلك من أجل التسهيل على من أراد مراجعة المصدر .

(٣) سورة البقرة : الآية ٦٢ .

﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1] .

وقال تعالى يخاطب كل الناس المؤمنين وغيرهم :

﴿ ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يُجْزَ به ، ولا يجدْ له من دون الله ولياً ولا نصيراً * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ، ولا يظلمون نقيراً ﴾[2] .

وزبدة المخض أن خطابات الكتاب المقدس خاصّة باليهود والنصارى ، حتى الوصايا العشر هي خاصة ببني إسرائيل ، ـ كما سوف نبين ذلك ـ وكل منصف يرى ما قلناه واضحاً إذا ما راجع الكتاب المقدس .

الحادي عشر : القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الكامل الذي يحتوي على زبدة أهداف الأنبياء عبر التاريخ ، من تشريعات ومن هداية البشر إلى الله سبحانه وتعالى ؛ والوصول إلى هذه الغاية المقدسة لا يكون كاملاً ومطلوباً إلا بالفكر والنظر في الآيات الكونية والأنفسيّة ، والعمل بالأصول الأخلاقية والقوانين العلمية ؛ وهذا ما نبّه عليه القرآن ، وقد ذكرنا ذلك سابقاً مضافاً إلى قوله تعالى :

﴿ مصدّقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴾[3] .

ويقول في موضع آخر بعد ذكر التوراة والإنجيل :

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾[4] .

فالقرآن يشتمل على جميع شرائع الأنبياء وزيادة :

﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك ، وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه ﴾[5] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١١٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٣) سورة الأحقاف : الآية ٣٠ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٥) سورة الشورى : الآية ١٣ .

الثاني عشر : القرآن الكريم هو كتاب الوحي الوحيد الذي يؤيّد بعضه بعضاً ، ويفسّر بعضه بعضاً ؛ وهذا الذي بهر عقول العلماء فعكفوا على دراسته ، وأذعنوا لفصاحته وبلاغته ، وآمنوا به ، ولذا جعله تعالى مهيمناً على جميع الكتب السماوية التي أنزلها قبله :

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ﴾(١) .

وقال تعالى :

﴿ أفلا يتدبّرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾(٢) .

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها ﴾(٣) .

﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدَّبَّروا آياته وليتذكّر أولو الألباب ﴾(٤) .

وهذا بخلاف التوراة والإنجيل ، حيث إنهما يزخران بالتناقضات والاختلافات ، ونحن سوف نذكر شيئاً من ذلك للتدليل على هذا المدَّعى .

وأخيراً ، وقبل التعرّض لنبذة من تناقضات الكتاب المقدس ، كأني بالقارىء الكريم يتساءل في نفسه : إذا كان القرآن الكريم هو الحجة الإلهية على البشر ، والمعجزة الخالدة لرسول الإسلام ، والهادي من الضلال والإنحراف عبر مسيرة الإنسان ، فلماذا اختلف المسلمون حتى ضرب بعضهم رقاب بعض ، ولماذا استمرّ الاختلاف والتناحر بينهم منذ فجر الإسلام وحتى يومنا هذا ؟ فالمسلمون ـ والعرب خاصة ـ لم يتحدوا في أصعب الظروف وأشد الأخطار ، فهذه إسرائيل العدو القابع على أرض الإسلام والعرب ، والتي زرعها الإستعمار الكافر في جسم العالم الإسلامي والعربي ، لم توحّد صفوفهم ، بل هم أشدّ دعماً للوجود الإسرائيلي من

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٣) سورة محمد : الآية ٢٤ .

(٤) سورة ص : الآية ٢٩ .

العالم الغربي ، باختلافهم وتمزّقهم ؛ فإذا كان القرآن هو الهادي والموحّد ، فلماذا لم يتّحد العرب ضد عدوهم القومي والديني ؟!

وقد سبق الرسول الأعظم الأجيال والزمن ، وأجاب عن هذا السؤال حينما أعلن ـ وبكل إصرار وصراحة ، وفي عدة مناسبات ـ أن القرآن الكريم ليس هو العلة التامة لهداية البشر ، بل هو الجزء الأول ، والجزء الثاني هو التمسّك بالعترة الطاهرة من أهل بيته ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ؛ ولازم ذلك أن ترك أيّ جزء من أجزاء العلة هو ترك للعلة بكاملها ، لأن الكل ينتفي بانتفاء جزئه ، وهذا هو بيت القصيد وإليك أيها القارىء العزيز كشف هذه الحقيقة على نحو الإختصار :

لقد نادى الرسول الأعظم الناس في عدة مواطن ، وصرخ بالغافلين : « يا أيها الناس، إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّو : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي »[1] .

وقال : « إني تارك فيكم ما أن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وأهل بيتي ؛ ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »[2] .

وقال : « إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض ، أو ما بين السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ؛ وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض »[3] .

وقال (ص) : « إني أوشك أن أُدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ؛ وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتّى يردا

---

(١) صحيح الترمذي : ج ٥/٣٢٨ ح ٣٨٧٤ ، ينابيع المودة : ص ٤٥و٤٤٥ ، كنز العمال : ١/٤٤ ، تفسير ابن كثير : ٤/١١٣ ، المعجم الكبير للطبراني : ص ١٣٧ .

(٢) صحيح الترمذي : ج ٥/٣٢٩ ح ٣٨٧٦ ، نظم درر السمطين : ٢/٣٠٨ ، الدر المنثور : ٦/٧ و ٣٠٦ ، ذخائر العقبى : ص ١٦ ، الصواعق المحرقة : ص ١٤٧ و ٢٢٦ ، المعجم الصغير للطبراني : ١/١٣٥ ، أسد الغابة : ٢/١٢ ، تفسير ابن كثير : ٤/١١٣ ، كنز العمال : ١/١٥٤ .

(٣) الدر المنثور : ج ٢/٦٠ ، ينابيع المودة : ص ٣٨ و ١٨٣ ، مجمع الزوائد : ٩/١٦٢ ، كنز العمال : ١/١٥٤ ح ٨٧٣ و ٩٤٨ ، الجامع الصغير للسيوطي : ١/٣٥٣ .

عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »[1] .

وفي أول وآخر حجة حجّها رسول الله ، وهي حجة الوداع حيث أمر المسلمين بالحج معه ، وفي الحج خطبهم تلك الخطبة العظيمة التي تعدّ البيان الختامي لرسالته ، وفيها أخبر المسلمين باقتراب رحيله عن هذا العالم ، وحذّرهم من الخلاف ، وعندما وصل إلى غدير خم أمر بدوحات فصعدهنّ وقال : « كأنّي دُعيت فأجبت ، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ـ ثم قال ـ إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ـ ثم أخذ بيد علي فقال ـ : من كنت مولاه فهذا وليّه ؛ اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . . الحديث »[2] .

فالصحاح حاكمة بأن الرسول الأعظم قرن وجوب التمسّك بكتاب الله بالتمسّك بالعترة ، وقد أعلن رسول الله للمسلمين هذا الأمر في عدة مواطن مختلفة ، فمرة في يوم عرفة في حجة الوداع ، وتارة في غدير خم ، وثالثة بعد انصرافه من الطائف ، ومرة على منبره في المدينة ، وآخر مرة في حجرته المباركة في مرضه ، والحجرة غاصة بأصحابه حيث قال : « أيها الناس ، يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي ، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم ، إلاّ أنّي مخلّف فيكم كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي ، ثم أخذ بيد عليّ فرفعها وقال : « هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض »[3] .

وقد اعترف بهذه الحقيقة جملة من علماء السنة ، منهم صاحب كتاب الصواعق المحرقة مع تعصّبه وموقفه من العترة ، فقال في كتابه المزبور :

ثم اعلم أنّ لحديث التمسّك بها طرقاً كثيرة وردت عن نيّفٍ وعشرين

---

(١) كنز العمال : ١/١٦٥ ح ٩٤٥ ، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي : ص ٢٣ ح ٢٨٣ ط طهران ، الصواعق المحرقة : ص ١٤٨ ، ذخائر العقبى : ص ١٦ ، ينابيع المودة : ص ٣٥ و ٤٠ و ٢٢٦ ، مقتل الحسين للخوارزمي : ١/١٠٤ ، مجمع الزوائد : ٩/١٦٣ ، الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢/١٩٤ ط دار صادر بيروت .

(٢) خصائص أمير المؤمنين للنسائي : ص ٢١ ، المناقب للخوارزمي : ص ٦٣ ، الصواعق المحرقة : ص ١٣٦ ، ينابيع المودة : ص ٣٢ ، الغدير : ١/٣٠ ، كنز العمال : ١/١٦٧ ح ٩٥٤ .

(٣) الصواعق المحرقة : ص ٧٥ ط المحمدية بمصر ، ينابيع المودة : ص ٢٨٥ ط إسلامبول .

صحابياً ، وفي بعض الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة ، وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه ، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه ، وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم ، وفي أخرى أنه قال ذلك لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مرّ .

وقال : ولا تنافي ، إذ لا مانع من أنه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة[1] .

ومفهوم هذا الحديث المتواتر هو ضلال من لم يتمسّك بهما معاً ، ويؤيد ذلك قوله (ص) في حديث الثقلين الذي رواه الطبراني :

« فلا تقدّموهما فتهلكوا ، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم »[2] .

وهذه الحقيقة سوف تتضح أكثر فأكثر إذا ما رجعنا إلى الأحاديث الأخرى التي لا تقلّ عن حديث الثقلين من حيث الصحة والاعتبار ، منها قوله (ص) : « ألا إنّ مَثَل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق »[3] .

وقوله (ص) : « إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق ؛ وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل ، من دخله غفر له »[4] .

وقوله (ص) : « النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الصواعق المحرقة : ص ١٤٨ و ٢٢٦ ، مجمع الزوائد : ج ١٦٣/٩ ، ينابيع المودة : ص ٤١ و ٣٥٥ ، الدر المنثور : ج ٦٠/٢ ، كنز العمال : ١٦٨/١ ح ٩٥٨ ، أسد الغابة : ج ١٣٧/٣ .

(٣) ينابيع المودة : ص ٣٠ و ٣٧٠ ، الصواعق المحرقة : ص ١٨٤ و ٢٣٤ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ، إسعاف الراغبين : ص ١٠٩ ، فرائد السمطين : ج ٢٤٦/٢ .

(٤) كفاية الطالب : ص ٣٧٨ ، مجمع الزوائد : ج ١٦٨/٩ ، المعجم الصغير للطبراني : ج ٢٢/٢ ، ينابيع المودة : ص ٢٨ و ٢٩٨ ، الصواعق المحرقة : ص ٩١ ، فرائد السمطين : ج ٢٤٢/٢ ح ٥١٦ و ٥١٩ ، راجع الحديث بألفاظه الأخرى في مستدرك الحاكم ج ٣٤٣/٢ ، مجمع الزوائد : ج ١٦٨/٩ ، نور الأبصار : ص ١٠٤ ، عيون الأخبار لابن قتيبة : ج ٢١١/١ ، شرح ابن أبي الحديد : ج ٧٣/١ .

من ا لاختلاف (في الدين) فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا من حزب إبليس »[1] .

وهذه الأحاديث وأحاديث كثيرة أخرى تدلّ بكل صراحة ووضوح على ضلال من لم يأخذ بالثقلين ، ولم يتمسّك بهما معاً ؛ والتمسك بأحدهما بمنزلة تركهما ، لأنه خلاف ما أوصى به رسول الله (ص) .

لا يقال إن الوارد عن رسول الله أيضاً : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وسنتي .

والجواب : أن هذا الحديث لم يروه أحد من أصحاب الصحاح الستة ، وإنما رواه مالك في موطّئه مرسلاً غير مسند ؛ وقد أخذ عنه من جاء بعده كابن هشام والطبري ، نقلوه مرسلاً كما ورد عن مالك ، ولا يخفى أن مالكاً كان من المنحرفين عن أهل البيت .

وأما أصحاب الصحاح فقد أخرجوا الحديث بهذا اللفظ :

« يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، وأهل بيتي ؛ أذكّركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي »[2] .

نعم ، هذا هو السر في انحراف المسلمين واختلافهم وتناحرهم ، وهذا ما أضعفهم وجعل شرذمة من شذّاذ الآفاق يحتلون أرض فلسطين ، ويسيطرون على العالم العربي ، ويذلّون الدول العربية حتى أصبحت تتهافت لمصالحة إسرائيل ، وإسرائيل ترفض !! ولن تقوم للعرب قائمة ما داموا نابذين كتاب الله وراء ظهورهم ، ومنحرفين عن العترة الطاهرة .

---

(١) الصواعق المحرقة : ص ٩١ و ١٤٠ ، مسند أحمد : ج ٩٣/٥ ، ينابيع المودة : ص ٢٩٨ ، راجع المستدرك : ج ٤٤٨/٢ ، مجمع الزوائد : ج ١٧٤/٩ ، ذخائر العقبى : ص ١٧ ، الغدير للأميني : ج ٨١/٣ .

(٢) صحيح مسلم : باب فضائل علي ، ج ١٢٢/٥ . صحيح الترمذي : ج ٥/ ٣٢٨ . مستدرك الحاكم : ١٤٨/٣ . مسند أحمد : ١٧/٣ ، وأخرجه النسائي وابن ماجه وأبو داود في سننهم بلفظ « عترتي » أيضاً .

وقد تنبأت سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) بما ستؤول إليه الأمة من الاختلاف والتناحر والضلال والضعف والذل ، لغصبها الخلافة ، وتركها للعترة الطاهرة ؛ وذلك في الخطبة التي ألقتها في مسجد أبيها على المهاجرين والأنصار ، حين انترع أبو بكر منها فدكاً ؛ قالت (عليها السلام) :

« أما لعمري لقد لقحتْ ، فَنَظِرةٌ ريثما تُنْتج ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً ، وزُعافاً مبيداً ؛ هنالك يخسر المبطلون ، ويَعرف التّالون غبَّ ما أسسه الأولون ؛ ثم طيبوا عن دنياكم أنفسا ، واطمئنوا للفتنة جأشاً ، وأبشِروا لسيفٍ صارم ، وسطوةِ معتدٍ غاشم ، وهرجٍ شامل ، واستبدادٍ من الظالمين يدعُ فيأكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ؛ فيا حسرةً لكم وأنّي بكم وقد عميت عليكم ، أَنُلزمُكموها وأنتم لها كارهون »[1] .

لقد تجسدت أقوال سيدة نساء العالمين فيما تنبأت به ، كيف لا وهي سليلة النبوة ومعدن الرسالة ، ولعلّ الذي بقي هو أشدّ ممّا مضى على هذه الأمة .

تناقضات التوراة

إن من تصفّح التوراة يجد أنها تصوّر الإله يهوه بأنه بشر : يغضب ويحزن ، يندم ويبطش ؛ وموسى الذي كان أعظم أنبياء بني إسرائيل لا يعرف مزاجه الخاصّ لتقلبه السريع ، فلذا يطلب موسى منه أن يعلّمه طريقة يعرفه بها ، فيقول له موسى :

« فالآن إن كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينيك فعلّمني طريقك حتّى أعرفك ، لكي أجد نعمة في عينيك . . . [فقال له الرب] : لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش[2] » .

١ ـ وهذا يتناقض صراحة مع ما جاء في نفس الإصحاح :

« ويكلّم الربّ موسى وجهاً لوجه[3] » .

ويتناقض أيضاً مع قول موسى في التثنية :

---

(١) بلاغات النساء : لابن طيفور ، أعلام النساء : عمر رضا كحالة ج ٤/ ١٢٣ .

(٢) الخروج : ٣٣/ ١٣ ـ ١٦

(٣) الخروج : ٣٣/ ١١ .

« **وجهاً لوجه تكلّم الربُّ معنا في الجبل من وسط النار**[1] » .

ويتناقض أيضاً مع ما جاء في سفر التكوين ، فبعد أن بارك الله يعقوب سمّى يعقوب ذلك المكان « فنئيل » قائلاً :

« **لأني نظرت الله وجهاً لوجه**[2] » .

٢ ـ وفي سفر التثنية صرّح بأن موسى لم يغنم شيئاً من أرض بني عمون[3] .

بينما في يشوع يصرّح بأنّ موسى أعطى نصف أرض بني عمون لبني جاد[4] .

٣ ـ وفي أخبار الأيام الأول أن أولاد بنيامين هم « بالع ، وباكر ، ويديعئيل ، ثلاثة[5] » .

بينما يذكر في الأصحاح الثامن أنه ولد خمسة[6] .

وأما في التكوين فقد ذكر أنهم عشرة[7] !

وفي التكوين ذكر أسماء أولاد يعقوب وبناته وكانوا ٣٤ ثم قال جميع بنيه وبناته ٣٣ [8] .

٤ ـ ومن تناقضات التوارة أنها حرّمت التزويج بالأخت إن كانت من الأب وحده[9] .

بينما ذكرت أن سارة امرأة إبراهيم كانت أخته من أبيه[10] . وسوف يطّلع

(١) التثنية : ٥/٤ .
(٢) التكوين : ٣٢/٣٠ .
(٣) التثنية : ٢/١٩ .
(٤) يشوع : ١/١٤ .
(٥) أخبار الأيام الأول : ٧/٦ .
(٦) أخبار الأيام الأول : ٨/١ .
(٧) التكوين : ٤٦/٢١ .
(٨) التكوين : ٤٦/ ٨ ـ ١٥ .
(٩) اللاويين : ١٨/ ٩ .
(١٠) التكوين : ٢٠/ ١٢ .

القارىء في أبحاث هذا الكتاب على الكثير من تناقضات التوراة .

ومن أغلاط التوراة

إن أغلاط التوراة كثيرة ، ولا يمكن لنا أن نستقصي ذلك في هذا الكتاب ، وإنما نذكر بعض الأمثلة على ذلك ، فقد ذكرت التوراة أن نهراً كان يخرج من عدن ليسقي الجنة ، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس : اسم الواحد فيشون (سيحون) واسم النهر الثاني جيحون واسم النهر الثالث حداقل والنهر الرابع الفرات[1] .

وهنا يقف كل إنسان حائراً أمام هذا الغلط الفادح ، ولست أدري كيف يزعم اليهود والنصارى أن هذا الكتاب من كتب الوحي ؛ فإن الموجود في العالم مدينة واحدة تسمى بعدن وتقع في اليمن ؛ ونهر الدجلة يخرج من جبال أرمينيا شرقي تركيا ، والفرات يخرج من أرض الروم ، وكلاهما يمرّان بالعراق ويصبان في الخليج الفارسي ؛ وسيحون وجيحون نهران في أرض الصين وبينهما بعد المشرق عن المشرق ، وسوف نكشف المزيد عن تناقضات التوراة والإنجيل في الأبحاث القادمة ، فانتظر .

تناقضات الإنجيل

ونحن نرمز هنا لبعض تناقضات الإنجيل تاركين تفصيل ذلك إلى الحديث عن الإنجيل .

ففي يوحنا : يذكر أن المسيح ذمّ الكذب وجعله من صفات إبليس[2] .

بينما يذكر يوحنا أيضاً أن المسيح قال لتلاميذه :

« أنا لست أصعد بعد إلى هذا العيد لأن وقتي لم يكمل بعد . . . ولما كان إخوته قد صعدوا حينئذٍ صعد هو أيضاً إلى العيد[3] » . مستخفياً .

---

(١) التكوين : ٢/ ٨ - ١٤ .

(٢) يوحنا : ٨/ ٤٤ .

(٣) يوحنا : ٧/ ٨ - ١٠ .

وهكذا ينسب الإنجيل الكذب إلى السيد المسيح ، والتناقض بين قوله وعمله ظاهر .

ويوحنا ينسب للسيد المسيح القول بوجود آلهة غير الله[1] .

بينما نجد أن المسيح يوحّد الله ، وأنه لا إلّه إلا هو ، ويقرّ على نفسه بأنه رسوله[2] .

ومما جاء في الأناجيل من كلمات المسيح وهي متناقضة ما جاء في متّى من قوله :

« من ليس معي فهو عليَّ ، ومن لا يجمع فهو يفرّق[3] » .

وهذا يتناقض تماماً مع ما جاء على لسانه في لوقا ومرقس :

« لأنّ من ليس علينا فهو معنا[4] » .

كما أن مسيح الإنجيل يخالف العرف البشري ، فقد نسب يوحنا للمسيح أنه قال لليهود :

« في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق ، أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الأب » .

وهذا الكلام يناقض نفسه لِأن شهادة الإنسان لنفسه لا تقبل ولا تعدّ شهادة ، بالإضافة إلى أن عقيدة النصارى أنه ابن الله ، فهو نفسه ، فلا تكون شهادة هنا ؛ وهذا يعرفه الإنسان الجاهل فضلاً عن العاقل .

وفي متى نرى أن المسيح يمدح تلاميذه ويصفهم بنور العالم[5] .

وفي نفس الإنجيل نرى أن المسيح ينقض ذلك ويصفهم بأنهم لا يملكون حبة

---

(١) يوحنا : ١٠/ ٣٥ ـ ٣٦ .
(٢) يوحنا : ١٧/ ٣ .
(٣) متى : ١٢/ ٣٠ .
(٤) مرقس : ٩/ ٤٠ ، لوقا : ٩/ ٥٠ .
(٥) متى : ٥/ ١٤ .

خردل من الإيمان ، وأنه لا إيمان لهم [1] .

وفي متّى نرى أنه يمدح بطرس ويعطيه مفاتيح السماوات والأرض ، ويجعل بيده الحلّ والربط [2] .

وفي نفس الأصحاح نجده يقول له :

« إذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس [3] » .



(١) متى : ١٧/ ٢٠ .
(٢) متى : ١٦/ ١٧ ـ ١٩ .
(٣) متى : ١٦/ ٢٣ .

القرآن والتوراة والإنجيل

تحدث القرآن في كثير من الآيات عن التوراة والإنجيل ، وأثنى على هذين الكتابين ؛ وهذه شهادة من القرآن واعتراف بهما ؛ ومن البديهي أن يفتخر ويعتز كل يهودي ونصراني بكتابه ويعتبره حجة خالدة ، بشهادة القرآن ؛ وهذا عين ما يفعله المبشّرون حيث إنهم يستشهدون ببعض آيات القرآن الكريم على حجيّة كتبهم ، فالقرآن يشهد لهم بالحجية دون العكس ، ولذا يرفض اليهود والنصارى الإعتراف بالقرآن .

وهنا سؤال مهم وأساسي لا بدّ من الإجابة عليه ، وهو هل أن القرآن يثني على التوراة والإنجيل الفعليين اللذين هما في أيدي اليهود والنصارى ، أم أنه أثنى على التوراة والإنجيل الحقيقيين اللذين أنزلهما الله سبحانه وتعالى على رسوليه موسى وعيسى ؟ والخلاصة : هل أن هناك فرقاً بين ما أثنى عليه القرآن وبين التوراة والأنجيل الحاليين ؟ ومما لا شك فيه أن القرآن لم يثني على اسم التوراة والإنجيل حتى يكون كل كتاب سمّي بهذا الإسم هو من كتب الوحي ، وقد عرّف القرآن التوراة والإنجيل ووصفهما ، وبيّن بعض الأحكام والخواص التي فيهما ، ولذا لا يوجد أي ارتباط بين التوراة والإنجيل القرآنيّين ، وبين التوراة والإنجيل الحاليين ؛ فالقرآن أثنى على التوراة والإنجيل الحقيقيين ، ولا وجود لأيّ منهما اليوم على وجه الأرض ، والموجود حالياً هو من كتابة بعض أحبار اليهود وذلك بعد السبي البابلي ، وبعد موت موسى بأكثر من ألف سنة ، وبعد موت المسيح بعشرات السنين ؛ ولا

يعـرف الكاتب لكثيـر من هـذه الكتب ، وهـذا مـا يحتـاج إلى دراسـة وافيـة للتـوارة والإنجيل الحاليين .

التوراة والإنجيل القرآنيّان

يعظّم القرآن الكريم جميع الأنبياء ويثني عليهم وعلى كتبهم ، ويجعل الإيمان بهم وبكتبهم جزءاً من إيمان المسلم ، وهو أمر متّفق عليـه بين جميع المسلمين ، إذ لا نجد فيهم على اختلاف فرقهم أحداً يفرق بين أحد من رسـل الله ، فيؤمن ببعضهم دون البعض ؛ وقد أكثر القرآن من ذكر التوراة والإنجيل والثناء عليهما أكثر من الكتب السماوية الأخرى التي نُزلت على الأنبياء الآخرين .

يقول تعالى في حق التوراة :

﴿ ثمّ آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيـلاً لكل شيء وهـدىً ورحمةً لعلّهم بلقاء ربّهم يؤمنون ﴾[1] .

ويقول أيضاً :

﴿ إنّـا أنزلنـا التوراة فيهـا هدىً ونوراً يحكم بها النبيّـون الذين أسلمـوا للذين هادوا والربّـانيّون والأحبـار بما استحفـظوا من كتاب الله وكـانوا عليـه شهداء ، فـلا تخشوا الناس واخشون ، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ، ومن لم يحكم بمـا أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[2] .

ويقـول :

﴿ وآتينـا موسى الكتـاب وجعلنـاه هـدى لبني إسـرائيـل ألاّ تتّخـذوا من دوني وكيلاً ﴾[3] .

﴿ وقضينـا إلى بني إسرائيـل في الكتاب لتُفسِـدُنّ في الأرض مـرّتين ، ولتعلُنّ علوّاً كبيراً * فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بـأسٍ شديـد فجاسـوا

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٥٤ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٤٤ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٢ .

خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً * ثم رددنا لكم الكرّة عليهم ، وأمددناكم بأموالٍ وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيراً * إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ؛ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّة ، وليتبّروا ما علوا تتبيراً ﴾[1] .

فهذه الأوصاف التي يذكرها القرآن الكريم للتوراة الحقيقية التي أنزلها المولى على موسى ، وهي غير موجودة في التوراة الفعلية .

فالتوراة فيها تفصيل لكل شيء ، والموجود منها ليس كذلك ؛ والتوراة هدى ورحمة ، والموجود هو نقمة على البشرية ، لأنها تدعو اليهود إلى قتل الناس وتدمير البلاد وسفك الدماء ، ولا ترى حرمة لغير بني إسرائيل .

والتوراة القرآنية تدعو اليهود إلى عبادة الله الواحد القهار ، وأما التوراة الحالية فهي تدعو إلى عبادة يهوه، وهو أحد آلهة الكنعانيين اتّخذه بنو إسرائيل إلّهاً لهم في مقابل آلهة آخرين ، ولذا لا يقبل أن يعبد بنو إسرائيل آلهة الآخرين :

« لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة . . . لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ[2] » .

فإله التوراة يغار ولا يقبل أن يعبد غيره من الآلهة !!

وممّا قضى الله سبحانه وتعالى في التوراة أن بني إسرائيل يفسدون في الأرض مرتين بعد علوّهم وتمردهم على الله ، وأن الله يرسل عباده وهم أولو بأس شديد ، وربما يقال إن ذلك حدث زمن السبي البابلي ، وقد تكرر السبي عدة مرات ، ولكن لحن الآية يدل على أن ذلك لم يحدث بعد ، لأن الذين يرسلهم الله سبحانه وتعالى هم من كبار المؤمنين إنه نسبهم إليه ؛ ومن دمّر أورشليم وسبى اليهود لم يكن من عباد الله الصالحين ، لأنهم كانوا من المجوس أو الوثنيين ، وهذا يعني أن المسلمين هم الذين سوف يدمّرون إسرائيل ويقضون على غطرستها وعتوّها وفسادها في الأرض .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٤ ـ ٧ .

(٢) الخروج : ٢٠/ ٣ ـ ٥ .

العلوّ الثاني ربما يكون بعد عودة اليهود مرة ثانية وبناء دولتهم وفسادهم ، ثم يرسل الله عليهم عباداً له ليسوءوا وجوههم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، والله أعلم .

وهذه الحقائق لا نجدها اليوم في التوراة الحالية .

ومن خواص التوراة القرآنية أنها بشّرت برسول الإسلام محمد بن عبد الله (ص) :

﴿ الذين يتّبعون الرسول النبّي الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويُحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾[1] .

فالتوراة القرآنية هي نور وهدى لكافة الناس ، وتفصيل لكلّ شيء ورحمة ، وهذا وصف من أوصاف القرآن الكريم :

﴿ ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾[2] .

وعليه فإن التوراة قد ركّزت أيضاً على البشارة برسول الإسلام ، وهي رحمة لكل الناس ، وكانت تولي البشارة برسول الله (ص) أهمية كبيرة بدليل أن القرآن يقول في حق اليهود الذين جحدوا نبوّة رسول الله وحاربوه ، يقول تعالى في حقهم :

﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون ﴾[3] .

وليس من المبالغة في القول إذا قلنا إن التوراة كانت تركز على شيئين : الدعوة إلى الله ، والتبشير برسول الله (ص) ، وإلّا لم يكن لليهود تلك المعرفة الكبيرة والواسعة برسول الله وصفاته ومعجزاته ، حتّى أنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وليس ذلك إلا لكثرة ما تحدثت عنه التوراة عن علامات رسول الله ومعاجزه

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

(٢) سورة النحل : الآية ٨٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٤٦ .

ومناقبه ؛ والتوراة الحالية ليس فيها من ذلك شيء ، اللهمّ إلا ما خفي على المحرّفين ، ولا ينطبق عملياً إلا على رسول الله (ص) وقد خفي ذلك على الرقابة ، أو لأنهم يفسّرونها تفسيراً لا ينطبق مع ما يقوله المسلمون ، ويقول تعالى في وصف التوراة القرآنية :

﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنّ بالسنّ والجروح قصاص ، فمن تصدّق به فهو كفّارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾[1] .

وهذه الأحكام لا نجد لها أثراً في التوراة الحالية ، بل هي تأمر بالقتل والسلب والنهب ، وتأمر بقتل الأطفال والنساء ، قال موسى :

« فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال ، وكلّ امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها[2] » .

وتتحدث التوراة عن انتصار بني إسرائيل على سيحون في أرض ياهص فتقول : وأخذنا كلّ مدنه في ذلك الوقت ، وحرّمنا من كلّ مدينة الرجال والنساء والأطفال لم نُبق شارداً ، لكنّ البهائم نهبناها لأنفسنا[3] » .

فهذه التوراة الحالية تأمر بقتل الأطفال والنساء ، وهي لا ترتبط بالتوراة الحقيقية ، وحاشا لنبي الله موسى أن يأمر بقتل الأطفال والنساء .

وقد صرّح القرآن الكريم في بعض آياته بتحريف أهل الكتاب للكتاب المقدس :

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير ؛ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾[4] .

وقال : **﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرّفون الكلم**

---

(١) سورة المائدة : الاية ٤٥ .
(٢) العدد : ٣١/ ١٧ .
(٣) التثنية : ٢/ ٣٤ ـ ٣٥ .
(٤) سورة المائدة : الآية ١٥ .

عن مواضعه ، ونسوا حظاً ممّا ذكّروا بـه ، ولا تزال تـطّلع على خائنـة منهم إلا قليلا منهم ﴾[1] .

﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختُلف فيه ؛ ولـولا كلمة سبقت من ربّـك لقضي بينهم ، وإنهم لفي شك منه مريب ﴾[2] .

﴿ ومنهم أمّيّون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ وإن هم إلّا يظنون * فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فـويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون ﴾[3] .

﴿ وإنّ منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بـالكتاب لتحسبـوه من الكتاب ومـا هو من الكتاب ، ويقولون هو من عنـد الله وما هـو من عند الله ، ويقـولون على الله الكـذب وهم يعلمون ﴾[4] .

فهـذه الآيات الكـريمة صـريحة في أنهم كتبـوا الكثير من الكتب وحـرّفوهـا ، وزعمـوا أنّها من عنـد الله وما هي من عنـد الله ، وقـد أبـدع القـرآن في تشبيـه حملة التوراة حيث قال :

﴿ مثـلُ الذين حُمّلوا التـوراة ثم لم يحملوها كمثـل الحمار يحمـل أسفـاراً ، بئس مثل القوم الذين كذّبوا بآيات الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[5] .

فالذين حملوا التوراة الحقيقية ولم يعملوا بهـا كان حملهم لهـا كحمل الحمـار للكتب فكما أنه لا يستفيد منها فكذلك حملة التوراة .

والحاصل أنّ التوراة القرآنية هي نور وهـدىً وليست هي خاصـة ببني إسرائيـل وإن نزلت عليهم وكان موسى منهم ، أما التوراة الحاليـة فإنهـا تحمل روح العنصـرية والقبلية ، ولا تقيم وزناً لغير بني إسرائيل ، ولم تبشّر برسول الله (ص) لا بـالإسم ولا بالصفات صراحة ، مع أن التوراة الحقيقيـة فيها الكثيـر من هذه الصفـات ، وهذا مـا

---

(١) سورة المائدة : الآية ١٣ .

(٢) سورة فصّلت : الآية ٤٥ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٧٨ ـ ٧٩ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٧٨ .

(٥) سورة الجمعة : الآية ٥ .

حمل اليهود على الهجرة إلى الجزيرة العربية والسكنى في يثرب إنتظاراً لخروج رسول الله (ص) كما يحدثنا التاريخ .

وعليه فإنَّ ما يسمّى بالتوراة حالياً لا يرتبط بالتوراة التي ذكرها القرآن وأثنى عليها ، ولذا لا يصحّ لأحدٍ أن يحتج من القرآن على صحة التوراة الحالية المحرّفة باعتراف القرآن ، لأنّ هذه التوراة لا تمتُّ إلى الوحي بشيء ، وإنما هي من كتابة أشخاص لا يعرفون من هم ؛ وقد كتبت خلال ألف عام تقريباً ، وهذا ما سوف نتناوله بالبحث والاستدلال من نفس التوراة الحالية .

أين ذهبت توراة موسى

ربما يظن البعض أن الحديث عن هذا الموضوع يحتاج إلى أدلة ساطعة يدعمها الواقع ، وأن إثبات ذلك في غاية الصعوبة ، ولكننا نحن لا نريد الابتعاد عن التوراة الحالية حتى نحتاج إلى عناءٍ ومشقة في البحث ، وإنما نطرق باب التوراة الحالية وباب موسى بن عمران (عليه السلام) ، الذي أنزلت عليه التوراة ، لنعرف حقيقة التوراة من خلال التوراة الموجودة .

فإذا سبرنا صفحات التوراة الحالية نجد أنها تصرّح على لسان موسى أن بني إسرائيل سوف يخالفون تعاليمه وينبذون التوراة وراء ظهورهم ، وهذا ما دفع موسى (عليه السلام) لكي ينبه بني إسرائيل إلى عظمة التوراة والتمسك بها من بعده ، ولذا أخذ عليهم المواثيق والعهود بعدم إضاعتها من بعده .

فقد كتب موسى التوراة ، وبعد كتابتها وتدوينها سلّمها للكهنة من بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ، ولجميع شيوخ إسرائيل ، وأمرهم قائلاً : في نهاية السبع سنين أن تقرأ على الأطفال والكبار وتعليمهم إيّاها وأمرهم بوضعها بجانب تابوت عهد الرب[1] .

ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، فلم تحفظ التوراة بجانب التابوت ، ولم تقرأ كل سبع سنين ، وهذه الحقيقة ليست مجرد اجتهاد بل هي نبوءة من موسى نفسه حيث واجه بني إسرائيل بهذه الحقيقة وقال لهم :

---

(١) التثنية : ٣١/ ٩ - ١٢ .

« خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الربّ إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم ، لأني أنا عارف تمرّدكم ورقابكم الصلبة ، هوذا وأنا بعد حيٌّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الربّ ، فكم بالحريّ بعد موتي ؛ اجمعوا إليّ كلّ شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات ، وأشهد عليهم إله السماء والأرض ، لِأني عارف أنّكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ، ويصيبكم الشرّ في آخر الأيام لأنكم تعملون الشرّ أمام الربّ حتى تغيظوه بأعمال أيديكم[١] » .

ومهما حاول المدافعون عن التوراة والمبشرون وتأوّلوا هذا الكلام فإنهم لا يعلمون طبيعة اليهود ومصير التوراة كما يعلمها صاحب التوراة ، وما تنبأ به قبل وقوعه ؛ وهذه النسخة الوحيدة التي كتبها موسى للتوراة نسخ عنها يشوع نسخة ثانية ، وهي أول عملية نسخ للتوراة[٢] .

ولا يعلم أحد أين أصبحت توراة موسى وماذا فعل بها بنو إسرائيل ، تلك النسخة الحجرية التي تلقّاها موسى مشافهة من الرب ثم دوّنها بيده[٣] .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : أيّ النسختين هي التي استمرت ـ على فرض الإستمرار للتوراة الموسويّة ـ وكانت أكثر أهمية عند بني إسرائيل ؟ وهذا ما يصعب الإجابة عليه من قبل اليهود فضلاً عن غيرهم ؛ وقد فرق بنو إسرائيل بين التوراة والتابوت الذي أمر موسى بأن تحفظ التوراة بجانبه ، لما وقعت معركة بين بني إسرائيل والفلسطنيين ؛ فقد نقل الإسرائيليون التابوت من مكانه في (شيلوه) إلى ميدان المعركة على أمل أن يجلب لهم النصر ، فدارت عليهم الدائرة واستولى الفلسطينيون على التابوت ، وهزم اليهود شرّ هزيمة[٤] .

وقد بقي التابوت في يد الفلسطينيين إلى أن جاء سليمان وبنى الهيكل ، ثم نقل إليه التابوت ؛ وأما توراة موسى فلم يرد لها ذكر ، ولم يتحدّث أحد عنها ولا عن نسخة يشوع أيضاً .

(١) التثنية : ٣١/ ٢٤ ـ ٢٩ .
(٢) يشوع : ٨/ ٣٢ ـ ٣٥ .
(٣) الخروج : ٢٤/ ٣ ـ ٤ ـ ٨ ـ ١٢ ـ ١٨ .
(٤) صموئيل الأول : ٤/ ١ ـ ١١ .

التوراة الحالية في الميزان

إن التوراة الحالية لا تمتّ إلى الوحي بشيء ، وإنما هي عدة كتب كتبت خلال ألف عام ، وبعد موت موسى بألف سنة تقريباً ؛ والسر في ذلك يعود إلى عدة أمور :

الأول : إن التوراة الحقيقية فقدت قبل السبي البابلي بمئات السنين ، وهذا على خلاف ما اشتهر بين الناس من أن التوراة فقدت بعد أن افتتح بخت نصّر أورشليم ، وهدم الهيكل ، وأحرق المدينة بكاملها ، وسبى بني إسرائيل ؛ وهذا ما نفهمه من صريح التوراة الحالية ، فقد عثر على التوراة في عهد الملك يوشيّا بن آمون ٦٤١ ـ ٦١١ قبل الميلاد ، أي بعد وفاة موسى بسبعمائة عام .

ففي السنة الثامنة في حكم الملك يوشيّا بن آمون أرسل أحد موظفي قصره وإسمه شافان بن أَصَليا بن مُشَلّام إلى معبد أورشليم ليحسب مع كاهنه الأعظم حِلقيّا النقود التي دخلت الهيكل من الزائرين لكي تصرف على تعميره وترميمه ، يقول النص ما خلاصته :

« قال حِلقيّا الكاهن الأعظم لشافان الكاتب : قد وجدتُ كتاب التوراة في بيت الرب ، ودفع الكاهن الكتاب إلى شافان فقرأه ، ثم ذهب إلى الملك وأخبره بالأموال التي وجدها ، وقال : قد دفع إليّ حِلقيّا الكاهن كتاباً وقرأه أمام الملك فلما سمع الملك كلام كتاب التوراة مزّق ثيابه وأمر حِلقيّا الكاهن وآخرين من رجاله وقال : اذهبوا فتوسّلوا إلى الرب لي وللشعب ولجميع يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذي وُجد ، لأنه عظيم هو غضب الرب الذي اشتعل علينا من أجل أن آباءنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر ، ليعملوا حسب كل ما هو مكتوب علينا[1] » .

وهذا الكلام صريح في أن التوراة لم تكن نسياً منسياً في عهد الملك يوشيّا فحسب ، بل في عهد أسلافه أيضاً ، كما هو ظاهر الفقرة الأخيرة ؛ فاليهود عاشوا السنين الطويلة بلا توراة ، هذا مع كثرة الكهنة فيهم والأنبياء ، ومع وجود الكاهن الأعظم حلقيّا قبل العثور على التوراة ، والأغرب من ذلك أن يكون بين اليهود داخل مدينة أورشليم نبيّة لم يكن لها كثير علم بموسى ولا بتوراته المفقودة ، ويستمر النص فيقول :

---

(١) الملوك الثاني : ٢٢/ ٣ ـ ١٤ .

« فذهب حلقيّا الكاهن وأحيقام وعكبور وشافان وعسايا إلى خلدة النبيّة امرأة شلّوم بن تقوة بن مرقس ، حارس الثياب ، وهي ساكنة أورشليم ، في القسم الثاني ، وكلّموها فقالت لهم : هكذا قال الربّ . . إنني جالب شراً على هذا الموضع وعلى سكّانه ، كلّ كلا م السفر الذي قرأه ملك يهوذا من أجل أنهم تركوني ، وأوقدوا لآلهة أخرى لكي يغيظوني بكل عمل أيديهم ، فيشتعل غضبي على هذا الموضع ولا ينطفىء[1] » .

ثم تابعت النبيّة خلدة وبيّنت موقف الرب من ملك يهوذا وأنه راضٍ عنه :

« وأمّا ملك يهوذا الذي أرسلكم لتسألوا الرب فهكذا تقولون له : هكذا قال الرب إلّه إسرائيل من جهة الكلام الذي سمعت من أجل أنه قد رقّ قلبك وتواضعت أمام الرب حين سمعت ما تكلمتُ به على هذا الموضع وعلى سكّانه أنهّم يصيرون دهشاً ولعنة ، ومزّقتَ ثيابك وبكيتَ أمامي ؛ قد سمعت أنا أيضاً يقول الرب ، لذلك هأنذا أضمّك إلى آبائك فتضمّ إلى قبرك بسلام ، ولا ترى عيناك كل الشرّ الذي أنا جالبه على هذا الموضع[2] » .

وبعد كلام النبيّة خلدة حول غضب الرب وحول الملك يوشيّا نجد أنّ هذا الملك صعد إلى بيت الرب وأصدر أوامره فجمع كل شيوخ يهوذا وأورشليم ، وكل سكان أورشليم والكهنة والأنبياء ، وكل الشعب من الصغير والكبير ، وقرأ على مسامعهم سفر الشريعة الذي وجد في بيت الرب ؛ ثم وقف هذا الملك على المنبر وقطع عهداً أمام الرب للذهاب وراء الربِّ ، ولحفظ وصاياه وشهاداته وفرائضه بكل القلب وكل النفس ، وأوقف جميع الشعب عند العهد » .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل إن الكاهن حلقيّا هو مجرد مكتشف لسفر ا لتوراة في الهيكل بالصدفة كما هو الظاهر من التوراة ؟ وعلى فرض ذلك : أي نسخة هي ، هل هي التوراة التي كتبها موسى ودوّنها على الحجر ، أم أنها النسخة التي استنسخها يوشع ؟ وعلى كل حال فإن التوراة التي وجدها حلقيّا لم يعمل بها إلا مدة ثلاث عشرة سنة في ظل الملك يوشيّا ؛ وأما الذين سبقوه فإنهم أشاعوا عبادة

(١) الملوك الثاني : ٢٢/ ١٤ ـ ١٧ .

(٢) الملوك الثاني : ٢٢/ ١٨ ـ ٢٠ .

آلهة الوثنيين ، وكذلك الـذين جاؤوا من بعـده ، ولا أقل أنهم لم يتعـرضوا لـذلك ، كما تصرح التوراة .

وهناك سؤال آخر مهم يطرح نفسه ، وهو كيف بقيت التوراة مخفيّـة طوال هـذه السنين حتى عبد بنو إسرائيل آلهة الوثنيين ونسوا التوراة كلياً ، مع أن التوراة موجـودة في الهيكل الذي هو كعبة اليهود وفي خزانة الملك ؟ فهل من المعقول أن تختفي عن الأنظار هذا المدة الطويلة ، وبعد مئات السنين يكتشفهـا حلقيّا ؟ والـذي نذهب إليـه ونعتقـده أن التوراة التي وجـدها حلقيّـا ليست هي تـوراة مـوسى ، ولا النسخـة التي استنسخها يوشع ، بل هي من بنات أفكار حلقيّـا ، فإنـه لما شـاهد تـوجه الملك إلى شريعة موسى وإيمانـه العميق بتلك الشريعـة ، أو ميله إليها لكثـرة ما وجـد من عبادة الأوثان وآلهة الوثنيين ، فقام حلقيّا وجمع التـوراة بحسب الروايـات التي وصلت إليه على ألسن الناس ، الصالح منهم والطالح ، ثم أبرزها على ذلك النحـو الذي نجـح فيه تماماً ؛ والذي يدلّ على صحة ما ذهبنا إليه عدة أمور :

الأول : إن الكاهن الأعظم حلقيّا هو من أقرب الناس إلى الملك يوشيّا ، وقـد كلّفه الملك مع شافان الكـاتب ليحص الأموال ، وقـد وجد حلقيّـا التوراة في خـزانة الهيكـل ، ومن الطبيعي أن يقـوم حلقيّـا بتقـديم التـوراة التي وجـدهـا بنفسـه ، لأن ذلك أكبر فخر له ، مع أنّ حلقيّا لم يفعـل ذلك ، بـل بعثها إلى الملك مـع شافـان ، وقرأها شـافان على الملك ؛ وإنمـا فعل حلقيـا ذلك ليكـون أبعد عن التهمـة ، ولما سمع الملك كلام الرب في ذلك السفر أمر حلقيّا لا شافان ؛ وهذا يؤيد ما قلناه .

الثاني : إن أمر الملك لحلقيّـا بالـذهاب ليسـأل الرب من أجله وأجـل الشعب ليرضى عنهم أمر عام ، ولكن حلقيا ذهب بصحبة حواشي الملك الآخرين الذين كان يتزعمهم إلى النبيّة خلدة . والسؤال هنا : لماذا ذهب عـظيم الكهّان إلى النبيّـة خلدة مع وجود أنبياء كثيرين غيـرها في أورشليم في نفس الـوقت ، كما جـاء في الأصحاح الثالث والعشرين ، حيث جمع الملك كل الشعب والأنبياء والكهان ، هـذا بالإضـافة إلى أنه لم يكن للمرأة تلك المنزلة المرموقـة عند اليهـود ، ففي الوصيـة العاشـرة من الوصايا العشر جعلت المرأة بمنزلة المتاع للرجل : لا تشته امرأة قريبـك ولا عبده ولا أمته ، ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك ، وكفى بهذه المقارنة انحطاطاً لمقـام المرأة . فكيف يترك الأنبياء ويذهب إلى خلدة النبيّة ؟

والجواب سوف يكون واضحاً عندما نعود إلى كلام خلدة حول الرب وحول الملك يوشيّا ؛ فقد قالت خلدة للكاهن ومن معه : قولوا للرجل|الذي أرسلكم إليّ : هكذا قال الرب هأنذا جالب شراً على هذا الموضع وعلى سكانه من أجل أنهم تركوني وأوقدوا لآلهة أخرى ، لكي يغيظوني بكل عمل أيديهم ، فيشتعل غضبي على هذا الموضع ولا ينطفىء . هكذا قال الرب من جهة الكلام الذي سمعت .

فقد ربطت بين اشتعال غضب الله على بني إسرائيل وجلبه الشر على ذلك المكان وبين الكلام الذي سمعه يوشيّا في سفر الشريعة .

وهذا دليل واضح على أنّ هناك اتّفاقاً بين حلقيّا عظيم الكّهان وبين خلدة النبيّة ، واطلاعها على الموضوع مسبقاً ؛ ومن هنا استثنت الملك يوشيّا من العذاب الذي سوف يحلّ باليهود وبأورشليم ، لأنه رقّ قلبه وتواضع أمام الربّ ، ومزّق ثيابه وبكى حين سمع كلام الرب ، ولذا لا تلحقه اللعنة . ثم قالت لهم خلدة : قد سمعت الرب أيضاً يقول :

« لذلك هأنذا أضمّك إلى آبائك فتضمّ إلى قبرك بسلام ، ولا ترى عيناك الشرّ الذي أنا جالبه على هذا الموضع[1] » .

إذاً ، فخلدة كانت على علم مسبق بالقضية ، ولذا ربطت بين دفع اللعنة والشرّ عن الملك وبين سماعه لكلام الرب وبكائه وتمزيق ثيابه وتواضعه ، وقد استغلّت خلدة إيمان الملك وصفاءه وبشّرته بأن نهايته سوف تكون نهاية سعيدة ، لأن الله رضي عنه وسوف يُلحقه بسلام بآبائه من ملوك يهوذا ؛ وهذا من أجل استعطافه وتأثير كلامها فيه ، وإلا لم يكن أحد من آبائه على طريقه وإيمانه بشريعة موسى .

الثالث : ومما يؤكد لنا الإتّفاق التام بين عظيم الكهان حلقيّا والنبيّة خلدة هو نجاح الخطة التي قام بها حلقيا . فإن الملك بمجرد سماعه لكلام خلدة من مبعوثيه صعد إلى بيت الربّ وأصدر أوامره باجتماع جميع شيوخ يهوذا وأورشليم ، وجميع سكان أورشليم من الكهنة والأنبياء ، وكل أفراد الشعب من الصغير والكبير ، وبعد أن اجتمع الجميع صعد المنبر وقطع عهداً أمام الربّ للعمل بسفر الشريعة ،

(١) الملوك الثاني : ٢٢ فراجع .

والحفاظ على وصاياه وأحكامه وفرائضه بكل قلب وبكل إخلاص ، وعاهد الرب على إقامة كلام هذا العهد المكتوب في هذا السفر ، وأوقف الشعب على ذلك العهد[1] .

الرابع : نجاح خطّة حلقيّا بكل أبعادها ، فبعد كل ما صدر من الملك وأخذه العهد على نفسه أمام كل الشعب بالعمل بما في ذلك السفر الذي وجده حلقيّا ، قام الملك بثورة تطهير ، طهّر فيها جميع الأماكن المقدسة من الأوثان والأصنام التي أقامها اليهود في بيوت العبادة ، والتي أوجبت غضب الرب لعبادتهم آلهة أخرى غيره ، يقول النص :

« وأمر الملك حلقيّا الكاهن العظيم ، وكهنة الفرقة الثانية وحراس الباب أن يخرجوا من هيكل الربّ جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية ولكل أجناد السماء (الكواكب) ، وأحرقها خارج أورشليم في حقول قدرون . . . ولاشى كهنة الأصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا ليوقدوا على المرتفعات في مدن يهوذا وما يحيط بأورشليم ، والذين يوقدون للبعل وللشمس والقمر والمنازل ولكل أجناد السماء ؛ وأخرج السارية من بيت الرب خارج أورشليم . . . وأحرقها في وادي قدرون . . . وهدم بيوت المأبونين التي عند بيت الربّ حيث كانت النساء ينسجن بيوتاً للسارية ، وجاء بجميع الكهنة من مدن يهوذا ، ونجّس المرتفعات . . . وهدم مرتفعات الأبواب . . . ونجّس تُوفَه التي في وادي بني هنوم لكي لا يُعبِّر أحدٌ ابنه أو ابنته في النار لمولك . وأباد الخيل التي أعطاها ملوك يهوذا للشمس ، وأحرق مركبات الشمس بالنار ، والمذابح التي على سطح عِلِّيَّة آحاز ، والمذابح التي عملها منسّى هدمها وهدم المرتفعات التي قبالة أورشليم التي عن يمين جبل الهلاك التي بناها سليمان ملك إسرائيل لعشتروت رجاسة الصيدونيّين ، ولكموش رجاسة الموآبيين ، وكسر التماثيل وقطّع السواري .

والحاصل أن الملك يوشيّا كسر جميع الأصنام على المرتفعات وبيوت العبادة التي أقامها اليهود لعبادة الأصنام وآلهة الوثنيين .

« وأمر الملك جميع الشعب قائلاً : اعملوا فصحاً للرب إلهكم كما هو

---

(١) الملوك الثاني : ٢٣/ ١ ـ ٣ .

مكتوب في سفر العهد الذي وجده حلقيّا ولم يعمل مثل ذلك الفصح منذ أيام القضاة الذين حكموا على إسرئيل ، ولا في كل أيام ملوك إسرائيل وملوك يهوذا ، ولكن في السنة الثامنة عشرة للملك يوشيّا عمل هذا الفصح للربّ في أورشليم ، ولم يكن قبله ملك مثله قد رجع إلى الرب بكلّ نفسه ، وكل قوّته حسب كل شريعة موسى وبعده لم يقم مثله[1] » .

وجدير بنا أن نقف قليلاً حول هذه النصوص لندرس الحالة الإجتماعية التي كان عليها بنو إسرائيل في ذلك العصر ، والفساد الخلقي والإنحطاط الفكري وعبادة الأوثان ؛ فهذا الأصحاح يكشف لنا عن الفساد الخلقي والجنسي ، فقد هدم الملك بيوت المخنثين التي كانت عند الهيكل ، وكان النسوة ينسجن فيها بيوتاً للسارية ، وهذا الأصحاح يكشف النقاب أيضاً عن أن بني إسرائيل لم يكن عندهم من توحيد موسى أيّ أثر ، ولم يكن لهم من توراته حتى الإسم ، وإنما كانوا عبدة أوثان ، وقد أقاموا لآلهة الوثنيين في معابدهم التماثيل ، وفي كل مكان وعلى كل مرتفع ، وفي الهيكل وحوله ، وهذه الحملة التطهيرية التي قام بها الملك يوشيّا من تكسيره للأصنام والتماثيل ، وحرقه للآلات ، وهدمه للمعابد التي كانت منتشرة بهذه الكثرة وبتلك السعة ، والتي غطّت على معالم مملكة يهوذا ، تكشف لنا النقاب عن العقيدة اليهودية وتوغّلها في الوثنية عبر قرون مديدة . فإن انتشار التماثيل والأصنام فوق التلال وعلى الجبال وفي الهيكل وحوله لم يكن وليد عشرات السنين فحسب ، بل هو وليد عشرات القرون ، وخاصةً إذا أخذنا بعين الإعتبار قول التوراة كما تقدم : إنه لم يعمل أحد من ملوك بني إسرائيل ما عمله الملك يوشيّا من الرجوع إلى الربّ بكل قلبه وكل قوته بحسب شريعة موسى ، وبعده لم يقم أحد بعمله ، وقد استمرت هذه العودة إلى الشريعة مدة ١٣ سنة ، أي مدة حياة الملك يوشيّا ؛ والتوراة تصرّح بأن اليهود لم يتركوا عبادة العجل ، وخاصة في حياة موسى ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾[2] . ولم يتركوا آلهة الوثنيين المجاورين لهم ـ وخاصة الذين تغلبوا عليهم ـ إلّا وعبدوه وأقاموا له التماثيل ، حتى

---

(١) الملوك الثاني : ٢٣/ ٤ ـ ٢٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٩٣ .

أنهم كانوا يبكون على تموز في داخل الهيكل[1] .

وقد أكثر أنبياؤهم الشكوى من كفرهم وعنادهم وقسوة قلوبهم ، فهذا النبي إرميا وهو العالم بحالهم يصفهم على حقيقتهم :

« مثل خزي اللصّ إذا وقع هكذا خزي آل إسرائيل هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم ، إذ يقولون للخشب أنت أبي ، وللحجر أنت والدي ، لِأنهم أداروا نحوي قفاهم لا وجههم، وفي وقت مصيبتهم يقولون: قُم وخلّصنا ، فأين آلهتك التي صنعت لنفسك ؟ فليقوموا إن استطاعوا أن يخلّصوك في وقت بليتك ، لأنه قد صارت آلهتك بعدد مدنك يا يهوذا ، لماذا تخاصمونني ؟ كلكم عصيتموني ، يقول الرب : ضربت أبناءكم بلا فائدة إذ لم يقبلوا تأديباً ، سيفكم أكل أنبياءكم كأسد مفترس[2] » .

والعجيب في الأمر أنّ هذا الكفر والبعد عن الله وعبادة الأوثان كان منهم على مرأى ومسمع من أنبيائهم وكهنتهم ، ومن الواضح أن أنبياء بني إسرائيل كانوا يقومون بواجبهم من أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وليس من المعقول أن يقبل أحد من الأنبياء بهذا الكفر ، ولكن لا حياة لمن تنادي ! فمن أُشرب في قلبه حبّ العجل والأوثان لا يسمع كلام الأنبياء ، ولا تؤثر فيه المواعظ والحكم ، ومن هنا :

« لم يرجع الرب عن حمو غضبه العظيم لأنّ غضبه حمي على يهوذا » . . . وتخلّى عن مدينة أورشليم وعن الهيكل ، ولم تكن حملة التطهير التي قام بها الملك يوشيّا كافية لأن عبادة الأوثان قد استحكمت في قلوب بني إسرائيل ، ولذا أرسل الرب عليهم غزاة الكلدانيين والآراميين والمؤابيين ، وكتب عليهم القتل والعذاب والفناء لمخالفتهم تعاليمه ، وعبادتهم الأوثان ، وسفكهم الدماء[3] .

الخامس : إن التوراة التي وجدها حلقيا في الهيكل أعطاها أولاً لشافان ، فقرأها ، ثم ذهب بها إلى الملك يوشيّا وقرأها على الملك ثانية ، وهذا النص صريح

---

(١) حزقيال : ٨/ ١٤ .

(٢) إرمياء : ٢/ ٢٦ ـ ٣٠ .

(٣) الملوك الثاني : ٢٣/ ٢٦ ـ ٢٧ .

في أن التوراة التي وجدها حلقيّا صغيرة جداً ؛ وإذا أردنا أن نعبّر عن حجمها فهي لا تزيد عن مقال ، لأن شافان قرأها مرتين ، وقراءتها بهذا الشكل السريع تدلّ على أنها كانت صغيرة جداً ؛ ويؤكد هذه الحقيقة أن الملك بعد سماعه للتوراة مزّق ثيابه وبكى وتأثر بذلك ، ثم أصدر أمراً باجتماع جميع الشعب بجميع طبقاته من الصغار والكبار والشيوخ والكهنة والأنبياء ، وقرأ على مسامعهم سفر الشريعة ، ثم صعد المنبر وأخذ على نفسه عهداً بالعمل بكل ما جاء في ذلك السفر الذي وجده حلقيّا ؛ ومن الواضح أن الملك لا يمكنه أن يجمع جميع أفراد الشعب وفيهم العجّز والأطفال والنساء ويقرأ على مسامعهم كتاباً كبيراً ، أو كتاباً يزيد عن مقال ؛ وهذا واضح ، وخاصة إذا أخذنا بعين الإعتبار أنه صعد المنبر بعد ذلك وعاهد الشعب بالعمل بالشريعة الموسوية .

وأما التوراة التي كتبها موسى ونسخها يوشع على الحجارة فإنها كانت أكثر من ذلك بكثير ، فقد أوصى موسى وشيوخُ إسرائيل الشعبَ أن يحفظوا جميع الوصايا ، وأمرهم بأن يقيموا حجارة كبيرة ويشيدونها بالشيد ، ويكتبون عليها جميع كلمات الناموس ، وأمرهم أن يقيموا تلك الحجارة في جبل عيبال وأن يكلّسوها بالكلس بعد عبورهم الأردن[1] .

ومن الواضح أن أمر موسى بكتابة التوراة على الحجارة الكبيرة وعلى جبل عيبال بالخصوص وتكليسها دليل على أن التوراة كانت كبيرة ، وإلّا لما طلب منهم أن تكتب على حجارة كبيرة وعلى الجبل ، ولقال : على حجر كبير مثلاً ، فإنه كافٍ لكتابتها .



(١) التثنية : ٢٧/ ١ ـ ٤ .

التوراة بعد السبي البابلي

كان البحث السابق حول المصادر التوراتية التي تـدل في ظاهـرها على وجـود التوراة قبل السبي البابلي ، وقد بيّنا أن تلك النسخة التي وجدها الكاهن الأعظم حلقيّا في الهيكل إنما هي من وضعه وليست هي توراة موسى ، وقد نجح نجاحـاً باهـراً في عمله ذلك من أجل تكسير الأصنام وتطهير مملكة يهوذا من عبـادة الأوثان التي غـطّت معالمها ؛ وقـد قام الملك يـوشيّا بتلك الثـورة وكان الملك الـوحيد الـذي قاد حـركة الإصلاح الديني من ملوك القضاة وملوك يهوذا ؛ وقد بقي هذا الملك إلى أن هـاجمه فرعون مصر وقتله ، فقام الشعب وملّك عليه ولده يهـوآحاز بن يـوشيّا . وبعـد ثلاثـة أشهر من تولّيه الحكم هاجمـه فرعـون مصر وأسـره وأخذه معـه إلى مصر حيث مـات هناك ، ونصّب مكانه أخاه نخو ألياقيم ابن يوشيّا وغيّـر اسمه إلى يهـو ياقيم وقـد ملك إحـدى عشرة سنـة ، وفي أيّامـه هاجم بخت نصّـر أورشليم واستولى عليهـا ، واتخذ يهو ياقيم عبداً له إلى أن مات ، وقام مقامه ابنه يهويـاكين ، فتمرد على ملك بـابل ، فقام بخت نصّر وحاصر أورشليم وفتحهـا عنوة ، ودمّـر المدينـة ولم يبقَ من معالمهـا شيئاً ، فأحـرق الهيكل وبيت الملك وكـل بيوت أورشليم ، وهـدّم جميع الأسـوار ، ونهب كل شيء وجده في الهيكـل حتّى الأعمدة ، وسبى بني إسـرائيل وأخـذهم إلى بابل عبيداً له كما تقول التوراة[1] .

وزبدة المخض أن سفر الملوك الثـاني يكشف بكل وضـوح غضب الرب على

---

(١) الملوك الثاني : الأصحاح ٢٤ و ٢٥ فراجع .

بني إسرائيل ، وإنزاله أشدّ العقوبة بهم من القتل والنهب والفناء ، لمخالفتهم تعاليمه ولظلمهم وسفكهم للدماء ، وعبادتهم الأوثان ؛ وهذه سنّة الله في خلقه عبر مسيرة البشرية على سطح المعمورة ، فكل أمّة تخالف تعاليمه وتنقض مواثيقه وتسفك الدماء لا بد أن تصاب بالدمار والفناء ، وهكذا أرسل سبحان بخت نصّر إلى مملكة يهوذا فدمّر كل ما فيها ، وسبى جميع الرؤساء وجميع جبابرة البأس ، وهم عشرة آلاف ، وجميع الصناع ، ولم يبق أحداً ، إلا الصعاليك ؛ وأحرق بيت الرب وكل بيوت أورشليم ، وهدم جميع أسوار المدينة ، ونهب كل شيء حتى أعمدة الهيكل[1] .

وقد بقي بنو إسرائيل في الأسر سبعين سنة كما تنصّ التوراة[2] وعادوا إلى فلسطين بعد أن هاجم ملك الفرس كورش الامبراطورية الكلدانية واستولى عليها ، وحرر اليهود من الأسر .

وقد فقدت التوراة بعد السبي البابلي ، وهذا مما أجمع عليه المؤرخون ، ونحن قد أثبتنا أنها كانت مفقودة قبل السبي البابلي بمئات السنين ، هذا بالإضافة إلى أن التوراة لا تنصّ إلا على وجود نسخة واحدة وهي النسخة التي كتبها يوشع ، بالإضافة إلى الأصل المكتوب على يد موسى ، ولا يوجد أيّ دليل من التوراة وغيرها يدل على مدة بقاء النسختين ، والموجود إنما هو دليل وجودهما لا بقائهما ، وقد بقي علينا أن نبيّن كيف وجدت التوراة الحالية .

متى كتبت التوراة الحالية

سوف نسلك نفس الطريق الذي اعتمدنا عليه في الإستدلال على أن التوراة كانت مفقودة قبل السبي البابلي بمئات السنين ، وهو الإستدلال من نفس التوراة على المدّعى .

ونحن إذا رجعنا إلى التوراة الحالية لكي نستنطقها حول نفسها ، ومتى كتبت ، نجدها صريحة في القول بأنها كتبت على يد عدّة أشخاص بعد السبي البابلي ؛ وإليك بيان ذلك .

---

(١) الملوك الثاني : الأصحاح ٢٤ و ٢٥ فراجع .
(٢) إرمياء : ٢٩/ ١٠ .

إنّ التوراة الحالية هي من كتابة (عزرا) وليست هي التوراة التي أنزلت على موسى ، وإن كانت تحتوي على بعض تعاليم موسى من الوصايا والأحكام ؛ وهذه التوراة وضعت بأمر من ملك الفرس كورش .

ففي الأصحاح الأول من سفر عزرا يقول عزرا :

« إن الرب نبّه روح كورش ملك فارس فأطلق نداءً في كلّ مملكته وبالكتابة أيضاً قائلاً : هكذا قال كورش ملك فارس : جميع ممالك الأرض دفعها لي الربّ إله السماء ، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا[١] » .

وقد أمر كورش أيضاً بأن يساعد جميع اليهود ببناء الهيكل حتى الذين بقوا في بابل وخارج مملكة يهوذا :

« وكلّ من بقي في أحد الأماكن حيث هو مغترب فلينجده أهل مكانه بفضّة وبذهب وبأمتعة وببهائم ، مع التبرع لبيت الربّ الذي في أورشليم[٢] » .

ومن هنا هبَّ اليهود من كل مكان وعلى اختلاف طبقاتهم وساعدوا في بناء الهيكل .

لم يكتف ملك الفرس بهذه الأوامر ، بل ساعد عملياً ببناء الهيكل ، فأرجع جميع الآنية من الذهب والفضة التي أخذها بخت نصّر إلى بابل ، والتي بلغت خمسة آلاف وأربع مائة ، فأرجعت مع السبي إلى أورشليم[٣] .

وحينما سمع الآخرون من غير اليهود أن العائدين من السبي شرعوا ببناء الهيكل طلبوا من رؤساء اليهود أن يسمحوا لهم بالمشاركة في بناء بيت الربّ الذي كانوا يذبحون له أيضاً ، فرفض اليهود وقالوا : ليس لكم

---

(١) عزرا : ١/ ١ ـ ٢ .
(٢) عزرا : ١/ ٤ .
(٣) عزرا : ١/ ٧ ـ ١١ .

« ولكننا نحن وحدنا نبني للرب إله إسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس[1] » .

وقد اكتمل بناء الهيكل في السنة السادسة من ملك داريوش ملك الفرس وافتتح ، ولم يكن عزرا موجوداً ، وإنما كان لا يزال مع بقية اليهود في أرض بابل ، ثم هاجر مع من معه من بني إسرائيل الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين ، وذلك في الشهر الأول من السنة السابعة من ملك ارتحشستا ، فوصل إلى أورشليم في الشهر الخامس من تلك السنة مع آخر دفعة بقيت من اليهود[2] .

وبعد عودة عزرا كلّفه ملك الفرس في ذلك الوقت بكتابة التوراة بعد أن أعطاه صلاحيات كبيرة جداً لا تكون إلا للملك ، فقد جعله رسوله الخاص ، وفوض إليه جمع الأموال من بابل ، وأن يهاجر بكل من يريد العودة إلى أورشليم ، وأن يشتري بالمال خرافاً وإبلاً ليذبحها للرب ؛ كما أنه سمح له بأخذ المال من الخزانة الملكية وبشكل سريع ، وفوّض إليه أيضاً نصب القضاة والحكام ليقضوا بين الشعب الذي يسكن عبر النهر ، من الذين يعرفون شريعة الربّ ، والذين لا يعرفون ، وفوّض إليه معاقبة كل من لا يعمل بشريعة الرب وشريعة الملك ، إما بالموت أو النفي أو غرامة المال أو السجن ، كما أنه أعفى الكهنة والبوابين والمغنين وخدّام بيت الرب من الجزية والخراج[3] .

وبعد التمعّن في الأصحاح السابع من سفر عزرا الذي جاءت فيه رسالة ارتحشستا ملك الفرس لعزرا يتّضح لنا أن عزرا كتب التوراة بأمر الملك :

« وهذه صورة الرسالة التي أعطاها الملك ارتحشستا لعزرا الكاهن الكاتب ، كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل ، عن ارتحشستا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء[4] » .

ولم يرد أيّ ذكر في التوراة يدل على وجودها بين اليهود زمن السبي ولو سرّاً ، ولم يشر أحد من أنبيائهم مدة السبي إلى التوراة ؛ والموجود في التوراة الحالية هو أن

---

(١) عزرا : ٤/ ٣ .
(٢) عزرا : ٧/ ١ ـ ١٠ .
(٣) عزرا : ٧/ ١ ـ ٢٥ .
(٤) عزرا : ٧/ ١١ ـ ١٢ .

عزرا بعد العودة من السبي قرأ على المشايخ والكهنة سفر شريعة موسى ، وكان يقرأ على عامة الشعب ذلك السفر ، وقد استغرقت قراءته سبعة أيام .

« وكان يقرأ في سفر شريعة الله يوماً فيوماً من اليوم الأول إلى اليوم الأخير ، وعملوا عيداً سبعة أيام ؛ وفي اليوم الثامن اعتكاف حسب المرسوم[1] » .

وهنا يظهر لك الفارق الكبير بين التوراة التي وجدها الكاهن الأعظم حلقيّا وبين التوراة التي قرأها عزرا بعد السبي على بني إسرائيل ، فالتوراة التي وجدها حلقيّا وقرأها على الملك يوشيّا قرأها في جلسة واحدة ، أو يوم واحد ، بينما السفر الذي قرأه عزرا على الشعب بعد العودة إحتاجت نصوصه إلى أسبوع كامل وعليه لا نجد أي ارتباط بين توراة حلقيّا وتوراة عزرا .

وهنا عدة تساؤلات جديرة بالبحث والتحقيق وهي :

١ ـ ما هي علاقة عزرا بالفرس ، وكيف استطاع أن يحصل على الثقة الكبيرة والدعم المطلق سياسياً واقتصادياً ؟

٢ ـ كيف جعله ملك الملوك رسوله والمفوّض إليه إدارة مملكة يهوذا وما فيها من شعوب حتى غير اليهود ، هذا مع العلم بأن ارتحشستا كان معروفاً بالظلم والإضطهاد ؟

٣ ـ كيف حصل عزرا على تلك الصلاحيات الكبيرة مع أن مملكة اليهود في أورشليم ليس لها فائدة مهمة للإمبراطورية الفارسية لا اقتصادياً ولا سياسياً ؟

٤ ـ لماذا دعم ملك الفرس اليهود بالأموال الطائلة ، وأمر بحملها على جناح السرعة ، وأرجع الأموال العظيمة من الذهب والفضة والأواني التي أخذها بخت نصّر ، على نفقة بيت مال الملك[2] . وأرسل الأموال الكثيرة الأخرى كهدية للهيكل أيضاً ؟

هذه التساؤلات تكشف لنا الكثير عن حقيقة التوراة الحالية التي تعود إلى عزرا في أسفارها .

---

(١) نحميا : ٨/ ١٣ ـ ١٨ .

(٢) عزرا : ٦/ ٤ .

علاقة عزرا بالفرس

ليس من السهل أبداً أن يصدر ملك الملوك كورش المجوسي أمراً بتحرير بني إسرائيل وإرجاعهم إلى أورشليم ، والسماح لهم ببناء الهيكل ، وهو يعلم أن اليهود شعب متمرّد صلب الرقاب لا يرضخ حتّى لأنبيائه ، وقد نبّه الولاة الملك عندما رأوا اليهود يبنون الهيكل من جديد ، فكتبوا له يذكّرونه بالخطر ، وأن اليهود حياتهم حياة تمرّد وعصيان ، وذكّروا الملك بأن يراجع أسفار أجداده الموجودة في الخزائن ليعلم سيرة هذا الشعب العاصي[١] .

ومع ذلك بقيت معاملة ملوك الفرس لهم معاملة حميمة وفريدة لا نشاهدها في معاملتهم للأقليات الأخرى ، ولعلّ السر في وعد كورش لليهود بالعودة إلى أورشليم ـ ومساعدتهم بالمال ، وتنفيذ هذا الوعد بمجرد الإطاحة بالإمبراطورية البابلية ـ يعود إلى عدة أسباب :

الأول : إن اليهود بعد أن مرّوا بتجربة السبي الذي سبق السبي البابلي ، وذلك في عام ٧٢٠ ق . م على يد الملك الآشوري اسرحدون ، الذي هاجم أورشليم وعادت جيوشه إلى نينوى مثقلة بالغنائم ومعها مئتا ألف من أسرى اليهود ليكونوا عبيداً للآشوريين[٢] ، وشتّت الباقي في بلاد الله بعد هذه التجربة ومرورهم بتجربة ثانية كانت أشد وأعظم من الأولى ، لأن بخت نصّر استعبدهم عشرات السنين وقضى على كل تراثهم ومعالم حضارتهم ، لم يجد اليهود بداً ـ من أجل القضاء على العدو اللدود لهم وهم البابليون ـ من التعاون مع عدو عدوهم التقليدي وهم الفرس ، فاستغلّوا العداوة بين الطرفين وأشعلوا نار الحقد والعداوة بينهما ، وخططوا للدخول إلى قلب الإمبراطورية الفارسية ؛ وقد نجحت خطتهم ودخلوا إليها وسيطروا على الإمبراطور بواسطة استخدامهم الجنس بإدخال أجمل فتاة منهم إلى البلاط ، وقد استطات هذه الفتاة الجميلة الماكرة التي تسمى بأستير ، والتي لها سفر في التوراة بأسمها ، وهو من أغرب ما في التوراة ، حيث عمد جامعو التوراة إلى جعل هذه القصة الجنسية سفراً من التوراة ومن كتب الوحي ، وذلك لما فيه من الفائدة العظيمة

---

(١) عزرا : ٤/ ٦ ـ ١٦ .

(٢) قصة الحضارة : ٢/ ٣٥١ .

على الشعب اليهودي ، وتخليداً لاسم هذه الفتاة التي أسدت أعظم خدمة لليهود طوال تاريخهم ، فقد أخفت هذه الفتاة الجميلة قوميتها ودينها عن الملك الفارسي ، كما علّمها مردخاي ، وهو رجل يهودي سبي من أورشليم مع السبي البابلي وبيع في أرض فارس ، فكان هناك عبداً يخدم في قصر شوش الإمبراطوري ، وكانت أستير من أرحامه ، وهي طفلة يتيمة ، وقد ربّاها واتّخذها إبنةً له ، ولما بلغت أدخلها مع العذارى إلى الملك فوقعت في نفسه موقعاً عظيماً ، وأخذت بمجامع قلبه وسيطرت على عقله ، وبذلك استطاعت أن تصل إلى أعظم سلطة ، وتسخّر الملك لخدمة الشعب اليهودي ؛ وقد قضت على أعداء اليهود في الإمبراطورية الفارسية ، حتى على الوزير الأعظم المقرب إلى الملك ؛ وهذا الأمر ليس مستبعداً من اليهود ، لأن تاريخهم حافل بمثل هذه الصور ، لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة ، وهذه المرأة التي دخلت إلى قلب الملك أصبحت أماً للملك الفارسي كورش كما يقال ، وهو الذي حرّر اليهود من العبودية والأسر ؛ وقد تعاون معه اليهود حتى تغلّب على الإمبراطورية التي أذلّتهم وذبحتهم ، وأحرقت أورشليم ، وسبتهم وهدمت كل معالم حضارتهم ، حتى تغلّب كورش على بابل ، وأصبحت جزءاً من مملكته . ووفى لهم بوعده .

وعليه فعودة اليهود كانت ترتبط بالصراع بين الفرس والكلدانيين ، وقرابة الفرس منهم .

والذي يؤكد لنا هذه الخطة من دخولهم إلى قلب الإمبراطورية الفارسية هو ما نشاهده من خلال تاريخهم الحافل بهذه الخطط ، فقد استخدموا نفس الطريقة مع عرب فلسطين ، ولا يزالون يستخدمون هذه الأساليب مع كل الشعوب ؛ ومن ألقى نظرة على بروتوكولات حكماء صهيون يجد هذه الخطط مطبقة بكاملها من تسخير الصهيونية العالمية لدول العالم ـ وخاصة الغربي ـ لمصالحها ، وقد وصل اليهود إلى الكرسي البابوي فأوصلوا بعض البابوات الذين يعودون إلى أصل يهودي إلى الكرسي البابوي ، ومنهم بولس السادس الذي برّأ اليهود من دم المسيح على خلاف الأناجيل الأربعة ، كما في لفظ متى عندما طلب اليهود من الحاكم الروماني صلب المسيح وقتله ، فقال لهم الحاكم : إنه لم يقم بعمل يستحق القتل ، وأنا بريء من دمه ، فقالوا :

« دمه علينا وعلى أولادنا[1] » .

(١) متى : ٢٧/ ٢٥ .

والحاصل أن هـذه الخطة هي من أهم الأسبـاب التي استغلّها اليهـود من أجل تحررهم من العبودية ، فقد استطاعوا أن يستغلّوا الظروف الإجتماعية لمصلحتهم .

الثاني : لو نظرنا إلى الأسـرى الذين أسـرهم بختنصَّر وذهب بهم إلى عـاصمته بابل ، نجد أنَّهم من نخبة اليهود من أولي البأس والقوة ، وأصحاب الحرف والصنائع والممتازين من اليهود ؛ وكان عددهم عشرة آلاف رجل مـا عدا النسـاء والأطفال[١] ، هـذا في السبي الأول الذي وقـع عام ٥٩٧ ق.م ، وأمـا في السبي الثاني الـذي وقـع عام ٥٨٦ ق.م ، فقد قدّر عددهم بحوالي خمسين ألف شخص[٢] .

وهذا العدد الكبير من الأسرى كان على ارتباط كامل بالمركـز الديني الأسـاسي وهـو أورشليم ، وكانت التعاليم والإرشـادات تـأتيهم من أرميـا الـذي كـان مقيمـاً في أورشليم ومن دانيـال الـذي كـان مقيمـاً معهم في الأسـر وكـان بين الـرجلين تفـاهم وارتباط ، وقد عملا على قيادة بني إسرائيل وحفظهم وتنظيمهم حتى أصبحوا أكبر قـوة داخل الإمبراطورية البابلية ، والذي يؤكد لنا هذه الفكرة الرسالة التي وجههـا أرميا إلى الأسرى بعد الأسـر ، وقد استغـرق نصها الإصحـاح التاسـع والعشرين من سفـر أرميا وهذا نصّها :

« هذا كلام الرسالة التي أرسلها أرميا النبي من أورشليم إلى بقية شيـوخ السبي وإلى الكهنة والأنبياء وإلى كـل الشعب الذين سبـاهم نبوخـذ ناصَّـر من أورشليم إلى بابل بعد خروج يكنيا الملك ، والملكة والخصيان ورؤساء يهوذا وأورشليم والنجـارين والحـدادين من أورشليم ، بيـد العـاسـة بن شـافـان وجمريا بن حلقيا اللذين أرسلهما صدقيا ملك يهوذا إلى نبوخذ ناصَّر ملك بابل إلى بابل قائلاً : هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل لكـل السبي الذي سبيْتُـهُ من أورشليم إلى بابل : .أبنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنَّاتٍ وكلوا ثمرها ، .خذوا نساءً وَلِدوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساءً وأعطوا بنـاتكم لرجـالٍ فيلدنَ بنين وبنات وأكثروا هناك ولا تقلُّوا واطلبوا سلام المدينـة التي سبيتكم إليها وصلُّوا لِأجلها إلى الرب لِأنَّه بسلامها يكون لكم سلام ، لِأنه هكذا قال رب الجنود إله

---

(١) الملوك الثاني : ١٤/٢٢ ، أرميا : ٢/٢٩ .

(٢) العرب واليهود في التاريخ : ص ٣١٥ .

إسـرائيـل . لا تغشّكم أنبيـاؤكم الـذين في وسـطكم وعـرّافـوكم ولا تسمعـوا لأحلامكم التي تحلمونهـا ، لِأنهم إنما يتنبّـأون لكم بإسمي بـالكذب ، أنـا لم أرسلهم يقول الرب » .

« لِأنه هكذا قال الرب ، إني عند تمام سبعين سنـة لبابـل أتعهدكم وأقيم لكم كـلامي الصالـح بردّكم إلى هـذا الموضـع ، لِأني عرفت الأفكـار التي أنا مفتكـر بها عنكم يقـول الرب أفكـار سـلام لا شـرّ لِأعـطيكم آخـرةً ورجـاءً ، فتـدعونني وتـذهبـون وتصلون إليّ فـأسمـع لكم ، وتـطلبـونني فتجـدونني إذ تطلبونني بكـل قلبكم ، فأوجـد لكم . يقول الـرب وأردُّ سبيكم وأجمعكم من كـل الأمم ومن كل المـواضع التي طـردتكم إليهـا . يقـول الـرب وأردكم إلى الموضع الذي سبيتكم منه » .

ومع الأخذ بالإعتبار الزمني الفاصل بيننا وبين كتابة هذه الرسالة نجدها تحتـوي على زبدة التعاليم الحزبية في العصر الحاضر ، فقد ركّـز أرميا في هـذه الرسـالة على عدة نقاط مهمة :

١ ـ أنَّ هذه الرسالة هي من رب الجنود إلى جميع الأسرى في بابل .

٢ ـ أمرهم ببناء البيـوت وزرع الأشجار والكـروم ، ولا يخفى ما في هـذا الأمر من الإستقـلال الإقتصـادي والإستغنـاء عن غيـرهم في إدارة حيـاتهم وأمـور معيشتهم والإعتماد على النفس أساس النجاح .

٣ ـ أمره لهم بالتكاثر بأن يزوجوا بناتهم لِأبنائهم ، وهذا أمر مهم لِأن القوة تنبـع من الكثرة والإتحاد لا من القِلَّة .

٤ ـ أمره لهم بطلب السلام في المدينـة التي سبتهم لِأنَّ الأمن والسلام فيهـا هو بسـلامتهم ، ويفهم من هـذا الأمـر أن أرميـا أمـرهم بـالسكنى في منـاطق الأعيـان والأشـراف والأثريـاء لِأنَّ الغالب على هـذه المنـاطق الأمن والسـلام بخـلاف منـاطق الصعـاليك والفقـراء ، فإنَّ الجـرائم تكثر فيهـا ولا يخفى أن لازم ذلـك التعـرف على الأشـراف والأعيان والقـادة ، وفي ظل الأمن والسـلام يستطيـع اليهود التكـاثر وتنفيـذ أهدافهم .

٥ ـ نهيه لهم عن الإستماع إلى أنبيائهم وعرّافيهم لِأنهم إنما ينبّأون بـإسم الرب

بـالكذب (وأنـا لـم أرسلهم) وهذا أمـر عظيم حيث أن أرميـا أراد أن يقـطع أي عـلاقـة للأسرى بغيره ممن لا يعرف خطط قادة اليهـود ولا يكون لِأحـد تأثيـر عليهـم وإلا لماذا يجب أن يسمعـوا له دون غيـره من الأنبياء ، وهـل من مهمة النبي أن يكـذِّب غيره من الأنبياء ويدّعي أنه هو الصادق وحده وليس هناك مرجـح في البين ولا دليل على كـذب الغير .

٦ ـ «هكذا قال الرب إني عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهدكم وأقيم لكم كلامي الصالح بردكم إلى هذا الموضع لِأني عـرفت الأفكار التي أنا مفتكر بهـا عنكم » ، ولا يخفى ما في هذه الكلمات من الأهمية ، فقـد حدَّد أرميـا مدة الأسـر وأنَّ الرب تعهـد بإرجاع اليهود إلى وطنهم بعد سبعين عـاماً من الأسـر ، وبهذه الكلمـات أراد أرميا أن يحيي في الشعب الأسير روح التفاؤل والعودة إلى أرض الميعاد ، وهذا الأمر لا يمكن أن يقطع به ويصـرِّح به إلا لعلمـه بما يجـري وراء الكواليس من التنسيق الكـامل بين زعماء اليهود في الوطن واليهود في الإمبراطورية البابلية والإمبراطورية الفارسية ، ومن أبرز هؤلاء الزعماء دانيال الذي كان مقيماً داخل الإمبـراطوريـة البابليـة وسط الأسرى وقد وصل إلى أعلى المناصب هناك .

فإذا رجعنا إلى سفـر دانيال نجـد أنه استـطاع أن يصل إلى أعلى المنـاصب في الإمبراطورية وأن يحظى برضا الإمبراطور واحترامه ويكون من أقرب الناس إليه ، وقـد استغل هذا المنصب ورفع اليهود إلى أعلى المراكز .

فبعد أن فسَّر دانيال حلم الملك الذي عجز عن معرفته حكماء بابل :

« حينئذٍ خرَّ نبوخذ نصَّر على وجهه وسجـد لدانيـال وأمر بـأن يقدّمـوا له تقدمةً وروائح سرور ، فأجاب الملك دانيال وقال : حقـاً أن إلٰهكم إلٰه الآلهـة ورب الملوك وكـاشف الأسرار ، إذا استـطعت على كشف هذا السـر ، حينئذٍ عظَّم الملك دانيال وأعطاه عطايـا كثيرة عـظيمة ، وسلَّطه على كـل ولاية بـابل وجعله رئيس الشحن على جميع حكماء بابل ، فـطلب دانيال من الملك فـولَّى شـدرخ وميشخ وعبـد نغو على أعمـال ولاية بـابل ، أمـا دانيال كـان في بـاب الملك »[1] .

(١) دانيال : ٢/٤٦ ـ ٤٩ .

وبعد موت بختنصَّر بقي دانيال في منصبه وحظي بالإحترام الكامل من داريوس الذي جعل مائة وعشرين مرزباناً على كل مملكته ، وجعل على هؤلاء ثلاثة وزراء أحدهم دانيال ، وقد تفوَّق دانيال على الوزراء والمرازبة ففكَّر الملك بأن يولِّيه على المملكة كلها »[1] .

وهذا الأمر من تنقّل دانيال في هذه المناصب ساعد على التنسيق والتنظيم لِأمور اليهود بين أورشليم الأم وبقيادة أرميا وبين دانيال الذي كان يقود اليهود في الأسر ، ومما يؤكد لنا هذه الفكرة قول دانيال :

« أنا دانيال فهمت الكتب عدد السنين التي كانت عنها كلمة الرب إلى أرميا النبي بكماله سبعين سنة على خراب أورشليم»[2] .

فمع أنَّ دانيال نبي مثل أرميا والكتابة والكتب كانت قليلة جداً في ذلك العصر فكيف علم دانيال بذلك واستشهد بكلام أرميا ، وهذا الإستشهاد دليل على الإتصال بينهما . وفي هذا الوقت الذي وصل فيه دانيال إلى أعلى المراكز في الإمبراطورية البابلية نجد أنَّ أستير بواسطة مردخاي وصلت إلى أعلى المراكز في الإمبراطورية الفارسية[3] ، وقد استغلَّ اليهود هذه المراكز للإطاحة بالعدو اللدود الذي أسرهم ودمَّر مملكتهم وقضى على معالم حضارتهم ، وقد استطاع الفرس أن يتخذوا من الأسرى في بابل درعاً وقوةً لإضعاف خصمهم ووجدوا فيهم خير معين لما كانوا يحملون من حقد وعداوة للبابليين ، ومن هنا استطاع الفرس أن يستخدموا اليهود في بابل ، ويؤلفوا منهم جبهة قوية تعمل لحسابهم خلال مدة الأسر التي استغرقت أكثر من سبعين سنة ، وقد ساعدوا كورش في دحر عدوّه والقضاء على خصمه ، وضم الإمبراطورية البابلية إلى مملكته ، وبعد انتصاره العظيم وفَّى للشعب اليهودي بوعده ، وحرَّرهم من العبودية ، ودعمهم بالمال ، وأمرهم ببناء الهيكل من جديد ، ومن ماله الخاص .

---

(١) دانيال : ٦/١ ـ ٣ .

(٢) دانيال : ٩/٢ .

(٣) لا يخفى على القارىء الكريم أنَّ دانيال له رؤيا في قصر شُوش وهو قصر الملك الفارسي الذي أدخلت إليه أستير وأصبحت هي الملكة فيه ،من هنا يكشف لنا الكثير من الخفايا والإتصالات بين اليهود ، راجع سفر استير الإصحاح الأول والثاني ودانيال : ٨/١ ـ ٣ .

ولهذا التعاون الوثيق ـ بين ملك الفرس واليهود ـ الذي سبق الإطاحة بالعدو المشترك نجد أن إشعياء الثاني يتنبأ بأن بلاد الفرس ستكون أداة هذا التحرر ، وينادي بأن كورش هو المخلّص الرباني ، وهو المسيح المنتظر :

« هكذا يقول الربّ لمسيحه : لكورش الذي أمسكتُ بيمينه لأدوس أمامه أمماً ، وأحلّ أجزمة ملوك لأفتح أمامه المصراعين فلا تغلق الأبواب ، إنني أمشي أمامك وأمهّد الهضاب ، وأحطم مصراعي النحاس ، وأكسر مزاليج الحديد ، وأعطيك مكنونات الكنوز وذخائر المخابىء ، حتّى تعرف أني أنا الربّ الذي يدعوك باسمك ، إلّه إسرائيل لأجل يعقوب عبدي وإسرائيل الذي اصطفيته دعوتك باسمك لقبتك ، وأنت لا تعرفني[1] » .

فكورش هو الرجل الذي لا يقهر ، وهو الذي ينقذ اليهود من الأسر فيعودون إلى أورشليم ، ويشيدون هيكلاً جديداً ومدينة جديدة تكون جنة بحق

« بحق الذئب والحمل يرعيان معاً ، والأسد يأكل التبن كالبقر[2] » .

إن هذا التنبؤ لم يكن إلا لكون إشعياء الثاني كان على علم بما يجري من التعاون الوثيق بين اليهود وبين الملك الفارسي ، وهذا التنبؤ والتعظيم لكورش ـ ودعوى الإلهام له في التوراة مع أنه مجوسي ـ دليل على ذلك التعاون المتين بين الطرفين .

وما أشبه وعد بلفور بوعد كورش بعودة اليهود ثانية إلى فلسطين ، ولعلّ أستير بلفور هي التي نسقت بينه وبين اليهود فوعدهم بوعده المشؤوم ؛ وقد حان الوقت ليسترجع المسلمون من أبناء كورش ذلك الوعد المشؤوم ، ويطهّروا الأرض المقدسة . وهكذا يعيد التاريخ نفسه ، فقد عاد اليهود إلى فلسطين تحت الحراب الفارسية ، واليوم عادوا إليها تحت الحراب البريطانية والغربية .

الثالث : تلوّن اليهود بحسب الأوضاع الإجتماعية الحاكمة ، وهذه سيرتهم عبر التاريخ ؛ فهم يتظاهرون في كثير من الأحيان بخلاف دينهم ، ويبطنون عقيدتهم ، وهذا ما جعل إرميا يدافع عن بخت نصّر حتى يكاد الذي يقرأ أقواله يقطع

(١) إشعياء : ٤٥/ ١ ـ ٤ .

(٢) قصّة الحضارة : ٢/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

بأنه من صنائع بخت نصّر المأجورين ، فهو يقول على لسان يهوه :

« إني أنا صنعت الأرض والإنسان والحيوان الذي على وجه الأرض بقوتي العظيمة ، وبذراعي الممدودة وأعطيتها لمن حَسُنَ في عيني ؛ والآن قد دفعت كلّ هذه الأراضي ليد نبوخذ نصّر ملك بابل عبدي . . . فتخدمه كل الشعوب وابنه وابن ابنه . . . والأمة أو المملكة التي لا تخدم ملك بابل والتي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل إني أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء . هكذا يقول الربّ[1] » .

وقد استطاع عزرا أن يعمل للفرس ويجمع بين عقيدة التوراة وبين دين الملك الذي يعمل له ، وممّا يؤكد لنا العمالة للفرس ـ وأن الملك ارتحشستا كان يعتمد كل الاعتماد على عزرا ، وفوض إليه حكومة ما بعد النهر ـ قول الملك في رسالته لعزرا :

« وكل من لا يعمل بشريعة إلّهك وشريعة الملك فليقضَ عليه عاجلاً ، إمّا بالموت أو بالنفي أو بالحبس[2] » .

فإعطاء هذا المنصب الكبير من قبل ملك الملوك والنصب والعزل لكل أركان الدولة لا يمكن أن يكون إلّا لمن كان عميلاً معروفاً لديه ، يعمل له ويُطبقّ شريعته ، مع علم الملك بتمرد اليهود طوال تاريخهم على الملوك السابقين ، وقد ذكّره أعوانه المخلصون بذلك ، وكتبوا إليه يحذّرونه من مساعدة اليهود ، ومع ذلك فقد وصل عزرا إلى أرفع المقامات وأعلى المراتب ، ووصوله إلى ذلك دليل على أنه كان قريباً من الملك معروفاً عنده ، ولولا ثقة الملك به لم يصل إلى ذلك المنصب ؛ولعل هذه الثقة الكبيرة حصلت للملك من خلال تنسيق عزرا مع الإمبراطورية الفارسية خلال مدة السبي للإطاحة بالإمبراطورية البابلية ؛ ومن الطبيعي أن الذي يشغل هذا المنصب الرفيع عند ملك الملوك لا بدّ أن يقدم شريعة الملك على كل شيء ، وإلا فمن البعيد أن يصل إلى هذا المنصب الهامّ .

وتظهر هذه الحقيقة عندما تتعارض شريعة الملك وقوانينه مع شريعة عزرا ، وليس من المعقول أن يقدم عزرا شريعته على شريعة الملك وإلّا لعزل فوراً ، وحكم

---

(١) إرميا : ٢٧/ ٥ ـ ٨ .

(٢) عزرا : ٧/ ٢٦ .

عليه بالخيانة ؛ ولو صحّ هذا الإحتمال فيه لم يصل أبداً إلى ذلك المنصب ، ويكون ممن يخالف شريعة الملك ، فيحكم عليه بالموت أو السجن كما تقدم .

وفي ظلّ هذا المنصب كتب عزرا التوراة وقرأها على بني إسرائيل ، وقد عكس في التوراة الظروف الاجتماعية والحياة الفكرية للشعب اليهودي ، والعقائد الوثنية التي كانت حاكمة على المجتمعات المحيطة بهذا الشعب ، والذي اكتسب الكثير من عاداتها وتقاليدها وعقائدها .

وفي هذا الصدد يقول ول ديورانت في معرض حديثه عن الإله يهوه :

« ويلوح أنه كان في بداية الأمر إلهاً للرعد ، يسكن الجبال ، ويعبده الناس للسبب الذي كان جوركي الشاب يؤمن من أجله بالله إذا أرعدت السماء ، وحوّل كاتبو أسفار موسى الخمسة وهم الذين كانوا يتخذون الدين أداة للسياسة إله الرعد هذا إلى إله للحرب ، فأصبح يهوه في أيديهم القوية إلهاً للجيوش يدعو للفتح والاستعمار ، يحارب من أجل شعبه بنفس القوة التي كان يحارب بها آلهة الإلياذة . وفي ذلك يقول موسى : « الرب رجل حرب » ويردّد داود هذا القول نفسه فيقول : « الذي يُعلّم يدي القتال[1] » .

ومن طالع تاريخ اليهود يجد أن هذا الشعب عاش حياة الذلّ والعبودية في معظم تاريخه ، ففي زمن موسى كانوا عبيداً لفرعون ، وما أن قام موسى بإعدادهم من أجل التحرر والخلاص من العبودية حتى قالوا :

﴿ أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، قال عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم في الأرض ، فينظر كيف تعملون ﴾[2] .

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على شدة ترسّخ عقدة الحقارة في نفوسهم واستحكامها ، وإلا لفرقوا بين التحرك في سبيل الحرية والخلاص ، وبين العبودية .

وبعد أن حرّرهم موسى من عبودية فرعون ، وأغرق الله فرعون وجنوده ، لم تتحرر نفوس اليهود ، وإن تحررت أجسادهم ؛ وقد مرّوا بنفس الظروف طيلة حياتهم إلى أن جاء بخت نصّر واستعبدهم وأسرهم عشرات السنين . وهذا ما حمل أحبار

---

(١) قصة الحضارة : ٢/ ٣٤٠ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٢٩ .

اليهود على وضع خطة جديدة من أجل تحرير نفوس بني إسرائيل من عقدة الحقارة والذل ، وليوقظوا فيهم الهمم ، ويرفعوا من معنويّاتهم ، ويبعثوا في نفوسهم الأمل والتفاؤل ؛ ومن هنا وضع الأحبار فكرة جديدة ، وهي فكرة شعب الله المختار ، وأنّ الشعب اليهودي هو الشعب الذي يحبه يهوه ويحارب من أجله، وسوف يعطيه أراضي الحثيين والكنعانيين وسائر الشعوب الأخرى ؛ وهذا بعد الأسر البابلي . وأنت أيها القارىء الكريم حكّم عقلك وفكّر في نصيب الإله من كتاب التوراة الذي كتبه عزرا كم سيكون في مقابل نصيب ملك الفرس الذي أعطى عزرا أعظم المناصب الدنيوية والدينية عند قومه ، وعلى هذا يجب أن ننظر للتوراة .

توراة عزرا

إن التوراة التي كتبها عزرا وقرأها على بني إسرائيل في مدة أسبوع هي عبارة عن الأسفار الخمسة ، وهي أهم ما في التوراة ، والتي تنسب لموسى وهي :

١ ـ سفر التكوين .

٢ ـ سفر الخروج .

٣ ـ سفر اللاويّين .

٤ ـ سفر العدد .

٥ ـ سفر التثنية .

وهذه الأسفار متّفق عليها بين جميع اليهود العبرانيين والسامريين . والسامريون لا يعترفون إلا بالأسفار الخمسة الأولى . وبالسفر الخامس تنتهي التوراة المنسوبة لموسى بن عمران ، فقد جاء في آخر سفر التثنية ما يدل على أن التوراة هذه ليست لموسى ، وهو دليل لا يقبل الشك .

« فمات هناك موسى عبد الربّ في أرض مؤاب حسب قول الرب ، ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فَغُورَ ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم[1] » .

---

(١) التثنية : ٣٤/ ٥ ـ ٦ .

واختتام الأسفار الخمسة بهذا النص دليل على أن كاتب التوراة لم يكن موسى بن عمران ، وليست هي من كتب الوحي ، كما أن هناك نصّاً في سفر إشعياء يدلّ على أنه ليس هو من التوراة حيث يقول :

« حينئذٍ بنى يشوع مذبحاً للرب إله إسرائيل في جبل عيبال كما أمر موسى عبدُ الرب بني إسرائيل ، كما هو مكتوب في سفر توراة موسى[1] » .

وعلى كل حال فإن النص الأخير من سفر التثنية دليل لا يقبل الشك على أن التوراة كتبت بعد موسى بمئات السنين ، لأن قبر موسى ـ وهو أعظم قائد وأكبر نبي في بني إسرائيل ـ كان معروفاً لهم طيلة قرون ، ثم عفى عليه الزمن وأصبح نسياً منسياً ، إثر الأحداث التي حصلت لبني إسرائيل ، وأعظمها خراب ودمار أورشليم ، وسبي اليهود الآشوري والبابلي . ومن المعروف أن اليهود أكثر الناس محافظة على تراثهم وتقاليدهم وتاريخهم ، ومن البعيد أن ينسى قبر موسى لولا تلك الأحداث العظيمة التي شتّتتهم وأخرجتهم من وطنهم ، وذكر ضياع قبر موسى في آخر سفر التثنية دليل على أن كتابة التوراة كانت بعد مئات السنين من موت موسى وضياع قبره .

ثم إن التوراة الحالية مقطوعة السند لا تتصل بموسى ولا بمن كتبها بعد موسى ، وليس لدينا علم بعزرا من هو؟ ومدى معرفته وحفظه للتوراة ؛ ولا يعلم من أين أخذ ما جمعه من التوراة ؛ هذا بالإضافة إلى أن التوراة الحالية حرّفت كثيراً عما كانت عليه أولاً حينما كتبت .

قال ول ديورانت :

ترى ماذا كان « كتاب شريعة موسى » هذا ؟ لم يكن هذا الكتاب هو بعينه « كتاب العهد » الذي قرأه يوشيا من قبل ، لأن هذا العهد قد جاء فيه بصريح العبارة أنه قرىء على اليهود مرتين كاملتين في يوم واحد ، على حين أن قراءة الكتاب الآخر قد احتاجت إلى أسبوع كامل . وكل ما في وسعنا أن نفعله هو أن نحرز أن الكتاب الكبير كان يحتوي على جزء هام من أسفار العهد القديم الخمسة يسميها اليهود « تورة » ويسميها غيرهم البنتاتوش أو الأسفار الخمسة .

---

(١) يشوع : ٨/ ٣٠ ـ ٣١ .

كيف كتبت هذه الأسفار ؟ وأين كتبت ؟ ذلك سؤال بريء لا ضير منه ، ولكنه سؤال كتب فيه خمسون ألف مجلد ، ويجب أن نفرغ منه هنا في فقرة واحدة نتركه بعدها من غير جواب :

إن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هما القصتان المتشابهتان المنفصلة كلتاهما عن الأخرى في سفر التكوين ، تتحدث إحداهما عن الخالق باسم « يهوه » على حين تتحدث الأخرى عنه باسم إلوهيم . ويعتقد هؤلاء العلماء أن القصص الخاصة بيهوه كتبت في يهوذا ، وأن القصص الخاصة بإلوهيم كتبت في إفرايم ، وأن هذه وتلك قد امتزجتا في قصة واحدة بعد سقوط السامرة . وفي هذه الشرائع عنصر ثالث يعرف بالتثنية ، أكبر الظن أن كاتبه أو كتابه غير كتاب الأسفار السالفة الذكر . وثمة عصر رابع يتألف من فصول أضافها الكهنة فيما بعد . والرأي الغالب أن هذه الفصول تكوّن الجزء الأكبر من « سفر الشريعة » الذي أذاعه عزرا ، ويبدو أن هذه الأجزاء الأربعة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق . م .

وكانت أساطير الجزيرة هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد . ولقد رأينا صوراً قديمة من هذه القصص فيما مرّ بنا من صفحات هذا الكتاب ، ولعل اليهود قد أخذوا بعضها من الأدب البابلي في أثناء أسرهم . ولكن أرجح من هذا أنهم أخذوها قبل ذلك العهد بزمن طويل من مصادر ساميّة وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى[1] .



(١) قصة الحضارة : ٢/ ٣٦٦ - ٣٦٨ .

التـوراة الحاليـة

تتألف التوراة الحالية من ٣٩ سفراً وهي مرتّبة على الصورة التالية :

١ ـ سفر التكوين .
٢ ـ سفر الخروج .
٣ ـ سفر اللاويين .
٤ ـ سفر العدد .
٥ ـ سفر التثنية .
٦ ـ سفر يشوع .
٧ ـ سفر القضاة .
٨ ـ سفر راعوث .
٩ ـ سفر صموئيل الأول وهو الملوك الأول .
١٠ ـ سفر صموئيل الثاني وهو الملوك الثاني .
١١ ـ سفر الملوك الأول وهو الملوك الثالث .
١٢ ـ سفر الملوك الثاني وهو الملوك الرابع .
١٣ ـ سفر الأيام الأول .
١٤ ـ سفر الأيام الثاني .
١٥ ـ سفر عزرا .
١٦ ـ سفر نحميا .
١٧ ـ سفر أستير .

١٨ ـ سفر أيوب .
١٩ ـ سفر المزامير .
٢٠ ـ سفر الأمثال .
٢١ ـ سفر الجامعة .
٢٢ ـ سفر نشيد الأنشاد .
٢٣ ـ سفر إشعياء .
٢٤ ـ سفر إرميا .
٢٥ ـ سفر مراثي إرميا .
٢٦ ـ سفر حزقيال .
٢٧ ـ سفر دانيال .
٢٨ ـ سفر هوشع .
٢٩ ـ سفر يوئيل .
٣٠ ـ سفر عاموس .
٣١ ـ سفر عويَديا .
٣٢ ـ سفر يونان .
٣٣ ـ سفر ميخا .
٣٤ ـ سفر ناحوم .
٣٥ ـ سفر حبقوق .
٣٦ ـ سفر صفنيا .
٣٧ ـ سفر حجي .
٣٨ ـ سفر زكريا .
٣٩ ـ سفر ملاخي .

إختلاف التوراة في نسخها

هناك ثلاث نسخ للتوراة وهي تختلف عن بعضها البعض :

١ ـ التوراة السامرية ، وهي التي تتألف من الأسفار الخمسة الأولى . والتوراة العبرانية التي تتألف من ٣٩ سفراً ، وهذه تختلف أيضاً عن التوراة اليونانية ، وكثير من المحققين يذهبون إلى أن التوراة السامرية هي المعتبرة : كنيكان ـ وكِنت ـ

وهيوبي - وهيلز ، وهم يصرّحون أن اليهود حرّفوا العبرانية .

وهناك اختلاف كبير في التواريخ التي تذكرها هـذه النسخ ، ولا يمكن الجمع بينها ، ونحن نشير إلى بعضها من باب التنبيه فقط :

الأسماء	العمر في العبرانية	السامرية	اليونانية
آدم	١٣٠	١٣٠	٢٣٠
شيث	١٠٥	١٠٥	٢٠٥
أنوش	٩٠	٩٠	١٩٠
قينان	٧٠	٧٠	١٧٠
أخنوخ	٦٥	٦٥	١٦٥
نوح	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠

فإذا ما أردنـا أن نعرف تـاريخ مـا بين خلق آدم وطوفـان نوح نجـد كل واحـدة تحـدده بتـاريـخ يختلف عن الأخـرى فـالعبـرانيـة تحـدده بـ (١٦٥٦) والسـامـريـة بـ (١٣٠٧) واليونانية بـ (٢٢٦٢) وهذا مما يستحيل وقوعه .

وإذا رجعنـا إلى عمر نـوح يوم الـطوفان نجـد الثلاثـة تتفق على أنـه ابن ٦٠٠ سنة ، وآدم عمره ٩٣٠ كما جاء في سفر التكوين ٥/ ٥ ، ولازم النسخة السامـرية أن نوحاً كان عمره حين وفاة آدم ٢٢٣ ، وهذا باطل بـالضرورة لأن نـوحاً لم يعـاصر آدم إطلاقاً ؛ كما أن العبرانية واليونانية تكذّب ذلك حيث تقول الأولى : ولد نوح بعد وفاة آدم بـ ١٢٦ سنة والثانية بـ ٧٣٣ سنة .

وهناك الكثير من الاختلافات بين تواريخ هذه النسخ ، وقد ذكرنا مثالاً للتـدليل على أن هـذه الكتب ليست هي من كتب الوحي ، بـل ليست هي من كتـابـة شخص واحد ، وإلا لما كان هذا الإختلاف الفاحش بينهمـا ؛ ومن شاء الإطـلاع على مزيـد من هذه الإختلافات بين النسخ المذكورة فليقارن بين النسخ في تاريخ ما بين الطوفان وولادة إبـراهيم ، وهل أن مـوسى أمر ببنـاء معبد على جبـل عيبـال أو جـرزيم وهمـا متقابلان تماماً ، وهنـاك عدة كلمـات في التوراة تـدل على أن التوراة ليست لمـوسى (عليه السلام) فراجع :

التكـوين ١٤/ ١٤ ، التثنيـة ٣٤/ ١ ، يشـوع ١٩/ ٤٧ ، القضـاة ١/ ١ ،

وغيرها من المواضع ؛ كما أن هناك مواقف تظهر أنها جاءت بعد عصر موسى نفسه ؛ فهناك القوانين التي تحكم الشعب في عصر الزراعة عندما استقر بنو إسرائيل في أرض كنعان بعد موت موسى بسنوات عديدة ، الخروج ٣٤/ ٢١ ـ ٢٦ .

وهناك قوانين تختص بالحج إلى حبرون ، وبعدها إلى أورشليم في وقت المواسم والأعياد (التثنية ١٢/ ١٨ ـ ٢٢ وغيرها) وهذه الأمور وغيرها إنما حدثت بعد موت موسى بأيام طويلة ، فلا يمكن أن تكون هذه الأسفار من كتابة موسى .

كيف كبرت واتّسعت التوراة الحالية

يحق لكل باحث أن يتساءل في نفسه ويقول : إذا كانت التوراة كتبت على يد عزرا وغيره بعد مئات السنين من موت موسى بن عمران (عليه السلام) ، والمتفق عليه أن التوراة كانت خمسة أسفار وهذا ما تدل عليه التوراة نفسها ، كما جاء في آخر سفر التثنية كما تقدم ، وعليه : كيف كبرت التوراة وأصبحت تحتوي على ٣٩ سفراً ، وأصبحت بهذا الحجم الضخم ؟ والجواب على هذا السؤال سوف يتضح لنا كاملاً عندما نطّلع على عقيدة اليهود عبر التاريخ ، وكيف تطورت ، وقبل ذلك لا بدّ لي أن أنقل كلام صاحب معجم اللاهوت الكتابي[1] ،حيث قال في هذا الشأن : فإن النصوص (التوراة) موضوعة جميعها على فم موسى ، وفي إطار الكلام عن الإقامة في سيناء . وذلك لا يعني أن التوراة لم تحظ بالتوسّع على مرّ الزمان ، فإن النقد الداخلي يرى بصوابٍ أنها تحتوي على مجموعات أدبية متنوعة ، مختلفة فيما بينها من حيث الأسلوب والطابع ، وذلك يدل على أن تراث موسى قد سلّم عن طريق قنوات مختلفة تبعاً لمصادر كتب التوراة الخمسة ، وقد أعيد جمع هذا التراث وتمّ تطويره أكثر من مرة حتى يتلاءم وضرورات الزمن . .

وإن الكهنة ـ بحكم وظيفتهم ـ هم المؤتمنون على التوراة . . . فعنهم إذاً

---

(١) كتاب معجم اللاهوت الكتابي ص ٤٤٣ تأليف الأب الفرنسي كزافييه دوفور وقد صدر باللغة الفرنسية تحت إسم

Vocabulaire de théologie bibique
Troisieme édition 1974
Les Editions Du CERF, Paris.

وقد ترجمه جمع غفير من كبار علماء النصارى وطبعته دار المشرق المسيحية في بيروت باللغة العربية عام ١٩٨٦ .

تصدر مجموعة الأحكام التشريعية ، وتحت إشرافهم قد تمّ التوسّع في التوراة .

وقال مترجمو الكتاب المزبور في المقدمة ، وهم من علماء النصارى ، بعد سرد الاختلافات في أسلوب الكتاب المقدس ، واختلاف كتبه وتاريخها ، بعد ذلك كله قالوا :

« هذا كله يوضح لنا أن الكتاب المقدس هو مكتبة كاملة متعددة الكتب والأساليب والآراء والمؤلفين والأهداف ، وأنه كتب طوال قرون عديدة ، وبواسطة كتّاب مختلفين ، وفي مواقف وبيئات متعددة الأهداف والأغراض[1] » .

ومن الواضح أن كلام علماء النصارى في معجم اللاهوت الكتابي يوضح لنا حقيقة مهمة ، وهي أن الفكر الديني عند اليهود كان يتّسم بظاهرة يتفرد بها عن جميع الأديان السماوية الأخرى ، وهي بقاء الوحي مفتوحاً على مصراعيه لكل ألوان التطور ، مع الحفاظ على الوحي الأول الذي يتعارض تماماً مع الأخير ، ولذا تجد أن اليهودي اليوم يختلف كلياً عن اليهودي في عصر موسى وهارون ، ومن هنا يجد الباحث نفسه أمام عدة أديان ومجتمعات مختلفة ومتناقضة ، غريبة عن بعضها البعض ، لا تتفق إلا في الإسم ؛ ويجد أيضاً أن التوراة الحالية عبارة عن كشكول من العقائد والتقاليد والأفكار ، التي لا تختص باليهود الذين تأثروا كثيراً بعادات وتقاليد الأمم التي جاورتهم ، فأخذوا عنها تلك الأحكام والتقاليد ، واستفادوا من أفكارها وثقافاتها .

وهنا يتجلى الفرق الكبير بين القرآن والكتاب المقدس ككل ، حيث إن القرآن الذي بين أيدي المسلمين هو نفس القرآن الذي نزل على رسول الله محمد بن عبد الله (ص) وقد كمل كله خلال ٢٣ سنة من بعثة النبي (ص) إلى وفاته ، وكان النبي حريصاً على كتابته ، لذا عيّن له كتّاباً كتبوه في عهده ، وكان يراجعه ويخبرهم بانتهاء السور ، حتّى أن النساء كنّ يكتبن الوحي أيضاً في عهد رسول الله (ص) فقد روى الإمام أحمد في مسنده وغيره أن ورقة بنت عبد الله بن الحارث أسلمت وبايعت رسول الله وروت عنه ، وكان رسول الله يزورها ويسميها الشهيدة ، وكانت قد جمعت القرآن في عهده[2] .

---

(١) المصدر السابق في المقدمة ص ١١ .

(٢) مسند أحمد : ٦/ ٤٠٥ ، طبقات ابن سعد : ٨/ ٤٥٧ ، التراتيب الإدارية : ١/ ٤٧ ، دلائل النبوة للبيهقي : ٦/ ٣٨١ .

فالقرآن الذي جمع في عهد رسول الله لا يوجد أي شبه بينه وبين النصوص المقدسة الأخرى التي بين أيدي اليهود والنصارى ، لا من قريب ولا من بعيد ؛ حيث إن هذه الكتب زيد عليها الكثير بحسب تطوّر الزمن ؛ فالقرآن هو محور الشريعة الإسلامية ، وبه ختم الوحي .

بينما يختلف الأمر كثيراً فيما يتّصل بتوراة موسى في الديانة اليهودية ، فهي لم تعد أكثر من حلقة من سلسلة طويلة جداً من نصوص لها عند اليهود نفس التقديس ، تشمل كتب الأنبياء الأوائل والأواخر ، وأسفار الحكمة ، حتى تشمل المشنا والتلمود والمدراش ، وبالرغم مما يقوله اليهود من أنّ كل هذه النصوص تتفق مع بعضها البعض ، وهي ترفع بطريقة تعبّديّة ميتافزيقيّة إلى موسى بن عمران ، ولكن التطور الفكري مع الزمن ، والتأثر بالتيارات الروحية والفلسفية الأجنبية يبدو فيها واضحاً ، وعليه : فباب الوحي يبقى مفتوحاً ، وخاصة أن التنبؤ عند اليهود أسهل من شرب الماء ، فإذا أردت أن تكون نبيّاً فما عليك إلا أن تفعل كما أوصى صموئيل لشاول :

« إنّك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم ربابٌ ودفٌ ونايٌ وعودٌ وهم يتنبأون ، فيحلّ عليك روح الربّ فتتنبأ معهم ، وتتحول إلى رجلٍ آخر[1] » .

فالتوراة لم تكتب في زمان واحد ولا في مكان واحد ، ولا على يد كاتب واحد؛ وقد تجد أن سفراً أوله لكاتب وآخره لآخر، فمثلاً: سفر إشعياء تجد أن له عدّة كتّاب فمن أول أصحاح منه إلى ٤٩ لكاتب ، ومن ٤٩ إلى ٥٥ لكاتب آخر ومن ٥٦ إلى ٦٦ لكاتب أو كتّاب مجهولين . والذي يدل على ذلك أن مؤلف الأصحاح الأول كان ينظر إلى يهوذا نظرةً خلاف نظرة الكاتب الثاني ، الذي عمل على إعادة اليهود إلى دينهم القديم ، ولكن بمستوى رفيع لم يرق إليه دين من الأديان في ذلك الوقت ؛ فبينما بوذا في الهند ينادي بقمع الشهوات ، وبينما كان كنفوشيوس من الصين يصوغ الحكمة لشعبه كان (إشعياء الثاني) يعلن لليهود المنفيين إلهاً جديداً شفيقاً عليهم رحيماً بهم ، يفوق في شفقته ورحمته ما كان عليه يهوه الغضوب ، كما صوّره إشعياء الأول ، فقد وجد هذا الكاتب أن يهوه ليس إله حرب وانتقام ، بل أباً محباً[2] وهذا ممّا يدل على تأثر اليهود بأفكار وتعاليم الأمم الأخرى ؛ فهذا يهوه

---

(١) صموئيل الأول : ١٠/ ٥ ـ ٦ .

(٢) قصة الحضارة : ج ٢/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣ .

الغضوب الحزين المنتقم يتحول إلى يهوه آخر ، يحمل آيات الحق والرحمة لشعبه :

« هوذا الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له . . . كراعٍ يرعى قطيعه ، بذراعه يجمع الحملان ، وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات[1] » .

والحاصل أن التوراة لم تكتب على يد كاتب واحد ، ولا في زمن واحد ؛ وقد كتبت خلال عدة قرون ، وعلى يد عدة كتاب مجهولين ؛ وهذا ما ذهب إليه العلماء والمفكرون من النصارى واليهود ، وكل من سبر الكتاب المقدس يلمس هذه الحقيقة بنفسه . قال ول ديورانت :

« كتب اليهود بالعبرية أو الآرامية أو اليونانية روائع خالدة ، كأسفار الجامعة ودانيال ، وأجزاء من الأمثال والمزامير ، والجزء الأكبر من الأسفار الأبوكريفية ؛ كتبوا بعضها في أورشليم ، ومعظمها في الاسكندرية ، وبعضها الآخر في غيرهما من موانىء شرق البحر الأبيض المتوسط ، وكتبوا تواريخ كسفر الأخبار ، وقصصاً صغيرة كأستير ويهوديت وأناشيد للأسر كسفر طوبيت »[2] .

وقد أغلق اليهود باب الوحي اللفظي عند هذا الحدّ من التوراة الحالية ، وإن بقي باب التطور والزيادة في التلمود وغيره من الشريعة الشفوية مفتوحاً ؛ وذلك قبل نهاية القرن الثالث ق . م ، عندما فرغ علماء المجمع العظيم من نشر الأدب القديم كله ، وانتهوا من كتب العهد القديم ، وقد حكموا في ذلك الوقت أن عصر الأنبياء قد انقضى ، وأن الوحي اللفظي قد انتهى زمنه ، وكانت نتيجة هذا الحكم أنَّ كثيراً مما كتب في ذلك العصر ـ وإن كان مليئاً بالحكمة والجمال ـ لم تتح له فرصة السند الإلهي ، فكان نصيبه أن يصبح جزءاً من أسفار الأپكريفا المنكودة[3] .

وأما باب التطور في الدين ، والأخذ بنظريات الآخرين ، والتأثر بها فهو لا

---

(١) المصدر السابق : ٢/ ٣٦٣ .

(٢) قصة الحضارة : ج ٨/ ٩٣ .

(٣) قصة الحضارة : ٨/ ٩٤ ـ الأسفار الأپكريفا (الخفية) هي الأسفار التي استبعدت من النص اليهودي للعهد القديم الموحى به ، وقد اشتملت عليها النسخة الكاثوليكية للكتاب المقدس كسفر الحكمة ، وسفر الكابيين ، والنبوآت الإلهية .

يـزال مفتوحـاً ؛ وقد تـأثر علمـاء اليهود بـالفكـر الإسـلامي وأخـذوا الكثيـر من أدلـة المتكلمين المسلمين وجعلوهـا أدلة على مـذهبهم كمـا سـوف يـأتي . ولا يخفى أن البحث حـول تطور العقيـدة اليهوديـة عبر التـاريخ مـوضوع شـائك وعميق ، ولكننـا سوف نتناوله بالبحث على نحو الإجمال وبمقدار ما يسمح به الوقت .



إله التوراة في صورته البدائية

اخترت هذا العنوان موضوعاً للبحث لأنه أهم موضوع في التوراة ، ولما فيه من التطور العظيم في الفكر اليهودي ، وهو خير موضوع نتناوله بالبحث والتحقيق ، ومن خلاله نتعرف على سائر المواضيع الأخرى ؛ وقد اعتمدت في هذه الأبحاث بالدرجة الأولى على التوراة ، وكلمات وآراء كبار العلماء والمفكرين من اليهود والنصارى ، كما أنني أكثرت من نقل كلماتهم وعرضها بنصّها حتى تكون حجة على أهل الكتاب ، وحتى لا نتّهم بالغلو والمبالغة في النتيجة .

إن من يطالع التوراة ويتتبعها في حديثها ووصفها للإآله يجد أنّ العقيدة اليهودية مرّت بثلاث مراحل في تطورها :

المرحلة الأولى : المرحلة البدائية ، وهي عبادة بني إسرائيل للحيوانات كالبقر والضأن والمعز والحيّات ، وخاصة العجل .

المرحلة الثانية : عبادة الأصنام التي كانت ترمز إلى آلهة الوثنيين : كبعل وعشتروت .

المرحلةالثالثة : عبادة الإله الذي على صورة الإنسان ، الذي يغضب ويحزن ويبطش بأعدائه ؛ وهذه المرحلة تطورت شيئاً فشيئاً إلى أن أصبح هذا الإله يحمل صفات الحب والعطف والحكمة ، بحسب تطور الزمن واختلاط اليهود بغيرهم من الأمم ، وتأثرهم بعلومهم وثقافاتهم .

الإله في صورته البدائية

أما المرحلة الأولى ، وهي مرحلة ظهور اليهود على مسرح التاريخ ، فقد كانوا بدواً رحّلًا يخافون شياطين الهواء ، فيعبدون الصخور والماشية والضأن ، وأرواح الكهوف والجبال ، ولم يتخلّوا قطّ عن عبادة العجل الذهبي لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم ، منذ كانوا في مصر ؛ وظلّوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان آكل العشب رمزاً لإلّههم .

وفي تاريخ اليهود الباكر شواهد كثيرة تدل على أنّهم عبدوا الأفعى ، ومن هذه الشواهد صورة الأفعى التي وجدت في أقدم آثارهم ، وكانت الأفعى تبدو حيواناً مقدساً لليهود ، كما كانت تبدو لشعوبٍ كثيرةٍ عداهم ، وذلك لأنها رمز للذكورة المخصبة من جهة ، ولأنها من جهة أخرى تمثل الحكمة والدهاء والخلود ، فضلاً عن أنها تستطيع أن تجعل طرفيها يلتقيان[1] .

والحق أن اليهود كانوا متأثرين بالأمم التي كانوا يعيشون في ظلها أو معها أكثر مما يتأثرون بأنبيائهم ، ولذا نجد عقيدتهم لا تتطور إلا بتطوّر عقائد الأمم الأخرى ، مع وجود الأنبياء بينهم وكثرة عددهم في بني إسرائيل ، فإن الله سبحانه وتعالى لم يبعث لِأمّةٍ من الأمم ما بعث لبني إسرائيل من الأنبياء ، من حيث الكثرة ، وهذه الحقيقة تظهر لنا واضحة من خلال هذا البحث .

وبما أن الأمم التي عاصرها اليهود في أول تاريخهم كانت تعبد الصخور والحيوانات والعجل خاصة ، والحيّات ، فإنهم عبدوها كما عبدتها تلك الأمم .

فقد كان الفرس يعظمون الثور لما له من قدرة عظيمة على الإخصاب ، كما كانوا يصلّون للبقرة ويقرّبون لها القرابين[2] وأكثر الحيوانات قدسيّة عند الهندي هي البقرة ، ومن هنا نشاهد حتى اليوم تماثيل البقر مصنوعة من كل مادة ومن شتّى الأحجام ، تراها في المعابد والمنازل والميادين والمدن ؛ والبقرة نفسها من أحبّ الكائنات الحيّة جميعاً إلى الهنود ، ولها مطلق الحرية في ارتياد الطرقات ، وروثها يستخدم وقوداً أو مادة مقدسة يتبركون بها ، وبولها خمر مقدس يطهّر كل ما في

---

(١) قصة الحضارة : ج ٢/ ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٢) قصة الحضارة : ج ٢/ ٤٤١ .

الجسم من نجاسة في الظاهر والباطن[1] .

كما أن الشعب الكريتي الـذي كان يعيش عـام ٢٠٠٠ قبل الميـلاد في جزيـرة كـريت كان يعبـد الجبال والمغـارات ، والعـدد ٣ ، والأشبـار والأعمدة ، والشمس والقمـر ، والمعز والأفـاعي والثيران ، وكـان يعظّم الثـور والأفعى لما فيهمـا من قـوة منتجة [2] .

كما أن اليونان كانوا يقدّسون الثور لقوته وقـدرته ، وكثيـراً ما كـان يوصف بـأنه رفيق لزيوس وديونيس ، أو صورة لهمـا تنكّرا فيهـا ، أو رمزاً لهمـا ، وربما كـان إلهاً قبلهما ؛ كما أنهم كانوا يقدّسون الحية ويقدّمـون لها القـربان ، وكـانت تسكن باطن الأرض وتسمى بـاسم لزيـوس تكريمـاً لها ، وسـواءً كان تقـديسهم لـلأفعى لأنهـا لا تموت في نظرهم أم لأنها ترمز إلـى القدرة على التناسل والإنتـاج . فإنّـا نراهـا تنتقل في صورة إلهة من أفعى كريت أثينة القـرن الخامس ، فقـد كانت أفعى مقـدسة تقيم في هيكل أثينة على الأكروپوليس ، وكان يقدّم إليهـا في كل شهر كعكة مقـدسة زلفى إليها واستدراراً لعطفها ، وكثيراً ما ترى الأفعى في الفن اليوناني حول تماثيل هـرمس وأيلو ، وكثيراً ما كانت تتخذ رمزاً للإله الحارس للهيـاكل والمنـازل ، أو صورة لهـذا الإله[3] .

وأمـا الهنود فـلا يزالـون حتى اليوم يقدّسون الحيّـة ، ويقيمـون لهـا التمـاثيـل الضخمـة في المعابـد وعلى الطرقـات والساحـات العامـة والبيوت ، وخـاصة الحيـة المعروفة (كوبرا) وهم يربّونها في بيوتهم كما يربّـون الحيوانـات الأليفة مثـل القطط والحمام ، ومن يذهب للهند اليوم يشاهد ذلك بأم عينه .

ولو سبرنا تاريـخ الأديان البـدائية عنـد عامـة شعوب العـالم نجد عبـادة الثيران والأفاعي والحيوانات والجبال وغير ذلك مـوجودة في تـاريخ الأديـان السحيق ، وكان لبني إسـرائيل الـدور الكبير في عبـادة العجل والأفعى ، وهـذا مـا نجـده في التـوراة الحالية ، فـإن اليهود عـاشوا في مصـر عشرات السنين وشـاهدوا تقـديس المصريين للثور ، وخاصة للعجل (أبيس) حيث كان لهم عنايـة خاصـة به ، وكـانوا إذا مـاتت

---

(١) قصة الحضارة : ج ٣/ ٢٠٨ .

(٢)قصة الحضارة : ج ٦/ ٢٨ ـ ٢٩ .

(٣) قصة الحضارة : ج ٦/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

العجول حنّطوها كما يحنّطون الإنسان ، ودفنوها في مقبرة خاصة في جهة سقارة تسمى (سرابيوم) .

وبعد أن حرّرهم موسى من عبودية فرعون ، وأقام لهم أعظم معجزة في تاريخهم ، حيث فلق لهم البحر حتّى عبروه ، وأغرق الله فرعون وجنوده ، فبعد أن عبروا ولم تجفّ أرجلهم وجدوا قوماً عاكفين على أصنام لهم فقالوا لموسى :

﴿ اجعل لنا إلّهاً كما لهم آلهة ، قال إنّكم قوم تجهلون ﴾[1] .

ولما أبطأ عليهم موسى حينما ذهب لميقات ربه ، عند ذلك استغل السامريّ الفرصة وصنع لهم عجلاً فعكفوا عليه وكادوا يقتلون هارون ، فلما رجع موسى من ميقات ربّه واقترب من القوم قال له يشوع :

« صوت قتال في المحلة ، فقال(موسى) : ليس صوت صياح النصرة ولا صوت صياح الكسرة ، بل صوت غناءٍ أنا سامع ، وكان عندما اقترب إلى المحلة أبصر العجل والرقص حوله فحمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار ، وطحنه حتى صار ناعماً ، وذرّاه على وجه الماء »[2] .

ولهذه الجريمة العظيمة أمرهم موسى بقتل بعضهم البعض ، فوضعوا السيف في بعضهم البعض حتى قتل منهم ثلاثة آلاف عقاباً لهم على عبادة هذا الوثن[3] ومع ذلك لم يتتخلّ اليهود عن عبادة العجل ، وظلوا عاكفين عليه حتّى أُشربوا حبّه ؛ هذا مع شدة نهي أنبيائهم عن ذلك ، ولكن كلام الأنبياء لم يكن له ذلك الأثر في نفوسهم .

وبقوا على عبادة العجل طيلة حياتهم ، فقد عبد أهاب الأبقار وهو أحد ملوك بني إسرائيل جاء بعد سليمان بقرن تقريباً .

وقد أقام الملك يَربُعام لبني إسرائيل عجلي ذهب وقال لهم :

« كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم ، هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين

(١) سورة الأعراف : الآية ١٣٨ .
(٢) الخروج : ٣٢/ ١٧ ـ ٢٨ .
(٣) قصة الحضارة : ٢ / ٣٣٨ .

أصعـدوك من أرض مصر ، ووضـع واحداً في بيت إيـل ، وجعـل الآخـر في دان . . . وكـان الشعب يذهبـون إليهما وكـان الملك يـذبـح للعجلين اللذين عملهما[1] » .

ويقول حزقيال إنه رأى في الهيكل شتّى أنواع الرجاسـات الشريـرة التي عملها بنو إسرائيل :

« وكـان هناك كـلّ شكـل دبّـابـاتٍ وحيـوان نجس ، وكـل أصنـام بيت إسرائيل مـرسومـة على الحائط على دائـرة ، ويقف أمامهـا سبعون رجـلاً من شيوخ بيت إسرائيل وكل واحد مجمرته في يده ، وعطر عنان البخور صاعد ، ثم يقـول إن الرب قـال له : أرأيت يـابن آدم ما تفعله شيـوخ بني إسرائيـل في الظلام ، كلّ واحد في مخادع تصاويره يقولون : الرب لا يرانـا ، الرب تـرك الأرض[2] » .

وأما عبادة اليهود للحية فإن في تاريخهم شواهد كثيرة تدل على عبـادتهم لها ، فقد ظلّوا يعبدون الأفعى النحـاسية التي سمّـوها (نَحُشْتـان) وكانـوا يوقـدون لها في الهيكل ، وبقوا على ذلك قرونـاً عديـدة حتّى حوالي عـام (٧٢٠) ق . م . في عهد الملك حَزِقِيّا الذي كسر الأصنام وحطم الحيّة النحاسية[3] .

ولعـلّ الحية هي أعـظم المقدسـات عند اليهـود ، ونفهم ذلك من خـلال ذكـر التوراة لقصة خلق آدم وإعطاء الحية دوراً عظيماً ، وصفات مجيدة لا يتحلّى بها نفس إلـه التوراة ، وهـذه النكتة يجب أن يتنبـه لها العلمـاء والمفكرون ويـأخـذونهـا بعين الاعتبار ، ليعرفوا حقيقة العقيدة اليهودية .

ومن خلال الحوار الـذي دار بين الحية وحـواء ، وبين إله التـوراة نجد أن دور الحية يتّسم بالصدق والإخلاص ، وأنها أسدت أعظم خدمـة للبشر حيث دلّت حـواء على الخير ، وإليك هذا الحوار :

الحية : أحقاً قال الله لا تأكلا من كلّ شجر الجنة ؟

---

(١) الملوك الأول : ١٢/ ٢٨ ـ ٣٢ .

(٢) حزقيال : ٨/ ٩ ـ ١٢ .

(٣) الملوك الثاني : ١٨/ ٤ ـ ٥ .

حواء : إن الأكل من ثمر الجنة مباح لنا ، ولكن الشجرة التي في وسط الجنة منعنا الله من أكلها ومسّها ، لأن ذلك يؤدي بنا إلى الموت .

الحية : كلا لن تموتا ، بل الله عالم بأنكما إذا أكلتما من الشجرة تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين بالخير والشر .

حواء : أعجبها ثمر الشجرة وشجعتها الحية فأخذت من ثمر الشجرة وأكلت وأطعمت بعلها ، وما أن أكلا من الشجرة حتى انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان ، فخاطا لهما لباساً من ورق الشجرة وسترا عورتيهما ، وبينما إله التوراة يتمشى في الجنة سمعا صوته ، فاختبأ بين الأشجار ، وهنا نادى الرب آدم : أين أنت ؟ فأجابه آدم : سمعت صوتك فاختبأت لأني عريان .

الرب : من أعلمك أنك عريان ، هل أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها ؟

آدم : حواء هي التي أعطتني فأكلت .

وهنا غضب الإله وعاقب الحية باللعن والأكل من التراب ، وعاقب آدم وحواء أيضاً .

ثم قال : هذا هو الإنسان أصبح عارفاً بالخير والشر ، وربما يمدّ يده ويأخذ من شجرة الحياة فيأكل ويحيا إلى الأبد ، فطرد الإنسان من الجنة ، ووضع حرساً على طريق شجرة الحياة[1] .

وإذا أمعنّا النظر نجد أن التوراة جعلت الحية أصدق من إله التوراة ، لأن الحية قالت لحواء : إذا أكلت من الشجرة فسوف تعرفين الخير والشر ، وأما إله التوراة فقال : إذا أكلتما منها تموتان ، فلما أكلا عرفا الخير والشر ولم يموتا ، وعند ذلك خاف إله التوراة من أن يشاركه آدم في الإلهية والحياة الأبدية فأخرجه من الجنة ، ووضع حرساً على طريق الشجرة خوفاً من أن يأكل أحد منها ويحيا إلى الأبد .

وهذه القصة بنصها التوراتي هي من أعظم الجنايات على المجتمع البشري ، حيث إنها تصوّر الله بأنه يريد الجهل للإنسان ويخاف من أن يعرف الخير والشر فينازعه على الحياة الأبدية ، فلذا يكذب ، والحية تقدّم للإنسان أعظم خدمة بصدقها وإخلاصها ؛ وقد أسقطت التوراة جميع المقدسات وألغت فلسفة بعثة

(١) التكوين : ٣/ ٢ ـ ٢٤ .

الأنبياء ؛ ولا أعتقد أن كاتب التوراة كان يقدس الساحة الإلهية كما كان يقدس الحية ، وإلا لما أقدم على هذه الخيانة العظمى التي هي من أهم أضرار التوراة على المجتمع البشري .

وبما أن الأفعى لا تزال لها القداسة عند اليهود حتى اليوم ، فقد جعلتها الصهيونية العالمية شعاراً لها يرمز إلى الدولة العالمية لشعب الله المختار ، التي تسعى الصهيونية العالمية لتحقيقها بعد إسقاط وتدمير جميع الدول الحاكمة على المعمورة .

ولذا جعلت شعارها البلشفي محاطاً بالأفعى الملتفّة حوله على شكل الكرة الأرضية تماماً ، وهي قابضة على ذيلها .

وقد جاء ذكر الأفعى في أول البروتوكول الثالث من بروتوكولات حكماء صهيون :

« أستطيع اليوم أن أؤكد لكم أننا على مدى خطوات قليلة من هدفنا ، ولم تبق إلا مسافة قصيرة كي تتم الأفعى الرمزية شعار شعبنا دورتها ، وحينما تغلق هذه الدائرة ستكون دول أوروبا محصورة فيها بأغلال لا تكسر[1] » .



الشعار اليهودي ـ البلشفي
محوطاً بالأفعى الرمزية

وقال العالم الروسي سرجي نيلوس ، وهو أوّل مَنْ نشر البروتوكولات عام ١٩٠٦ ، وقد تنبَّأ بحدوث الثورة الشيوعية وما سيحل بأوروبا قبل وقوع ذلك ، قال في تفسيره لرمز الأفعى :

« ويستفاد من الصهيونية اليهودية السرية أن سليمان والعلماء اليهود من قبل قد فكروا سنة ٩٢٩ ق. م. في استنباط مكيدة لفتح كل العالم فتحاً سلمياً لصهيون ؛ وكانت هذه المكيدة تنفذ خلال تطورات التاريخ بالتفصيل ، وتكمل على أيدي رجال درّبوا على هذه المسألة ؛ هؤلاء الرجال والعلماء

(١) راجع مقدمة البروتوكولات ص ٥ و ١١٤ .

صمّموا على فتح العالم بوسائل سلمية مع دهاء الأفعى الرمزية التي رأسها يرمز إلى المثقفين في خطط الإدارة اليهودية ؛ وكان جسم الأفعى يرمز إلى الشعب اليهودي ، وكانت الإدارة مصونة سراً عن الناس جميعاً ، حتى الأمة اليهودية نفسها ؛ وعندما تنفذ هذه الأفعى إلى قلب الأمم التي اتّصلت بها ، تسرّبت من تحتها والتهمت كل قوةٍ غير يهودية في هذه الدول ؛ وحتى تكون الأفعى بهذه الطريقة قد أكملت التفافها حول أوروبا وتطويقها إياها تكون قد طوقت العالم أجمع ، وهذا ما يتمّ إنجازه باستعمال كل محاولة لإخضاع البلاد الأخرى بالفتوحات الإقتصادية . إن عودة رأس الأفعى إلى صهيون لا يمكن أن تتم إلا بعد أن تنحطّ قوى كل ملوك أوروبا » .

ثم تحدث عن سيطرة اليهود على الاقتصاد العالمي ، وتوصل اليهود إلى أهدافهم بواسطة النساء اليهوديات في صور الفرنسيات والإيطاليات ، لنشر الخلاعة والفساد والانحلال وتحويل المجتمعات إلى حيوانات لا يهمها إلا إشباع شهواتها ؛ والنساء في خدمة صهيون يعملن كأحابيل ومصائد لمن يكونون بحاجة للمال على الدوام من أجل شهواتهم ، كالرؤساء والقادة ، لذا يكون هؤلاء دائماً على استعداد لأن يبيعوا ضمائرهم من أجل المال والكراسي ، وهذا المال ليس إلا مقترضاً من اليهود لأنه سرعان ما يعود من طريق هؤلاء النسوة أنفسهن إلى أيدي اليهود الراشين ، ولكن بعد أن اشترى عبيداً لهدف صهيون من طريق هذه المعاملات المالية .

ثم بيّن رسم طريق الأفعى الرمزية كما يلي :

كانت مرحلتها الأولى في أوروبا سنة ٤٢٩ ق .م . في بلاد اليونان ، حيث شرعت الأفعى أولاً في عهد بركليس تلتهم قوة تلك البلاد .

وكانت المرحلة الثانية في روما في عهد اغسطس حوالي سنة ٦٩ ق.م .

والثالثة في مدريد في عهد تشارلس الخامس سنة ١٥٥٢ م .

والرابعة حوالي عام ١٧٠٠ في باريس في عهد الملك لويس السادس عشر .

والخامسة في لندن سنة ١٨١٤ وما تلاها بعد سقوط نابليون .

والسادسة في برلين سنة ١٨٧١ بعد الحرب الفرنسية الروسية .

والسابعة في سان بطرس برج الذي رسم فوقها رأس الأفعى تحت تاريخ ١٨٨١ .

كل هذه الدول التي اخترقتها الأفعى قد زلزلت أسس بنيانها . وقد تنبأ هذا

العالم بما وقع بعد ذلك وهو إسقاط الخلافة العثمانية للوصول إلى أورشليم فقال :

« ونحن نعرف الآن جيداً مقدار أهمية موسكو وألمانيا وبريطانيا من حيث هي مراكز للجنس اليهودي المحارب ، ولا يتم ذلك إلا بقهر روسيا التي ركزت عليها جهودها في الوقت الحاضر[1] والطريق المستقبلي للأفعى غير ظاهر على هذه الخريطة ، ولكن السهام تشير إلى حركتها نحو موسكو وكييف وأوديسا . . . وتظهر القسطنطينية[2] كأنها المرحلة الأخيرة لطريق الأفعى قبل وصولها إلى أورشليم ، ولم يبق أمام الأفعى إلا مسافة قصيرة حتّى تستطيع إتمام طريقها بضمّ رأسها إلى ذيلها[3] .

وبتاريخ ٣٠ كانون الثاني من عام ١٩٩١ وأنا أكتب هذه الأبحاث وجدت هذه الحقيقة ظاهرة بكل وضوح في حرب دول التحالف الغربي بزعامة أمريكا ومن يدور في فلكها ، وفي مقدمة هذه الدول فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وغيرها من دول العالم ضد النظام العفلقي المجرم المتسلّط على الشعب العراقي المظلوم ، ونحن وأنا كنا نعتقد بأن هذا النظام المجرم هو وجه من وجوه الحضارة الغربية التي زودته بالسلاح المدمّر ، ووقفت بجانبه ضد الجمهورية الإسلامية إلى أن طغى هذا النظام وتجبر ، فأعدّ العالم الغربي له فخاً أوقعه فيه ، فاحتل الكويت ظناً منه بالقدرة على التمسّك بها ، ولكن العالم الغربي المتعطش للدماء والإستعمار هبّ دفعة واحدة وشنّ تلك الحرب المدمّرة التي دمّر فيها العراق ، وأباد معالم ذلك البلد ، وقضى على غطرسة سفاح العراق صدام ثم تركه ليرجع إلى شعبه ويقوم بأعظم المجازر على مرأى ومسمع من الجيوش الغربية الجاثمة على أرض الرافدين .

إن هذه الحرب كانت تهدف في الواقع إلى أمرين : السيطرة على منابع النفط وإيجاد قاعدة عسكرية أمريكية في أرض الإسلام والدفاع عن إسرائيل بتدمير كل

(١) هذه النبوءة تنبأ بها الأستاذ نيلوس بسقوط القيصرية وقيام الشيوعية اليهودية الماركسية بدلها حسب الصورة التي رسمتها البروتوكولات قبل الثورة الشيوعية .

(٢) إن الأفعى اليهودية في طريقها إلى أورشليم قد مرت على القسطنطينية فدمرت الخلافة الإسلامية وأقامت دولة علمانية معادية للعرب بقيادة مصطفى كمال ، وانحياز تركيا لإسرائيل واعترافها بها ودخولها في الحلف الأطلسي دليل واضح على نجاح الخطة الصهيونية في الوصول إلى الهدف .

(٣) راجع بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٩٢ ـ ١٩٥ .

مصادر الخطر عليها ؛ والمستفيد الوحيد من هذه الحرب هو إسرائيل حيث استخدمت العالم الغربي لمصالحها ، فقد خسر الغربيون الرجال والمال ، وتحمّلوا الكثير من الأعباء في خدمة اليهود . وإسرائيل تتراقص طرباً لتحقُّق أهدافها وتدمير هذه الدول ؛ وما أن طالتها الصواريخ العراقية حتى هرع العالم الغربي يتسابق لتقبيل أعتاب تل أبيب وتقديم أحرّ التعازي للصهاينة . وقد نقل الغربيون إلى إسرائيل في أقل من ٢٤ ساعة صواريخ مضادة للصواريخ العراقية ، وهذا لم يحدث في تاريخ الحروب ؛ كما أن زعماء الغرب تسابقوا وتنافسوا لتقديم المساعدات المادية الهائلة لإسرائيل ، فوعدت الولايات المتحدة الصهاينة بتقديم ١٣ مليار دولار لإسكان مليون يهودي مهاجر من الإتحاد السوفياتي ، وقدمت ألمانيا المبالغ الكبيرة . وقد موّلت إسرائيل أعظم مشاريعها بواسطة هذه الحرب ، حيث استدرّت عواطف العالم الغربي وحلّت الكثير من مشاكلها الإقتصادية والسياسية مع العالم بواسطة هذه الحرب . وهذه الأحداث التي مرت في الأيام الأولى من حرب الخليج كشفت عن تحكم الصهاينة في العالم ، وتسخير الدول الغربية بكل طاقاتها لمصلحة إسرائيل ؛ ومن هنا نعرف حقيقة قول الدكتور أوسكار ليفي اليهودي :

« نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ومحركي الفتن فيه وجلاديه » .

عبادة اليهود للحجارة والصخور

إن اليهود كسائر الأمم البدائية الوثنية عبدوا الأحجار والشمس والقمر وغير ذلك ، والتوراة صريحة في عبادة بني إسرائيل لهذه الأشياء ، وبعد موسى بمئات السنين ، فهذا نبيّهم إرميا يبيّن لنا صورة حيّة عن عبادتهم وتمردهم وكفرهم فيقول :

« كخزي السارق إذا وُجد ، هكذا خزيُ بيت إسرائيل هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم ، قائلين للعود : أنت أبي ، وللحجر أنت ولدتني ، لأنهم حوّلوا نحوي القفا لا الوجه ، وفي وقت بليّتهم يقولون : قم وخلّصنا ؛ فأين آلهتك التي صنعت لنفسك ؟ فليقوموا إن كانوا يخلّصونك في وقت بليّتك ، لأنه على عدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا[1] » .

وهذه الصورة تذكّرنا بعرب الجاهلية قبل الإسلام ، حيث إن كل قبيلة كان لها

---

(١) إرميا : ٢/ ٢٦ ـ ٢٨ .

صنمها الخاص وإلهها الخاص ، وكان الرجل يحمل الحجر ويقول : هذا ربي ، فإذا وجد أحسن منه رماه وأخذ الثاني وقال : هذا ربي هذا أحسن .

وقد عبد اليهود الشمس والقمر والمنازل وكل أجناد السماء (الكواكب) ، فعندما قام الملك يوشيا بحملة التطهير وكسر الأصنام والآلات ، وهدم المعابد كانوا يوقدون في أورشليم للشمس والقمر والكواكب ، وكان للشمس خيل فأبادها[1] .

لقد ولج اليهود لجج بحار الوثنية حتى عبدوا الشمس والقمر والنجوم ، وقدموا من الإنسان ذبيحة وقرباناً لتلك الآلهة ، وكان نبيهم إرميا يعظهم وينهاهم ، فما كان جوابهم إلا أن قالوا :

« إننا لا نسمع لك الكلمة التي كلّمتنا بها باسم الرب ، بل سنعمل كل أمرٍ خرج من فمنا ، فنبخّر لملكة السماوات ، ونسكب لها سكائب كما فعلنا نحن وآباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا في أرض يهوذا وفي شوارع أورشليم ، فشبعنا خبزاً وكنا بخير ولم نر شرّاً ، ولكن من حين كففنا عن التبخير لملكة السماوات وسكب سكائب لها احتجنا إلى كلٍّ وفنينا بالسيف والجوع ؛ وإذ كنا نبخّر لملكة السماوات ونسكب لها سكائب فهل من دون رجالنا كنّا نصنع لها كعكاً لنعبدها ونسكب لها السكائب؟[2] » .

وفي زمن حزقيال ، وفي الهيكل بالذات وجد « عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو المشرق ، وهم ساجدون للشمس نحو المشرق»[3] .

المرحلة الثانية للتطور

وهذه المرحلة تكشف عن تطور فكرة الإله عند اليهود ، لا لما كانوا يسمعونه من أنبيائهم عن الإله ، وإنما تطور الفكر البشري عند الأمم الأخرى كان سبباً في التطور الفكري اليهودي ؛ وهذه التوراة خير شاهد على غضب الرب وإنزال العذاب على بني إسرائيل لأنهم أعرضوا عنه وعبدوا آلهة الآخرين[4] .

---

(١) الملوك الثاني : الأصحاح ٢٣/ ١١ فراجع .

(٢) إرميا : ٤٤/ ١٦ ـ ٢٠ .

(٣) حزقيال : ٨/ ١٦ .

(٤) راجع حزقيال : ٩/ ٤ ـ ١١ والملوك الثاني : الأصحاح ٢١/ ١٨ والأصحاح ٢٢/ ٢٦ ـ ٣٠ .

فبعـد أن قطعت البشـرية شـوطاً كبيـراً وتطورت فكـريـاً تـطورت فكـرة الآلهـة وتحولت من عبادة الحيوانات والصخور والشمس والقمر إلى عبادة البشر ، وكان لكل أمة آلهتها الخاصة وقد تابع بنو إسرائيل هذا التطور ، ولكنهم كانوا مقلّدة لغيـرهم من الأمم الأخرى ، فلم يبتكروا آلهة خاصّة بهم ، وإنما عبدوا آلهة الآخـرين ؛ فبعد أن مات يشوع بن نـون ارتدّ بنـو إسرائيـل وعبدوا البعليم وتـركوا الـرب إله آبـائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخـرى من آلهة الشعـوب الذين حـولهم ، وسجدوا لها وأغاظوا الرب ، وتركوه وعبدوا البعل وعشتروت ، فقـد عبدوا عشتـروت وبعل ، وكانوا يوقـدون لهما في أورشليم[1] في زمن الملك يـوشيّا الـذي قام بـأعظم حركة إصلاحية ، وحـطّم الأصنام ودعـا للعودة إلى شـريعة مـوسى ؛ وكانـوا يعبدون أيضاً تمّوز ويبكون عليه في الهيكل[2] .

وكان بعض اليهود يعظمون بعل الذي كان يُرمـز إليه بحجـاره مخروطيـة قائمـة كثيرة الشبه بلنجا إله الهندوس ، وذلك لأنـه في رأيهم الجوهـر الذكـر في التناسل، وزوج الأرض الذي يخصبها[3] .

والمذابح الكثيرة التي أقامهـا اليهود في شتى أرجـاء مملكة يهـوذا وفي الهيكل وحوله ، والإحـراق فيها مـا هي إلا عادات وثنيـة ، وإلا لم يقر دين من الأديـان حرق الحيوانات من أجل الرب .

قال ول ديورانت : وكثيراً ما كان الضأن يضحّى على المذابح البـابلية ، ولقـد وصلت إلينـا رقبة بـابلية هي سـابقة عجيبـة لكبش الفداء عنـد اليهـود والمسيحيين ، الكبش فداء الإنسان ، الكبش الذي يفدي به حياته[4] وفداء الإنسان بحيوان هـو في الواقع تطور لفكرة وثنية حيث إنهم كانوا يضحّون بأطفالهم ؛ وعلى مـرّ السنين تُركت هذه السنّة القبيحة واستُعيض عنها بذبح الحيوانات من الضأن والبقر وغيرها .

فقد كان السوريّون إذا أصابهم أمر جلل يضحّـون بأطفـالهم قربـاناً لبعـلٍ كما كان يفعل الفينيقيون . وكان الآباء يأتون إلى الحفل وقد أخذوا زينتهم كـأنهم في يوم

(١) القضاة : ٢/ ١١ ـ ١٣ .
(٢) الملوك الثاني : ٢٣/ ٥ ـ ١٣ .
(٣) قصة الحضارة : ٢/ ٣٣٩ .
(٤) قصة الحضارة : ٢/ ٢٢٢ .

عيد ، وكانت دقّات الطبول وأصوات المزامير تطغى على صراخ أطفالهم وهم يحترقون في حجر الإله ؛ وكانت القبائل الساميّة الضاربة في جنوبي سوريا ، والتي كانت تملأ الأرض باضطرابها ولغاتها تمارس عادات شبيهة بهذه العادات .

ولقد ظلَّ وادي نهر الأردن من عام ٢٨٠٠ ق.م. إلى حين استولى سرجون ملك آشور على السامرة ونبوخذ نصّر على أورشليم في عام ٥٩٧ ق .م ظل هذا الوادي ترويه دماء الضحايا البشرية التي تبتهج لها قلوب كثيرين من الأرباب والآلهة ، وذلك من دماء الصموريين في عهد السومريين ، ومن دماء اليهود وغيرهم ؛ كل ذلك من أجل استرضاء الآلهة بالدماء البشرية . وقد ضحّى ميشا ملك مؤاب بابنه الأكبر فأحرقه بالنار ليفكّ عن مدينته الحصار ، ولما أجاب ربّه دعاءه وقبل دماء ابنه ذبح سبعة آلاف من بني إسرائيل شكراً لله على نعمته[1] .

لقد اختلط اليهود بالأمم « وتعلّموا أعمالهم وعبدوا أصنامهم ، . . . وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان ، وأهرقوا دماً زكياً دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان ، وتدنّست الأرض بالدماء ، وتنجّسوا بأعمالهم وزنَوا بأفعالهم »[2] .

إنني أشعر بالعجز أمام بيان هذه الحقيقة ، وهي أن بني إسرائيل أشربوا في قلوبهم عبادة الأوثان ، وتمكنت منهم وسيطرت على حياتهم طيلة تاريخهم ، بحيث أصبحت الدعوة إلى عبادة الله من المنكرات ؛ وفاق عدد أنبياء آلهة الآخرين مئات الأضعاف . فهذا إيليا يدعو الناس إلى ربه ، فما كان من بني إسرائيل إلّا أن نظروا إليه نظرة سخط وازدراء ، ورموه بالإنحراف وتفريق بني إسرائيل ؛ فلما ضاق ذرعاً بهم دعاهم للمباهلة ليلقي الحجّة الأخيرة عليهم ، ويبيّن لهم ضلالهم وانحرافهم . وإليك ما جاء في التوراة :

« قال آخاب لإيليا : أنت هو مكدّر إسرائيل ، فقال : لم أكدّر إسرائيل ، بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب ، وسيرك وراء البعليم ؛ فالآن أرسل واجمع إليّ كل إسرائيل إلى جبل الكرمل ، وأنبياء البعل الأربع مائة والخمسين ، وأنبياء السواري الأربع مائة ؛ فتقدم إيليا إلى جميع الشعب

(١) قصة الحضارة : ج ٢/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .
(٢) المزامير : ١٠٦/ ٣٥ ـ ٣٩ .

وقال : حتّى متى تعرجون بين الفرقتين ؟ إن كان الرب هو الله فاتّبعوه ، وإن كان البعل فاتبعوه ؛ فلم يجبه الشعب بكلمة . ثم قال إيليا للشعب : أنا بقيت نبيّاً للرب وحدي ، وأنبياء البعل أربع مائة وخمسون رجلاً ، فليعطونا ثورين فليختاروا لأنفسهم ثوراً واحداً ويقربوه لإلّهم ، فإن اشتعلت النار بنفسها وأكلته فإلّهم على حق ، وأنا أقدّم ثوراً وأدعو إلهي ، فإن أكلته النار فهو إله الحق[1] » .

إن هذه الحادثة تعطينا صورة واضحة عن سعة عبادة الأصنام في المجتمع اليهودي ، وأن نسبة أنبياء الله إلى أنبياء الآلهة الأخرى نسبة واحد إلى أكثر من ثمان مائة وخمسين كما هو ظاهر النص ، وهذه نسبة عظيمة جداً .

ومهما كان انحطاط الأمم في عبادتها للأصنام فهي لا تصل إلى ما وصل إليه اليهود من انحطاط في عبادتهم البدائية للأصنام ، والتوراة تحكي لنا صوراً من أقبح وأبشع أنواع صور عبادة الأوثان ، فلقد كان اليهودي يأخذ الخشب من الأشجار « فيصنع منه صنماً لنفسه يسجد له . ثم يوقد النار على نصفه ليأكل عليه لحماً مشوياً ، فيشبع ويتدفأ ويقول : بخ بخ قد تدفأت ، رأيت ناراً ؛ ثم يتخذ باقي الصنم الذي لم يحترق إلهاً لنفسه يبخر له ويسجد ويصلي إليه ويقول نجّني لأنك أنت إلهي[2] » .

ومن أجل تتميم الفائدة ، وإعطاء صورة مصغّرة عن عصيان وتمرّد بني إسرائيل الدائم ، وعبادتهم للأصنام وآلهة الآخرين ، وقتلهم لأنبياء الله بالسيف[3] أنقل للقارىء الكريم نص بعض فقرات الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثاني ، لأن فيه صورة عمّا في سائر الأسفار الأخرى .

« وكان أن بني إسرائيل أخطأوا إلى الربّ إلههم الذي أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر واتّقوا آلهةً أخرى وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الربُّ من أمام بني إسرائيل وملوك إسرائيل الذي أقاموهم ، وعمل بنو إسرائيل سرّاً ضدّ الربّ إلههم أموراً ليست بمستقيمة ،

---

(١) الملوك الأول : ١٨/ ١٧ ـ ٢٤ .
(٢) إشعياء : ٤٤/ ١٥ ـ ١٧ .
(٣) الملوك الأول : ١٩/ ١٠ .

وبنو لأنفسهم مرتفعاتٍ في جميع مدنهم من برج النواطير إلى المدينة المحصنة . وأقاموا لأنفسهم أنصاباً وسواري على كل تلٍّ عالٍ وتحت كل شجرةٍ خضراء . وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذي ساقهم الربُّ من أمامهم ، وعملوا أموراً قبيحة لإغاظة الربّ . وعبدوا الأصنام التي قال الربُّ لهم عنها لا تعملوا هذا الأمر . وأشهد الربُّ على إسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راءٍ قائلاً : ارجعوا عن طرقكم الرديّة واحفظوا وصاياي فرائضي حسب كلّ الشريعة التي أوصيت بها آباءكم والتي أرسلتها إليكم عن يد عبيدي الأنبياء . فلم يسمعوا بل صلّبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالربّ إلههم . ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم وشهاداته التي شهد بها عليهم ، وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً ووراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الربُّ أن لا يعملوا مثلهم . وتركوا جميع وصايا الربّ إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكاتٍ عجلَين وعملوا سواري وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل . وعبّروا بنيهم وبناتهم في النار ، وعرفوا عرافةً وتفاءلوا ، وباعوا أنفسهم لعمل الشرّ في عيني الربّ لإغاظته . فغضب الربُّ جداً على إسرائيل ونحّاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده . ويهوذا أيضاً لم يحفظوا وصايا الربّ إلههم بل سلكوا في فرائض إسرائيل التي عملوها . فرذل الربُّ كل نسل إسرائيل وأذلّهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه . لأنه شقّ إسرائيل عن بيت داود فملّكوا يربعام بن نباط فأبعد يربعام إسرائيل من وراء الربّ وجعلهم يخطِئون خطية عظيمة . وسلك بنو إسرائيل في جميع خطايا يربعام التي عمل . لم يحيدوا عنها حتى نحّى الربُّ إسرائيل من أمامِه كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء . فسُبي إسرائيل من أرضه إلى آشور إلى هذا اليوم » .

المرحلة الثالثة

إن سرّ تعدد الآلهة هو عجز العقل الساذج عن التفكير عمّا وراء الطبيعة ، ولعدم فهم الإنسان للحقائق الكونية وخلوده إلى الأرض . وقد مرّت البشرية بعدّة مراحل حتى تطّور تفكيرها ، وقطعت شوطاً كبيراً في الترقّي الفكري على يد الأنبياء من أجل الوصول إلى التوحيد الحقيقي ؛ وفي نفس الوقت بقيت رواسب كثيرة من الوثنية في الأديان التي سبقت الإسلام ، ولا تزال حتى يومنا هذا ؛ ولا نجد ديناً يدعو إلى التوحيد في الذات والصفات والأفعال إلا الإسلام الذي أرسى قواعد التوحيد ،

ووضع أحكامه واستكمل رسالات الأنبياء على يد سيد الأنبياء وخاتمهم محمد بن عبد الله (ص) .

وأما التوحيد الذي تدعو إليه التوراة فليس هو توحيد الأنبياء ، والناظر في الأسفار الخمسة ـ التي هي أُسّ التوراة ـ لا يرى في العقيدة التي دان بها بنو إسرائيل ـ ولا يزالون ـ أكثر من أنها عقيدة دينية من إله قومي مختار من الآلهة التي شاعت في الأمم والشعوب الوثنية ؛ وهذا كما كان قبل الإسلام عند العرب الوثنيين ، حيث إنه كان لكل قبيلة إلهها وصنمها الخاص الذي لا يشاركها فيه غيرها من القبائل .

ومن خلال دراستنا للعقائد والأديان الوثنية وتطورها في التاريخ ، نجد أن الذي دعا اليهود إلى اتخاذ إله قومي خاصّ ببني إسرائيل وترك آلهة الآخرين هو فكرة قومية ووثنية تعلموها من الأمم الوثنية التي عاشوا في ظلها وتأثروا بحضارتها ، ولم يكن ذلك بدافع تعاليم أنبيائهم ، لأن تاريخ بني إسرائيل تاريخ تمرّد وعناد ، فهم من أشدّ الناس عناداً ومخالفة لأنبيائهم ، وقد مرّ عليك الكثير من هذه الصور خلال الأبحاث السابقة ؛ ومراجعة التوراة خير دليل على ذلك .

هذا وإن التوراة صريحة بأن الكنعانيين وغيرهم من الأمم والشعوب كانوا أسبق إلى دين التوحيد من بني إسرائيل حتى أنهم كانوا في زمن إبراهيم شيخ الأنبياء وفي التوراة الحالية آيات تدل على أن فكرة الإله العلي الواحد مالك السماوات والأرض كانت معروفة عند الكنعانيين فالتوراة تشير إلى أنّ ملكي صادف (ملك السلام) الذي سميت المدينة المقدسة دسالم وشيلم وشالم ، باسمه وهي أورشليم اليوم وهذا إسمها الكنعاني العربي لا العبري كما يزعم اليهود .

هذا الملك بارك الخليل إبراهيم حتى قدم له إبراهيم زكاة ماله :

« وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلي وباركه وقال مبارك إبرام من الله العلي مالك السماوات والأرض ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك فأعطاه عشراً من كل شيء[1] » .

وقد أطلق عليه الإنجيل رئيس الكهنة إلى الأبد :

« إنّه لا براءة أيام له ولا نهاية حياة ، بل هو مشبه بابن الله ، هذا يبقى

(١) التكوين : ١٤/١٨ ـ ٢٠ .

كاهناً إلى الأبد[1] » .

فهذا الكاهن الكنعاني تصفه التوراة والإنجيل بالكاهن الأعلى وصفة الخلود ويرفعانه إلى المنزلة التي يتلقى إبراهيم الخليل منه بركة الإله العلي إله السماوات والأرض ويعطيه زكاة ماله . كما أن التوراة تذكر أن بني إسرائيل لما عبروا النيل مع موسى وجاؤوا إلى أرض كنعان أرسل ملك موآب (بالاق بن صغور) والشعب وشيوخ مديان أرسلوا جميعاً رسلاً إلى (بلعام بن عبور) النبي الكنعاني الموحد وطلبوا منه أن يلعن قوم موسى فأوحى الرب إليه بعدم تلبية طلبهم[2] ، وهذا يدل على أن دين التوحيد كان معروفاً عند الكنعانيين وكانت بعض القبائل تتعبد به وذلك قبل أن يأتي بنو إسرائيل إلى عالم الوجود .

التوحيد الوثني

إن فكرة توحيد الآلهة المتعددة نشأت عند الوثنيين بدافع الضرورة والحاجة ، وبما أن أكثر الأمم تأثيراً في بني إسرائيل البابليون والفرس ، حيث إن البابليين هدموا مملكة يهوذا واستعبدوا بني إسرائيل سبعين سنة ، والفرس هم الذين حرّروهم وأرجعوهم إلى أورشليم ، وأنعموا عليهم بالمال والحرية ؛ فكان لحضارتهم كامل الأثر في نفوس بني إسرائيل ؛ ويكفي أن عزرا كتب التوراة وهو عامل لهم وتحت ظلهم ، فلذا سوف نتعرّض للتوحيد الوثني لهاتين الإمبراطوريتين ، وكيف أن اليهود اتّخذوا لِأنفسهم إلّهاً قومياً خاصّاً بهم كما فعل الفرس والبابليون .

التوحيد الوثني البابلي

لعلّ الذهن البابلي من أخصب الأذهان في اختراع الآلهة التي كان لها دور كبير في حياة البابليين وحياة الدولة ، وقد أُحصي عدد الآلهة إحصاءً رسمياً في القرن التاسع قبل الميلاد فكانوا حوالي (٦٥٠٠٥) وذلك لأن كل مدينة كان لها ربّ يحميها ، وكان للمقاطعات والقرى آلهة صغرى تعبدها وتخلص لها ، وكان لكل أسرة آلهتها المنزلية تقيم لها الصلاة وتصب عليها الخمور ، وكان لكل فرد ربّ

---

(١) رسالة العبرانيين : ٦/٥ و٧/٤ .

(٢) العدد : ٢٢/٤ـ١٣ .

يحميه أو ملك يحرسه ويرد عنه الأذى والشرور .

وأقدم الآلهة آلهة السماء وما فيها (أنو) السماء الثابتة (وشمش) الشمس (وننار) القمر و(بل أو بعل) الأرض التي يعود كل البابليين إلى صدرها بعد موتهم ؛ وفي خضمّ هذا العدد الهائل من الآلهة الصغيرة والكبيرة وجدت الدولة أنّ تعدد الآلهة عامل من عوامل ضعفها وتفرّق مواردها الإقتصادية ، لأن هياكل هذه الآلهة كان لها القسط الأوفى من أموال الأغنياء والفقراء ؛ والدولة ـ حيث إنها كانت تخصّص بعض مواردها لهذه الهياكل وخاصّة إذا أصاب الملك مغنماً قدمت الهدايا العظيمة للآلهة ، وبعد اتّساع رقعة الإمبراطورية البابلية واحتياجها للموارد الإقتصادية والنفقات الهائلة وجدت من الضروري توحيد الآلهة . وهذا التوحيد كان لازماً وضرورياً لعاملين :

الأول : اتّساع رقعة الدولة عقيب الحروب ، وهذا ما دعا لإخضاع آلهتهم المحلية لسلطان إله واحد ، وهذا يساعد الدولة على فرض ثقافتها ودينها على الأمم المقهورة التي تفتح بلادها ، وفرض إله واحد أسهل من فرض آلهة كثيرة .

الثاني : إن كثيراً من آلهة المدن والأرياف كان أتباعها يخلعون عليها السلطان الأعلى والقدرة على كل شيء ، وهذا ما يمزق وحدة الدولة ، مثال ذلك :

قولهم : « آمن بـ (نبو) ولا تؤمن بغيره من الآلهة » . وهذا لا يختلف كثيراً عن الوصية الأولى من الوصايا العشر عند اليهود ، ومن هنا قلّ عدد الآلهة شيئاً فشيئاً بعد أن فُسِّرت الآلهة الصغرى بأنها صور أو صفات للآلهة الكبرى .

وعلى هذا النحو أصبح (مردك) إله بابل كبير الآلهة البابلية بعد أن كان بادىء الأمر من آلهة الشمس ، ومن ثم لقب (بل مردك) أي : مردك الإله ، وإليه وإلى (إشتار) كان البابليون يوجّهون أحرّ صلواتهم وأبلغ دعواتهم[1] . ولا يخفى على القارىء الكريم أن بقاء بني إسرائيل سبعين عاماً في ظل العبودية في الإمبراطورية البابلية جعلهم يتأثرون بتقاليدهم وثقافتهم ، ويتنعمون بحضارتهم ، وخاصة أن أجيالاً جديدة نشأت في ظلّ الدولة البابلية ؛ ولذلك لم يتحمس الشباب للعودة إلى أُرشليم بعد تحريرهم على يد كورش ، لأنهم اعتادوا على الحياة والتربية البابلية

---

(١) قصة الحضارة : ٢/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

فتردّدوا في تركها وترك حقولها الخصبة وتجارتها الرائجة ، ليعود إلى القفار المجدبة والمدينة المدمرة .

التوحيد الوثني الفارسي

لم تكن الأمة الفارسية بدعاً من الأمم ، بل كانت كسائر الأمم تعبد الحيوانات والأرض والشمس ، فقد عبدت (مشرا) إله الشمس (وأنيتا) إلهة الخصب (وهوما) الثور المقدس ، وكان دينهم يتّفق في كثير من عناصره وآلهته مع دين الهندوس في العهد الفيدي ؛ ولما ولد زردشت وترعرع في ظل هذه العبادات المتعددة المختلفة وذلك قبل الميلاد بـ ٥٠٠٠ سنة ، وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر ، فقد هاله ما رأى من تعدد الآلهة البدائية ، فثار على الكهنة الذين كانوا يصلّون لتلك الآلهة ويقرّبون لها القرابين ، وأعلن دينه الجديد : وهو أنه ليس في العالم إلا إله واحد ؛ وهو عند الفرس (اهوار مزدا) إله النور والسماء ، وأن غيره من الآلهة ليست إلا مظاهر له وصفات من صفاته ، ولعلّ دارا الأول حينما اعتنق الدين الجديد رأى فيه ديناً ملهماً لشعبه ودعامة لحكومته ، فشرع بمجرد أن تولى الحكم بمحاربة العبادات القديمة ، وجعل الزردشتية دين الدولة[1] .

ونحن إذا تعمقنا في تعاليم الفرس القديمة نجد أنها تصرح بوجود إله واحد لا يُرى ولا يُدرك ، ويدعونه « زروعانا عقا رينا » ومعنى هذه الجملة : غير محدود الوقت (أي الأبدي والأزلي) ، ومن هذا الإله انبثق (أورمزد) ملك النور ، الإبن البكر الخالق الذي صدر منه كل شيء ، وهو الخالق . وكتاب الفرس المقدّس المدعو « ذند فستا » مملوء بالصلوات والتضرّعات لابن الله البكر (أورمزد) وهذه صورة عن صلواتهم وتضرعاتهم :

« إلى (أورمزد) أقدم صلواتي ، فهو خالق كل شيء مما هو كان وما سيكون إلى الأبد ، هو الحكيم القوي ، خالق السماء والشمس والقمر والنجوم ، والرياح والغيوم ، والماء والأرض ، والنار والشجر ، والبهائم والإنسان الخ[2] » .

---

(١) قصة الحضارة : ٢/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٢) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية : ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

ومن الواضح أن توحيد الفرس هذا كان أكمل من توحيد اليهود ، وصفات الإله عندهم أشمل وأروع من صفات يهوه التي ترويها التوراة .

وعندي دليل لا يترك للشك مجالاً في أن توحيد اليهود توحيد وثني ، وهو أننا لا نجد في التوراة ذكراً ليوم القيامة وللحساب في عالم الآخرة . فهذا الكتاب الكبير الذي كتب خلال أكثر من ألف عام لا تجد ليوم القيامة فيه ذكراً ، إلا في موردٍ أو موردين ؛ والسرّ في ذلك أن توحيدهم هذا أخذوه عن الوثنيين وخاصة البابليين الذين لا يرون حياة بعد هذا العالم ، والثواب والعقاب عندهم في هذه الدنيا فقط .

قال ول ديورانت : « على أن اليهود قلّما كانوا يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت ، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود ، وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا ، ولم تدر فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض ؛ ولعلهم أخذوا هذه الفكرة عن الفرس ، أو لعلهم أخذوا شيئاً عن المصريين[1] » .

ومن هنا تعلم أن ما ذهب إليه العلاّمة الحجة المرحوم الشيخ محمد جواد البلاغي ـ في كتابه : الهدى إلى دين المصطفى ـ من أن اليهود موحدين ، وأن يهوه هو اسم الله جل ذكره عندهم[2] هو كلام غير صحيح ، وقد أثبتنا أن توحيد اليهود هو توحيد وثني بأبشع صوره .

وبما أنه ليس لِأحد من الأمم فضل على اليهود كفضل الفرس ، لذا تأثر اليهود كثيراً بحضارتهم وعقيدتهم . فقد عبد اليهود آلهة الفرس وخاصة في زمن منسّى الذي أقام :

« مذابح للبعليم وعمل سواري وسجد لكل جند السماء (الكواكب) وعبدها وبنى مذابح في بيت الربّ الذي قال عنه الرب في أورشليم يكون إسمي إلى الأبد وبنى مذابح لكل جند السماء في داري بيت الرب وعبّر بنيه في النار في وادي ابن هنّوم وعافَ وتفاءل وسحر واستخدم الجان »[3] » .

(١) قصة الحضارة : ٢/ ٣٤٥ .

(٢) الهدى إلى دين المصطفى : ٢/ ٢٥٨ .

(٣) أخبار الأيام الثاني : ٣٣/٣ ـ ٧ .

والسجود لجند السماء (الكواكب) والعبور في النار هي من عبادة الفرس المجوس ولم يكتفِ بالعبادة والسجود لِآلهة الفرس حتى بنى لها المذابح لكل جند السماء في داري بيت الرب داخل الهيكل . وطبيعي أن يتأثّر اليهود بالفرس ويعبدوا آلهتهم وهذا قبل السبي وقبل تحرير الفرس لهم من العبودية فكيف بعد أن أنعموا عليهم بأعظم نعمة وهي نعمة الحرية ، ودعمهم بالأموال الطائلة ، وإعادة بناء الهيكل لهم بأموالهم الخاصة وقد أرجعوا لهم أيضاً الكنوز والذخائر التي أخذها بختنصر إلى بلاده ، كما أن عزرا كتب توراته تحت ظلهم ، ولذا أغدق عليهم المدائح والثناء الجميل والمديح العظيم ، هو وسائر أنبياء بني إسرائيل ، حتى لقّبه إشعياء بالمسيح ، وإفتتح الإصحاح الخامس والأربعين من سفره بقوله :

« هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكتُ بيمينه لأدوس أمامه أمماً ، وأحْقادَ ملوكٍ أحُلُّ لأفتح أمامه المصراعين ، والأبواب لا تغلَق[1] » .

وقال عزرا في الأصحاح الأول :

« وفي السنة الأولى لكورش ملك فارس عند تمام كلام الربّ بضم إرميا نبّه الرب روح كورش ملك فارس . . . أن الأرض دفعها له الرب وأمره أن يبني له بيتاً في أورشليم[2] » .

والخلاصة أنه من الطبيعي أن يكون للفرس أكبر الأثر في نفوس بني إسرائيل ، وأن يتأثروا بثقافتهم وحضارتهم وتقاليدهم أكثر من أيّ أمة أخرى ، لأن الفرس كانوا خير معين لهم .

وهنا أترك الكلام لعالم غربي مسيحي ليبيّن لنا كيف أن اليهود تأثروا بالفرس وأخذوا عنهم التوحيد الوثني ؛ قال ول ديورانت :

« ويتنبأ إشعيا الثاني بأن بلاد الفرس ستكون أداة هذا التحرر ، وينادي بأن كورش رجل لا يقهر ، وأنه سيفتح بابل وينقذ اليهود من الأسر ، فيعودون إلى أورشليم ، ويشيدون هيكلاً جديداً ، ومدينة جديدة تكون جنة بحق (الذئب والحمل) يرعيان معاً ، والأسد يأكل التبن كالبقر ، أمّا الحية فالتراب طعامها ، لا يؤذون ولا يهلكون ، كل جبل قدسي يقول الرب » .

---

(١) إشعياء : ٤٥/ ١ .
(٢) عزرا : ١/ ١ ـ ٢ .

ولعل الذي أوحى إلى هذا النبي فكرة وجود إله واحد للكون كله هو نهضة الفرس وانتشار قوتهم ، وإخضاعهم دول الشرق الأدنى كلها ، وجمعها في وحدة إمبراطورية أوسع رقعة وأحسن حكماً من أي نظام اجتماعي عرفه الناس من قبل ؛ وهذا الإله لا يقول كما يقول يهوه : أنا الرب إلهك . . . لن تكون لك آلهة غريبة أمامي » بل يقول الآن :

« **أنا الرب وليس آخر ، لا إله سواي** » .

والخلاصة فإن من سبر التوراة ودرس حقيقة الإله التوراتي يجد أن اليهود لم يعرفوا التوحيد على الإطلاق ، والوحدانية عندهم ليست وحدانية تفكير وبرهان ، ولكنها وحدانية تغليب ربٍّ من الأرباب على سائر الأرباب ولم تخطِ اليهود خطوة واحدة غير هذه الخطوة ، وهي أن لليهود إلهاً يعلو على آلهة الآخرين من البشر ؛ والأنشودة التي كان موسى ينشدها ويخاطب ربه بها :

« **من مثلك بين الآلهة يا ربّ ، من مثلك معتزاً في القداسة**[1] » ، دليل على صحة هذه الدعوى ؛ وكذلك قول سليمان :

« **والبيت الذي أنا بانيه عظيم لأن إلهنا أعظم من جميع الآلهة**[2] » .

وفي المزمور ٨١ :

« **اسمع يا شعبي فأحذّرك يا إسرائيل إن سمعت لي لا يكن فيك إله غريب ولا تسجد لإلهٍ أجنبي** » .

قال ول ديورانت في معرض بيان حقيقة يهوه من خلال توصيف التوراة له ، وكيف تطور هذا الإله :

« وما لبثت فكرة اتّخاذ يهوه إله اليهود القومي الأوحد أن تبلورت وأكسبت الديانة اليهودية وحدة وبساطة كانتا سبباً في انتشالها من فوضى الشرك التي كانت تسود أرض الجزيرة، ويبدو أن اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه في الصورةالتي كانوا هم عليها ، وجعلوا منه إلهاً صارماً ، ذا نزعة حربية ، صعب المراس ، ثم جعلوا لهذه الصفات حدوداً تكاد تبعث الحب في القلوب . ذلك أن هذا الإله لا يطالب الناس بأن يعتقدوا أنه عالم بكل شيء ؛ وشاهد ذلك أنه يطلب

---

(١) الخروج : ١٥/ ١١ .

(٢) أخبار الأيام الثاني : ٢/ ٥ .

إلى اليهود أن يميزوا بيوتهم بأن يرشّوها بدماء الكباش المضحاة لئلا يُهلك أبناءهم على علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين . كذلك لا يرى أنه معصوم من الخطأ ، ويرى أن أشنع ما وقع فيه من الأخطاء هو خلق الإنسان ؛ ولذلك تراه يندم بعد فوات الفرصة على خلق آدم وعلى ارتضائه أن يكون شاؤل ملكاً . وتراه من حين إلى حين شرهاً ، غضوباً ، متعطشاً للدماء ، متقلب الأطوار ، نزقاً نكداً : « أتراءف على من أتراءف ، وأرحم من أرحم » . وهو يرضى عما استخدمه يعقوب من ختل وخداع في الإنتقام من لابان ، وضميره لا يقلّ مرونة عن ضمير الآسف الذي يندفع في تيار السياسة . وهو كثير الكلام ، يحب إلقاء الخطب الطوال ؛ وهو حييّ لا يسمح للناس أن يروا منه إلا ظهره . وقصارى القول أنه لم يكن للأمم القديمة إله آدمي في كل شيء كإله اليهود هذا .

ويلوح أنه كان في بداية الأمر إلٰهاً للرعد يسكن الجبال ، ويعبده الناس للسبب الذي كان جوركي الشاب يؤمن من أجله بالله إذا أرعدت السماء . وحوّل كاتبوا أسفار موسى الخمسة ، وهم الذين كانوا يتخذون الدين أداة للسياسة ، إله الرعد هذا إلى إله للحرب ، فأصبح يهوه في أيديهم القوية إلهاً للجيوش يدعو للفتح والاستعمار ، يحارب من أجل شعبه بنفس القوة التي كان يحارب بها آلهةُ الإلياذة . وفي ذلك يقول موسى : « الرب رجل حرب » . ويردّد داود صدى هذا القول نفسه فيقول : « الذي يعلّم يدي القتال » . ويعِد يهوه أن « يطرد الحويين والكنعانيين والحثيين » يطردهم : « قليلاً ، قليلاً » « ويزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم ، وأعطيك جميع أعدائك مدبرين » ، ويقول إن الأرض التي فتحها اليهود ملك له وحده . وهو لا يقطع معهم ولا مع أعدائهم عهداً سخيفاً ؛ ويعرف أن الأرض - حتى الأرض الموعودة نفسها - لا تنال إلا بحد السيف ولا يحتفظ بها إلا بالسيف ؛ وهو إله حرب لأنه لا بد أن يكون إله حرب ؛ وتمرّ عدة قرون من الهزائم العسكرية والخضوع السياسي ، والتطور الأخلاقي ، حتى يستحيل هذا الإله إلى والد هلل وإلى المسيح . وهو فخور معجب بنفسه كالجندي ، يتقبل الثناء ويشتهيه ، ويحرص على أن يتباهى بقدرته على إغراق المصريين في البحر : « فيعرف المصريون أني أنا الرب حين أتمجد بفرعون ومركباته وفرسانه » . وهو يرتكب في سبيل انتصار شعبه من ضروب الوحشية ما تشمئز منه نفوسنا اشمئزازاً لا يعادله إلا رضاء أخلاق ذلك العصر عنها ، ويأمر شعبه بأن يرتكبوا هم هذه الوحشية ؛ فهو يذبح أمماً بأكملها

راضياً مسروراً من عمله رضاء جلڤر Gulliver وهو يقاتل من أجل Liliput .

ولما بدأ اليهود يزنون مع بنات موآب ، قال لموسى : « خذ جميع رؤوس الشعب وعلّقهم للرب مقابل الشمس » ، وتلك هي أخلاق أشور بانيپال وأشور ، وهو يعرض رحمته على الذين يحبونه ويتبعون أوامره ، ولكنه يفعل ما تفعله جراثيم الأوبئة الفتاكة : « أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ » ؛ وهو إله جبار يفكر في إهلاك اليهود على بكرة أبيهم لأنهم عبدوا العجل الذهبي ؛ ويضطر موسى إلى أن يراجعه حتى يتملك عواطفه . فيقول الرجل لربه : « ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك » ، فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه » . ثم يريد يهوه أن يفنى اليهود أصلاً وفرعاً لأنهم عصَوا موسى ، ولكن موسى يستثير فيه عواطفه الطيبة ، ويأمره أن يفكر فيما يقوله الناس عنه إذا سمعوا بفعلته ، وهو يختبر قومه اختباراً قاسياً فيطلب إلى إبراهيم تضحية يا لها من تضحية . ويعلّم إبراهيم يهوه ، كما يعلمه موسى ، مبادىء الأخلاق السامية ، وينصحه ألا يهلك سدوم وعمورة ، إذا وُجد فيهما من الرجال خمسون ، أو أربعون ، أو ثلاثون ، أو عشرون ، أو عشرة صالحون . ولا يزال يغري إلهه بالرحمة ، ويشرح له كيف يضطر الإنسان إلى أن يعيد تصوير أربابه لتتفق مع تطورات أخلاقه . وإن اللعنات التي يهدد بها يهوه شعبه المختار إذا ما عصاه لجديرة بأن تكون نماذج في القدح والسب ، ولعلها هي التي أوحت إلى الذين حرقوا الكفرة في محاكم التفتيش الإسبانية أو حكموا على اسپنوزا بالحرمان أن يفعلوا ما فعلوا :

« ملعوناً تكون في المدينة وملعوناً تكون في الحقل . . . ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك . . . ملعوناً تكون في دخولك وملعوناً تكون في خروجك ، يرسل الرب عليك اللعن والإضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذ تركتني ؛ يلصق بك الرب الوباء حتى يبيدك عن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها . يضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك . . . الخ يضربك الله بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء ، يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب . . . أيضاً كل مرض وكل ضربة لم تكتب في سِفر الناموس هذا يسلطه الرب عليك حتى تهلك » .

ولم يكن يهوه الإله الوحيد الـذي يعترف اليهـود بوجـوده ، أو يعترف هـو نفسه بوجوده ، وشاهِد ذلك أن كل ما يطلبـه في الوصيـة الأولى من الوصـايا العشـر هو أن يقوم مقامه فوق مقام سائر الأرباب : وهو يقرّ بأنه « إلـه غيور » ، ويـأمر أتبـاعه بهـدم مذابحهم ، وتكسير أنصابهم وإبادتهم . وقلما كان اليهود قبل إشعيـاء يفكرون في أن يهوه إله الأسباط جميعاً ، أو حتى إلـه العبرانيين جميعـاً ، فقد كـان للموآبيين إلههم شمش ، وكـان نعومي يـظن أن لا ضير من أن يـظل راعـوث على ولائـه لـه . وكـان بلزبـوب إله عكـرون ، وملكرم إلـه عمون : ذلـك أن النزعـة الانفصاليـة التي كانت تتملك نفوس أولئك القوم من الناحيتين الاقتصادية والسياسية قـد أدت بطبيعـة الحال إلى ما تستطيـع أن تسميه استقـلالاً دينياً . ويقـول موسى في أغنيتـه الشهيرة : « من مثلك بين الآلهة يا ربّ » ويقول سليمان : « إلهنا أعظم من جميع الآلهـة » .

ولم يكن جميـع اليهود ، اللهم إلا أعـظمهم علمـاً ، يعـدّون تموز إلهـاً حقـاً فحسب ، بل إن عبادتـه فضلاً عن هـذا كانت في وقت من الأوقـات منتشرة في بـلاد اليهـود ، حتى لقد شكـا حـزقيـال من أن البكـاء حـزنـاً على تمـوز كـان يسمـع في الهيكل . لقد كان ما بين اليهود من فوارق وما كان لهم من استقـلال كافيين لأن تبقى لطوائفهم آلهتهم الخاصة حتى في زمن إرميا : « على عـدد مدنـك صارت آلهتـك يا يهوذا » ، ثم يظهر النبي الحزين غضبـه على بني وطنه لأنهم يعبـدون بعلاً ومـولك . فلما أن نشأت الوحدة السياسية في أيام داود وسليمان ، وتـركزت العبـادة في الهيكل بـأورشليم ، أخذ الـدين يردد أصـداء التاريـخ والسياسـة ، وأمسى يهـوه إلـه اليهـود الأوحد . ولم يخط اليهود نحو التوحيد خطوة غير هذه الخطوة ، وهي أن لليهود إلهـاً واحداً يعلو على آلهة غيرهم من البشر ، حتى كان زمن الأنبياء[1] .

وقد ذكرت التوراة له كثيراً من الصفات ، وهذه الصفات كلها صفات بشـرية ، فهو من نوع البشر ، وهي غير قابلة للتأويل ؛ فقد وصفته بأنـه طويـل الرّوح (العـدد ١٨/١٤) ، وأنـه حزن وتـأسف في قلبه لأنـه خلق الإنسان والحيـوانـات (التكـوين ٦/٦ ـ ٧) وأنه ندم على تنصيبه لشاؤل ملكاً (صموئيـل الأول ١٥/١١) وأنه رجـل الحـرب (الخروج ١٥/٣) وأن لـه رأساً (إشعيـاء ١٩/١٧) وحدقـة العين (التثنية ٣٢/١٠) والأجفان (المزامير ١١/٤) والأنف (الخروج ١٥/١٠) والفم (التثنيـة

(١) قصة الحضارة : ج ٢/٣٣٩ ـ ٣٤٣ .

٣/٨) والأجنحة والخوافي ، وهي الريش الصغير من الأجنحة (مزمور ٩١/٤) والحضن (يوئيل١/١٨) وباطن القدمين (الخروج ٤٣/٧) وموطىء القدمين (الأيام الأول ٢٨/٢) ونسبت له المشي (المزامير ١٠٤/٣) والجلوس على الكروبيم (المزامير ٨٠/١) وأنه ركب وطار (المزامير ١٨/١٠) والركوب على سحابة سريعة والقدوم إلى مصر (إشعياء ١٩/١) والإبتلاع (مراثي ٢/٢) والإلتحاق بالسحاب (المراثي ٣/٤٤) والتحير (إشعياء ٥٩/١٦) والفرح (المزامير ١٠٤/٣١) والضحك (المزامير ٣٧/١٣) راجع أيضاً (الخروج ٢٤/١٠ ـ ١١) والفرج (مزمور ٢/٧ والتكوين ١/٢٧) والأذن والرجل والأنف والنفس والفم (مزمور ١٧/٦ ـ ٨ ـ ٩ و ١٥) واللسان والشفة (إشعيا ٣٠/٢٧) والأصابع (الخروج ٣١/١٨) والبطن والقلب (الخروج ٤/١٩) والدم (أعمال الرسل ٢٠/٢٨) . ولأهمية هذا الموضوع وحتى نتعرف على يهوه من خلال التوراة نفسها لا بد لي من التوسع في هذا الموضوع ليطلع القارىء بنفسه على أن اليهود لم يكونوا من دعاة التوحيد أبداً بل هم من الذين حاربوا التوحيد ، فقد تعاونوا مع مشركي العرب وحاربوا الإسلام ولا يزالون وكانوا من ألدّ الأعداء لرسول الله (ص) .

ونحن إذا تعمقنا في أوصاف يهوه كما تنص التوراة نجد أنه لا يزيد على كونه إنساناً عادياً ، وجميع صفاته مأخوذة عن صفات وأوصاف آلهة الوثنيين في طورها البدائي فهو يصرّح بأنه بشر :

وقال الرب الإله « هوذا الإنسان قد صار كواحد منّا عارفاً الخير والشر »

وقد خاف من آدم أن يمد يده إلى شجرة الحياة فيحيا إلى الأبد ويصبح أحد الآلهة :

« فأخرجه الرب الإله من جنة عدنٍ . . . وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف لحراسة طريق شجرة الحياة »[1] .

فهذه الآيات صريحة في خوف يهوه من أن يصبح آدم من الآلهة بأكله من شجرة لحياة فلذا أخرجه من الجنة وجعل حرساً على تلك الشجرة كما أن التوراة تصرح بأن

---

(١) التكوين : ٣/٣٣ ـ ٣٤ .

الله خلق آدم على صورته ومعنى ذلك أنه بشر[1] ، وهو حريص جداً على أن يكون إلٰهاً خاصاً ببني إسرائيل فلذا يصرح بأنه إله العبريين وإله عشائر إسرائيل وهذا ما يؤكد لنا على أنه بشر وليس إلٰهاً خالقاً للكون والعباد وإن كانت هناك تصاريح في التوراة تدل على ذلك فهي مما تعلمه مؤلفوا التوراة خلال القرون من الأمم والحضارات المجاورة لهم ، يقول يهوه :

« من ذلك الزمان يقول الرب أكون إلٰهاً لكل عشائر إسرائيل وهم يكونون لي شعباً »[2] .

« هكذا يقول الرب إله العبرانيين »[3] .

فهو إله عشائري كسائر رؤساء القبائل والعشائر ولشدة حبه لعشيرته التي لا يعترف به غيرها نجده يطلب من بني إسرائيل أن يبنوا له مقدساً ليسكن في وسطهم فيه هذا بعد أن قام بنفسه بوضع هندسة هذا المقدس[4] .

ومما يزيد في عقيدتنا بشرية يهوه مصارعته ليعقوب وتغلّب يعقوب عليه ، ففي التوراة بعد أن عبّر يعقوب أهله جدول يَبُوق ما هذا نصه :

« وبقي يعقوب وحده فصارعه رجلٌ إلى طلوع الفجر ورأى أنه لا يقدر عليه ، فلمس حُقَّ وركه فانخلع حُقّ ورك يعقوب في مصارعته له ، وقال : إصرفني لأنه قد طلع الفجر . فقال يعقوب : لا أصرفك أو تباركني، فقال له : ما إسمك ؟ قال : يعقوب ، قال : لا يكون إسمك يعقوب فيما بعد ، بل إسرائيل . وسأله يعقوب قال : عرفني إسمك . فقال : لِمَ سؤالك عن إسمي ؟، وباركه هناك ، وسمَّى يعقوب المكان فنوئيل قائلاً : إني رأيت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي »[5] .

وفي هذا النص عدة نكات لا بد من الإشارة إليها .

---

(١) التكوين : ١/٥ (يوم خلق الله الإنسان على شبه الله خلقه) .

(٢) أرميا : ١/٣١ .

(٣) الخروج : ١٤/٩ .

(٤) الخروج : ٨/٢٥ ـ ٩ .

(٥) التكوين : ٢٥/٣٢ ـ ٣١ الكتاب المقدس الكاثوليكي ، طبع دار المشرق ، بيروت في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٨٨ .

١ ـ مصارعة يعقوب لله .

٢ ـ إمتداد المصارعة من أول الليل إلى آخره .

٣ ـ عدم غلبة أحدهما على الآخر .

٤ ـ إنخلاع حُقّ ورك يعقوب .

٥ ـ عدم تمكن يهوه من الإفلات من يعقوب والتماسه منه بأن يتركه .

٦ ـ عدم ترك يعقوب له حتى يباركه .

٧ ـ جهل يهوه بإسم يعقوب فطلب منه أن يعرِّفه إسمه .

٨ ـ أنّ يعقوب نظر الله وجهاً لوجه ، وهذه النكات دليل واضح على أن يهوه هو إنسان كسائر البشر .

ومما يدل أيضاً على أن يهوه بشر أنه يُولد كسائر البشر :

« إني أخبر من جهة قضاء الرب قال : لي أنت إبني أنا اليوم ولدتك »[1] .

هذا بالإضافة إلى أن هذا الأب كثير الأولاد فآدم ابنه :

« آدم إبن الله »[2] .

وإسرائيل إبنه البكر :

« وقال الرب لموسى تقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل إبني البكر »[3] .

وداوُد أيضاً إبنه البكر :

« هو يدعوني أبي أنت إلٰهي وصخرة خلاصي أنا أيضاً أجعله بكراً »[4] .

---

(١) مزمور : ٢/٧ .

(٢) لوقا : ٣/٣٨ .

(٣) الخروج : ٤/٢٢ .

(٤) مزمور : ٨٩/٢٦ ـ ٢٧ .

وسليمان إبنه أيضاً :

« أنا أكون له (سليمان) أبا وهو يكون لي إبناً »[١] .

وأفرايم أيضاً هو إبنه البكر :

« صرت لإسرائيل أباً وأفرايم هو بكري »[٢] .

كما أن المسيح هوابنه الوحيد[٣] .

واليهود كما تقول التوراة هم أيضاً أبناء الله[٤] . وكذلك جميع أبناء الأعيان والأشراف هم أبناء الله[٥] . وحتى جميع العباد هم أبناء الله[٦] .

ويقول الرب في وصفه لبعض أولاده :

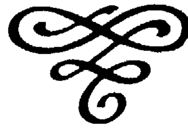
« لأنه يولد لنا ولدٌ ونُعطى إبناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى إسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام »[٧] .

وهذا الوصف دليل لا يقبل الشك وعلى أن عقيدة اليهود بعيدة كل البعد عن دين التوحيد وهذا الوصف ينطبق على عقيدة الوثنيين الهنود والأشوريين والصينيين واليونان الذين يعتقدون بتولّد الإله بالولادة البشرية وكل الأديان الوثنية تجعل لإلهها ولداً بكراً هو الإله وقد ذكرت التوراة الكثير من الأولاد البكر ليهوه . ولا يخفى على المتتبع للتوراة أن الحرف والأعمال التي زاولها يهوه وتحكيها التوراة عنه صريحة في أنه إنسان كسائر البشر إلا أنه يتميز عن الآخرين بأنه من أكبر سفاكي الدماء يأمر بالكذب والسلب والنهب والمراوغة ونقض العهد والشر ، وهو متقلب الأحوال عصبي المزاج يقوم بأعمال خسيسة لا تصدر من إنسان غيور فهو مظهر القساوة والجهل ورب

---

(١) صموئيل الثاني : ٧/١٤ .
(٢) أرميا : ٣١/٩ .
(٣) يوحنا : ١/١٨ ، و٦/٦٩ ، متّى ٨/٣٠ ، و٢٧/٤٠ .
(٤) التثنية : ١٤/١ ، و٣٢/١٩ ، أشعيا : ١/٢ و٦٣/٨ - ١٦ ، هوشع : ١/١٠ .
(٥) التكوين : ٦/٣ - ٤ .
(٦) أيوب : ٣٨/٧ .
(٧) أشعياء : ٩/٦ .

الحرب ومجمع التنـاقضات وإليـك أيها القـارىء الغيور صـورة مصغرة عن يهـوه كما وردت في التوراة .



صفات الرب التوراتية

الرب لا يتغير

« فإني أنا الرب لا أتغير »[1] .

« ليس عنده تغير ولا ظلُّ دوران »[2] .

وهذا الإله الذي يزعم بأنه لا يتغير نجده يحمل طبيعة الأطفال ، فهو متقلب لا يستقر على حال ولا يعرف له مزاج ، وقد لمس موسى منه ذلك عملياً فطلب منه أن يعرفه مزاجه كي يعرف كيف يتعامل معه :

« فالآن إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فعلمني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمة في عينيك وأنظر إن هذه الأمة شعبك ، فقال : وجهي يسير فأريحك »[3] .

والتوراة تروي لنا عدة وقائع حصلت لموسى مع ربه ومع بني إسرائيل وهذه الوقائع يلمس منها كل إنسان شك موسى بوعود الرب ولكي يكون الحكم للقارىء نفسه لا بد لي من نقل هذه الأحداث كما وردت في التوراة .

---

(١) ملاخيا : ٣/٦ .

(٢) رسالة أيوب : ١/١٧ .

(٣) الخروج : ٣٣/١٣ ـ ١٧ .

إعترض بنو إسرائيل على موسى وما أكثر اعتراضاتهم على موسى وشكوا ما لاقوه من الفقر والجوع وعدم إنجاز موسى لهم أي وعدٍ من الوعود الي أطلقها لهم الرب فرجع موسى إلى الرب :

« وقال يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب لماذ أرسلتني فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم بإسمك أساء إلى هذا الشعب وأنت لم تخلص شعبك »[1] .

فهذا الخطاب خطابُ لومٍ وعتاب ودليلِ عدم الثقة بأقوال الرب وقد حاول موسى أن يستعفي من منصبه ومن نبوته اعتراضاً على عدم إنجاز يهوه لما وعد به ، فعندما حمي غضب الرب على بني إسرائيل لما عبدوا العجل وأراد هلاكهم جميعاً ،شعر موسى بخطورة الموقف ، وأن الأمم والشعوب الأخرى سوف تتحدث عن غضب يهوه وقساوته وقتله لشعبه فتحرك موسى من جديد ورجع إلى الرب قائلاً :

« آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لِأنفسهم آلهةً من ذهب والآن إن غفرت خطيتهم وإلا فأمحني من كتابك الذي كتبت »[2] .

فهذا موسى الذي هو أحلم من في الأرض كما تقول التوراة[3] نفد صبره ووصل به الأمر إلى حد الإعتراض على أعمال الرب وما ذلك إلا لتغير الرب وتقلبه وللبعد الفاصل بين أقواله وأعماله ومن هنا شكك موسى في قدرة الرب على إشباع بني إسرائيل من اللحم وقال له :

« ستة مائة ألف ماشٍ هو الشعب الذي أنا في وسطه وأنت قد قلت أعطيهم لحماً ليأكلوا شهراً من الزمان أيذبح لهم غنم وبقر ليكفيهم أم يجمع لهم كل سمك البحر ليكفيهم ، فقال الرب لموسى : هل تقصر يد الرب ، الآن ترى أيوافيك كلامي أم لا »[4] .

ومرة أخرى نفذ صبر موسى وضاقت عليه الأرض بما رحبت حينما حمي غضب

---

(١) الخروج : ٥/٢٢ ـ ٢٣ .
(٢) الخروج : ٣٢/٣٣ .
(٣) العدد : ٣/١٢ .
(٤) العدد : ٢١/١١ ـ ٢٣ .

الرب على بني إسرائيل ، ووجد موسى بني إسرائيل يبكون أمام أبواب خيمهم وهم يقولون من يطعمنا اللحم لقد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والبطيخ والكراث والبصل والثوم والآن قد يبست أنفسنا ، حينئذٍ قال موسى للرب :

« لماذا أسأت إلى عبدك ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي ألعلي حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلي ولدته حتى تقول لي إحمله في حضنك كما يحمل الرضيع إلى الأرض التي حفلت لآبائه من أين لي لحم حتى أعطي جميع هذا الشعب لأنهم يكون علي قائلين أعطنا لحماً لنأكل ، لا أقدر أنا وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل عليّ فإن كنت تفعل بي هكذا فأقتلني قتلاً إن وجدت نعمةً في عينيك فلا أرى بليتي »[1] .

إنّ هذه المشاهد التي ترويها التوراة دليل واضح على أنّ موسى لم يكن واثقاً بأقوال يهوه ولذا قدّم استقالته عدة مرات وقد بلغ به الأمر أن خاطب الرب بقوله إنني لم أحبل بهذا الشعب ولست أنا الذي أوجدته حتى أكون المسؤول عنه وأتحمل جميع المشاق وحدي وقد ثقل عليّ حمل هذا الشعب فاعفني وإلا فأقتلني قتلاً .

لم يكن موسى الوحيد الذي يشكك بأقوال يهوه ويخالف أوامره فقد خالفه أيضاً هارون الذي اتّهمه يهوه مع أخيه موسى بالخيانة[2] .

لقد ذكرت التوراة أن الرب كلّم موسى وأمره أن يبلغ بأن الكاهن الذي يعمل ذبيحة الخطيئة يأكلها في مكان مقدس[3] ، ثم ذكرت أن موسى طلب تيس الخطيئة فإذا هو قد احترق فسخط على العازار وإيثامار إبني هارون وقال :

« ما لكما لم تأكلا ذبيحة الخطيئة في المكان المقدس فإن الله أعطاكما إياها لتحملا إثم الجماعة تكفيراً عنهم أكلاً تأكلانها كما أمرت ، فقال هارون إنهما اليوم قد قدما ذبيحة خطيئتهما وقد أصابني اليوم مثل هذه(يعني احتراق ذبيحته) فلو أكلت ذبيحة الخطيئة اليوم هل كان يحسن في عين الرب ، فلما

(١) العدد : ١١/٤ ـ ١٥ .

(٢) التثنية : ٥١/٣٢ .

(٣) اللاويين : ٦/٢٤ ـ ٢٧ .

سمع موسى حسن في عينيه »[1] .

لقد أمر الرب بأكل ذبيحة الخطيئة كما هو صريح النص المتقدم ، وقد بلغ موسى عن الله ، وهارون إعترض على هذا التشريع وتشاءم ثم تساءل هل أن ذلك يحسن في عيني الرب ؟

وهذا الكلام يدل على أمرين إما تكذيب هاورن لموسى في تبليغه عن الرب أو معارضة هارون للوحي برأيه الخاص ، والأعجب من ذلك كله أن موسى خالف أيضاً أمر الرب واستحسن رأي هارون مع معارضته لما أوحاه الرب إليه من الأمر بالأكل ، ومن خلال هذا النص نفهم أن موسى كانت ثقته بأخيه أكثر من ثقته بالرب وإلا لاتبع أوامره ولم يستحسن رأي هارون .

وليعلم القارىء العزيز أن تحقيق هذه الأبحاث حول موسى وتوراته بحسب التوراة الحالية التي نقطع بتحريفها كما نقطع بأن موسى التوراة هذه لا علاقة له بموسى الذي ذكره القرآن الذي نعتقد بعصمته ونقدّسه ونجلّه عن هذه الكفريات .

لقد أطلق موسى تلك الأقوال ووقف تلك المواقف لِأنه لمس بنفسه تقلب يهوه وتغيره في مواقفه ، فها هو يصف موسى وهو أخلص الناس له وأقربهم منه بالأمانة تارة[2] وأخرى يتهمه بالخيانة بعد جهاده العظيم وتضحيته في سبيله[3] .

وحينما أمر موسى بالذهاب إلى فرعون ليقيم له الآيات التي وضعها الرب في يد موسى ليطلق بني إسرائيل ، إمتثل موسى أمر الرب وسار ، والذي حدث في الطريق :

« أن الرب التقاه وطلب أن يقتله فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة إبنها ومست رجليه »[4] .

وبهذه الخدعة استطاعت هذه المرأة أن تنقذ حياة زوجها من القتل مع أن يهوه

---

(١) اللاويين : ١٠/١٦ ـ ٢٠ .
(٢) العدد : ١٢/٧ .
(٣) التثنية : ٣٢/٥١ .
(٤) الخروج : ٤/٢١ ـ ٢٥ .

هو الذي أمره بالذهاب وكان موسى في حال امتثال أمره فكيف تغير وأراد قتل أخلص الخلق له بغير ذنب إقترفه .

فأنظر أيها العاقل إلى إله التوراة كيف خدعته إمرأة وأوحت إليه أن موسى خرج منه دم بأن قطعت غرلة إبنها ولطخت رجل موسى بالدم وبذلك خلّصته من شرّ يهوه الذي يحب سفك الدماء ويأنس برؤية الدم ولذا طلب من بني إسرائيل أن يلطخوا أبواب دورهم بالدم حتى يميزها عن بيوت المصريين الذين أراد هلاكهم(١) .

لم يكن موسى هو الوحيد أيضاً الذي تغير عليه الرب ، فقد تغير على نبيه بلعام الذي جاءه ليلاً وقال له :

« إن كان هؤلاء القوم إنما جاؤوا يدعوك فانطلق معهم ولكن لا تفعل إلا الذي أقوله لك فقام بلعام غومة وركب إتانه وانطلق مع عظماء موآب فغضب الرب عليه لما ذهب »(٢) .

فأنظر إلى مزاج الرب كيف تغير على نبيه بلعام وكيف حمي غضبه عليه لِأنه قام بما أمره .

وقد تعجَبْ عندما تعلَمْ بأن الرب يصف أبناءه من بني إسرائيل بأنهم متقلبون :

« فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته وقال أحجب وجهي عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتهم إنهم جيلٌ متقلب أولادٌ لا أمانة فيهم هم أغاروني بما ليس إلٰهاً أغاظوني بأباطيلهم فأنا أغيرهم بما ليس شعباً بأمةٍ غبيةٍ أغيظهم أنه قد اشتعلت نارٌ بغض فتتقد إلى الهاوية »(٣) .

وقد صدق الرب في وصفه لشعبه وأبنائه ومن شابه أبه فما ظلم .

غضب يهوه

لعلّ الذي يقرأ التوراة لا يجد صفة بارزة في يهوه مثل الغضب ، فهو سريع

---

(١) الخروج : ١٢/١٣ .
(٢) العدد : ٢٢/٢٠ .
(٣) الخروج : ٣٣/١٢ ـ ١٧ .

الغضب يحمى غضبه لِأتفه الأسباب ، ومن هنا كان يثور وكأنه لا يعرف الشفقة ولا الرحمة ويكفي أن من ألقابه إلـه الحرب ورب الجنود وله سفر ورد ذكره في التوراة إسمه (سفر حروب الرب) .

وأهم ما كان يثير غضب يهوه أن يرى شعبه المختار يعبد غيره . وهذا ما كان يفقده الوعي والشفقة لِأنه كان غيوراً جداً :

« لِأني أنا الرب إلٰهك إلهٌ غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي »[1] .

ولشدة غيرته هذه كان يضعف أمامها حتى يتملق لموسى ويشكو إليه انحراف بني إسرائيل ويعده إهانة له .

« وقال الرب لموسى حتى متى يصيبني هذا الشعب وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم »[2] .

ومن هنا نجد أن موسى كان دائماً يعظ يهوه ويأمره بسعة الصدر وطول الروح والصبر والأناة وعدم التسرع وسرعة الإنتقام من بني إسرائيل وكان دائماً يستغل غيرته هذه ويثير فيه غريزة الحسد للآلهة الأخرى فكان يقول له : فإذاً ما يقول أتباع الآلهة الأخرى إن أنت أهلكت شعبك . بهذه الكلمات كان موسى يخلِّص بني إسرائيل من غضب يهوه وانتقامه .

« فقال موسى للرب فيسمع المصريون الذين أصعدت بقوتك هذا الشعب من وسطهم ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا أنك يا رب في وسط هذا الشعب الذين أنت يا رب قد ظهرت لهم عيناً لعين وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نارٍ ليلاً فإن قتلت هذا الشعب كرجلٍ واحد تتكلم الشعوب التي سمعت بخبرك قائلين لِأن الرَّب لم يقدر أن يُدخّر هذا الشعب إلى الأرض التي حلف لهم ، قتلهم في القفر . فالآن لتعظم قدرة سيدي كما تكلمتُ قائلاً الرب طويل الروح كثير الإحسان

---

(١) الخروج : ٢٠/٥ ، التثنية : ٥/٩ .

(٢) العدد : ١٤/١١ .

يغفر الذنب والسيئة . . . أصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى هنا فقال الرب قد صفحت حسب قولك »[1] .

وقد اتّبع نفس هذا الأسلوب وصي موسى يشوع فكان يخفف من غضب يهوه وانتقامه من بني إسرائيل بنفس الكلمات :

« آه يا سيد الرب لماذا عبَّرت هذا الشعب الأردن تعبيراً لكي تدفعنا إلى يد الأموريين ليبيدونا ، ليتنا ارتضينا وسكنًا في عبر الأردن ، أسألك يا سيد ماذا أقول بعدما حوَّل إسرائيل قفاه أمام أعدائه فيسمع الكنعانيون وجميع سكان الأرض ويحيطون بنا ويقرضون إسمنا من الأرض . وماذا تصنع لِأسمك العظيم »[2] .

لقد وقف موسى في وجه الرب وصرف وجهه عن الإنتقام وإبادة شعبه[3] ، وتراجع يهوه وصفحه عن بني إسرائيل لم يدم طويلاً لِأن الطبع يغلب التطبع ، فقد رجع يهوه إلى غضبه وانتقم من بني إسرائيل حينما قدم له بعضهم حماراً واحداً فحمي غظبه وأراد الإنتقام من جميع بني إسرائيل :

« وكلّم الرب موسى وهارون قائلاً إفترزا من بين الجماعة فإني أفنيهم في لحظةٍ فخرَّا على وجهيهما وقالا : اللهم إله أرواح جميع البشر هل يخطىء رجلٌ واحد فتسخط على كل الجماعة »[4] .

والسؤال هنا هل وفى يهوه بوعده الذي وعد به بني إسرائيل وهل أوصلهم إلى أرض الميعاد التي تفتيض لبناً وعسلاً .

لقد كانت وعود يهوه لبني إسرائيل براقةً ومغريةً فقد شعر بما أصابهم من الذل والهوان على يد المصريين فلذا أراد أن يخرجهم من الذل والهوان والظلم والفقر والإضطهاد إلى العز والكرامة والحرية والعيش الرغيد :

---

(١) العدد : ١٤/١٣ ـ ٢٠ .
(٢) يشوع : ٧/٧ ـ ٩ .
(٣) مزمور : ١٠٦/٢٣ .
(٤) العدد : ١٦/٢٠ ـ ٢٢ .

« فقال الرب إني رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم إني علمت أوجاعهم فنزلت لِأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً . . . وقال الله هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله أبائكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أرسلني إليكم . . إني افتقدتكم وما صنع بكم في مصر . فقلت : أصعدكم من مذلة مصر إلى أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى أرضٍ تفيض لبناً وعسلاً[1] » .

ومن أجل إنجاز هذا الوعد نجد أنَّ يهوه رافق موكب بني إسرائيل من حين خروجه من مصر وكان القائد لذلك الموكب لم يفارقه ليلاً نهاراً .

« وكان الرب يسير أمامهم نهاراً وفي عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نارٍ ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب »[2] .

وهذا القائد الساهر على شعبه لم يفارقهم طرفة عين طوال تلك الرحلة وكان هو الذي يقودهم في كل المنازل :

« حسب قول الرب كانوا ينزلون وحسب قول الرب كانوا يرتحلون وكانوا يحرسون حراسة الرب حسب قول الرب بيد موسى »[3] .

فمع هذه الرعاية والحراسة لشعبه فإن يهوه لم يوفِ بوعده ولم يستمر صفحه عن بني إسرائيل وأخلف وعده ولم يوصل بني إسرائيل إلى أرض الميعاد لِأن غضبه سبق رحمته فلذلك نقض كل ما قاله وحمي غضبه على بني إسرائيل :

« فحمي غضب الرب في ذلك اليوم وأقسم قائلاً لن يرى الناس الذين صعدوا من مصر من ابن عشرين سنة فصاعداً الأرض التي أقسمت لِأبراهيم وإسحاق ويعقوب لِأنهم لم يتبعوني . . . فحمي غضب الرب على إسرائيل وآتاهم في البرية أربعين سنة حتى فنى كل الجيل الذي فعل الشر في عيني

---

(١) الخروج : ٣/٦ ـ ١٧ .
(٢) الخروج : ١٣ج٢٠ ـ ٢٢ .
(٣) العدد : ٩/٢٣ .

الرب »[1] .

لقد أباد يهوه بني إسرائيل وقتلهم في التيه بعد أن أنزل عليهم شتى أنواع العذاب والمحن :

« فقد سار بنو إسرائيل أربعين سنة في القفر حتى فنى جميع الشعب رجال الحرب الخارجين من مصر »[2] .

فأنظر أيها القارىء الكريم إلى وعد يهوه المكذوب لشعبه وكيف أنه أغرق بني إسرائيل وأخرجهم من مصر من النعيم إلى الصحراء القاحلة والموت الأسود والضياع وكيف أنهم بقوا في التيه أربعين سنة مع أنهم لا يحتاجون أكثر من عشرين يوماً للوصول إلى أرض الميعاد . وهذا الضياع والموت إنما كان بقيادته وحراسته فكيف إذا لم يكن هو القائد والحارس لشعبه فمتى كان يصل هذا الشعب إلى أرض الميعاد ؟ وصدق إرميا حينما خاطب يهوه قائلاً :

« آه يا سيد حقاً إنك خداعاً ، خدعت هذا الشعب وأورشليم قائلاً : يكون لكم سلام وقد بلغ السيف النفس »[3] .

إنّ يهوه لم يوصل الشعب الذي أخرجه من مصر والذي وعده وأقسم له بالإيصال إلى أرض الميعاد والذين وصلوا بعد أربعين عاماً هم أبناءهم الذين تولدوا في الصحراء وأرض الغربة وقد شعر بنو إسرائيل بغدره فقالوا لموسى :

« أقليلٌ أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلاً لتميتنا في البرية حتى تترأس علينا ترؤساً ، كذلك لم تأتِ بنا إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً ولا أعطيتنا حقول وكروم »[4] .

ولاتعجب أيها القارىء الكريم إن وجدت شعب الله المختار يتحلى بنفس الصفات التي يتحلى بها يهوه فهذه الصفات تنعكس على ذلك الشعب المؤمن بهذا

---

(١) العدد : ٣٢/١٠ - ١٣ .
(٢) يشوع : ٦/٥ .
(٣) أرميا : ١٠/٤ .
(٤) العدد : ١٦/ ١٣/ ١٤ .

الإله ويهوه يصف شعبه بنفس الصفات التي يتحلى بها :

« وكان الرب قد قال لموسى قل لبني إسرائيل أنتم شعب صلب الرقبة أن صعدت لحظة واحدة في وسطكم أفنيتكم »[١] .

ولذا لا يتكلم يهوه مع هذا الشعب صلب الرقبة إلا بلغة البطش والقسوة :

« فقال الرب لموسى إنحدر ، حذّر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون ليتقدس أيضاً الكهنة الذين يقتربون إلى الرب لئلا يبطش بهم الرب . . . وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا إلى الرب لئلا يبطش بهم »[٢] .

إنَّ التمعن بهذه النصوص لا يترك أدنى شك في أن يهوه إنسان له مكان ويراه شعبه ، ولذا هدّدهم بأن لا يقتحم عليه أحد منهم ولعله خاف من غدرهم وبطشهم فهدّدهم هذا التهديد .

رحمة يهوه

ربما يجد الباحث في التوراة آيات تدل على رحمة يهوه وطول أناته وسعة صدره وقلة غضبه ومن هذه الآيات :

« الرب حنّان رحوم بطيء الغضب وعظيم النعمة »[٣] .

« إنه يريد الرحمة »[٤] .

« ورأيتم عاقبة الرب لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف »[٥] .

« الرب صالح للكل ورأفته على جميع خلقه »[٦] .

---

(١) التكوين : ٥/٣٠ .
(٢) الخروج : ٢١/١٩ ـ ٢٤ .
(٣) مزمور : ٨/١٤ .
(٤) ميخا : ١٨/٧ .
(٥) رسالة يعقوب : ١١/٥ .
(٦) مزمور : ٩/١٤٥ .

« إنه من قلبه لا يؤذي بني آدم ولا يحزنهم »[1] .

هـذه الآيات تـدل على رحمة يهـوه ليست إلا حبراً على ورق لِأن الغـالب على يهوه هي الصفـات الحقيقية التي يتحلى بهـا وسرعـان ما يخـالف أقوالـه بحسب هـذه الأخلاق وإليك صورة عن قساوته وظلمه لشعبه ولسائر الشعوب .

« وضـرب الرب من أهـل بيت شمس لِأنهم رأوا تابـوت الـرب خمسين ألف رجل وسبعين »[2] .

فمن أجل خطأٍ بسيط يقتل يهوه خمسين ألف رجل ، فهل هناك رحمة أعظم من هذه الرحمة ؟

« وعندما اشتـد غضبه على بني إسـرائيل لعبـادتهم غيره أمـر موسى بـأن يأخذ رأس كل من عبد غيره ويعلقه مقابل الشمس ليرتد حمو غضبه »[3] .

« وقد قتل من بني إسرائيل دفعةواحدة عشرين ألف بالوباء »[4].

لـم تقف قساوة وظلـم يهوه عند هذا الحد من القتل والإبادة بل أمر بقتل الأطفـال الرضع وشق بطون الحبالى وقتل الحيوانات :

« فتهلك الســامـرة لِأنهـا بغت على إلٰههـا فيبـادون بـالسيف وأطفــالهم ينطرحون وحُبالاهم تشقق بطونهن »[5].

« فضرب الرب بنيامين أمام إسرائيل وأهلك بنـو إسرائيـل من بنيامين في ذلـك اليوم خمسـة وعشرين ألف رجـل ومائة رجل ، ولاحق بنو إسـرائيل بني بنيـامين وطاردوهـم حتى سقط منهم ثمـانيـة عشـر ألف رجـل من أولي البـأس وقتلوا حتى البهائم وأحرقوا المدن أيضاً[6] » .

---

(١) مراثي أرميا : ٣٣/٣ .
(٢) صموئيل الأول : ١٩/٦ .
(٣) العدد : ٣/٢٥ .
(٤) العدد : ٩/٢٥ .
(٥) هوشع : ١٦/١٣ .
(٦) قضاة : ٢٠/٣٥ ـ ٤٣ ـ ٤٨ ، راجع أيضاً العدد : ١٧/٣١ ـ ٣٥ .

عدل يهوه

من المسلَّمات الأولية عند جميع شعوب العالم أن لا يؤخذ البريء بجرم الجاني وهذا من بديهيات العقل وأول أصل من أصول العدالة وهذا ما صرّح به يهوه أيضاً :

« لا تقتل الآباء عوض الأبناء ولا الأبناء بدل الآباء ولكن كل واحد يموت بذنبه »[1] .

ويقول أيضاً :

« النفس التي تخطىء فهي لا تموت والإبن لا يتحمل إثم الأب والأب لا يحمل إثم الإبن وعدل العادل يكون عليه وشر الشرير يقع عليه »[2] .

ولكن سرعان ما يخالف إله التوراة نفسه ويصرّح في أعظم الوصايا التي أطلقها بأنه يأخذ الأبناء بظلم الآباء :

« أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي[3] **»** .

وعملياً نجد يهوه بعد أربعمائة وخمسين سنة يتذكر ما فعله العماليق ببني إسرائيل في الطريق لما خرجوا من مصر :

« هكذا يقول الرب إني ذكرت كل ما صنع عماليق بإسرائيل أنه قاومه في الطريق وأهلك جميع مالهم ولا ترحمهم ولا ترغب من مالهم شيئاً بل أقتل من الرجال والنساء والغلمان حتى الأطفال والبقر والغنم والإبل والحمير أيضاً »[4] .

فهذا يهوه بعد أربعمائة وخمسين سنة يأخذ أبناء العماليق بما فعله أجدادهم بشعبه عندما خرج من مصر فما أشد حقده وما أظلمه :

---

(١) التثنية : ٢٤/٦ .

(٢) حزقيال : ١٨ / ٢٠ .

(٣) الخروج : ٢٠/٥ ، و٣٤/٧ ، التثنية : ٥/٩ .

(٤) صموئيل الأول : ١٥/٢ ـ ٣ .

« ومن شدة رحمته أيضاً أنه أمر داوُد نبيه بأن يسلم سبعة أشخاص من أولاد شاؤل إلى أيدي أهل جبعون ليقتلوهم بخطأ شاؤل فصلبوهم وكان داوُد قد عاهد شاؤل وحلف أن لا يهلك ذريته بعد موته »[1] .

ولعل من تصفّح التوراة يجد الكثير من الصور التي تدل على قساوة يهوه وغلظته وسفكه للدماء وأمره بقتل الأطفال وشق بطون الحبالى وقتل الحيوانات ، وهذا لا نجده في أي مذهب أو قانون في العالم إلا في شرعة يهوه .

قدرة يهوه

« ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له أنا الله القدير »[2] .

« أما عرفت أم لم تسمع إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا »[3] .

وهذه القدرة المزعومة ليهوه نجدها بعيدة عن الواقع كل البعد وذلك من خلال الصور التي تحكيها التوراة عن عجزه وضعفه .

عجز يهوه

تروي التوراة أنَّ يهوه تصارع مع يعقوب فغلبه يعقوب وقد حرَّف أهل الكتاب هذه الحقيقة في الطبعات الأخيرة إلا أن الطبعات القديمة تذكر هذه الحقيقة وكذلك هي موجودة في الكتاب المقدس الكاثوليكي المطبوع في بيروت ٧ تشرين الثاني ١٩٨٨ وقد أشرنا إليها في أبحاث هذا الكتاب :

« فبقي يعقوب وحده فصارعه رجلٌ إلى طلوع الفجر ورأى أنه لا يقدر عليه فلمس حُقَّ وركه فانخلع حُقِّ ورك يعقوب من مصارعته له وقال (أصرفني) لأنه طلع الفجر فقال يعقوب لا أصرفك أو تباركني فقال له ما

---

(١) صموئيل الأول : ٢٤/٢١ ـ ٢٢ .
(٢) تكوين : ١/١٧ .
(٣) أشعياء : ٢٨/٤٠ .

إسمك ؟ قال يعقوب قال لا يكون إسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل لِأنك صارعت الله والناس فَغَلبتَ »[1] .

وبعد أن خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام إستراح في اليوم السابع وقدسه كما تقول التوراة :

« وفرغ الله في اليوم السادس من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لِأنه فيه استراح من جميع عمله »[2] .

وفي الترجمة العربية لعام ١٨٤٤ يقول يهوه :

« ها أنا أصر من تحتكم كما تصر العجلة المحملة حشيشاً »[3] .

ويظهر ضعف يهوه وعجزه من خلال تملقه لداوُد من أجل أن يبني له بيتاً لِأنه كان لا يزال يعيش كالبدو في الخيام منذ أن أخرج بني إسرائيل من مصر ومن هنا أخذ يستعطف داوُد ويتملق له ويظهر عجزه وأنه بحاجة إلى مساعدة داوُد وفي مقابل ذلك يتعهد له بأن يبقى نسله على كرسي الملك وهذا بعد أكثر من أربعمائة عام من خروج بني إسرائيل من مصر .

وإليك نصّ التوراة :

« وفي تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان قائلاً : إذهب وقل لعبدي داوُد هكذا قال الرب أأنت تبني لي بيتاً لسكناتي لِأني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل في مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسير في خيمة . . . . والآن هكذا تقول لعبدي داوُد هكذا قال رب الجنود أنا أخذتك من المربض من وراء الغنم رئيساً على شعبي إسرائيل وكنت معك حيثما توجهت وقرضت جميع أعدائك من أمامك ، وعملت لك إسماً عظيماً كإسم العظماء الذين في الأرض . . . والرب يخبرك أنه يصنع كل بيتاً متى كملت أيامك واضطجعت

---

(١) التكوين : ٣٢/٢٥ ـ ٢٩ .

(٢) التكوين : الفصل الثاني من الإصحاح الأول ٢ ـ ٣ ، الخروج : ٢٠/١٠ ـ ١٢ .

(٣) عاموص : ٢/١٣ .

مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته هو يبني لي بيتاً لإسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد أنا أكون له أباً وهو يكون لي إبناً »[1] .

علم يهوه

« في كل مكان عيناً للرب مراقبتين الطالحين والصالحين »[2] .

« لأن عين الرب تجولان في كل الأرض يتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه »[3] .

جهل يهوه

« فإختبأ آدم وإمرأته في وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت »[4] .

« فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما »[5] .

« وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جداً أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إلي وإلا فأعلم »[6] .

« لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس »[7] .

هذه الآيات صريحة في جهل يهوه وأنه يحتاج إلى النزول ليعلم ماذا فعل أبناء آدم وهي صريحة أيضاً بضعفه ، هذا غيض من فيض ولمحة عن صفات يهوه المتناقضة التي وردت في التوراة .

---

(١) صموئيل الثاني : ٧/٤ ـ ١٤ .
(٢) الأمثال : ١٥/٣ .
(٣) أخبار الأيام الثاني : ١٦/٩ ، راجع مزمور ١٣٩/٢ ـ ٣ ـ ٦ .
(٤) التكوين : ٣/٨ ـ ٩ .
(٥) التكوين : ١١/٥ .
(٦) التكوين : ١٨/٢٠ ـ ٢١ .
(٧) قورنثيوس الأولى : ١/٢٥ .

يهوه يكره الكذب ويأمر به

« من الشفة الكاذبة نقرة الرب أما العاملون بالصرف فرضاه »[1] .

إنَّ يهـوه الذي يكـره ويتنفر من الكـذب نجده يعلِّم نبيَّـه موسى وبني إسـرائيل الكذب ، فبعد أن خاطب يهوه موسى في حوريب بقوله :

« إني رأيت مـذلـة شعبي الـذي في مصـر فنـزلت لِأنقـذه من أيـدي المصـريين وأحفدهم من تلك الأرض إلى أرض واسعـة إلى أرضٍ تفيض لبناً وعسلاً »[2] .

وأمره أن يبشر قومه بذلك[3] . بعد هذا الكـلام نجده يعلِّم مـوسى ما هـو على خلافه تماماً ، فقد روت التوراة أن الرب قال لموسى بعد ذلك :

« فإذا سمعوا لقـولك تـدخل أنت وشيـوخ بني إسرائيـل إلى ملك مصر وتقولون الرب إله العبـرانيين إلتقانـا فالآن نمضي طـريق ثلاثـة أيام في البـرية ونذبح لله إلٰهنا »[4] .

ومعنى هذا الوحي أن يهوه أمر موسى بأن يأمر شيـوخ بني إسرائيـل أن يكذبـوا على فرعون بقولهم إله العبرانيين التقانا ، مع أن يهوه إنما تجلى لـموسى في حوريب ولم يتجلى لهم ولم يلتقِ بهم .

هذا أولاً ، وثانياً : أن الرب أمـر موسى وشيـوخ بني إسرائيـل أن يكذبـوا على فرعون بقولهم إننا نريد الذهاب ثلاثة أيام في البرية ونذبح لله إلٰهنا ، مع المقصود هو الذهاب إلى أرض الكنعانيين التي تفيض لبناً وعسلاً .

ولم يكتف يهـوه بتعليم بني إسرائيـل الكذب من أجـل الخـروج من مصـر بـل أمرهم بالكذب مرة أخرى من أجل أن يسلبـوا المصريين حليِّهم ولبـاسهم ، فقد أمـر موسى أن يأمر نساء بني إسرائيل أن يطلبن من جاراتهن المصريات أمتعة فضة وأمتعـة

---

(١) الأمثال : ١٢/٢٢ .
(٢) الخروج : ٣/٧ ـ ٨ .
(٣) الخروج : ٣/١٦ ـ ١٧ .
(٤) الخروج : ٣/١٧ ـ ١٨ .

ذهب وثياباً بعنوان الأمانة والإستعارة فيسلبونها من المصريين بعنوان الخيانة في الأمانة[1] .

كيف يتنفر يهوه من الكذب مع أنه أمر نبيه موسى وشيوخ بني إسرائيل بالكذب على فرعون وكذلك أمر أن يكذب بنو إسرائيل على المصريين ليسلبوهم حليّهم ولباسهم فقد أمرهم بالغدر والخيانة قبل أن يخطوا أي خطوة في سبيل التحرر والخلاص .

كما أن يهوه أمر صموئيل بالكذب :

« قال الرب لصموئيل إملأ قرنك دهناً وتعال أبعثك إلى يسّى الذي من بيت لحم فإني قد رأيت لي في بنيه ملكاً ، قال صموئيل كيف أذهب فيسمع شاؤول فيقتلني ، فقال الرب : خذ بيدك عجلة من البقر وقل إني جئت لأقرّب ذبيحة للرب فصنع صموئيل كما أمر الرب وأتى إلى بيت لحم »[2] .

كما أن يهوه أرسل روح الضلالة ليقع في أفواه نحو أربعمائة نبي كذبة ويضلهم فيكذبون[3] .

« إني أنا الرب فإذا ضلّ النبي وتكلم كلاماً فأنا الرب قد ضللت ذلك النبي »[4] .

وإنما يضل يهوه أنبياءه لجهله وإلا كيف يرسل نبياً يعرف أنه سوف يضل الطريق :

« لأن جهالة الله أحكم من الناس ، وضعف الله أقوى من الناس »[5] .

قال جان كلارك : « إنَّ إله بني إسرائيل هذا ليس قاتلاً ظالماً كاذباً أحمق مضلاً فقط بل هو (نار محرقة آكلة)[6] . كما قال بولس : والوقوع في يدي هذا الإله

---

(١) الخروج : ٣/٢١ - ٢٢ .

(٢) صموئيل الأول : ١٦/٢ - ٤ .

(٣) أخبار الأيام الثاني : ١٨/١٩ - ٢٧ .

(٤) حزقيال : ١٤/٨ - ٩ .

(٥) رسالة أهل كورنثوس الأولى : ١/٢٥ .

(٦) رسالة العبرانيين : ١٢/٢٩ .

مخيف . كما قال بولس أيضاً : « مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي »[1] .

وطبيعي أنّ الهرب من هذا الإله طريق النجاة .

الحِرَف والمهن التي عمل فيها يهوه

قليل من الحرف والمهن التي لم يتعاطاها يهوه ولم يباشرها بنفسه ونحن نشير إشارةً عابرة إلى تلك الحرف التي ترويها التوراة .

يهوه خزّاف

« والآن يا رب أنت أبونا ونحن الطين وأنت جابلنا ونحن جميعنا أعمال يديك »[2] .

بنّـاء

« وأبني له بيتاً أميناً »[3] .

مهنـدس

« فيصنعون لي مقدساً لِأسكن وسطهم بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون ، فيصنعون تابوتاً من خشب السط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف الخ »[4] .

خيـاط

« وصنع الرب الإله لِآدم وزوجته ثياباً من جلود وألبسهما »[5] .

---

(١) رسالة العبرانيين : ٣١/١٠ .

(٢) أشعياء : ٨/٦٤ .

(٣) صموئيل الأول : ٣٥/٢ ، وصموئيل الثاني : ١١/٧ ـ ٢٧ ، والملوك الأول : ٣٨/١١ ، مزمور : ١/١٢٧ .

(٤) الخروج : ٨/٢٥ ـ ٤٠ ، والإصحاح السادس والعشرين .

(٥) التكوين : ٢١/٣ .

جـــراح

« أشفي جرحك »[1] .

حـــلاق

« في ذلـك اليوم يحلق الـرب بمـوسى مستنكـراً في أولئـك الـذين هم عبروا النهر بملك الأشوريين الرأس وأوبار الرجلين واللحية كلها[2] » .

بستانـي

« وغرس الرب الإله فردوس النعيم من البدى »[3] .

قابلـة

« وذكر الله راحيل وسمع لها وفتح رحمها فحبلت وولدت إبناً »[4] .

جـــزّار

« سيف الرب امتلأ دماً سمـن من شحم من دم الخرفان والتيوس من دم الكباش المعلوفة »[5] .

صفّار الذبـاب

« ويكـون في ذلك اليـوم إن الرب يصفـر للذباب الـذي في أقصى تُرع مصر وللنحل في أرض أشور »[6] .

تاجر عبيـد

« وأبيع بنيكم وبناتكم في أيدي بني يهوذا »[7] .

---

(١) أرميا : ١٧/٣٠ .
(٢) أشعياء : ٢٠/٧٠ .
(٣) التكوين : ٨/٢ .
(٤) التكوين : ٢٢/٣٠ .
(٥) أشعياء : ٦/٣٤ .
(٦) أشعياء : ١٨/٧ ـ ١٩ .
(٧) يوئيل : ٨/٣ .

معلّـــم

« يتعلم جميع بنيك من الرب »[1] .

راعـــي

«هوذا السيد الرب بقوةٍ يأتي وذراعه تحكم له هوذا أجـرته معـه وعُملتُه قدامه كراعٍ يرعى قطيعه بـذراعه يجمـع الحملان وفي حضنـه يحملها ويقـود المرضعات »[2] .

مقاتـــل

« الرب مثل الرجل المقاتل »[3] .

مصـــارع

« وبقي يعقـوب وحده فصـارعه رجـل إلى طلوع الفجر . . فلمس حُقّ وركه فانخلع حُقّ ورك يعقوب من مصارعته »[4] .

هذه لمحة عن الأوصاف والحرف التي روتهـا التوراة ليهـوه . ومن خلال هـذه الصفات والحرف يجد كل من طالع التـوراة أن يهوه أقـل من الإنسان العـادي والكثير من أفراد البشر الذين يتحلون بالصفات الحميدة والأخلاق الكريمة التي لا يتحلى بها إله التوراة .

أوصاف يهوه الحيوانية

« وأنا أكون لهم مثل أسد مثل نمر في طريق الأشوريين[5] » .

« فأنا لأفرام كالعث ولبيت يهوذا كالسوس »[6] .

---

(١) أشعياء : ١٣/٥٤ .
(٢) أشعياء : ١٠/٤٠ ـ ١١ .
(٣) الخروج : ٣/١٥ .
(٤) التكوين : ٣٢/٢٥ ـ ٢٦ ، هوشع : ٣/١٢ ـ ٤ .
(٥) هوشع : ٧/١٣ .
(٦) هوشع : ١٢/٥ .

« فأكون لهم كأسد أرصد على الطريق كنمر أصدمهم كدبَّةٍ مثكلٍ وأشق شغاف قلبهم وآكلهم هناك كلبوةٍ يمزقهم وحش البرية »[1] .

« لِأني لافرايم كأسدٍ ولبيت يهوذا كشبل الأسد فإني أنا أفترس وأمضي آخذ ولا منقذ »[2] .

« هو لي دبٌّ كامنٌ أسدٌ في مخابىء »[3] .

الرب يزئـر

« الرب من العلاء يزمجر ومن مسكن قدسه يطلق صوته يزئر زئيراً على مسكنه بهتاف كالدائسين يصرخ ضد كل سكان الأرض »[4] .

المناجاة القدسية في الأدعية التوراتية

وفي ختام هذا الفصل ومن أجل التبرك لا بد من ذكر بعض الأدعية المأخوذة من التوراة وخاصة الفصول المتقدمة آملين من أتباع الكتاب المقدس أن يرددوا هذه الأدعية القدسية وخاصة يوم السبت والأحد لِأن كل ما ورد فيها هو من مضامين الكتاب المقدس كما أنني أرجو من أصحاب الغبطة والقداسة أن لا تثير هذه الأدعية غضبهم الشديد فتخرجهم عن حد الأدب والعلم وقبل أن يلوموا الآخرين يجب أن يفكروا في حقيقة هذا الكتاب الذي يحمل هذه الأوصاف هل يمكن أن يكون من كتب الوحي ؟ وإذا كان أحدهم يغضب إذا قيل له يا دابة يا دب يا عث يا سوس وتقوم قيامته فكيف يرضى أن تطلق هذه الأوصاف على ربه الذي يعبده ويقدسه .

المناجاة الأولى

لإمام المغنين لعبد الرب داوُد :

« أحبك يا رب يا قوتي ، الرب صخرتي وحصني ومنقذي ، إلٰهي

(١) هوشع : ١٣/٧ ـ ٨ .
(٢) هوشع : ٥/١٤ ـ ١٥ .
(٣) مراثي أرميا : ٣/١٠ .
(٤) أرميا : ٢٥/٣٠ / ٣١ .

صخرتي به أحتمي ، ترسي وقرن خلاصي وملجأي »[١] .

(٢)

« يا من رب الجنود إسمه ، أنت لي فأس وأدوات حرب فأسحق بك الأمم وأهلك بك الممالك وأكسر بك الفرس وراكبه وأسحق بك المركبة وراكبها وأسحق بك الرجل والمرأة وأسحق بك الشيخ والفتى وأسحق بك الغلام والعذراء »[٢] .

(٣)

« لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد لماذا يدخن غضبك على غنم مرعاك »[٣] .

(٤)

« يا رب الجنود يا من هو من العلاء يزمجر ومن مسكن قدسه يطلق صوته يزئر زئيراً على مسكنه بهتاف كالدائسين يصرخ ضد كل سكان الأرض[٤] لا تزمجر علينا فقد كفانا دخان غضبك » .

(٥)

« يا من استيقظ كنائم جبارٍ معيطٌ من الخمر[٥] ، يا من هو قائم في المجمع في وسط الآلهة يقضي[٦] . مبارك الرب صخرتي الذي يعلم يديَّ القتال وأصابعي الحرب[٧] » .

---

(١) مزمور : ١/١٨ .
(٢) أرميا : ٥١/٢٠ ـ ٢٢ .
(٣) مزمور : ١/٧٣ .
(٤) أرميا : ٢٥/٣٠ .
(٥) مزمور : ٧٨/٦٥ .
(٦) مزمور : ١/٨٢ ، لا يخفى على القارىء أن هذا النص صريح بأن هناك عدة آلهة ويهوه هو واحد من هذه الآلهة فكيف تكون التوراة من كتب التوحيد .
(٧) مزمور : ١/١٤٤ .

(٦)

« يـا رب يـا من خلق الإنسـان ونـدم على خلقـه[١] ، وأغـرق الأرض بـالطوفـان زمن نوح ثم نـدم وقال لا أعـود[٢] ، يا من جعـل شاؤل ملكـاً على العباد ثم ندم على فعله[٣] ، لا تندم في وعدك لنا بالجنة » .

(٧)

« يـا من خلق السمـاوات والأرض في ستـة أيـام ثم استــراح في اليـوم السابع وقدسه[٤] ، يـا من حمي غضبه على بني إسـرائيل فقتـل منهم عشرات الآلاف وعلق رؤوسهم أمـام الشمس ، يـا من لا يعــرف لـه مـوسى حـالـة استقـرار ، يا من يغـار كغيرة النسـوان ، يا خـالق الشرر[٥]، إحفـظنا من شـر الأعداء ومن شر الوسواس الخناس » .

(٨)

« يـا من يأخـذ الضعيف بذنب القـوي ويعـاقب المؤمن والمنـافق[٦] ، ويحمِّل الأحفاد ذنب الأجداد ، يا جاهل يـا عالم ، يـا جالب الأعـداء من كل الأمم على المدينة المقدسة(أورشليم) ليقتلوا شعبك ويفضحوا النساء ، يا من أمر نبيه هوشع بأن يتخذ امرأة له من الزنا ، يـا من أقام الشـر أمام عيني داوُد ، وأمـر قريبـه بأن يفتـرش نسـاءه أمـام بني إسـرائيـل ، يـا من أهلك شعبـه في الصحاري والقفار ، لا تسلط علينا من لا يرحمنا من أذناب الإستعمار »[٧] .

---

(١) التكوين : ٦/٦ .
(٢) تكوين : ٢١/٦ .
(٣) صموئيل الأول : ١١/١٥ .
(٤) التكوين : ١ص ١/١ ـ ٢ .
(٥) أشعياء : ٧/٤٥ .
(٦) حزقيال : ٤٠٣/٢١ .
(٧) تقدمت مصادره .

(٩)

« يهوه يا من هو كالأسد يزئر وكالنمر يفترس ، يا من هو كالدبة كالدودة كالعث إحفظنا من شر الحشرات والهوام ومن شر الخرافات والعاهات »[١] .

(١٠)

« يهوه يا من يحلق اللحى إحفظ لحانا من شر الشفرات ، يا تاجر العبيد ، يا كثير الأولاد ، يا من يتصاعد الدخان من أنفه واللهب من فمه ، ومن نفسه يتجمد الماء يا من كره الكذب وأمر به وبالسلب والسرقة ونقض العهد ، لا تجعلنا من زمرة أنبياءك الكذبة[٢] ، ولا تخدعنا كما خدعتك امرأة ، يا رب الجند يا من أخرج شعبه من أرض النعم ووعدهم الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً فأفناهم في القفار وأنزل عليهم أنواع العذاب ، لا تجعلنا من الذين ينقضون العهود ويتجاوزون الحدود » .

(١١)

« يا رب الجنود ومخلف الوعود يا إله الحرب أنت ترسي ، أنت صخرتي ، يا كاشف العورات لبنات صهيون[٣] ، يا من لا يسمع صرخة المستصرخين ، يا إله العشائر ، يا من أهلك المفلوكين ، واللحم لا يزال بين أسنانهم ولم يفرغوا من أكله[٤] وقبرهم في قبروت ، لا تسلط علينا من لا يرحمنا ولا تندم على خلقنا » .

(١٢)

« يا من أهلك الأشدوديين بالبواسير[٥] ، وأهلك عساكر الملوك بإمطار

---

(١) تقدمت مصادرة .
(٢) أرميا : ١٠/٢٧ ـ ١٤ .
(٣) أشعياء : ١٧/٣ .
(٤) العدد : ٣٢/١١ ـ ٣٥ .
(٥) صموئيل الأول : ٩/٥ .

الحجارة الكبيرة من السماء[1] ، يا من أمر بقتل الأطفال ، وشق بطون الحبالى ، يا من حمي غضبه على شعبه فأرسل عليه الوباء حتى مات سبعون ألف فندم على الشر وقال للملاك المهلك كفى[2] ، لا تهلكنا بما فعل المجرمون من الملوك والأمراء ، يا رب الجنود وإله الحرب يا من أمر حدقيا بأن يعمل لنفسه قرنين لينطح الأرامين حتى يفنوا[3] ، وأمر عبده أرميا ليصنع لنفسه رُبُطاً وانياراً ويجعلها على عنقه[4] ، يا من أمر أشعيا بأن يمشي حافياً عرياناً ثلاثة سنين [5] ، يا من أمر عبده حزقيال بأن يأكل (الخراء الذي يخرج من الإنسان على كعك الشعير) إجعله أكل الصهاينة اليوم كما قلت في توراتك : هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم »[6] .

« والآن يا إلهي لتكن عيناك مفتوحتين وأذناك مصغيتن » .

لاستجابة هذه المناجاة :

« الآن عيناي تكونان مفتوحتين وأذناي مصغيتين »[7] .

« والرب إلهٌ غيور منتقم ، الرب منتقم وذو سخط ، الرب منتقم من مبغضيه ، الرب في الزوبعة ، وفي العاصف طريقه ، والسحاب غبار رجليه »[8] .

ولإستجابة هذه المناجاة

« سبحوا إسمه برقصٍ بدفٍ وعودٍ »[9] .

---

(١) يشوع : ١٠/١١ .
(٢) صموئيل الثاني : ٢٤/١٥ .
(٣) أخبار الأيام الأول : ٢٢/١١ .
(٤) أرميا : ٢٧/٢ .
(٥) أشعياء : ٢٠/٣ .
(٦) حزقيال : ٤/١٢ ـ ١٣ .
(٧) أخبار الأيام الثاني : ٧/١٥ .
(٨) ناحوم : ١/٣٠٢ .
(٩) مزمور : ٤٩/٣ .

« سبحوه برباب وعود ، سبحوه برقصٍ ، سبحوه بأوتارٍ ومزمار »[1] .

« رنموا لله قوتنا ، إهتفوا لإله يعقوب ، إرفعوا نغمة وهاتوا دفاً عوداً حلواً مع رباب »[2] .

هلّلويا هلّلويا هلّلويا

هذا هو إله بني إسرائيل ، فهو نارٌ محرقة آكلةٌ ، والوقوع بين يديه مخيف ، ومن لا يخاف من هذا الإله الذي يتصاعد من أنفه الدخان ، ومن فمه لهيب النار ، ومن نفسه يتجمد الماء ، فالفرار من عبوديته خير من عبادته وإذا لم ينجو إبنه الوحيد من عذاب الصلب والقتل مع اللصوص فكيف بسائر الناس . وهذا الإله الذي تصوره التوراة لا يمكن الإعتماد عليه لِأنه متقلب الأطوار غدّار لا يستقر على حال وهو جامع للأضداد والخرافات وليس له أي حقيقة في عالم الوجود إلا أذهان كتبة التوراة الذين جمعوا أوصاف آلهة الوثنيين وصنعوا منها إلهاً عشائرياً خاصاً ببني إسرائيل دون العالمين ، ومما يدل على خمالة عقول اليهود الذين كتبوا التوراة أنهم أخذوا أخس أوصاف آلهة الوثنيين في أول مراحلها مع أن الوثنيين ترقوا في أفكارهم وطوروا صفات آلهتهم ووصفوها بأكمل الأوصاف كما مرّ وسيمر عليك ، مع ذلك كله لا تزال التوراة تصف إله بني إسرائيل بأنه دب ودابة وأسد ونمر وفأس وعث وسوس ، وكفى بهذه الأوصاف التي تشبه الكامل بالناقص دليلاً على الإنحطاط الفكري لمؤلفي التوراة ، ونحن لا نعجب من هؤلاء لِأن الفكر البشري لما كتبوا التوراة كان بهذا المستوى من المحدودية والإنحطاط . وإنما نعجب من رجال الدين اليهود والنصارى الذين يعيشون في القرن العشرين ويدّعون بأنهم من قادة العلم والمعرفة ، وهم يؤمنون بهذا الكتاب ويدافعون عنه ويقولون بأنه كتاب وحي .

ومن خلال البحث المتقدم يتأكد لنا أن التوراة الحالية ما هي إلا كنايات أشخاص عاديين كتبوها في عصور متباعدة وكان كل كاتب لا يعرف شيئاً عن الآخر ، ثم ضمت هذه الكتابات إلى بعضها البعض فجاءت بهذا الشكل من التناقض وضعف التأليف، وقد تبيّن لنا أيضاً أنَّ إله التوراة ليس له أي واقعية إلا الذهنية العشائرية

---

(١) مزمور : ٤٩/٣ .

(٢) مزمور : ٨١/١-٢ .

لكتّاب التوراة وقد أضفوا عليه جميع صفات آلهة الوثنيين كما سوف يتضح لك ذلك في الأبحاث القادمة . ونحن نقدس التوراة القرآنية التي أنزلها المولى عز وجل على نبيه موسى بن عمران ، كما أننا نقدس هذا النبي العظيم وننزهه عن كل شين وعن هذه الخزعبلات والخرافات وسوء الأدب . وكنت أتمنى على الحكام العرب والشعوب العربية أن يتعرفوا على إله التوراة ليعلموا أن الصهاينة الذين يؤمنون بهذا الإله لا يمكن أن يؤمنوا بالسلام والصلح أو أن يعترفوا بحق الشعوب العربية والشعب الفلسطيني بالخصوص وما دام العرب لا يعرفون حقيقة اليهود من خلال التوراة فسوف تبتلعهم إسرائيل لِأنهم يجهلون حقيقة عدوهم وطبيعته .



اليهود كانوا طوال تاريخهم مقلدة

قد يتعجب المرء عندما يقال بأن اليهـود كانـوا مقلّدة للوثنيين أكثر من اتّبـاعهم لأنبيائهم ، ولـم يكن لهم دور يذكر في مجالات الابتكار والإبداع ، ولم يكـونوا أكثـر من أنهم حافظوا على عقائد وتقاليد الوثنيين بعد أن حفـظوها في التـوراة وجهلوها في كتب الـوحي ؛ هذا مـع كثرة مـا خصّهم الله بـه من الأنبيـاء والـرسـل الـذين كـانـوا يذكرونهم بأيام الله ونعمه عليهم ؛ وخير دليل على ما ذهبنا إليه أن يهـوه الرب الـذي جمع شملهم وخصّهم بعطفه وجعل نفسـه وقفاً عليهم لم يكن من ابتكـاراتهم ولا من بنات أفكارهـم ، وإنما أخذوه من الكنعانيين وخصّوه بهم ، وجعلوه إلهاً قومياً بعد أن أضفوا عليه صفات التقديس والتعظيم ، والتي لا تزيد عن أنه إنسـان كسائـر البشر ، بل هناك من الأشخاص والأفراد من هو أكمل منه في صفاته وأخلاقـه وأفعالـه ؛ وهذه الحقيقة آخر ما وصلت إليها الاكتشافات الأثرية التي لا يمكن الشـك فيها ، فقـد عثر علمـاء الأثار في سنـة (١٩٣١) في أرض كنعـان على قـطع خـزفيـة من بقـايـا عصـر البرونز ، والتي تعود إلى عام (٣٠٠٠ ق . م) وقد وجد عليها اسم كنعاني يسمى يـاه أو ياهو[١] .

---

(١) Newyork times may 9 ,1931

ويرجع البعض أن أصل إسم يهوه إله من آلهة البدو الشماليين العرب ، يقول موسكاتي : إنَّ الإلـه يهوه كان معروفاً عند العـرب والأرجح أنهم كـانوا يعبـدونه ، لِأنَّ كثيـراً من أسماء الأشخـاص وردت ملحقة بإسم الإله يهوه بحسب العادة المتبعة بإلحاق إسم الإله بإسم الشخص تبركاً به .

S.moscati , « ancient seanitic civilizations » p.176

هذا بالإضافة إلى ما في التوراة الحالية من دليل صريح يدل على أن يهوه لم يكن لليهود فحسب ، بل كان الآشوريون أيضاً يعبدونه ؛ هذا حتى بعد السبي البابلي ورجوع بني إسرائيل إلى أورشليم وإليك نصّ التوراة :

« ولما سمع أعداء يهوذا وبنيامين أن بني السبي (إسرائيل) يبنون هيكلاً للرب إله إسرائيل تقدموا إلى (زَرُبّا بل) ورؤوس الآباء وقالوا لهم : نبني معكم لأننا نظيركم نطلب إلهكم ، وله قد ذبحنا من أيام اسرحدّون ملك آشور الذي أصعدنا إلى هنا . فقال لهم (زربا بل) (ويشوع) وبقية رؤوس آباء إسرائيل : ليس لكم ولنا أن نبني بيتاً لإلهنا ، ولكننا نحن وحدنا نبني للرب إله إسرائيل كما أمرنا كورش ملك فارس[1] » .

وهذا نصّ صريح في أن يهوه كان إلهاً للوثنيين قبل الملك اسرحدّون ، وبعد السبي البابلي ، وكان الكثير من أعداء اليهود كما تقول التوراة يعبدونه أيضاً .

وقد ذكر هذا الأمر أيضاً ول ديورانت كما تقدم ، كما أنه ذكر صفات يهوه من خلال التوراة الحالية ؛ ومن هنا يتبين للقارىء الكريم بأنّ اليهود لم يتأثروا بتعاليم أنبيائهم كما تأثروا بأفكار وتقاليد الأمم التي قهرتهم واستعبدتهم ؛ فهم لم يتركوا عبادة الأوثان طوال تاريخهم ، وقد تقدمت الشواهد الكثيرة من التوراة الحالية على صحة هذه الدعوى ؛ ومن هنا ربّما يتساءل القارىء الكريم بأن اليهود الذين لهم هذا التاريخ الطويل الحافل بشتّى أنواع الحروب والمحن ، كيف استطاعوا البقاء والحياة بهذه القوة من التماسك والإتحاد ؟

والجواب سوف يتضح من خلال دراسة حياتهم الإجتماعية وآثار فكرة « شعب الله المختار » في تماسكهم وبقائهم ، والذي أبقى اليهود هو تعصّبهم القبلي وعزلتهم عن الأمم والشعوب ، حيث إن فكرة شعب الله المختار جعلت في أنفسهم الكبرياء والغطرسة والعلوّ على الناس ، وكيف لا يكونون كذلك ويهوه الذي خلق كل شيء لهم يحاول دائماً أن يوجههم إليه ، وربّما يؤدي به الأمر إلى أن يستعطفهم وكأن الفضل لهم عليه ! وهذه الفكرة جعلتهم يبدعون في ناحية واحدة ومجال واحد في الحياة ، وهي المكر والخداع وإشعال نار الفتن والحروب ، كما يدعوهم يهوه إله الحرب الذي يحبّ سفك الدماء ، ويأمرهم حتى بقتل الأطفال والشيوخ والضعفاء

---

(١) عزرا : ٤/١ ـ ٣ .

من الناس[1] من أجل أن يصلوا إلى الحلم الذي يدعـوهم إليه التلمـود وهو السيـطرة على العالم .

والتوراة على ما فيها مع ذلك نجد أن القسم الأكبر منها يتكلم عن قساوة قلوب بني إسرائيل وفسادهم وعصيانهم ، وقـد مرّ عليـك الكثير منهـا سابقـاً ، ويكفي قول إشعياء في وصفهم :

« أعمـالهـم أعمال إثم ، وفعـل الـظلم في أيـديهم ، أرجلهم إلى الشـر تجـري وتسرع إلى سفـك الـدم الـزكي ، أفكـارهم أفكـار إثم ، في طـرقهم اغتصـاب وسحق ، طريق السـلام لم يعرفـوه ، وليس في مسـالكهم عـدل ، جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجّة كلّ من يسير فيها لا يعرف سلاماً[2] » .

وكأني بالقارىء الكريم يقول : إن هذا الحكم على اليهود فيه إجحـاف ، وهو خلاف الإنصاف ؛ فإن لليهود ما لسائر الأمم من الابتكارات والخدمات .

وإنني أعذر القارىء وأعـطيه الحق وخـاصة في هـذا العصر الـذي تسيطر فيـه الصهيونية العـالمية على وسـائل الإعـلام وعلى أعظم وأهمّ المؤسسـات الاجتماعيـة والـدولية ، ولا شـك أن هناك أشخـاصاً منهم كـان لهم الأثـر الفعّـال في الحـركـات الإصـلاحية والعلميـة ، وكانـوا يخـالفـون عقيـدة اليهـود في فكـرتهم عن شعب الله المختار ، ولكن تلك ثلّة صغيرة من اليهـود ، وأمّا عـامة الشعب اليهـودي فقد مـردوا على الفساد كما تقدم ؛ ومما يدل على أن اليهود ليس لهم ذلك الإبداع والابتكـار ما جـاء في التـوراة عن بنـاء داود للهيكـل ، الـذي هـو كعبـة اليهـود ورمـز وحـدتهم وعظمتهم ، والذي هو أعظم آثاراتهم في كل تاريخهم ، والذي يعـدّونه من عجـائب الدنيا ؛ ويحق لهم ذلك لأنهم لو رأوا آثـار الأمم المتحضرة لعلمـوا بأنـه لا يزيد على غرفة من غرف الهياكل التي أقامتها الإمبراطوريات القديمة ، فـالهيكل الـذي عندهم

---

(١) حزقيال : ٩/ ٥ ـ ٧ .

(٢) إشعياء : ٥٩/ ١ ـ ٨ . إن وصف التوراة لهذه الأمة لا يعلو عليه وصف . وإسرائيل اليوم هي المصداق الكـامل لهـذه الأوصاف ، وممـا يدمي القلب أن حكـام العـربـان يتسكعـون منـذ سنوات على أبـواب الصهاينة يستجدون السلام ، وهم لا يعلمون أن اليهود لم يعـرفوا طـريق السلام طـوال تاريخهم ، ولـم يعلموا بأن السير وراء الدول الغربية التي تسيـر على درب إسرائيـل كذلـك لا يؤدى إلى سلام ؛ وليعلم هؤلاء أنه لا صلح ولا سلام في العالم ما دامت إسرائيل ، ولن يـطهّر الأرض من رجـاسة الصهيـونية إلا الإسلام .

ليس من هندستهم ولا من ابتكاراتهم ، ولم يكونوا فيه إلا عمالاً عاديين ؛ فداود (عليه السلام) الذي أسّس الهيكل وشيّده عندما أراد بناءه أحضر المهندسين والبنائين من صور وصيدا ، كما أنه جاء بموادّ البناء من بلادهم ، فجاؤوا بخشب الأرز والحديد والمسامير والنحاس ؛ والخلاصة إن داود جمع الأجانب حتى قاموا ببناء الهيكل[١] .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل لمّا أراد داود أن يبني بيتاً له أرسل له ملك صور حيرام مهندسين وبنائين ونجّارين وجميع المواد ، « فبنوا لداود بيتاً[٢] » . وكذلك لما عاد بنو إسرائيل من السبي البابلي وأرادوا بناء الهيكل من جديد بأمر من كورش ، لم يكن لهم دور في هندسته وبنائه ، وإنما كانوا عمالاً عاديين وجاؤوا له بمواد البناء من لبنان[٣] .

تطور الإله يهوه

لقد أجاد وأحسن العالم ول ديورانت وأغنانا عن الإسهاب في هذا الموضوع الشاق الذي يحتاج إلى عشرات المجلدات ، فقد أعطى صورة كاملة وواضحة عن كيفية تطور هذا الإله عند اليهود ، وكيف كان في بداية حياته مع شعبه المختار ، لقد كان إنساناً يحزن ويغار ، ويحمي غضبه ويثور ويثأر ، حتى أنه يأمر بسفك الدماء ، والسرقة وقتل الأطفال والنساء والشيوخ من بني إسرائيل وغيرهم ، وقد تحول من إله محدود يطلب من بني إسرائيل أن لا يعبدوا غيره من الآلهة الأخرى إلى إلٰه يحب شعبه ويدافع عنه ، ويدعو للسلام والعدل ، ويبسط سلطانه على الكون ويقول :

« **أنا الأول وأنا الآخر ، ولا إله غيري[١]** »

ويتطور في خطبه وكلامه ، فيترك السبّ والركالة ويخطب الخطب الرائعة ، ويتكلم بالألفاظ الفصيحة والمعاني البليغة ، ويعلم الأناشيد ذات الوقع الموسيقي والأشعار الرنانة ؛ لقد تحول الإلٰه من تلك الأوصاف المخيفة

---

(١) أخبار الأيام الأول : ٢/٢٢ ـ ٥ .

(٢) صموئيل الثاني : ١١/٥ .

(٣) عزرا : ٧/٣ .

في أوائل العهد القديم ، إلى أن وصل في العهد الجديد إلى تلك الصورة الوديعة ، التي تجسدت في شخص المسيح الوديع ، الذي فدى البشرية بنفسه فقدم نفسه على مذبح الوجود ، ليصلب ويقتل ويعذّب في الدنيا ، ثم يدخل النار ويتعذب فيها ، ثم يعطى الخبز والخمر على أنه لحمه ودمه فيأكله أتباعه ، كل ذلك من أجل خلاص العالم ؛ فما أعظم هذا التطور !! والذي يعود في جوهره في الواقع إلى تطوّر الفكر الوثني ، وأخذ اليهود الكثير من أفكار الآخرين طوال تاريخهم ، إلى أن أصبح يهوه اليوم إلهاً واحداً ، يقيمون الأدلة والبراهين على وحدانيته ، بعد أن أخذوها بعينها من المتكلمين المسلمين ؛ وقد أدخلوا أبحاثاً فلسفية كبيرة من خلال اختلاطهم بالمسلمين ، وتظاهر بعضهم بالإسلام ؛ فهذا موسى بن ميمون وهو أعظم شخصية يهودية علمية ظهرت في العصور الوسطى ، قام بشرح للمثنا ونشره بالقاهرة عام ١١٥٨ باسم كتاب (السراج) ، وشرح الأسفار الخمسة من التوراة ، وكتب كتبه العشرة وهو مقيم في ظل الدولة الإسلامية ، وكان من كبار أطباء عصره ، ولذا دخل في مناصب الدولة وكان الطبيب الخاص للدولة الأيوبية ، وقد ألّف هذا الحبر كلّ كتبه وهو مع المسلمين ، واستفاد الكثير من العلوم الإسلامية والأصول التي وضعها للديانة اليهودية وهي الثلاثة عشرة ، والتي جعلها أركاناً للإيمان اليهودي ، وهي من أفكار المسلمين ومباحثهم الكلامية[1] .

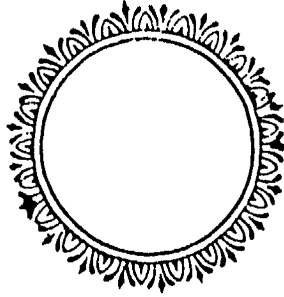
ولكن اليهود مع هذا التطور العلمي فإنهم لا يزالون عمليّا يعبدون يهوه على صورته الأولى البدائية ، فهم يطبقون التوراة كما كانوا يطبقونها قبل ألفي عام ، وينظرون إلى جيرانهم نظرة حقد واستعلاء ، ويعاملونهم بشتّى أنواع القسوة ؛ وهذه إسرائيل دولتهم خير دليل على أنهاتطبّق عقيدة التوراة في معاملتها للعرب ، وخاصة المسلمين .

والتوراة الحاضرة هي كشكول للعقائد والأفكار الوثنية فمن سبر غورها واطّلع على شرائع وقوانين الحضارات التي عاشت في الشرق ، وجد أن التوراة تجمع كثيراً من تلك القوانين والأحكام والتقاليد والعادات الوثنية ، وهذا ما سوف نتعرض له على

---

(١) قصة الحضارة : ١٤/١٢٠ - ١٣١ .
راجع أيضاً ما كتبه الدكتور ربحي كمال أستاذ العبرية والسامية في جامعتي دمشق وبيروت في مقدمة قاموسه : المعجم الحديث عبري - عربي ص ١٣ .

نحو الإختصار والإجمال لأن استقصاء هـذا الموضـوع يحتاج إلى سنـوات ومجلدات ضخمة ، وربما لا يكفي عمر الإنسان لمثل هذا العمل .



الوصايا العشر

لقد اقترن هذا الإسم بالتوراة حتى أصبحت التوراة هي الوصايا التي يردّدها على ما يقول (ول ديورانت) نصف سكان العالم، ولقد أكثر علماء اليهود النصارى الكلام حول هذه الوصايا واعتبروها من أعظم ما ابتدعته الشريعة الموسوية، ولا بد لي أن أتناول هذه الوصايا بالبحث والتحقيق ليتبيَّن للقارىء الكريم قيمة هذه الوصايا ، ومدى دقتها ، ومن أين أخذت ؟

لقد ورد ذكر الوصايا العشر في مكانين من التوراة :

الأول في سفر الخروج ، وتكرر ذكرها في التثنية ، وإليك نصّها كما ورد في سفر الخروج :

« ثم تكلّم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً :

١ ـ أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من دار العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي .

٢ ـ لا تصنع تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما ممّا في السماء من فوق ، ولا ممّا في الأرض من تحت ، ولا مما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لها ولا تعبدها لأني أنا الرب إلهك إله غيور ، أتعقب ذنوب الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع من أعدائي وأصنع إحساناً إلى ألوف من أحبائي وحافظي وصاياي .

٣ ـ لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً .

٤ ـ اذكر يوم السبت لتقدّسه ، في ستة أيام تعمل وتنجز كلّ أعمالـك ، واليـوم السابـع سبت الرب إلهـك ، لا تصنع فيـه عمـلاً أنت وابنـك وابنتـك وعبدك وأمتك وبهيمتـك ونزيلك الـذي في داخل أبـوابك ، لأن الـرب خلق السمـاوات والأرض والبحر وكـل ما فيهـا في ستة أيـام ، وفي اليـوم السـابـع استراح ، ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه .

٥ ـ أكرم أباك وأمـك لكي يطول عمـرك في الأرض التي يعطيـك الرب إلهك .

٦ ـ لا تقتل .

٧ ـ لا تزن .

٨ ـ لا تسرق .

٩ ـ لا تشهد على قريبك شهادة زور .

١٠ ـ لا تشتهِ بيت قريبـك ، لا تشته امـرأة قريبـك ، ولا عبده ولا أمتـه ولا ثوره ولا حماره ، ولا شيئاً مما لقريبك[١] .

وهذا النص يختلف اختلافاً واضحاً عن النص الثاني الوارد في التثنية .

وهذه الوصايا العشر تدور حول موضوعين رئيسيين :

الأول : وظيفة المخلوق تجاه خالقه ، ويحتوي على أربع وظائف .

الثاني : وظيفة المخلوق تجاه سائر المخلوقين من أبناء جنسه ، ويحتوي هذا القسم على ستة وظائف .

ومن الـواضح أنّ القسم الأول أكبـر بكثير من القسم الثـاني ، مع أنّـه أقل منـه بالعدد .

ونحن إذا رجعنـا إلى وظائف القسم الأول الأربـع ودققنـا النـظر فيهـا نجـد أنّ الوظيفة الثانية والثـالثة والـرابعة تعـود إلى الوظيفـة الأولى (وهي : لا يكن لك آلهـة غيري) وهذه تعمّ الثانية الناهية عن عبادة الأصنام والسجود لها ، والثالثة النـاهية عن الحلف به باطلاً ، وكذلك الرابعة من بعض الوجوه .

وهذه الوظائف التي تعود لـوظيفة واحـدة تدلّ على أنّ إلـه بني إسرائيـل يطلب

---

(١) الخروج : ٢٠/٢ ـ ١٧ ، التثنية : ٥/٦ ـ ٢١ .

هذه الوظائف لا لأنّه أهل للعبادة وأنّ العبادة لا تليق إلّا به ، بل لأنّه يغار ولا يقبل أن تعبد آلهة الآخرين وتعطيه قفاك ، كما جاء في بعض كلماته ، ومع ذلك ، كله فإنّ هذا الإله هو بشريّ بكل أوصافه ، يعمل ستة أيام في الأسبوع ولذلك يحتاج إلى يوم راحة ، لذا جعل يوم السبت يوم الراحة ، وقد طلب من بني إسرائيل أن يقدسوا هذا اليوم ولا يخرج أحد منهم للعمل ؛ هذا مع أنّ الله سبحانه وتعالى لا تأخذه سنّة ولا نوم ولا يؤوده حفظ السماوات والأرض وإنّما أمره أن يقول للشيء كن فيكون ، وشتّان ما بين هذا الإله وإله التوراة الضعيف الغيور ، الذي يغار من التوجه للآلهة الأخرى كالنساء ، ويرضى من بني إسرائيل التوجه إليه دون نفي ما عداه من الآلهة الأخرى ، ولو كان لهذا الإله قسط أكبر من الحنكة لعلّل ذلك بتعليل مقبول يمكن أن يتمشى مع العقل والفكر .

هذا بالإضافة إلى أنّ هذا الإله ظالم وحاقد لأنّه يأخذ البريء بجرم المذنب ، فهو يعاقب أحفاد الأحفاد بذنب أجدادهم وهذا من أقبح الظلم .

وأمّا الوصايا الستّ الأخرى فإنّها من أروع ما تتحلى به التوراة لو أنّ تلك الوصايا كانت عامّة وليست عنصريّة وقبلية ، ولو أطلق الحكم فيها كما في الوصية السادسة (لا تقتل) والسابعة (لا تزني) والثامنة (لا تسرق) لكانت تلك الوصايا لا يعلو عليها شيء . ولكن الوصية الخامسة عللت الإحسان إلى الوالدين بأنّه يوجب طول العمر ، مع أنّ الإحسان إلى الوالدين واجب على كل حال ، ولا يحتاج إلى ما يقابله من النفع .

وأما الوصية التاسعة والعاشرة فهما أوهن ما في هذه الوصايا حيث خصّصتا الحكم بالقريب أي من كان من بني إسرائيل ، وأمّا الغريب من سائر الأمم فلا حرج بالشهادة عليه زوراً ، كما أنّه لا حرج في أن يشتهي الإنسان امرأة الغريب ويزني بها . كما هي عقيدة اليهود ؛ وقد اتّضح للقارىء الكريم أنّ هذه الوصايا العشر لا تخرج عن كونها أحكاماً قبلية صدرت من جماعة يعيشون طوال تاريخهم الحياة القبلية حتى يومنا هذا . بقي هنا سؤال ، وهو هل أنّ هذه الوصايا من ابتكارات اليهود ، أم أنّهم أخذوها عن غيرهم من الأمم ؟ .

والظاهر أنّها ليس من ابتكاراتهم لأنّ هناك وصايا لبوذا وهي أكمل وأجمع منها بكثير ، وإن كانت تختلف عنها في العدد والموضوع ؛ فقد طلب أحد التلامذة من

بوذا أن يحدّد له معنى الحياة السعيدة ، فصاغ للتلاميذ خمس قواعد خُلقية يهتدون بها ، وهي بمثابة وصايا ، وكما يقول ول ديورانت : « قد تكون أشمل نطاقاً وأعسر التزاماً مما تقتضيه الوصايا العشر » .

وهذه الوصايا هي :

١ ـ لا تقتلنّ أحداً كائناً حيّاً .

٢ ـ لا يأخذنّ أحدٌ ما لم يُعطَه .

٣ ـ لا يقولنّ أحد كذباً .

٤ ـ لا يشربنّ أحدٌ مسكراً .

٥ ـ لا يقيمنّ أحدٌ على دنس .

فهذه الوصايا من بوذا تتفوق بكمالها وروحها على الوصايا العشر لأنّها تنظر إلى البشر على السواسية ، وأحكامها عامة و غير مقيدة أو مشروطة بأيّ شرط .

وهناك كلمات لبوذا تفوق تعاليم التوراة وتعاليم الإنجيل ، يقول ول ديورانت :

« ونرى بوذا في مواضيع أخرى يضيف إلى تعاليمه عناصر يسبق بها تعاليم المسيح على نحو يدعو للعجب : على الإنسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة وأن يزيل الشر بالخير . . . إنّ النصر يولد المقت ، لأنّ المهزوم في شقاء . . . إنّ الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا أن تزول بكراهية مثلها ، إنما تزول الكراهية بالحب »[1] .

فأين هذه التعاليم ـ التي سبق بها بوذا التوراة ـ من تعاليم التوراة التي أخذت تلك الوصايا وغيرها وصبغتها بالصبغة القبلية اليهودية ؟

وكثير من هذه الوصايا هي للوثنيين ، وإليك الدليل على ذلك :

الوصية الثالثة التي تلزم اليهودي بأن لا يحلف باسم الإله باطلاً ، فهي لا تحرّم على اليهودي الحلف باطلاً ، بل تحرم عليه أن ينطق باسم الإله (يهوه) مطلقاً ، وإذا ما أراد اليهودي ذكره في صلاته يجب عليه أن يستخدم الإسم الأقرب كالربّ

(١) قصة الحضارة : ٣/ ٧٦ ـ ٧٧ .

مثلاً ، وهذه الظاهرة مأخوذة عن الوثنيين الهنود في تصوّرهم للثالوث المقدس عندهم (فبرهمه وفشنو وسيفا) ثلاثة أقانيم غير منفكة عن الوحدة ، وهي الرب والمخلص وسيفا ، ومجموع هذه الثلاثة أقانيم إله واحد ويرمزون إلى هذه الثلاثة بثلاثة أحرف وهي : الألف والواو والميم ويلفظونها : أوم ولا ينطقون بها إلاّ في صلاتهم ، ويحترمون رمزها في معابدهم احتراماً عظيماً(١) .

كما أنّ تقديس يوم السبت في الوصية الرابعة إنّما أخذ عن البابليين ، وكان عندهم فضلاً عن العطلة الأسبوعية أعياد أخرى وأعياد دورية للقمر والشمس (فبنتكست) : عيد حصاد القمح (وسكومث) : عيد الكروم ، (وبساتّش) : عيد الفصح ، عيد بداية نتاج الضأن ، وكان رش ـ ها ـ شناه عيد رأس السنة ، ثم أصبحت فيما بعد أعياداً لليهود ، فكان اليهود في أول يوم من أيام عيد الفصح اليهودي يذبحون حملاً أو جدياً ويأكلونه ، ويرشون دمه على الأبواب إشارة إلى أنّ هذا الدم هو نصيب الإله ؛ ثم ربط الكهنة فيما بعد هذه العادة بعادة قتل يهوه لأبناء المصريين البكر ، وكان الحمل في أول الأمر طوطماً لإحدى القبائل الكنعانية ، وكان عيد الفصح عند الكنعانيين عيد تقريب حمل لأحد الآلهة المحليين ونحن نقرأ اليوم في الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج قصة هذا العيد ، ثم نجد اليهود حتى هذا اليوم يحتفلون به على النحو الذي كانوا يحتفلون به قديماً(٢) . ومن هنا ندرك قدم هذه العبادة الكنعانية التي أخذها اليهود وجعلوها من طقوسهم ومن وحي السماء .

وأمّا الوصية العاشرة فهي تدل على انحطاط منزلة المرأة في نظر يهوه إلى درجة أنّه جعلها من متاع الرجل ، وقرنها بالعبد والأمة ، بل بالثور والحمار ، حتى بالأخسّ من ذلك ؛ وهذا يدل بكل وضوح على منزلة المرأة الاجتماعية في تلك الحقبة من الزمن ، وعلى أنّ هذه الوصايا من صياغة البشر وبعقلية ذلك العصر .

وأمّا قيمة هذه الوصايا فلا تعدو عن أنّها جمعت شمل اليهود وحفظت وحدتهم ، وكانت السور الحصين لدولتهم التي كانت تتنقل معهم ، والتي لم يكن لها مكان : وبمقدار ما حافظت هذه الوصايا العشر على الروحية اليهودية فإنّها كانت

---

(١) خرافات التوراة لدوان ص ٣٦٦ .

(٢) قصة الحضارة : ٢/٣٧٣ ـ ٣٧٤ .

العلة في معاناة اليهود عبر التاريخ من القتل والتشريد والإهانة، لِأنّ هذه الوصايا هي التي جعلتهم يعيشون حياة القبلية والعزلة عن المجتمع البشري ، كما هي الحال اليوم ؛ وهي التي جعلتهم يستحلّون المحرمات ويسفكون الدماء ، ويرتكبون كل جريمة في حق غيرهم ، وهذا ما أثار ولا يزال يثير النقمة عليهم حتى هبّت الشعوب والأمم لمحاربتهم والقضاء عليهم ، وهذه الحال لا يمكن أن تزول منهم ، ولا يمكن أن يكون لهم قرار ، واجتماعهم اليوم في أرض فلسطين من كل بلاد العالم له فوائده ، وهو بذاته سيكون أكبر مصيبة تحلّ بهم ، لأنّ عداء الشعوب والأمم لهم سوف يزداد، ومهما ساعدت أمريكا إسرائيل فإنّ ذلك لا يدوم ، ولا بد أن يأتي اليوم الموعود لكي تتحرك الشعوب لتطهير أرض الأنبياء من هذا الوجود الصهيوني الغريب في قلب الأمّة الإسلامية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنّ هذه الوصايا تتناقض مع التوراة بأسرها ، لأنّ هذه الوصايا لا تشكل واحداً من ألف بالنسبة إلى التوراة ، وأعمال الأنبياء وبني إسرائيل تتناقض مع هذه الوصايا تماماً ، ولذا كانت هذه الوصايا العشر : تبعث على الشك والضلال ، لأنّه لا يمكن الجمع بينها وبين الأعمال التي تنسبها التوراة للأنبياء ؛ وإليك أيّها القارىء الكريم صورة مصغرة عن مخالفة إله التوراة لنفسه ، ومخالفة أنبياء بني إسرائيل لهذه الوصايا ؛ أمّا مخالفة اليهود فحدّث ولا حرج ، وقد ذكرنا الكثير منها فيما تقدم .

مخالفة إله التوراة لنفسه في الوصايا العشر

ربما تتعجب أيّها القارىء ، ولكنها الحقيقة التي نشاهدها في التوراة ، فأول هذه الوصايا العشر التي أطلقها يهوه هي : « لا تتخذ آلهة غيري » والتي يعود إليها الثلاثة الأخرى نجد أنّ يهوه أول من خالفها .

فهذا هو يخاطب موسى بن عمران بقوله :

« **انظر ، أنا جعلتك إلهاً لفرعون ، وهارون أخيك يكون نبيّك** »[1] .

(١) الخروج : ١/٧ .

مخالفة أنبياء بني إسرائيل للوصايا العشر

أمّا مخالفة الأنبيا لهذه الوصايا فهي كثيرة ، وأول من خالف الوصية الأولى هارون ، كما تزعم التوراة ، فلما أبطأ موسى في العودة إلى بني إسرائيل لمّا ذهب إلى ميقات ربّه :

« إجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم إصنع لنا آلهةً لِأننا لا ندري ماذا حصل لموسى ، فأمرهم هارون بأن يجمعوا أقراط الذهب من آذان نسائهم وبناتهم ، وصنع لهم عجلاً ، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر ؛ ثم بنى لهم مذبحاً ودعاهم لعيد الرب في الغد ؛ وفي الغد أقاموا الاحتفال العظيم فقدّموا الذبائح وجلسوا للأكل والشرب وأخذوا يتراقصون ويلعبون حول العجل »[(١)] .

لم يكن هارون هو الوحيد الذي خالف هذه الوصايا ، بل سليمان أيضاً خالف هذه الوصايا ، فقد بنى المذابح لعشتورت على المرتفعات قبالة أورشليم عن يمين جبل الهلاك ، وقد هدمها يوشيّا عندما قام بحملته الإصلاحية »[(٢)] .

وكان سليمان أيضاً مغرماً بالنساء الغريبات من الأمم الأخرى ، وكان له كما تقول التوراة سبع مائة امرأة وثلاث مائة من السراري ، فمال قلبه إلى تلك النسوة ، ومن هنا ذهب وراء آلهة أخرى .

« فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمّونيين ، وعمل سليمان الشّر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه ، حينئذٍ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بنى عمون ؛ وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن »[(٣)] .

وأمّا الوصية الرابعة وهي : تقديس يوم السبت فإن بني إسرائيل خالفوها كثيراً ، ومن هنا وعظهم أنبياؤهم وذكروهم بقداسة هذا اليوم ، فهذا نحميا يرى في

---

(١) الخروج : ٣٢/ ١ ـ ٦ .
(٢) الملوك الثاني : ٢٣/ ١٢ ـ ١٣ .
(٣) الملوك الأول : ١١/ ١ ـ ٨ .

يهوذا قوماً يدوسون معاصر في يوم السبت ويأتون بحزم ، ويحمّلون حميراً ، وكان الصوريون يأتون بالسمك وكل بضاعة ويبيعون في السبت لبني يهوذا في أورشليم ، فخاصم عظماء يهوذا وقال لهم : إنّ هذا الأمر الذي تعملونه قبيح تدنّسون به يوم السبت[1] .

وكان المسيح يوبّخ بني إسرائيل الذين اعترضوا على تلامذته لما جاعوا فقطفوا سنابل وأكلوها فقالوا للمسيح : هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت ، فقال في جوابهم : أو ما قرأتم في التوراة ما فعله داود حينما جاع هو والذين معه كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لا يحل أكله له ولا للذين معه ، بل للكهنة فقط ، أو ما قرأتم أنّ الكهنة في السبت في الهيكل يدنّسون السبت[2] .

الوصية الخامسة

وأمّا الوصية الخامسة التي تأمر بإكرام الوالدين والإحسان إليهما ، فهي مما تأمر به الفطرة البشرية وهي من أبدع ما أوصى به الأنبياء ، إلّا أنّ المسيح خالفها ولم يحترم أمّه كما جاء في الأناجيل .

قال متّى : « وفيما كان المسيح يكلم الجموع إذ أمه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه ، فقال له واحد : هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك ، فأجاب وقال للقائل له : من هم أمي ومن هم إخوتي ؟ ثم مدّ يده نحو تلاميذه وقال : ها أمّي وإخوتي ، لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي[3] » .

ونحن وإن كنّا ننزّه ساحة المسيح (عليه السلام) عن هذه الإهانة لأمه البتول ، إلا أن فعله هذا حجة على من يعتقد بوحي هذه الكتب ، ثم أن نفس التوراة فيها ما يناقض هذه الوصية حيث إنها ترى أن الإنسان يترك أباه وأمه ، ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً[4] .

---

(١) نحميا : ١٣ /١٥ ـ ١٧ .
(٢) متى : ١٢/١ ـ ٥ .
(٣) متى : ١٢/٤٧ ـ ٥٠ . لوقا : ٨/١٩ ـ ٢١ . مرقس : ٣/٣١ ـ ٣٥ .
(٤) التكوين : ٢/٢٤ .

الوصية السادسة : « لا تقتل »

لم تحرّم الأديان شيئاً كما حرّمت القتل وسفك الدماء ، وقد وعد الله سبحانه وتعالى القاتل بالخلود في جهنم واعتبر القرآن الكريم أن قتل نفسٍ واحدة بلا سبب بمنزلة قتل الناس جميعاً ، كما أن من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ؛ إلا أن هذه الوصية لم تطبق من إله التوراة ، وهو أول من خالفها ؛ كما أن انبياء بني إسرائيل لم يطبقوها ولا اليهود أيضاً ، وقد تقدم أن يهوه هو إله الحرب[1] ورب الجنود ، فهو في حالة قتال ، وله في التوراة (كتاب حروب الرب)[2] وهو ليس من أسفارها . وهذا ما جعل بني إسرائيل في حالة حرب مستمرة مع جميع الأمم والشعوب ، وذلك لأنهم يحملون عقائد وأفكاراً معادية للآخرين ، وقد حافظوا عليها طيلة تاريخهم ؛ فعزلتهم عن الأمم وجعلتهم يعيشون حياة القبلية المبنية على القنص والقتال ؛ ومن تصفح التوراة وتعمق فيها يجد أن الصفة التي يتميز بها يهوه عن الصفات الأخرى هي صفة القتل والغضب السريع ، فتراه يحمي غضبه بسرعة[3] مع أنه ليس له حال ثابتة ، فهو غريب الأطوار عصبي المزاج ، وهذا ما جعل موسى يحتار كيف يتعامل معه ، ودعاه إلى أن يطلب منه أن يعرِّفه نفسه ويبيِّن له مزاجه الخاص ليعرفُ كيف يتعامل معه[4] . ومع ذلك فإن الطابع الغالب عليه والمميِّز له هو حبه للقتل وسفك الدماء ، فهو لا يتورع عن قتل أقرب الناس إليه وأخلصهم له ، ولا يتورع عن القتل العام للأطفال والنساء والشيوخ ، فهو مولع بسفك الدماء بشكل غريب ، حتّى أن موسى كان كثيراً ما يتدخل ويستعطفه حتى يتراجع أو يخفف من غضبه وانتقامه من بني إسرائيل

« فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم . . . فتضرّع موسى أمام

---

(١) الخروج : ٣/١٥ .

(٢) العدد : ١٤/٢١ .

(٣) راجع الموارد التي كان يهوه يحمي غضبه فيها : الخروج : ١٤/٤ . المزامير : ٤٠/١٠٦ . العدد : ١/١١ . أيوب : ٢/٣٢ . المزامير : ٣/٣٩ و٢٤/٦٩ و٤٩/٧٨ و٣/٨٥ . الخروج : ٢٤/٢٢ و١١/٣٢ ـ ١٤ . أيوب : ٢٣/٢٠ . إرميا : ٢٦/٤ و٥/٢١ . هوشع : ٩/١١ . يوئيل : ٩/٣ ومن هنا نعلم أن يهوه دائماً في حالة غضب وفي حالة استنفار قصوى ، وربما يتصاعد منه الدخان لشدة غضبه : المزمور :١/٧ .

(٤) الخروج : ١٢/٣٣ ـ ٢٠ .

الرب إلهه وقـال : لماذ يـا رب يحمي غضبك على شعبـك الذي أخـرجته من أرض مصـر بقوة عـظيمة ويـد شـديـدة ؟ لمـاذا يتكلم المصـريـون قـائلين : أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض ؟ ارجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك ، اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيـل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم : أكثـر نسلكم كنجوم السمـاء . . . فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه[1] .

وقد تعجب أيها القارىء من هذه الكلمات ، إلا أن هذا العجب سوف يتلاشى على شاطىء الآيات التي تكشف هذه الحقيقة من التوراة . لقد أراد يهوه أن يقتل أعز النـاس وأخلصهم وأطوعهم لـه ، وهو في حـال تنفيذ أوامـره . نعم ، إنه يـريد قتـل موسى بن عمران .

« لقـد أمر الـرب موسى بـالرجـوع إلى مصر بعـد أن مـات أعـداؤه في مصر ، من أجل أن يظهر الآيات لفرعون فامتثـل موسى الأمـر وأركب زوجته وأولاده الحمير ورجع إلى مصر ، وحينما وصل إلى بعض المنازل في طـريقه إلى مصر لاقاه الرب يريد قتله ، فما كان من زوجته إلا أن قامت بخدعة لتنقذ زوجها من القتل فأخذت صوّانة وقطعت عزلة ابنها وقـالت : إنك عـريس دمٍ لي ، فتخلّى الرب عن موسى وتركه[2] » .

لم تكن هذه هي الحالة الوحيـدة التي كانت من يهـوه مع أطـوع الناس لـه وهو موسى ، بل هنا حال أخرى لا تقلّ عن هذه الحال ؛ ففي أخريات حيـاة موسى ذلـك النبي العظيم .

« الذي لم يقم بعدُ نبيٌ في إسرائيل مثله والذي عرفه الرب وجهاً لوجـه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله بها ليعملها في أرض مصر ، بفـرعون وبجميع عبيده وكل أرضه ، وفي كـل اليد الشـديدة وكـل المخاوف العـظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل[3] » .

هذا النبي الذي وصفته التوراةبتلك الصفـات في آخر حيـاته ، وبعـد أن أنهى

---

(١) الخروج : ٣٢/١٠ ـ ١٤ .
(٢) الخروج : ٤/١٩ ـ ٢٦ .
(٣) التثنية : ٣٤/١٠ ـ ١٢ .

مهمته الرسالية وكافح وجاهد وقاد أعظم ثورة في تاريخ أنبياء بني إسرائيل ، بعد تلك الآلام والمحن والجهاد العظيم يأمره يهوه بأن يصعد إلى جبل (عباريم) ليموت هناك وينضم إلى قومه ، كما مات هارون في جبل (هور) وضُم إلى قومه وهذا كأنه عقاب لهما ، لأن يهوه يعلل ذلك بقوله لموسى :

« لأنكما ختنماني في وسط بني إسرائيل عند ماء (مريبة قادش) في برية صين ، إذ لم تقدّساني[1] » .

والعجيب أن يهوه يناقض نفسه بنفسه ففي آخر حياة موسى يتّهمه بالخيانة بينما كان قبل ذلك يصفه بالأمين .

كما تحكى التوراة عن مريم وهارون أنهما ادّعيا الحضور لمّا كلّم الرب موسى ، فنزل الرب في عامود السحاب ووقف عند باب خيمة الاجتماع بعد أن أمرهما بالدخول إليها ثم دعاهما للخروج ، فقال :

« إسمعا كلامي ، إن كان منكم نبيّ للرب فبالرؤيا أستعلنُ له في الحلم أكلّمه ، وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي . . . فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدي موسى[2] » .

فكيف يتّهمه بالخيانة وكان قبل ذلك هو الأمين في الكون الذي هو بيته ، ولا تعجب عزيزي القارىء فإن يهوه لا يعرف أحد مزاجه !

إن موقف يهوه من أخلص الناس وأطوعهم له ، ومعاملته لموسى هذه المعاملة ، وسائر مواقفه الأخرى مع بني إسرائيل دليل واضح على أن أهم الصفات التي يتميز بها هي حبه وتعطشه للقتل والظلم ؛ ولذلك لا يرحم أولاد الأحفاد بل يؤآخذهم بذنوب الأجداد ؛ لقد كان يهوه مولعاً بالدم وسفكه ، وهذا ما جعله يتخذ من الدم علامة لإنقاذ بني إسرائيل :

« لمّا أراد ضرب المصريين ودوابهم طلب إلى بني إسرائيل أن يرشوا الدم على أبواب دورهم ليميزهم بذلك ، ويعبر عن دورهم فلا يصلهم ضرر

---

(١) التثنية : ٤٨/٣٢ ـ ٥١ .

(٢) العدد : ٢/١٢ ـ ٨ .

عند ضربه للمصريين[1] » .

ومن مظاهر حبه لسفك الدماء أنه لا يرضى إلا بقطع رؤوس الشعب وتعليقها له أمام الشمس ، وذلك حينما حمي غضبه على بني إسرائيل عندما زنوا ببنات موآب ، وذبحوا لآلهتهنّ وسجدوا لها ، وتعلق بنو إسرائيل ببعل ؛ حمي غضب الرب عليهم فقال لموسى :

« خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس ليرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل[2] » .

إن يهوه لا يعرف الرحمة ، وموسى كان أرحم منه ، لذلك لا يتورع عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ ؛ وربما كان موسى يتدخل في كثير من الحالات لكي يخفف من غضب الرب وكأنه دائماً في حال غضب ، وقد اشتدّ غضبه على بني إسرائيل مرة أخرى حينما عبدوا الأصنام وقالوا : الرب ترك الأرض والرب لا يرى ؛ عند ذلك حضر إله إسرائيل وصعد عن الكروب الذي كان عليه إلى عتبة البيت يقول حزقيال :

« وقال لأولئك (أي الرجال) في سمعي اعبروا في المدينة واضربوا ، لا تشفق أعينكم ولا تعفوا ، الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك . . . وقال لهم : نجّسوا البيت واملأوا الدور قتلى ، اخرجوا ، فخرجوا وقتلوا في المدينة[3] » .

موسى يخالف الوصية السادسة : (لا تقتل)

وكذلك خالف موسى هذه الوصية حيث أمر بقتل الذكور من الأطفال ، والنساء :

« فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال ، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها[4] » .

---

(١) الخروج : ١٢/١٢ ـ ١٣ .
(٢) العدد : ١/٢٥ ـ ٤ .
(٣) حزقيال : ٣/٩ ـ ٧ .
(٤) العدد : ١٧/٣١ ـ ٣٥ .

وحينما تغلب موسى على سيحون

« دفعه الرب إلهنا أمامنا فضربناه وبنيه وجميع قومه ، وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرّمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال ، لم نبق شارداً ؛ لكنَّ البهائم نهبناها لِأنفسنا وغنيمة المدن التي أخذنا[1] » .

هذه بعض الصور التي قام بها موسى بوحي من يهوه ، فهو لم يترك شارداً لا من النساء ولا من الأطفال ولا من الشيوخ ، فأباد كل شيء إلّا البهائم التي لها حظّ أكبر من حظ الإنسان ، فأبقيت حتى يستفيدوا منها !

وأما يشوع بن نون وصي موسى ، والذي عبر ببني إسرائيل نهر الأردن ، فقد خالف هذه الوصية وزاد على أستاذه موسى بأن أباد كل شيء حتى البهائم ، ولم يترك حياً !

فحينما افتتح يشوع مدينة أريحا بعد أن حاصرها سبعة أيام صعد الشعب إلى المدينة وفتحوها عنوة

« وحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف . . . ثم أحرقوا المدينة بالنار بكل من فيها ، فكان عدد الأطفال الذين قتلوا في هذه المعركة إثنين وثلاثين ألف ما عدا النساء والرجال[2] » .

ولما فتح مدينة (عاي)

« قتل أهلها وطاردهم في الحقول والبرية فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً ، جميع أهل عاي وأحرق المدينة وجعلها تلّاً أبدياً[3] » .

وبعد تلك الفتوحات التي انطوت على إبادة جميع السكان والبهائم حيث لم يتركوا حياً فيها ، بعد ذلك تقول التوراة :

---

(١) التثنية : ٣٣/٢ ـ ٣٥ .
(٢) يشوع : ٢١/٦ ـ ٢٤ .
(٣) يشوع : ٢٣/٨ ـ ٢٨ .

« فضـرب يشوع كـل أرض الجبل والجنـوب والسهل والسفـوح وكـل ملوكها لم يبق شارداً ، بـل حرّم كـل نسمةٍ كمـا أمر الـرب إله إسـرائيل . . . وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة لأن ا لرب إله إسرائيل حارب عن إسرائيل[1] » .

والتوارة لا تجدهـا تتحدث عن شيء كمـا تحدثت عن القتـل وسفك الـدماء ، والطابع الغالب عليها الحروب وسفك الدماء وعصيان بني إسرائيل لأنبيائهم ، ونحن وإن كنا نجد في التاريخ كثيراً من القتل والـدمار، وربمـا ارتكب ملوك الأرض ما هـو أشد من ذلك ، ولكن لا نجـد كتـابـاً من كتب الوحي يـدعو إلى الإسـراف في القتل والدمار إلى أن يصل الأمر إلى حدّ الإبادة وقتل الأطفال والنساء والحيوانات كما تدعو إليه التوراة ، ومـع ذلك تقـول التوراة إن الـرب أمر بـذلك ! فمـا هي إذاً طبيعة هـذا الرب ، وهل يمكن أن يكون إلهاً حكيمـاً عادلاً ، أم أنـه إله وثني لا وجـود له إلا في أذهان الذين اختـرعوه وجعلوه إلهـاً للحرب ، لأنهم دائمـاً كانـوا ولا يزالـون في حال حرب مع الأمم والشعوب والقيم والمثل والمقدسات البشرية ؟

وإنني أكتفي بهذا المقدار ، وأحيل القارىء الكريم على التوراة ليرى بأم عينـه مقدار حديثها عن الحرب والقتال بالنسبة إلى سائر الأمم الأخرى .

الوصية السابعة : (لا تزن)

لا شك أن التوراة الحالية تحمل في طيّاتها الكثير من تعاليم الأنبياء والرسل ، ومن تشـريعات التـوراة التي أنـزلت على مـوسى ، ولكن هـذه التشـريعـات والحكم تتلاشى في لجج ما تزخر به التوراة الحالية من خرافات وتناقضات وأكاذيب ، وعقائد وثنية لا تمتّ إلى الوحي بصلة ، وهذه الوصية خير شاهد على ذلك .

إن حرمة الزنى مما أجمعت عليها شرائـع السماء ، حتى الأديـان الأرضية التي كـان أهلها يتحلّون بنـوع من الفضيلة والتقوى ؛ والـذي يدعـو لـلإستغـراب بـل إلى الضلال والإنحراف أن التوراة التي تحرم الزنى وتجعل حرمته من أهم الوصايا ، هي بنفسها تدعـو للزنى وتشجِّع عليهـا عملياً ، وذلـك بنسبتها الـزنى للأنبيـاء ، حتى أنها تنسب ولادة بعضهم إلى الزنى ! نعوذ بالله . وإليك أيها القارىء الكريم بيان ذلك :

---

(١) يشوع : ١٠/٣٨ - ٤٢ .

يهوه يأمر نبيّه هوشع بالزنى

إن أول ما كلّم الرب هوشع قال الرب لهوشع :

« اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى ، لأن الأرض قد زنت زنىً تاركةً الرب ؛ فذهب هوشع وأخذ (جومر) بنت دبلايم ، فحبلت وولدت له إبناً وبنتاً »[1] .

لم يكتف يهوه بعمل هوشع هذا بل أمره بأن يكثر من الزنى :

« وقال الرب لي : اذهب أيضاً احبب امرأةً حبيبةَ صاحبٍ ، وزانيةً كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى[2]» .

وليس عجيباً من يهوه أن يحرّم الزنى ثم يأمر به ، ولكن العجيب من الذين يدّعون أنهم أقطاب العلم وروّاد الحضارة كيف يدّعون أن هذه الكتب هي من كتب الوحي ؟ وما هو موقف الإنسان العادي من هذه التناقضات ؟!

لوط يزني بابنتيه

لما عصى قوم لوط وعتوا عن أمر ربّهم استحقوا العذاب ، فأمر سبحانه نبيّه لوط بمغادرة البلد والنجاة بنفسه ، فترك صوغر وصعد إلى غارٍ في الجبل فسكن فيه هو وابنتاه ، فقالت البكر للصغيرة لقد شاخ أبونا وليس في الأرض رجل يدخل علينا ، هلمّ نسقيه خمراً ونضطجع معه ، فنحيي منه نسلاً ، فسقتاه خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت معه ، ولم يعلم لوط باضطجاعها معه وقيامها عنه ، فلما أصبحت أخبرت أختها الصغيرة ، وفي الليلة الثانية سقتاه خمراً ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم بذلك ، فحبلتا من أبيهما لوط ووضعت البكر ابناً سمته مؤآب ، وهو أبو المؤآبيين إلى اليوم ، ووضعت الثانية ابناً وسمته بَن عمي ، وهو أبو بني عمون إلى اليوم[3] .

---

(١) هوشع : ١/٢ ـ ٦ .

(٢) هوشع : ١/٣ .

(٣) التكوين : ١٩/٣٠ ـ ٣٨ .

ليت شعري ، هل أبقى كاتب التوراة حرمةً لهذا النبيّ العظيم الذي أمره الله بترك صوغر التي استحق أهلها العذاب لتمردهم على الله ومخالفتهم أحكامه وفعلهم المنكر ؟ فيترك لوط البلد لظلم أهلها ويذهب إلى الجبل ، ويرتكب أشنع وأبشع المعاصي : يشرب الخمر ويزني بابنتيه ؟! ولست أدري هل أنّ الكاتب يؤمن بالمقدسات والقيم ؟ إنّي لا أظن ذلك لأنّ من أراد أن ينسب للأنبياء كل تهمة لا يصل إلى هذا الحدّ من الجرأة والافتراء !! .

زنى داود

إنّ قصة زنى داود إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على أنّ كاتب التوراة هدفه الاستهزاء بالأنبياء والمقدسات ، وتحليل المحرمات ؛ فهذا داود الذي بنى الهيكل ، والشخصية العظيمة في بني إسرائيل يتبع أخسّ الأساليب للوصول إلى شهواته ، نعوذ بالله ، تقول التوراة :

إنّ داود عندما كان يتمشى على سطح داره رأى إمرأة تستحم فأرسل إليها وأحضرها وكانت زوجة (أوريا) القائد المجاهد المؤمن فزنى بها وحملت من ذلك الزنى ، فخشي داود الفضيحة وأراد تمويه الأمر على (أوريا) فطلبه وأمره أن يدخل بيته فأبى (أوريا) وقال : « سيدي يوآب وعبيد سيّدي نازلون في الصحراء ، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتي ؟ وحياتِك وحياةِ نفسك لا أفعل هذا الأمر » .

فلمّا يئس داود من التمويه عليه أقامه عنده يوماً ودعاه فأكل عنده وشرب وأسكره ، وفي الصباح كتب داود إلى يوآب « اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت » وقد فعل يوآب ذلك فقتل أوريا ، وأرسل إلى داود يخبره بموته ، فضم داود امرأة أوريا إلى بيته وصارت امرأته بعد انتهاء مناحتها على أوريا[1] .

والأعجب من ذلك أنّ سليمان ابن داود ولد من تلك المرأة كما يذكر متى :

« **وداود الملك ولَدَ سليمان من التي لأوريّا** »[2] .

---

(١) صموئيل الثاني : الإصحاح ١١ فراجع .
(٢) متى : ١/٦ .

زنى ســــليمان

لقد حرّمت التوراة على ملوك بني إسرائيل كثرة النساء(١) كما أنّهـا حرّمت على بني إسـرائيل التصـاهر من الـوثنيين وتزويجهم ، وعللت ذلـك بـأنّ التـزويـج لهم أو التصاهر منهم يحرف الإنسان عن ربّه إلى عبادة آلهتهم(٢) ثم تحكي لنـا التوراة شيئاً مهماً في حياة سليمان حيث إنّه كـان مولعاً بحب النساء وأحبّ الملك سليمـان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، موآبيات وعمونيّات وأدوميّات وصيـدونيّات وحثّيـات من الأمم الـذين قال عنهم الـرب لبني إسرائيـل : لا تـدخلون إليهم ، وهم لا يـدخلون إليكم لأنّهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبّة ، وكـانت له سبع مائة من النساء السيـدات ، وثلاث مائة من السراري ، فـأمالت نسـاؤه قلبه . فمال قلبه وراء آلهـة أخرى ، ولم يكن قلبـه كامـلاً مع الـرب كما كـان قلب أبيه داود فـذهب سليمان وراء عشتـورت . . . وبنى لجميع نسـائه الغـريبات معـابـد يـذبحن ويوقدن فيها لآلهتهن(٣) .

ومن الواضح أنّ هذا العدد الهائل من النساء كان سليمان يعاشرهن بالزنى نعوذ بالله ، لأنّ التوراة حرّمت الزواج بالغريبات ، فلذلك حمي غضب الرب على سليمان ومزّق مملكته لأنّه لم يحفظ ما أوصى به الرب(٤) .

وهـذه التشكيلة من النساء الأجنبيـات ، وهـذا العـدد الضخم منهن يعدّ أكبـر مشجع للإنسـان الذي يؤمن بـالتوراة ليقـوم بهذا العمـل ، وخاصـةً في ريعان شبـابه فينكح كل امرأة يجدها من أي جنسية أو قومية كانت ، لأنّ سليمان فعل ذلك وهو في زمـان شيخوختـه كما تقـول التوراة ، فبـطريق أولى للشـاب اليهـودي أو المسيحي أو الشابة أن يقوموا بهذا العمل في ريعان شبابهم ؛ والذي يطّلع على العلاقات الجنسية في العـالم الغربي اليـوم يجد أنّ الغـربيين لا يعرفـون معنى الحلال والحـرام ، فكل علاقاتهم الجنسية تقوم على الزنى ، وكل كبيـر منهم وصغير لـه عشيقة يمـارس معها

---

(١) التثنية : ١٧/١٧ .
(٢) التثنية : ٣/٧ - ٤ .
(٣) الملوك الأول : ١/١١ - ٨ .
(٤) الملوك الأول : ٩/١١ - ١٣ فراجع .

الجنس دون أي عقد ، والأمر لا يقف عند هذا الحد ، بل العلاقات الجنسية بين المحارم أصبحت عادية جداً ، وكل من يستمع إلى بعض البرامج التلفزيونية التي تُعرض في العالم الغربي يشاهد ذلك بنفسه ، ويستمع إلى شرح الأمهات لعلاقاتهن بالأولاد ، وللآباء بالبنات ، والإخوة بالأخوات ، ويجد أنّ الأمّ حينما تشرح كيف تُمارس الجنس مع ابنها كأنّها تمارسه مع عشيقها أو مع إنسان غريب لا تربطه بها أي رابطة ، وهذه المأساة هي من أضرار الكتاب المقدس الذي حرّم الزنى بعبارة : « لا تزن » ولكنه شجّع وحثّ على الزنى بالقصص التي يرويها عن الأنبياء نعوذ بالله ، هذا بالإضافة إلى القصص الغرامية الساحرة الواردة في التوراة ، كقصة إسحاق ورفقة ، ويعقوب وراحيل ، ويوسف وبنيامين ، وشمشون ودليلة ، وأستر ويهوديت ، ودانيال والمزامير ، وهي خير شاهد على ما في الحياة اليهودية من عنصر شهواني دنيوي ؛ ولست أدري كيف تغافل رجال الدين اليهودي عن هذه الأغاني من عواطف شهوانية فأجازوا وضعها بين أقوال إشعياء وغيره ، وسوف نتحدث عن هذه الأغاني الغرامية فانتظر .

زنا شمشون

شمشون هو أحد أنبياء بني إسرائيل وقد كان لهذا النبي دور كبير في خلاّقية الخيال اليهودي الذي نسج الأساطير حول شجاعة وقدرة شمشون .

هذا النبي أحب امرأة من وادي سورق إسمها دليلة وكان يزني بها دائماً ، وقد ساعدت هذه المرأة الفلسطينيين في كشف السر الكامن في قدرة شمشون والتي كانت في شعره ، وكانت هذه المرأة سبباً في كشف ذلك السر وقتله كما تنصّ التوراة[1] .

زنـى يهـوذا

يهوذا هو الولد الثالث ليعقوب ، الجد الأعلى الذي يرجع إليه اليهود في

---

(١) القضاة : ١٣/٥ ـ ٢٥ و١٤/٦ ـ ١٩ و١٥/١٤ ـ ١٨ ـ ١٩ و١٦ فراجع ، والأصرح من الكل في نبوته ما جاء على لسان بولس في رسالته للعبرانيين ١١/٣٢ .

نسبهم ، وإليه تنسب مملكتهم ، وقد زنى بزوجة إبنه (عير) المسماة (بثامار) ، وقد حملت منه وولدت له ولدين (فارص وزارح)[1] وقد ذكر متّى عند حديثه عن نسب المسيح (ع) وجعله مع سليمان وداوُد من نسل فارص الذي ولد من زنى يهوذا بكنته(ثامار)[2] .

فانظر أيها القارىء الكريم كيف تنسب التوراة إلى يهوذا الزنى بذات المحرم ، وكيف ينسب الإنجيل ثلاثة من أنبياء الله العظام إلى الولادة من الزنى !

والأعجب من ذلك كله أن متّى لم يذكر من أمهات وجدات المسيح (ع) إلا جداته الأربع اللاتي غمزت التوراة بنسبهن ونسبت لهن الزنا بذات المحرم[3] وهي ثامار وراحاب وراعوث وامرأة أوريا الحثي . فهو يشير إلى ما في الثامن والثلاثين من سفر التكوين وإلى أول الإصحاح الثاني من يشوع وإلى الإصحاح الثالث من راعوث وإلى ما في الحادي عشر من صموئيل الثاني . هذا بالنسبة إلى الأنبياء ، وأما بالنسبة إلى عوائلهم فإننا نجد لمؤلفي التوراة عداوة خاصة لعوائلهم أيضاً ، فهم يصفونها بأخسّ وأحط الأوصاف فلم يدعوا منقصة ولا وصمة عارٍ إلا وصموا بها عوائل الأنبياء وأبناءهم هذه السلسلة الطاهرة ، فبالإضافة إلى ما حكته التوراة من زنا لوط بإبنتيه ، وزنا يهوذا بكنته ، وولادة فارص من ذلك الزنا ، فإنها تذكر أن إبن يعقوب روأبين زنى ببلهة سرية أبيه[4] ، وأن ابن داوُد أمنون إغتصب أخته (ثامار) بنت داوُد وسكت عنه داوُد ولما قام أخوة أبشالوم إبن داوُد بحيلة وقتله بكى عليه داوُد بكاءً عظيماً[5] . هذا مع أن التوراة توجب قتل الزاني والزانية إذا كان بذات البعل فكيف الزنا بالمحرم[6] .

والتوراة التي تحدثت عن شرف أبشالوم الذي قتل أخاه لِأنه زنى بإختـه تحدثت عن عدة جرائم لِأبشالوم ، فقد نصب هذا الشريف خيمة على السطح وجمع سراري

---

(١) التكوين : ٦/٣٨ - ٣٠ .
(٢) متّى : ٣/١ .
(٣) متّى : ٣/١ - ٥ - ٦ .
(٤) التكوين : ٢٢/٣٥ .
(٥) صموئيل الثاني : ١٣/ فراجع .
(٦) سفر الأحبار : ١٠/٢٠ .

أبيه داوُد ودخل إليهن وزنى بهن أمام جميع إسرائيل[1] ، وقد فاق هذا الشريف ابن يعقوب الأكبر روأبين من ثلاثة وجوه :

الأول : أن روأبين لم يزنِ إلا بإمرأة واحدة من نساء أبيه ، وأما أبشالوم فقد زنى بجميع نساء أبيه اللاتي تركهن داوُد لحفظ البيت .

الثاني : أن أبشالوم زنى أمام أعين جميع بني إسرائيل بخلاف روأبين فإنه زنى خفيةً .

الثالث : أن أبشالوم حارب أباه بعد أن قتل أخاه حتى قُتل في تلك المعركة عشرون ألف ومع هذه الجرائم التي قام بها أبشالوم كان داوُد يوصي رؤساء الجيش بأن لا يقتلوه إذا قبضوا عليه وقد خالف أمر داوُد يوآب وقتل أبشالوم فلما سمع داوُد بذلك بكى عليه بكاءً شديداً ، وكان يتمشى ويقول يا إبني أبشالوم يا ليتني متُّ عِوضاً عنك[2] .

ونحن لا نعجب من صدور هذه المعاصي من الأنبياء وهذه الجرائم من أبناءهم ولكن الذي يسلب عقل الإنسان ويحز بالنفس أن التوراة تجعل هذه الجرائم بأمر من الرب وأنه أمر بها طبقاً لعدله وحكمته فقد سلَّط السيف على بيت داوُد والرجال على نساءه لينتقم من داوُد الذي زنى بامرأة أوريا الحثي :

« فقال : ناثان لداوُد أنت هو الرجل ، هكذا قال الرب إله إسرائيل ، أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاؤل وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا . . . لماذا إحتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه ، قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت إمرأته لك إمرأة وإياه قتلت بسيف بني عمون ، والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد . . هكذا قال الرب ها أنا ذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نساءك في عين هذه الشمس لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس[3] » .

(١) صموئيل الثاني : ١٦/٢٠ ـ ٢٢ و١٢/١١ .
(٢) راجع صموئيل الثاني : الإصحاح الثامن عشر .
(٣) صموئيل الثاني : ١٢/٧ ـ ٢٠ فراجع .

لم تكتفِ التوراة بهذا الحد من نسبة الزنا للأنبياء وأبناءهم وتولدهم منه بل زادت على ذلك بأن جعلت للرب يوماً هو من أعظم الأيام على شعبه ومدينته المقدسة (أورشليم) حيث سلّط الأمم على تلك المدينة حتى يقتلوا شعبه ويفضحوا نساءه :

« هوذا يومٌ للرب يأتي فيُقسم سلبك في وسطك ، وأجمع كل الأمم على أورشليم للمحاربة فتؤخذ المدينة وتُنهب البيوت وتُفضح النساء »[(١)] .

ومما يندى له جبين الإنسانية ويخجل كل غيور ، أنَّ التوراة التي يعتبرونها من كتب الوحي تجعل يهوه دلالاً لنساء داوُد :

« هكذا قال الرب ها أنا ذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نساءك في عين هذه الشمس لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس »[(٢)] .

إنَّ هذه الفصول المتقدمة من التوارة الرائجة إنْ دلَّت على شيء فإنما تدل على أنَّ كتَّاب التوراة هم من اليهود الوثنيين الذي لا يؤمنون بالله وإن كانوا يتعصبون لقوميتهم وعشيرتهم ، والسر في ذلك هذه العداوة الصريحة ـ التي نشاهدها على صفحات التوراة ـ للأنبياء ونساءهم وأبناءهم فقد وصفوهم بما لا يليق بأوباش الناس وخشارات الأمم ، ولم يُبقوا للأنبياء أية حرمة ، وهذا الإصرار على تدنيس ساحتهم دليل على أنَّهم كانوا من أعداء الأنبياء ومن أعداء الله ، ونحن نقدِّس ساحة جميع الأنبياء عن هذه الأوصاف الشنيعة كما نجلّ أبناءهم عن هذه الترهات .

هذا ولو أردنا أن ندقق في التوراة أكثر من ذلك للزم أن يكون غالب أنبياء بني إسرائيل وكل اليهود أولاد زنا ـ نعوذ بالله ـ بدليل أنَّ التوراة تزعم بأنَّ إبراهيم تزوَّج بأخته من أبيه وهي سارة ، كما في الترجمة العربية للتوراة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٦٤٨ في سفر التكوين ١٢/٢٠ :

« أنها أختي بالحقيقة إبنة أبي وليست إبنة أمي وقد تزوجت بها » .

ونكاح الأخت تحرم مطلقاً في الشريعة الموسوية ونكاحها مساوٍ للزنا والناكح

---

(١) زكريا : ١٤/١ ـ ٢ .

(٢) صموئيل الثاني : ١٢/١١ .

ملعون[١] ، وكل من يتولد من هذا النكاح فهو ولد زنا وقد جمع يعقوب أيضاً بين الأختين ليئَة وراحيل[٢] إبنتي خالته ، وهذا الجمع حرام في الشريعة الموسوية[٣] ، كما أن عمران والد موسى تزوَّج عمته يكابد :

« وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجةً له »[٤] .

وهذا الزواج محرم في شريعة التوراة :

« لا تكشف عورة عمتك لأنها قرابة أبيك[٥] » .

وقد تقدم أن يعقوب زنا بكنته (ثامارا) فولدت له (فارص وارزح) وفارص هو الجد الأعلى لداوُد وسليمان وعيسى بن مريم ، وإذا كان زواج إبراهيم بأخته يعد زنا فلا يبقى أحد من اليهود من أبناء إسحاق إلا وقد تولَّد من الزنا بحسب التوراة الرائجة .

هذا بالإضافة إلى أنَّ لوطاً زنا بإبنتيه وكل من تولَّد منه فهو ولد زنا وبحسب الإصحاح ٢٣ من التثنية الآية الثانية :

« لا يدخل إبن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب ، لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر » .

وبحسب هذه النصوص يجب أن يكون غالب أنبياء بني إسرائيل من الهالكين وفي مقدمتهم إسحاق ويعقوب وموسى وداوُد وسليمان وعيسى ، نعوذ بالله من الخطل والخطأ والضلال والكفر .

زنى بني إسرائيل

حدِّث ولا حرج ، فليس من محرّم إلا وأصرَّ عليه بنو إسرائيل ، وقد تعاطوا هذه

---

(١) سفر الأحبار : ١٨/٩ و ٢٠/١٧ ، التثنية : ٢٧/٢٢ .
(٢) التكوين : ٢٩/١٨ ـ ٢٩ .
(٣) الأحبار : ١٨/١٨ .
(٤) الخروج : ٦/٢٠ .
(٥) الأحبار : ١٨/١٢ .

الفاحشة على مرأى ومسمع من أنبيائهم الذين كانوا ينهونهم عن هذا العمل الشنيع ، ولكن مواعظهم كانت لا تجد آذاناً صاغية ، فهم كانوا يعيشون حالة الجوع والعطش المزمن إلى النساء ، وخاصة الأجنبيات ؛ وهذه سيرة المجتمعات البدائية التي تعيش المحرومية والفقر بكل أبعادهما ، فإذا ما تحررت هذه الشعوب وتنعمت وحصلت على بغيتها تجدها تفقد عقلها الإجتماعي ، وتوازنها وتعيش حالة التحلل والفلتان .

وهذا ما حدث لبني إسرائيل الذين تحرروا من العبودية وتنفسوا الصعداء على يد القائد العظيم موسى بن عمران ، بعد أن عاشوا قروناً تحت ظل العبودية والحرمان .

فبعد خروجهم من مصر وغرق فرعون وصلوا إلى أرض مؤآب وأقاموا في شطيم :

« وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مؤآب ، فَدَعَوْن الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لِآلهتهن، وتعلق إسرائيل ببعل فغور ، فحمي غضب الرب على إسرائيل ، فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلّقهم للرب مقابل الشمس ، فيرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل ، فقال موسى لقضاة إسرائيل : اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور »[1] .

ومن سبر غور التوراة يجد أن أعظم ما كان يزعج أنبياء بني إسرائيل تعاطي بني إسرائيل الزنى وإصرارهم عليه ، وهذه الأسفار مملوءة بشكوى الأنبياء من هذه الفحشاء ، وهناك أصحاح خاص بزنى أورشليم في سفر حزقيال[2] .

ومما يدل على إصرار القوم على هذه الفحشاء وعلى أنهم اعتادوا عليها حتى أصبحت من عاداتهم وتقاليدهم اليومية ـ وأصبحت حال طبيعية لا يشعر اليهودي بأيّ ذنب في ارتكابها ، كما هي الحال اليوم في العالم الغربي ـ إنّ النساء أصبحن ينذرون الزنى ، وهذا من العجائب ! يقول هوشع :

الزنى والخمر والسُّلافة تخلب القلب ، شعبي يسأل خشبه وعصاه

---

(١) العدد : ٢٥/١ ـ ٥ .

(٢) حزقيال : ١٦ ، راجع أيضاً هوشع : ١/٩ القضاة : ١٧/٢ .

تخبره لِأن روح الزنى قد أظلتهم فزنوا من تحت إلَههم ، يذبحون على رؤوس الجبال ويبخّرون على التلال ، تحت البلوط واللبني والبُطم ، لأنّ ظلها حسن ، لذلك تزني بناتكم وتفسق كناتكم ، لا أعاقب بناتكم لأنّهن يزنين ، ولا كنّاتكم لأنّهن يفسقن ؛ لأنّهم يعتزلون مع الزانيات ويذبحون مع الناذرات الزنى »[1] .

« أفعالهم لا تدعهم يرجعون إلى إلَههم لِأن روح الزنى في باطنهم وهم لا يعرفون الرب »[2] .

فإذا أصبح الزنى مما ينذره النسوة وأصبح يجري روح الزنى في باطنهم مجرى الدم ، فهل يبقى أي حرمة أو منكرٍ في ارتكابه ! إنَّ القلم يقف عاجزاً ليترك القارىء وفكره .

هذا بالنسبة للزنا وأما اللواط فهو أيضاً لا يقل عن الزنا ، فقد أقام بنو إسرائيل بيوتاً للأصنام والأوثان على المرتفعات والجبال وحول الهيكل حتى غطت على معالم أورشليم ، وبنوا بيوتاً للمأبونين وهم الذين ينذرون أنفسهم للأوثان لكي يلاط بهم وكانت هذه البيوت حول الهيكل[3] .

قصص الغرام والحب في التوراة

من أمعن النظر في التوراة يجد الكثير من أفكار الأمم وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ، وقد أخذها اليهود وحفظوها في دائرة كتبهم الخاصة على أنّها منهم ولهم ؛ وهذا ما سوف يُكشف للقارىء الكريم من خلال الصفحات الآتية :

ومما دأبت عليه الأمم والشعوب تعاطيها الحب والغرام ، ونسجها حوله القصص والروايات العديدة ، وهذه الأمم مهما ابتدعت من قصص وروايات متعددة حول الحب فإنّها لم تصل إلى ما وصل إليه اليهود حيث جعلوا تلك القصص الغرامية وذلك الحب الشهواني في كتب الوحي عندهم .

---

(١) هوشع : ٤/١١ ـ ١٤ .

(٢) هوشع : ٥/٣ .

(٣) راجع الملوك الثاني : ٧/٢٣ ، والملوك الأول : ٢٤/١٤ و١٥/١٢ .

ففي سفر أستير ما يغنيك عن التعريف ، وكيف أن تلك الفتاة الجميلة الغانية توصلت إلى العرش الفارسي واستطاعت بجمالها أن تسيطر على قلب الملك لتحوله إلى خاتم في يدها ، تحرّكه متى شاءت وإلى أيّ جهة أرادت ؛ وكذلك في قصة راعوث ، الفتاة الجميلة المؤابية التي تزوجت بأحد أبناء أليمالك ، وكيف تركت أهلها وعشيرتها والتحقت بحماتها بعد موت زوجها ، ورجعت معها إلى أرض يهوذا ، وهناك علّمتها حماتها كيف توقع (بوعز) في حبالها :

« ومتى اضطجع فاعلمي المكان الذي يضطجع فيه ، وادخلي واكشفي ناحية رجليه واضطجعي »[1] .

وأمّا قصة شمشون ودليلة فهي من أبدع القصص الخيالية الكاذبة ، وهي إن دلّت على شيء فإنّها تدلّ على غزارة الخيال اليهودي في نسجه الملاحم البطولية حول اليهود والشخصيات اليهودية ، وقد حوّل اليهود هذه الأسطورة إلى فيلم سينمائي من أجل الدعاية لهم في هذا العصر .

إنّ القوة الخارقة التي ترويها التوراة لشمشون والكامنة في شعره شيء لا يصدّقه العقل ، فهي تذكر أنّه لما أراد أن ينتقم من الفلسطينيين .

« أمسك ثلاث مائة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل ذنباً إلى ذنب ، ووضع مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط ، ثمّ أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطنيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون »[2] .

هكذا أحرق شمشون محاصيل أعدائه ؛ أما كيف جمع هذا العدد الكبير من الثعالب ، وكيف تحكم فيها وفرقها في أطراف القرية ؟ فذلك لم يرد في خلد صاحب هذه الأسطورة .

ومرة أخرى ينتقم شمشون من أعدائه الذين عرفوا أنّ قوته في شعره ، فحلقوا شعره وقلعوا عينه ، ولما نبت شعره بعد ذلك وكان في بيتٍ فيه ثلاثة آلاف رجل وامرأة فأخذ بعمودي البيت وهدمه على من فيه ومات معهم :

فكان الموتى الذين أماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في

---

(١) راعوث : ٣/٤ .

(٢) القضاة : ١٥/٤ ـ ٥ .

حياته » [1] .

والسؤال الـذي يطرح نفسـه هنا هـو أنّ هذه القصص مهمـا حـاولنـا تـوجيههـا وتفسيرها بما يرفع عنها الغضاضة والوضع ، مع ذلك كلّه هل يمكن لهذه الأساطير أن تكون من كلام الوحي ؟ وما هو هدف الـوحي من وضع هـذه القصص ، ناهيـك عمّا حصل بين شمشون ودليلة من غرام وحب ؟ .

أغاني الحب في التوراة

إنّ الحب من أقـدس العلاقـات التي أودعها الله سبحـانـه وتعـالى في أعمـاق الكـون ، وجعل العـلاقة بينـه وبين عباده المخلصين مبنيّـة على الحب ، فالـدين هو الحب والفناء في ذات الله :

﴿ ومن الناس من يتّخذ من دون الله أنـداداً يحبّونهم كحبّ الله ، والـذين آمنوا أشدّ حبّاً لله ﴾ [2] .

والإنسـان يعشق الكمال المـطلق بفطرتـه ، ويسعى وراء هذا الكمـال المتمثل في واجب الوجود ، فمن الناس من يصل إلى هذا المقام الرفيع ، وهو مقام العـارفين والمتفـانين في ذات الله ، الـذين لا يـرون شيئـاً في الكـون إلّا ورأوا الله قبله وبعـده ومعه ، عظم الخالق في أنفسهم فصغر مـا دونه في أعينهم ، بحيث تصبـح النار بمـا فيهـا من عـذاب أليم أهـون عليهم من فـراق المعشـوق الحقيقي وهـو الله سبحـانـه وتعالى :

« فهبني يـا إلهي وسيّدي ومـولاي وربّي صبرت على عـذابـك ، فكيف أصبـر على فـراقـك ؟ وهبني يـا إلٰهي صبـرت على حـرِّ نـارك فكيف أصبـر عن النـظر إلى كرامتك » [3] .

« إلٰهي هبْ لي كمال الانقطاع إليك ، وأنر أبصار قلوبنا بضيـاء نظرهـا إليك ، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النـور فتصل إلى معـدن العظمـة ، وتصير أرواحنـا

---

(١) القضاة : ١٦/٢٧ ـ ٣٠ .

(٢) البقرة : ١٦٥ .

(٣) من دعاء كميل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) .

معلّقة بعزّ قدسك ، إلّهي واجعلني ممّن ناديته فأجابك ، ولاحظته فصعق لجلالك ، فناجيته سرّاً وعمل لك جهراً »[1] .

ومن الناس من أضلّ الطريق فزاغت بصيرته فتعلق بأستير تارة ، وبدليلة أخرى ، وراعوث ثالثة ، وسعاد ومنى ، وبدلال وبعبلة ، فيظن أنّ معشوقه الحقيقي هو المرأة ، ولا يعلم المسكين أنّ المعشوق الحقيقي هو الله ؛ ولكنه جرى تارة وراء سعاد ، وأخرى وراء ليلى ، وعبلة ، والدليل على ذلك أنّ الأنسان بمجرد أن يصل إلى تلك المرأة ويشبع منها ، فإذا به يملّها ويتضجّر منها ويسعى وراء أخرى ، وهذا لا يمكن لو كانت هي المعشوق الحقيقي ، لأنّ الحب لا يتغيّر ، وكلما اقترب الإنسان من المعشوق الحقيقي كلما ازداد حبّاً وتعلّقاً بذلك المعشوق ، فالحبّ والعشق الحقيقي هو لله سبحانه وتعالى ؛ وهذا ما جعل يوسف الصدّيق ، ذلك النبي العظيم الذي أضفى الله عليه الجمال والكمال ، حتى فاق البشر بجماله ، وباهت به الملائكة ، وهامت به نساء مصر ، هذا الرجل العظيم امتحنه الله بامرأة العزيز التي شغف قلبها حبّاً ، وأخذ بعقلها ، وهي سيدة مصر في الجمال والمال :

﴿ وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله إنّه ربّي أحسن مثواي ، إنّه لا يفلح الظالمون * ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربّه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنّه من عبادنا المخلصين ﴾[2] .

لم يصل أحد إلى ما وصل إليه يوسف من الجمال والشباب والحكمة ، وقد عرضت عليه سيدة مصر نفسها وهي من أجمل نساء عصرها بعد أن غلّقت الأبواب وهيّأت كلّ شيء له ؛ ومع ذلك كلّه رفض طلبها لأنّه رأى برهان ربّه فصرف الله عنه السوء والفحشاء ، لأنّه كان من عباد الله المخلصين ، الذين استخلصهم الله سبحانه لنفسه ، وهم الذين عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم ، وهم الذين وصلوا إلى أعلى مراتب الحبّ والعشق لله ؛ وعشق يوسف وحبّه لله صرفه عن الفحشاء ، ومن هنا ندرك فلسفة سورة يوسف ، وكيف أنّ الله سبحانه وتعالى يلقي علينا درساً عمليّاً من خلال قصة يوسف ، الذي أخلص لله في كل شيء فاستخلصه الله لنفسه ، لتقواه وصبره وفنائه في ذات الله .

---

(١) مناجاة أمير المؤمنين (ع) الشعبانية .

(٢) يوسف /٢٣ ـ ٢٤ .

وقد أشار المسيح عليه السلام في جوابه للناموسي أنّ الحب الحقيقي لا يكون إلّا لله ، لما سأله ذلك الرجل ليجربه قائلاً :

« يا معلم أية وصيةٍ هي العُظمى في الناموس ؟ فقال له يسوع : تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك . ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الأولى والعظمى »[1] .

وأمّا الحب في التوراة فإنّه لا يختلف عن الحبّ والغرام الذي يكتب عنه كتاب العصر ، بل التوراة في أغانيها لا تترك مهيّجاً للشهوة إلّا وتستخدمه من أجل إثارة الشهوة الجنسية في الإنسان ، هذا بالإضافة إلى أنّها تدعو لإشباع هذه الغريزة قبل الموت والفناء ، لأنّ حياة الإنسان باطل على باطل ؛ وإليك أيها القارىء الكريم بعض هذه الأغاني، وسوف أترك لك الحكم عليها لتعرف التوراة من التوراة نفسها .



(١) متى : ٢٢/ ٣٥ ـ ٣٨ .

نشـــيد الأنشـــاد

الأصحاح الأول

نشيد الأنشاد الذي لسليمان :

« ليقبّلني بقبلات فمه لأنّ حبك أطيب من الخمرة لرائحة أدهانك الطيبة أسمـك دهن مهراق . لـذلك أحبتـك العـذارى . اجـذبني وراءك فنجـري . أدخَلَني الملك إلى حِجالِه . نبتهج ونفرح بك . نذكر حبّك أكثر من الخمر . بالحق يحبونك .

أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار كشُقَق سليمان . لا تنظرن إليّ لكوني سوداء لأنّ الشمس قد لوّحتني . بنو أمي غضبوا عليّ . جعلوني ناطورة الكروم ، أمّا كرمي فلم أنظرهُ . أخبِرنْي يا من تحبّه نفسي أين ترعى أين تربض عند الظهيرة . لماذا أنا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك .

إن لم تعرفي أيتها الجميلة بين النساء فاخرجي على آثار الغنم وارعي جداءكِ عند مساكن الرعاة .

لقد شبهتكِ يا حبيبتي بفرسٍ في مركبات فرعون . ما أجمل خدّيك بسُمُوط وعنقكِ بقلائد نصنع لكِ سلاسل من ذهب مع جمانٍ من فضة .

ما دام الملك في مجلسه أفاح ناردِيني رائحته صرّة المرّ حبيب لي . بين ثديي يبيت طاقة فاغيةٍ حبيبي لي في كروم عين جدْي .

ها أنتِ جميلةٌ يا حبيبتي ها أنتِ جميلة . عيناكِ حمامتان .

ها أنتَ جميل يا حبيبي وحلو سريرنا أخضر جوائز بيتنا أرز وروافدنا سرو .

الأصحاح الثاني

أنا نرجس شارون سوسنة الأودية .

كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتي بين البنات .

كالتفّاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين . تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقيّ . ادخلني إلى بيت الخمر وعَلَمُهُ فوقي محبة . أسندوني بأقراص الزبيب أنعشوني بالتفاح فإنّي مريضة حياء شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني أحلفكنّ يا بنات أورشليم بالظباء وبابائل الحقول ألا تيقِّظن ولا تنبهّن الحبيب حتى يشاء .

صوت حبيبي هوذا آتٍ ظافراً على الجبال قافزاً على التلال . حبيبي هو شبيه بالظبي أو بغفر الأيائل . هوذا واقفٌ وراء حائطنا يتطلع من الكوى يُوَصوِص من الشبابيك . أجاب حبيبي وقال لي : قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي . لأنّ الشتاء قد مضى والمطر مرّ وزال . الزهور ظهرت في الأرض . بلغ أوان القضّب وصوت اليمامة سُمع في أرضنا . التينة أخرجت فجّها وقُعال الكروم تفيح رائحتها . قومي يا حبيتي يا جميلتي وتعالي . يا حمامتي في محاجي الصخر في ستر المعاقل أرِيني وجهكِ أسمعيني صوتكِ لأنّ صوتكِ لطيف ووجهكِ جميل .

خذوا لنا الثعالب الثعالبُ الصغار المفسدة الكروم لأنّ كرومنا قد أقعلت .

حبيبي لي وأنا له الراعي بين السوسن . إلى أن يفج النهار وتنهزم الظلال أرجع وأشبه يا حبيبي الظبي أو غُفر الأيائل على الجبال المشعّبة .

الأصحاح الثالث

في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي طلبته فما وجدته . إنّي أقوم وأطوف في المدينة في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي طلبته فما وجدته . وجدني الحرس الطائف في المدينة فقلت أرأيتم من تحبه نفسي . فما جاوزتهم إلاّ قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ولم أرخِهِ حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي أُحلفكنّ يا بنات أورشليم بالظباء

وبأيائل الحقل ألّا تيقظنَ ولا تنبهنَ الحبيب حتى يشاء .

من هذه الطالعة من البرية كأعمدة من دخان معطّرة بالمرّ واللبان وبكل أذرّة التاجر .

هوذا تخت سليمان حوله ستون جبّاراً من جبابرة إسرائيل . كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب. كل رجل سيفهُ على فخذِه من هول الليل .

الملك سليمان عمل لنفسهِ تختاً من خشب لبنان . عمل أعمدته فضة وروافده ذهباً ومقعده أرجواناً ووسطهُ مرصوفاً محبةً من بنات أورشليم .

اخرجنَ يا بنات صهيون وانظرنَ الملك سليمان بالتاج الذي توّجته بهِ أمهُ في يوم عرسهِ وفي يوم فرح قلبهِ .

الأصحاح الرابع

ها أنت جميلة يا حبيبتي ها أنت جميلة عيناكِ حمامتان من تحت نقابك . شعركِ كقطيع معز رابض على جبل جلعاد . أسنانك كقطيع الجزائز الصادرة من الغسل اللواتي كل واحدة متم وليس فيهنّ عقيم . شفتاكِ كسلكة من القرمز . وفمكِ حلو . خدُّكِ كفلقة رمانة تحت نقابكِ . عنقك كبرج داود المبني للأسلحة . ألف مجن عُلّق عليه كلها أتراس الجبابرة . ثدياكِ كخشفتي ظبية توأمين يرعيان بين السوسن . إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال أذهبُ إلى جبل المرّ وإلى تل اللبان . كلُّكِ جميلٌ يا حبيتي ليس فيكِ عيبة .

هلمّي معي من لبنان يا عروس معي من لبنان . انظري من رأس أمانة من رأس شير وحرمون من خدور الأسود من جبال النمور . قد سبيت قلبي يا أختي العروس قد سبيت قلبي بإحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك . ما أحسن حبكِ يا أختي العروس كم محبتك أطيب من الخمر وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب . شفتاك يا عروس تقطران شهداً . تحت لسانك عسلٌ ولبنٌ ورائحة ثيابكِ كرائحة لبنان . أختي العروس جنّة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم . أغراسكِ فردوس رمان مع أثمار نفيسةٍ فاغية ونارادين . ناردين وكُركُم . قصب الذريرة وقرفة مع كل عود اللبان . مرٌّ وعود مع كل أنفس الأطياب . ينبوع جنات بئر مياهٍ حيّة وسيول من لبنان .

استيقظي يا ريح الشمال وتعالي يا ريح الجنوب . هبّي على جنّتي فتقطر أطيابها . ليأتِ حبيبي إلى جنّته ويأكل ثمرهُ النفيس .

الأصحاح الخامس

قد دخلتُ جنّتي يا أختي العروس قطفتُ مرّي مع طيبي . أكلت شهدي مع عسلي . شربت خمري مع لبني . كلوا أيّها الأصحاب اشربوا واسكروا أيّها الأحبّاء .

أنا نائمة وقلبي مستيقظ . صوت حبيبي قارعاً . افتحي لي يا أختي يا حبيبتي يا حمامتي يا كاملتي لأنّ رأسي امتلأ من الطل وقُصَصي من ندى الليل .

قد خلعتُ ثوبي فكيف ألبسهُ . قد غسلتُ رجلي فكيف أوسخهما . حبيبي مدّ يدهُ من الكوّة فأنّت عليه أحشائي . قمت لأفتح لحبيبي ويداي تقطران مرّاً وأصابعي مرٌّ قاطر على مقبض القفل . فتحت لحبيبي لكن حبيبي تحوّل وعبر . نفسي خرجت عند ما أدبر . طلبتهُ فما وجدته دعوته فما أجابني . وجدني الحَرَس الطائف في المدينة . ضربوني جرحوني . حَفَظَةُ الأسوار رفعوا إزاري عني . أحلفكنّ يا بنات أورشليم إن وجدتنّ حبيبي أن تخبرنّهُ بأني مريضة حبّاً .

ما حبيبكِ من حبيبٍ أيتها الجميلة بين النساء ما حبيبكِ من حبيبٍ حتى تحلّفينا هكذا ؟ .

حبيبي أبيض وأحمر . مُعْلَمٌ بين ربوة . رأسهُ ذهب إبريز . قُصَصهُ مسترسلة حالكة كالغراب . عيناهُ كالحمامُ على مجاري المياه مغسولتان باللبن جالستان في وَفْيهما . خدّاهُ كخميلة الطيب وأتلام رياحين ذكية . شفتاهُ سوسن تقطران مرّاً مائعاً . يداهُ حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد . بطنهُ عاج أبيض مغلّف بالياقوت الأزرق . ساقاهُ عمودا رخام مؤسسان على قاعدتين من إبريز . طلعتهُ كلبنان . فتىً كالأرز . حَلْقهُ حلاوةٌ وكلهُ مشتهياتٌ . هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم .

الأصحاح السادس

أين ذهب حبيبك أيتها الجميلة بين النساء أين توجّه حبيبك فنطلبه معكِ .

حبيبي نزل إلى جنّتِهِ إلى خمائل الطيب ليرعى في الجنات ومجمع السوسن . أنا لحبيبي وحبيبي لي الراعي بين السوسن .

أنتِ جميلة يا حبيبتي كنرصة حسنة كأورشليم مرهبة كجيش بألويةٍ . حوّلي عني عينيكِ فإنّهما قد غلبتاني . شعركِ كقطيع المعز الرابض في جلعاد . أسنانكِ كقطيع نعاجٍ صادرة من الغسل اللواتي كل واحدة متمٌ وليس فيها عقيم . كفلقة رمانة خدُّك تحت نقابكِ . هنَّ ستون ملكة وثمانون سريّة وعذارى بلا عددٍ . واحدة هي حمامتي كاملتي . الوحيدة لِأمها هي . عقيلة والدتها هي . رأتها البنات فطوَّبنها الملكات والسراري فمدحنها . من هي المشرقة مثل الصباح جميلة كالقمر طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألويةٍ .

نزلت إلى جنّة الجوز لأنظر إلى خضر الوادي ولأنظر هل أقعل الكرم هل نوّر الرمان . فلم أشعر إلاّ وقد جعلتني نفسي بين مركبات قوم شريفٍ .

ارجعي ارجعي يا شُولَميث ارجعي ارجعي فننظر إليكِ .

ماذا ترون في شولميث .

مثلَ رقص صَفين .

الأصحاح السابع

ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم . دوائر فخذيك مثل الحلي صنعة يدَي صناع . سرّتكِ كأس مدوَّرة لا يُعوزها شراب ممزوج بطنكِ صبرة حنطة مسحة بالسوسن . ثدياكِ كخشفتَين توأمَي ظبيةٍ . عنقكِ كبرجٍ من عاج . عيناكِ كالبِرَك في حشبون عند باب بث ربيم . أنفكِ كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق . رأسكِ عليك مثل الكرمل وشعر رأسكِ كأرجوانٍ . ملكٌ قد أُسِرَ بالخُصَل . ما أجملكِ وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذّات . قامتكِ هذه شبيهه بالنخلة وثدياكِ بالعناقيد قلتُ إنّي أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها . وتكون ثدياكِ كعناقيد الكرم ورائحة أنفكِ كالتفاح وحنككِ كأجوَد الخمر ـ لحبيبي السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين .

أنا لحبيبي وإليّ اشتياقه . تعالى يا حبيبي لنخرج إلى الحقل ولنبت في القرى . لنبكرنّ إلى الكروم لننظر هل أزهر الكرم هل تفتّح القُعال هل نوَّر الرمان . هناك أعطيك حبّي . اللفاح يفوح رائحة وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتها لك يا حبيبي .

الأصحاح الثامن

ليتكَ كأخٍ لي الراضع ثديَي أمي فأجدك في الخارج وأقبّلك ولا

يخـزونني . وأقودك وأدخـل بك بيت أمي وهي تعلمني فـأسقيـك من الخمـر الممزوجة من سُلاَف رماني . شمالهُ تحت رأسي ويمينهُ تعانقني . أحلفكنّ يا بنات أورشليم ألاّ تيقظنَ ولا تنبهنَ الحبيب حتى يشاء .

من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها ؟

تحت شجرة التفاح شـوَّقتك هنـاك خطبتْ لـك أمك هنـاك خطبت لـك والدتك .

اجعلني كخـاتم على قلبك كخـاتم على ساعـدك . لأنّ المحبـة قـويـة كالموت . الغيرة قاسية كالهاوية . لهيبها لهيب نار لظى الرب . ميـاه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرهـا . إن أعطى الإنســان كل ثـروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً .

لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان فماذا نصنع لأختنا في يومٍ تُخْطَب .

إن تكن سوراً فنبني عليها برج فضة . وإن تكن بـاباً فنحصـرها بـألواح أرزٍ .

أنا سور وثديايَ كبرجين . حينئذٍ كنت في عينيهِ كواجدة سلامة .

كان لسليمان كرم في بعل هـامون . دفـع الكرم إلى نـواطير كـل واحدٍ يؤدّي عن ثمـرهِ ألفاً من الفضـة . كرمي الـذي لي هو أمـامي . الألف لـك يـا سليمان ومئتـان لنواطير الثمر .

أيتها الجالسة في الجنّات الأصحاب يسمعون صوتكِ فأسمعيني
اهرب يا حبيب وكن كالظبيّ أو كغفر
الأيائل على جبال
الأطياب

إن هذه الأغاني تحرّك في كل إنسان شهوته لأنها أغاني حب ، وهي لا تقلّ في تأثيرهـا عن الأغاني في هـذا العصر ، فـإنها لـم تتـرك أي عضو من أعضـاء المرأة إلا وتغزّلت به ، وقد دعت التـوراة إلى أن يشبع الإنسان غريزته من المرأة التي يحبها :

« اذهب كُل خبزك بفرح ، واشرب خمرك بقلب طيب لأن الله منذ زمان قد رضي عملك ، لتكن ثيابك في كل حين بيضـاء ولا يعوز رأسـك الدهن ، التذّ عيشاً مع المرأة التي أحببتها كلّ أيّام حياة باطلك التي أعطالك إياهـا تحت الشمس كـلّ أيام بـاطلك لأن ذلك نصيبـك في الحياة وفي تعبـك الـذي تتعبـه

تحت الشمس ، كلّ ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس في عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها[1] » .

والمزامير هي أيضاً من الأغاني ، ويمكن للقارىء الكريم مراجعتها . بعد هذا العرض لأغاني الحب الشهوانية لا بدّ أن يتساءل المرء حول هذه الأغاني وتلك النصوص التي تدعو للزنى وتنسبه لكثير من الأنبياء ، هل يبقى لدى الإنسان الذي يعتقد بالكتاب المقدس من شك في حلّية الزنى والأغاني ، وعليه كيف نقول بأن التوراة حرمت الزنا ؟ وكيف يمكن الجمع بين تلك النصوص المتناقضة ؟

قال ثيو دور (٣٥٠ ـ ٤٢٨) م وهو الذي وجّه النقد الأعلى للكتاب المقدس :

« إن سفر أيوب ما هو إلا قصيدة مأخوذة بتعديل من مصادر وثنية ، وإن نشيد الأنشاد ما هو إلا إحدى أغاني الفرس ذات معنى شهواني صريح ، وإن الكثير من نبوءات العهد القديم التي يزعم الزاعمون أنها تشير إلى يسوع لا تشير إلا إلى حوادث وقعت قبل المسيحية ، وإن مريم ليست أم الله بل هي أم الطبيعة البشرية في يسوع[2] » .

قال ول ديورانت : « وكانت ترانيم التوبة البابلية هي التي مهّدت السبيل إلى هذه الأناشيد ، ولعل أناشيد اليهود قد أخذت منها مادتها ، كما أخذت عنها صورتها ، ويخيّل إلينا أن قصيدة « أخناتون الشمس » كانت ذات أثر في المزمور الخامس والخمسين بعد المائة ، وأكبر الظن أن المزامير ليست كلّها من وضع داود وحده ، بل من وضع طائفة من الشعراء ، كتبوها بعد الأسر البابلي بزمن طويل ، ويغلب أن يكون ذلك في القرن الثالث قبل المسيح . . ونحسّ في هذه الأناشيد بأوزان الشعر الشرقي القديم ، ونكاد نسمع فيها أصوات المرنمين وهم يردون على المنشدين ، وليس في الشعر كله ما يفوقه في تشبيهاته وتصويره ، ولهذه القصائد في نفوسنا من الأثر ما يفوق أثر أية أغنية من أغاني الحب ؛ فهي تحرك أقصى العواطف وأكثر النفوس شكاً .

وإذا ما وضعنا إلى جانب هذه المزامير نشيد سليمان ، لاح لنا ما في الحياة

---

(١) الجامعة : ٩/٧ ـ ١٠ .

(٢) قصة الحضارة : ٢٠٠/١٢ .

اليهـودية من عنصـر شهواني دنيـوي ، لعل كتّـاب العهد القـديم وهـم الذين يكـادون كلهم أن يكونوا من الأنبياء والكهنة قد أخفوه عنا .

وفي هـذه الكتابـات الغرامية العجيبة مجـال واسع للحـدس والتخمين ، فقد تكون مجموعة من الأغاني البابلية الأصـل تشيد بـذكر عشتـار وتموز ، وقـد تكون من وضع جماعة من شعراء الغزل العبرانيين تأثروا بـالروح الهلينيـة التي دخلت إلى بلاد اليهود مع الاسكندر الأكبر ، لأن في هذه الأغاني ألفاظاً مأخوذة من اللغة اليونانية .

أو تكون زهرة يهودية ترعرعت في الاسكندرية وقطعتها نفس محررة من ضفاف النيل (وذلك لأن العاشقيـن يخاطب أحـدهما الآخـر بقولـه أخي أو أختي كما يفعـل المصريون الأقدمون) ومهمـا يكن أصلها فـإن وجودهـا في التوراة سـر خفي ، ولكنه سر ساحـر جميل ، ولسنـا ندري كيف غفـل ـ أو تغافـل ـ رجال الـدين عمّا في هـذه الأغاني من عواطف شهوانية ، فأجازوا وضعها بين أقوال إشعياء والخطباء[1] » .

ومن أمعن النـظر في أناشيـد التوبـة البابليـة وجد أن مـزامير داود ، بـل تـرانيم اليهـود وطقوسهم ، وكـذلك تـرانيم الكنيسة مـأخوذة من هـذه الأنـاشيـد وإليـك أيهـا القارىء الكريم أناشيد التوبة البابلية التي نراها بكل وضوح في مزامير داوُد :

« أنا خادمك أضرع إليك وقلبي مفعم بالحسرات ، إنك تتقبـل الدعـاء الحـار الصادر ممن أثقلتـه الذنـوب ، إنـك لتنـظر إلى الـرجـل فيعيش ذلـك الرجل . فانظر إليَّ بعطف حق وتقبل دعـائي . متى يا إلهي يتّجـه وجهك إليّ متى يـا إلهي يا من أعـرفـه ولا أعـرفـه يهـدأ غضب قلبـك ، أي إلهي لا تنبـذ خادمك ، لقد ألقى في الوحل فخذ بيده ، والذنب الذي أذنبته بـدّله رحمـة ! والـظلم الذي ارتكبتـه مُر الـريح أن تحمله ! واخلع عني ذنـوبي الكثيرة كمـا يخلع المرء الثياب ، لعل قلبك يبتهج كما تبتهج الأم التي ولدت الأبناء[2] » .

ولا يخفى أن الترانيم البابلية تفوق بكثير الترانيم في مزامير داود ، لأنهـا تحثّ الإنسـان على الاعتراف بـالذنب وطلب العفـو والمغفرة من ربـه ؛ وهـذه الحقيقـة لا نشاهدهـا في التوراة ، لأن شعب الله المختـار صلب الرقـاب ولا يخضع ولا يتضـرع

(١) قصة الحضارة : ج ٢ /٣٨٧/٣٨٨ .
(٢) قصة الحضارة : ٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

لربه ، ويعتبر نفسه دائماً على صواب ، وهذا ما جعل اليهود طوال تاريخهم يتمادون في الطغيان والعصيان وهو ما نشاهده في كل أسفار التوراة غالباً .

التوراة وآلات الطرب

إن العبادات والترانيم الوثنية كانت تقام على أنغام الآلات الموسيقية ، وكانت المحافل الكبرى في الدين مزيجاً من غناء ومسرحيات ورقص :

« قد أمرتم أيها الشعوب والأمم والألسنة عندما تسمعون صوت القرن والناي والعود والرباب والسنطبر والمزمار وكل أنواع العزف أن تخرُّوا وتسجدوا بتمثال الذهب الذي نصبه نبوخذ نصر الملك »(1) .

هذا عند الإنسان البدائي ، وقد سرت هذه العدوى إلى الأديان السماوية التي تأثرت بالوثنية ، والتوراة نفسها خير شاهد على هذه الحقيقة ، فموسى (عليه السلام) لما رجع إلى بني إسرائيل من طور سيناء ، وكان قد أبطأ عليهم فاتخذوا العجل من بعده ، فلما اقترب من المحلة قال له يوشع :

« صوت قتال في المحلة ، فقال موسى : ليس صوت صياح النصرة ولا صوت صياح الكسرة بل صوت غناءٍ أنا سامع »

وكان بنو إسرائيل يرقصون حول العجل ويشربون ويأكلون(2) .

ولا تعجب عزيزي القارىء مما مرَّ عليك فإنَّ التوراة ـ التي عممت النبوة على الرجال والنساء ـ لم تذكر دعوة عامة أو إشارة إلى هدى لعموم الناس بل ذكرت الشروط التي تقوم عليها النبوة ، وهي الضرب على الدف والعود والناي والرباب والمزمار وبالتعري والإضطجاع ، ويكون تبليغها بشتى أنواع الخلاعات والتجانن والفحش في الإنذار والوعيد بألفاظ الزنا وكشف العورة والهتك مما لا يصرح به حتى المتهتكون .

وهذا من أعجب ما نراه في الكتاب المقدس الذي يروي أن الكثير من الأنبياء

---

(1) دانيال : ٣/٤ ـ ٥ .

(2) الخروج : ١٧/٣٢ ـ ٢٠ .

كـانوا يستخـدمون آلات الـطرب واللهو والغنـاء في ترانيمهم الـدينية ، مـع أن هـذه الآلات قـد وجدت للفسق والفجـور واللهو ، وعبـادة الشيطان والبعـد عن طاعـة الله سبحانه وتعـالى ، ولذا نجـد أن المغنين في كل زمـان هم من أفسق الناس وأبعـدهم عن تعاليم السماء عنـد جميع الشعـوب ، وهذه الآلات التي وجـدت من أجل اللهـو والطرب لا يمكن أن تقرّب العبد من ربه ، وأن تكون جزءً من العبادة إذ أن مخ العبادة وروحهـا هـو التقشف والبعـد عن كـل ملذات الحيـاة ، وعن اللهـو والـطرب ليتم الإخلاص لله والتقرب إليه .

بينمـا نجد أن التـوراة تجعـل الغنـاء والـرقص والضـرب على ألآت المـوسيقى واللهو مخ العبادة ، ومن أهـم شروط النبوة :

« ليسبحـوا إسمه بـرقصٍ بدفٍ وعـود »[1] ، « سبحوه بـرباب وعـود ، سبحوه برقصٍ ، سبحوه بأوتارٍ ومزمار »[2] .

والذي يطالع مطلع كل مزمور من المزامير يدرك هـذه الحقيقة ، ففي المـزمور الخامس والخمسين تجد العنوان التالي :

« المـزمور الخـامس والخمسـون لإمـام المغنين على ذوات الأوتـار . قصيـدة لداود » .

وفي المــزمـزر الثــالث والخمسين : « لإمّـام المغنين على العــود ، قصيـدة لداود » .

وفي التاسع والستين : « لإمام المغنين على السوسن لداوُد » .

وكأن الضرب على الدف والناي والعود هو من متممات النبوة ، فهذا صموئيـل يعلم شاؤل كيف يصبح نبياً فيقول له :

« ويكـون عند مجيئـك إلى هناك إلى المـدينة أنـك تصـادف زمـرة من الأنبياء نازلين من المـرتفعة وأمـامهم ربـاب ودفّ ونـاي وعود وهم يتنبّـأون ،

(١) مزمور : ١٤٩/ ٣ .
(٢) مزمور : ١٥٠/ ٣ ـ ٤ .

فيحلّ عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر[1] » .

وكذلك مريم النبيّة كان لها دور في الغناء والضرب بالدف ، تقول التوراة :

« فأخذت مريم النبيّة أخت هارون الدفّ بيدها ، وخرجت جميع النساء وراءها بدفوفٍ ورقصٍ ، وأجابتهم مريم : رنّموا للرب فإنه قد تعظم الفَرَسُ وراكبهُ طَرَحهما في البحر[2]» .

ويقول إشعياء أيضاً :

« رنّموا لله قوّتنا ، اهتفوا لإله يعقوب ، ارفعوا نغمةً وهاتوا دفّاً عوداً حلواً مع رباب ، انفخوا في رأس الشهر بالبوق عند الهلال ليوم عيدنا[3] » .

ومن فضل الله وتوفيقه لي أنني بعد كتابة هذه الأسطر اطّلعت على مقال لمفكر كبير من اليهود ، وهو الأستاذ م . ص . سيجال من كبار حملة الفكر اليهودي ، وهو بولوني هاجر إلى فلسطين ، وقد آلت إليه أستاذية دراسات العهد القديم في الجامعة العبرية ، كما قام بتدريس العبرية في جامعات إنجلترا وأمريكا ، واشتهر بكثير من المؤلفات ، وله معجم عبري ـ إنكليزي شائع مشهور ، وقد رأيت مقالة حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل تعرَّض فيه للآلات الموسيقية والأناشيد الدينية ، فلذا رأيت من المناسب أن أنقل كلامه لِأنه حجة عند اليهود ؛ قال الأستاذ م . ص :

« ومن الواجب أن نذكر أن الشعائر في المعابد لم تكن مقصورة على القرابين وحدها ، ففي أيام الصوم وأيام الضرّاء كانت ترتفع من المعابد صلوات الأنبياء من أجل الأمة ، وفي أيام الأعياد والاجتماعات كانوا ينشدون المزامير وترانيم الشكر والإبتهال بمصاحبة الآلات الموسيقية !

والرقص أيضاً (الخروج : ١٥/ ٢٠) (صموئيل الثاني : ٦/ ٥ وأيضاً الخروج : ٣٢/ ١٩) ويقول عاموس : إن التغني بالأناشيد بمصاحبة الآلات الموسيقية كان عادة متّبعة في معابد أفرايم على أيّامه (عاموس : ٥/ ٢٣) والواقع أن الأمر كان على هذا النحو أيضاً في معبد أورشليم في تلك العصور (فارن : إشعياء :

(١) صموئيل الأول : ١٠/ ٥ ـ ٦ .

(٢) الخروج : ١٥/ ٢٠ ـ ٢١ .

(٣) المزمور : ٨١/ ١ ـ ٣ .

٢٩/٣٠) وعلى ذلك فلما لم يرد في العهد القديم ما يفيد أن الكهنة كانوا يقومون بالصلاة والتراتيل ، فإنه يمكن الاعتقاد بناءً على ذلك أنه قبل أن يستقرّ في بني إسرائيل وضع خاص ووظائف محددة للمنشدين اللاويين ، كما هو موصوف في سفر أخبار الأيام (أخبار الأيام الأول : ٤/١٦ ـ ٦ ـ ٣٧ ـ ٤٢ والأصحاح ٢٥ بتمامه) فقد كان معهوداً للأنبياء لا أن يؤموا الصلاة فحسب ، بل أن يقوموا بالإنشاد والموسيقى والرقص أيضاً ، وفي الفقرة الخاصة بتولي شاؤل الملك يروى أن شاؤل « التقى بزمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناي وعود وهم يتنبأون » (صموئيل الأول : ٤/١٠) وليس هناك من شك في أن تلك الآلات الموسيقية كانت لمصاحبة الترنم والأناشيد والأشعار ، وأن هذه الأشعار كانت من الشعر المقدس الذي بدأ الأنبياء بترتيله فوق المرتفعة نفسها ، وقبل هبوطهم منها ، ولم يوصف هذا العمل في تلك القصة كما لو كان أمراً مستحدثاً ، لذلك اليوم المعلوم ، وإنما المستحدث في القصة هو أن شاؤل عندما التقى بهذه الزمرة من الأنبياء تأثر بهم وتنبأ مثلهم ، ومن مشاركة شاؤل هذه للأنبياء جاء المثل السائر « شاؤل أيضاً بين الأنبياء » (صموئيل الأول : ١٢/١٠) وقد تواتر أن ما فعلته زمرة الأنبياء هذه فوق المرتفعة على أيام صموئيل فعله أبناء الأنبياء أيضاً في (بيت إل) والجلجال وأريحا والسامرة وسائر المعابد في أيام إلياس واليسع ، وفي الأجيال الأخيرة من عهد الهيكل الأول .

وكذلك نجد أن مريم ـ وهي تتزعم جوقة النساء في أنشودة البحر بمصاحبة الدفوف والرقص ـ قد سميت نبيّة (الخروج : ٢٠/١٥ ـ ٢١) لأنها في عملها هذا كانت تقوم بما يقوم به الأنبياء ، فهي إذاً قد تنبأت .

ومن هنا يتأكد لنا أن التغني بالأناشيد بمصاحبة آلات الموسيقى والرقص كان من عمل الأنبياء ومن أجل هذا أيضاً أطلق صاحب سفر أخبار الأيام على اللاويين الذين كانوا يقومون بالإنشاد في المعبد على آلات الموسيقى اسم « الأنبياء » كما دعا فعلهم هذا « عمل نبوّة » .

وهكذا نقرأ في سفر أخبار الأيام الأول (١/٢٥) :

« . . . بني آساف ويدوثون المتنبئين (هكذا كتابة الكلمة ، والقراءة المتواترة (الأنبياء) بالعيدان والرباب والصنوج » .

وفي الآيـة ٢ نقـرأ « آسـاف المتنبىء بين يـدي الملك » وفي الآيـة ٣ « . . . تحت يـد أبيهم يدوثـون المتنبىء بالعـود لأجـل الحمـد والتسبيـح للرب » وفي الآيـة ٥ ـ ٦ « . . . لأجـل غنـاء بيت الـرب بـالصنـوج والـربـاب والعيـدان لخـدمـة بيت الله . . . »[١] .

هذا وقد اهملت الوصايا العشر وصية من أعظم وأهم الوصايا وهي حرمة شرب الخمر (لا تشرب الخمر) وهذه الوصية لم تهملها حتى الأديان الـوثنية كمـا تقدم في وصايا بوذا الخمس . والتوراة وإن حرمت الخمر التي هي أم الشرور والقبائح إلا أنها لم تجعلها من الوصايا العشر .

وقد ورد في التوراة ما يدل على حرمة شرب الخمر وقد ورد أنها

« وحقاً أن الخمر مخادرة[٢] » .

« والزنى والخمر والسلافة تخلب القلب[٣] » .

« الخمـر مستهـزئـة ، المسكـر وعجّـاج ومن يتـرنـح بهمـا فليس بحكيم[٤] » .

« لا تكن بين شرّيبي الخمر[٥] » .

« ويل للمبكرين صباحاً يتبعـون المسكر للمتـأخرين في العتمـة تلهبهم الخمر ، وصار العود والربـاب والدف والنـاي والخمر ولائمهم ، وإلى فعـل الرب لا ينظرون . . . . ويل للأبطال على شرب الخمر ، ولذوي القدرة على مزج المسكر[٦] » .

« وكلّم الرب هارون قائلاً : خمراً ومسكراً لا تشـرب أنت وبنوك معـك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكي لا تمـوتوا فـرضاً دهـرياً في أجيـالكم ، وللتمييـز بين المقـدس والمحلل والنجس والـطاهـر ، ولتعليم بني إسـرائيـل

---

(١) نقلت هـذا المقال عن تـرجمته الحـرفية للدكتـور حسن ظاظـا في كتابـه « أبحاث في الفكـر اليهودي » ص ٧٧ ـ ٨٠ .

(٢) حبقوق : ٢/٥ .

(٣) هوشع : ٤/١١ .

(٤) الأمثال : ٢٠/١ .

(٥) الأمثال : ٢٣/٢٠ .

(٦) إشعياء : ١١/٢٢ .

جميع الفرائض التي كلمهم الرب بها بيد موسى[1] » .

قول ملاك الرب لزكريا في تمجيد ابنه يوحنّا المعمدان ومدحه له :

« لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب[2] » .

« ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح[3] » .

مع هذه النصوص التي تدل على حرمة الخمر نجد أن الكتاب المقدس نسب للأنبياء العظام شرب الخمر في أبشع صوره :

فقد نسب للوط (عليه السلام) شرب الخمر والزنا ببناته[4] وهذا مما تقشعر منه الأبدان وتشمئز منه حتّى نفوس الفسّاق .

وينسب لنوح شرب الخمر وأنه نام فانكشفت عورته[5] .

ونسبت لإسحاق أيضاً شربه للخمر وخداع يعقوب له ، وكذبه عليه ، وسرقة النبوة منه بعد أن كانت لأخيه عيسو[6] .

وكان داود يقسم على بني إسرائيل كل واحد من رجالهم رغيف خبز وكأس خمر وقرص زبيب . كما أنّه أسكر أوريا [7] .

وكذلك جلس المسيح هو وأمه وتلاميذه في عرس يشرب فيه الخمر ويدار الراح في الأقداح ، ولم يكف ذلك حتى طلبت منه والدته بعد أن نفذ الخمر أن يصنع لهم معجزة خمراً ، فعمل لهم ستة أجران من الخمر الجيد ، وسقوا منه ، وكانت هذه الحادثة أولى آيات يسوع أتى بها في قانا الجليل[8] لم يكن المسيح ممن

---

(١) اللاويين : ١٠/٨ـ ٩ـ ١١ .

(٢) لوقا : ١/١٥ .

(٣) أفسس : ٥/١٨ . راجع أيضاً العدد : ٦/٣ـ ٤ ، والقضاة : ١٣/١٤ ، والتثنية : ٢١/١٨ ـ ٢١ ، والتكوين : ١٩/٣٠ ـ ٣٨ .

(٤) التكوين : ١٩/٣٠ ـ ٣٧ .

(٥) التكوين : ٩/٢١ .

(٦) التكوين : ٢٧/٥ ـ ٤٠ .

(٧) صموئيل الثاني : ٦/١٩ والأصحاح ١١/١٣ .

(٨) يوحنا : ٢/١ ـ ١٢ .

يصنع المعجزات في الأعراس بأن يحوّل الماء إلى خمر ، بل كان شرّيباً للخمر كما يزعم الإنجيل :

جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا إنسان أكول وشرّيب خمر ، محب للعشّارين والخطاة »[1] .

وهذا تصريح بأنّه كان شرّيباً للخمر نعوذ بالله ، لم يكتف المسيح بزعم الإنجيل بهذا المقدار ، بل جعل الخمر شراب الوداع الأخير ، حيث شرب من الكأس ثم أعطاه لتلاميذه قائلاً :

« لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي »[2] .

وهذا منتهى التعبير عن الشريب المغرم بها المودع لها المتألم على فراقها .

لم يكتف الكتاب المقدس بهذا الحدّ من تهمة الأنبياء بشرب الخمر وإيجاد المعجزات ، بل يدعو الناس إلى الكيف والبسط والشرب فيقول :

« لا يحلّ لك أن تأكل في أبوابك عشر حنطتك وخمرك وزيتك ، بل أمام الرب إلّهك تأكلها في المكان الذي يختاره الرب »[3] .

ثم بين المكان الذي يرضاه الرب فيقول :

« وتأكل أمام الرب إلّهك في المكان الذي يختاره ليحل إسمه فيه ـ عشر حنطتك وخمرك وزيتك ـ ولكن إذا طال عليك الطريق حتى لا تقدر أن تحمله . . فبعه بفضّة وصيِّر الفضة في يدك واذهب إلى المكان الذي يختاره الرب إلّهك ، وأنفق الفضة في كل ما تشتهي نفسك في البقر والغنم والخمر والمسكر ، وكل ما تطلب منك نفسك ، وكل هناك أمام الرب إلّهك وافرح أنت وبيتك »[4] .

---

(١) لوقا : ٧/٣٤ .
(٢) متى : ٢٦/٢٩ مرقس : ١٤/٢٥ . لوقا : ٣٢/١٨ .
(٣) التثنية : ١٢/١٧ ـ ١٨ .
(٤) التثنية : ١٤/٢٣ ـ ٢٦ .

وهنا يتساءل كل عاقل في نفسه : هل إنّ الخمر حلال كما عليه النصوص وعمل الأنبياء ؟ وهذا ما لا تجيزه حتى الأديان الوثنية ، فإنّ الخمر ما حلّت في دين قط ؛ وهل يمكن أن نتصور نبيّاً من الأنبياء وهو سكران يدعو الناس إلى الله في ساحة الفاتيكان ؟ وهل يمكن أن يؤثّر كلامه في الناس أو يستجيب له أحد منهم ؟ وهل يمكن لله أن يرسل مثل هذا الرسول ؟ .

وعلى فرض أنّ الخمر محرمة ـ وهو كذلك ـ ، فما هذه النصوص في الكتاب المقدس التي تبيح الخمر ؟ . . . وبعد هذا التعارض الواضح بين النصوص وفعل الأنبياء هل يبقى للمنصف شك في تحريف الكتاب المقدس ، وأنّه ليس من كتب الوحي ؟ لِأنّ كتاب الوحي لا يمكن أن يدعو إلى الزنى والغناء والطرب والتغزل بثدي المرأة ووركيها ورجليها وسائر أعضاء جسمها ، على أنغام الموسيقى وجميع آلات الطرب واللهو ، وهل يبقى فرق بين ما يدعو إليه الكتاب المقدس وبين ما يجري في بارات باريس ولندن ونيويورك ؟ وهل وصلت البشرية إلى ما وصلت إليه اليوم من فساد خلقي وانحطاط إجتماعي إلاّ من هذه التعاليم الباطلة ، والإفتراءات على الله والأنبياء ؟ .

الوصية الثامنة : « لا تسرق »

إنّ يهوه أوّل من خالف هذه الوصية ، ولكي لا يخرج بنو إسرائيل من مصر صفر اليدين فقد أمرهم بأن :

« تطلب كل امرأة (إسرائيلية) من جارتها (المصرية) ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين »[1] .

وليست السرقة أن تأخذ شيئاً من المال أو المتاع فقط ، ولكن هناك سرقة أعظم بكثير من سرقة الأموال والتحف وهي سرقة العقل والفكر ، التي هي القتل الجماعي ، واليوم يدرك كل إنسان عاقل هذه الحقيقة ـ في وسائل الإعلام التي سرقت عقول الشعوب ، وسلبت منهم كل تفكير، فهم آلات تسيِّرها هذه الوسائل ،

(١) الخروج : ٣/٢١ ـ ٢٢ .

ولذا يعج العالم اليوم بالحروب والدمار وسفك الدماء ؛ والبشر بفطرتهم يحبون العدالة ويتعطشون للدفاع عن الحق ، ولكن معالم الحق قد طمست بواسطة الأكاذيب والحيل التي يتبعها المسيطرون على هذه الوسائل .

والذين كتبوا التوراة وجعلوا من يهوه إلهاً قومياً خاصاً بالشعب المختار ، جنَوا بهذه الفكرة على اليهود أعظم جناية ، حيث سلبوهم العقل والتفكير حينما غرسوا فيهم فكرة شعب الله المختار ، وبهذه العقيدة عاش اليهود ولا يزالون حياة العزلة والعداء للشعوب الأخرى ، لاعتقادهم بفكرة شعب الله المختار ، ولو فكر هؤلاء قليلاً لوجدوا أنّهم بشر مما خلق الله ليس لهم فضل على سائر الأمم ، والناس كأسنان المشط لا فضل لأبيضهم على أسودهم ، ولا لغربيّهم على شرقيّهم .

ومن أشد وأشنع أنواع السرقة التي أقرّتها التوراة وأمضاها يهوه وأعطاها إسحاق سرقة النبوّة . بالكذب والخداع :

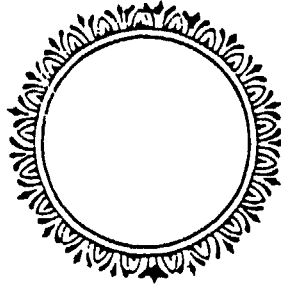
« إنَّ إسحاق أراد أن يعطي إبنه البكر عيسو بركة النبوّة ، فخادعه يعقوب وقدَّم له لحماً وخمراً ، ولبس على يديه جلد جدي ليوهم أباه أنَّه عيسو ، لِأنَّه كان أكثر شعراً منه ، فقدَّم الطعام لِأبيه وقال له : أنا عيسو ، فقال إسحاق وكان أعمى : تقدَّم لِأجسّك يا إبني أأنت عيسو أم لا ، فتقدَّم يعقوب فجسَّه وقال : الصوت صوت يعقوب ، ولكن اليدين يدا عيسو ، فلم يعرفه فباركه وقال : هل أنت هو إبني عيسو ؟ فقال : أنا هو ؛ فقدَّم له الصيد فأكل ، وأحضر له خمراً فشرب ، فقال له إسحاق : تقدَّم وقبِّلني يا بني ، فتقدَّم وقبَّله ، فشمَّ رائحة ثيابه وباركه وقال : كُن سيداً لإخوتك ويسجد لك بنو أمك ، ليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين » .

« فلما جاء عيسو علم أنَّ أخاه يعقوب قد سرق النبوّة بالكذب والخداع ، فدخل على أبيه وقدَّم له الطعام على عادته ، وقال لِأبيه : باركني أنا أيضاً يا أبي ، فقال : قد جاء أخوك بمكرٍ وأخذ بركتك ، فقال له : أما أبقيت لي بركة ؟ فأجاب إسحاق وقال لعيسو : إني قد جعلته سيّداً لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً ، وعضدته بحنطة وخمر ، فما أصنع لك يا بني ؟ فقال عيسو : ألك بركة واحدة فقط ؟ باركني أنا أيضاً ، ورفع صوته وبكى »[1] .

---

(١) التكوين : ٢٧ / ٥ ـ ٤٠ فراجع .

بهذا الأسلوب الماكر ، بالكذب والخداع استطاع يعقوب أن يسرق النبوة من أخيه ، ولذا لم يبارك إسحاق ولده عيسو لأنّ النبوة شيء واحد ، وقد سرقها يعقوب .



بنو إسرائيل عصابات لصوص وقتلة

إنَّ من سبر التوراة وإطّلع على تاريخ بني إسرائيل لا يجد فيها أي دعـوة لهدايـة الأمم والشعـوب ، وكل مـا قام بـه بنو إسـرائيل عبـر تـاريخهم وبقيـادة أنبيـاء التـوراة وملوكهم إنما هو عملية إبادة لـلأمم والشعوب الأخـرى ، فإنني لـم أجـد مورداً واحـداً تدعو التوراة فيه لشعوب العالم إلى الإيمان بالله وتوحيده وتنزيهه عن كل نقص ، ولم أجـد مـورداً واحـداً يـدعـو أنبيـاء بني إسـرائيـل الأمم الأخـرى إلى المحبـة والأخـوة والسـلام ، والذي تـذكره عن مـوسى أنه خصَّ الشـريعة ببني إسـرائيل ، وأمـا العهـد الجديد فإنه صرَّح بأنَّ المسيح لم يرسل إلا إلى خراف إسـرائيل الضـالة[1] ، كمـا أنه حينما أرسل تلاميذه للدعوة أوصاهم بأن لا يذهبـوا في الطريق إلى الأمم الأخـرى ولا يدخلوا مدينة للسامريين بل يذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة[2] .

وقد ذكر العهد الجديد عن المسيح حين صعوده أنه قال لتلاميذه إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم[3] .

ولعـلَّ هذه الـدعوة من الملحقـات التي أدخلت على الأناجيـل من أجل تعميم الدعوة لكل الأمم ، فالدعوة في التوراة خاصة ببني إسرائيل الذين اختـارهم يهوه دون

(١) متّى : ١٥/٢٤ .
(٢) متّى : ١٠/٥ ـ ٦ .
(٣) متّى : ٢٨/١٩ .

العالمين ووعدهم أرض الميعاد ، ولكي يحقق هذا الهدف أمرهم بقتل الأطفال والنساء والبهائم والإبادة الجماعية ، ولم نجد أنَّ يهوه أمرهم بالشفقة أو الرحمة بالأمم إطلاقاً ، وقد مرَّ عليك وسوف يمرُّ صوراً من أمره بقتل الأطفال وشقِّ بطون الحبالى ، وقتل وإبادة وتخريب كل شيء ، ولذلك نجد أنَّ بني إسرائيل نسخة طبق الأصل عن هذا الرب الذي يأمر بالقتل والسلب والنهب والغدر ونقض العهد .

ومن سبر تاريخهم منذ فجره يجد أنَّهم عبارة عن عصابة لصوص وقتلة ، نشأوا على الغدر والقتل والسلب ونقض العهد ، فهم لا يعترفون بحق العيش للآخرين ولا يقبلون أحداً من غيرهم ولو دخل في دينهم ، والتوراة خير شاهدٍ على هذه الحقيقة .

فهذا يعقوب لما هاجر من أرض العراق إلى بلاد كنعان :

« ووصل إلى مدينة شكيم من أرض كنعان ، خرجت إبنته لتنظر بنات الأرض فرآها شكيم بن حمور الحِويِّ رئيس الأرض أخذها واضطجع معها وأحبها ، فكلَّم شكيم حمور إياه قائلاً : خذ لي هذه الصبية زوجة ، فذهب الأب إلى يعقوب ليطلب منه إبنته وكان إخوتها عادوا من الحقل فعرفوا بالأمر فغضبوا لِأنه زنا بأختهم ، فتكلَّم الأب معهم وقال : شكيم إبني تعلقت نفسه بإبنتكم أعطوه إياها صاهرونا وأعطونا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا وتسكنون معنا ، إسكنوا واتّجروا وتملّكوا ، ثمَّ تكلَّم شكيم مع يعقوب وأبنائه وقال : دعوني أجد نعمةً في أعينكم ، فالذي تقولون لي أعطي كثِّروا عليَّ جداً مهراً وعطيةً فأعطي كما تقولون لي .

فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكرٍ فقالوا : لا نستطيع أن نغفل هذا الأمر أن نعطي أختنا لرجلٍ أغلف لِأنَّه عارٌ علينا ، غير أننا بهذا نواتيكم إنْ صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً ، فحسن كلامهم في عين حمور وإبنه فاختتن شكيم لوقته وذهب مع أبيه إلى باب مدينتهما وطلبا من قومهما أن يختتنوا ، وقالا لقومهما : هؤلاء القوم مسالمون لنا فليسكنوا في الأرض ويتّجروا فيها ونصير شعباً واحداً بختننا كل ذكر كما هم مختونون ، فسمع لحمور وإبنه كل الخارجين من المدينة واختتنوا ، وفي اليوم الثالث خرج أبناء يعقوب وأخذوا

سيوفهم وقتلوا كل ذكر في المدينة وقتلوا حمور وشكيم إبنه ونهبوا المدينة غنمهم وبقرهم وحميرهم ، وقد أخذوا كل ما في المدينة والحقل وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت[1] » .

فانظر أيها القارىء الكريم كيف أنَّ حمور وإبنه أحسنا لبني يعقوب وعاملوهم هذه المعاملة الشريفة وأسكنوهم أرضهم وبلادهم ، وجعلوا أنفسهم شعباً واحداً وختنوا أنفسهم لكي يتقربوا إليهم ويدخلوا في دينهم ، مع ذلك كله فقد خدعهم أبناء يعقوب وغدروا بهم وقتلوهم ونهبوا أموالهم وسبوا نساءهم وأطفالهم فما كانوا بعملهم الشنيع هذا إلا عصابة لصوص وقتلة ، لا يحبون الخير لِأحد ولا يفون بعهد .

وفي زمن موسى أعظم أنبياء بني إسرائيل حينما أراد الرب أن ينتقم لبني إسرائيل من المديانيين ، أمر موسى بتجهيز جيش من الأسباط فإمتثل موسى وأرسل جيشه فهجموا على مديان وقتلوا كل ذكر وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم وجاؤوا إلى موسى بالسبي والغنائم فخرج لاستقبالهم ولما علم بأنهم جاؤوا بالسبي أحياء سخط عليهم ثم قال لهم :

« فالآن أقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر أقتلوها ، لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات »[2] .

فهل هناك قسوة وظلم أشد من قتل النساء والأطفال ، والأشد من ذلك أنهم لم يبقوا إلا البنات الصغار اللواتي لم يقربهن ذكر وإنما أبقوهن لانتفاعهم بهن لا رقةً عليهن ، وكذلك قتل موسى بأمر الرب كل مَن كان في مدن سيحون :

« وأخذنا كلَّ مدنه في ذلك الوقت وحرَّمنا كل مدينةٍ ، الرجال والنساء والأطفال لم نبقِ شارداً »[3] .

وكذلك فعل بمملكة عوج ملك باشان :

---

(١) التكوين : ٣٤/١ - ٢٩ .

(٢) العدد : ٣١/٧ - ١٨ .

(٣) التثنية : ٢/٣٤ - ٣٥ .

« فحرمناها كما فعلنا بسيحون ملك حشبون محرمين كل مدينة الرجال والنساء والأطفال ، لكن كل البهائم وغنيمة المدن نهبناها لِأنفسنا »(١) .

وكذا مملكة عوج ملك باشان(٢) ، وأما بالنسبة إلى يشوع خليفة موسى فهو لا يقل عن أستاذه في القساوة والقتل والإبادة الجماعية فقد قتل جيشه بأمره كل ما في مدينة أريحا من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ حتى البقر والغنم والحمير(٣) .

وكذلك فعل بمدينة عاي إلا أنه عفى عن البهائم(٤) .

وقام كذلك بنفس العمل في لبنه ونحيش وعجلون وحبرون ودبير وكل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح(٥) وكذا حاصور(٦) .

وهذه الجرائم والقتل الجماعي كان بأمر الرب فهو الذي شدَّد قلوب المحاربين لبني إسرائيل من هؤلاء ليقع هذا القتل عليهم وعلى نسائهم وأطفالهم ، ولا تكون عليهم رأفة ويُحرموا ويُبادوا كما أمر الرب موسى(٧) .

ويتجلى الإرهاب الإسرائيلي والقتل والظلم حينما أقدم يشوع لِأجل سرقة قليله وصغيره جداً فقد أمر بإحراق عخان وبنيه وبناته وحيواناته وجميع أمواله مع أنهم مؤمنون من نسل إبراهيم ومن بني إسرائيل شعب الله المختار وهب أنَّ جريمة السرقة القتل فما ذنب البنين والبنات والنساء والبهائم(٨) .

سرق عخان من الغنيمة فغضب الرب على بني إسرائيل جميعاً وسلَّط عليهم الكفرة ونسب إليهم السرقة والخيانة مع أن الكثير منهم لم يكن لهم علم بهذه السرقة حتى يؤاخذوا بترك النهي عن المنكر ومع ذلك فقد أُحرق عخان مع أهل بيته وبهائمه

---

(١) التثنية : ٣/٦ ـ ٧ .
(٢) التثنية : ٣/٥ ـ ٦ .
(٣) يشوع : ٦/١٧ ـ ٢١ .
(٤) يشوع : ٨/٢٦ ـ ٢٧ .
(٥) يشوع : ١٠/٢٨ ـ ٤١ .
(٦) يشوع : ١١/١١ .
(٧) يشوع : ١١/٢٠ .
(٨) يشوع : ٧/٢٤ ـ ٢٥ .

وكـل ما يملك بـأمر من الـرب وتتجلى قساوة الـرب وظلمه وحقـده عندمـا يـأمـر نبيّـه صموئيل أن يـأمر شـاؤل الذي مسحـه ملكاً على شعبـه أن يقتل عمـاليق رجلاً وإمـرأة وطفـلاً ورضيعاً بقـراً وغنماً جمـلاً وحماراً إنتقـامـاً وتشفيـاً منهم لِأنهم أسـاؤا إلى بني إسرائيل في الطريق حين صعدوا من مصر إلى أرض كنعان ، فهـل هناك حقـد وقسوة ولؤم أشد من حقد يهوه الذي يـأمر بقتـل الأطفال والنسـاء والشيوخ والـرضع الـذين لا ذنب لهم ولا تكليف عليهم بفعلٍ صدر من أجدادهم قبل أربع قرون ونصف [1] .

وهب أن قتل الكبار جائز لكفرهم ولكن ما ذنب الأطفال .

هذا عدل يهوه ورأفته وهـذه صفحات مشـرقة من تـاريخ بني إسـرائيل ومـا فعله ملوكهم أشد وأفظع مما فعله أنبياؤهم ، فتاريخهم تاريخ قتل وسلب وإبادة جماعيـة ، ومن سبر تاريخ الأمم لا يجد أمة أشد ظلمـاً وغلظة وغدراً من اليهـود ، فهم منبع كـل شر ومصدر كل فتنةٍ ، ودولة العصابة الصهيونية إسرائيـل هي خير دليـل على كون بني إسرائيل لصوص وقتلة منذ فجر تاريخهم ، وقد اجتمع هذا الشعب الحاقد والغادر من شتى أنحاء العالم ليـوجد دولـة العصابـات والإرهاب الـدولي في قلب العالم العـربي والإسلامي ليكونوا شوكـة في قلب الأمة الإسـلامية وليـذروا بذور الشقـاق والنفاق بين الدول المجاورة ، وبمكرهم وغدرهم استطاعوا أن يـرعبوا ملوك العـربان الخـونة وأن يدوسوا كرامة الشعب العربي بغطرستهم وقسوتهم وقتلهم للأطفال والنساء والأبرياء ، ومهما تظاهرت دولة إسرائيل بأنها دولة حضارية وديمقراطية فإنَّ أفعـالها تكـذبها لِأنهـا أول دولـة إرهابيـة قامت ولا تـزال على الإرهاب ، فقـادة إسرائيـل ما هم إلا عصـابـة لصوص وقتلة استطاعوا بمساعدة الغرب الجاهل أن يؤسسوا دولة الإرهاب ليشنوا بعـد كل فترة حرباً جديدة على الدول العربية ويتوسعوا في الأراضي العربية من جديـد وقد برهن الصهاينة الخونة بأنهم لا يؤمنون بقيم ولا بقوانين عالمية ولذلك يشنـون الغارات على القرى والأرياف ويقتلون الناس بلا تمييز ولا إنذار ، وإسـرائيل لا تعـرف السلام ولا تؤمن به وحياتها مشروطة بحال اللاحرب واللاسلم ، ولن تقبل إسرائيل بأي صلح وإنما تتظاهر بذلـك لتغتنم الوقت والفـرصة لـلإستعداد والـوثوب من جـديد وإحتـلال الأراضي الجديدة .

---

(١) صموئيل الأول : ٥/٢ ـ ٣ .

الوصايا الأخرى

وأمّا الوصايا الأخرى الباقية فهي وصايا قومية خاصة ببني إسرائيل ، أما غيرهم من الأمم فيجوز عليهم شهادة الزور واشتهاء نسائهم ، وقد تقدم من داود وسائر أنبياء بني إسرائيل ما يخالف تعاليم هذه الوصايا .

ولست أدري لماذا أعطوا هذه الوصايا تلك الأهمية الكبرى مع أنّها كما تقدم ليس لها ما لوصايا بوذا من الشمولية والعموم ، كما أنّ في التوراة ما هو أهم منها وأشمل ، فلماذا أعرضوا عنها واستمسكوا بهذه الوصايا ؟ ومن الوصايا العامة في التوراة التي تسمو على الوصايا العشر :

« ولا تضطهد الغريب . . . ولا تسيء إلى أرملة . لا تسب الله ، ولا تلعن رئيساً من شعبك. . . لا تقبل خبراً كاذباً، ولا تضع يدك مع منافق لتكون شاهد ظلم ، ولا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر . . . لا تحابِ مع مسكين في دعواه ، إذا صادفت ثور عدوّك أو حماره شارداً تردّه إليه . . لا تحرّف حقّ فقيرك في دعواه ، ابتعد عن كلام الكذب ، ولا تأخذ رشوة ، ولا تضايق الغريب »[1] .

إلى غير ذلك من الوصايا التي هي أعم وأشمل من الوصايا العشر وإن تعظيم هذه الوصايا إعلامياً فيه كثير من المبالغة وعدم الدقة ، لأنّها كما بيّنّا لا تستحق

---

(١) الخروج ٢٢/ ٣١ ، و٢٣/ ١ ـ ٩ .

ذلك ، ولو أنصف هؤلاء لوجدوا في القرآن أكثر من مائة وصية ، وهي أعم وأشمل ؛ ونحن نذكر بعضها للتدليل على ذلك :

لا تشرك بالله .
لا تقنط من رحمة الله .
لا تسرق .
لا تبذر .
لا تكذب .
لا تقتل .
لا تغتب .
لا تتجسس .
لا تفحش بالقول .
لا تخن .
لا تغـــدر .
لا تغـــش .
أحسن لوالديك ولا تقل لهما أف .
لا تنابزوا بالألقـاب .
لا تدخل بيتاً قبل أن تستأذن .
لا تأكل لحم الخنزير .
لا تحلف بالله كذباً .
لا تشهد الزور .
لا تمشي في الأرض مرحاً .
لا تجحد بآيات الله .
لا تجادل إلّا بالتي هي أحسن .
لا تنافـــق .
لا تزنـــــي .
لا تمـــارِ .
لا تخـــــادع .
لا تفتـــــرِ .

لا تســــــتهزىء .
لا تفسد في الأرض .
لا تمـــــاطل .
لا تفتــــــن .
لا ترتشــــــي .
لا تتعاون على الإثم .
لا تحتــــــل .



التــــوراة والتاريـــخ

قيمـة أيّ كتاب تنبـع من محتويـاته ، وقيمـة التوراة تكمن في أنّهـا أهم كتـاب تاريخي كُتب على يد اليهود ليتحدث عن اليهود ، وقيمة التوراة التاريخيـة أكبر بكثيـر من أنّهـا كتاب وحي ، لاتّفـاق العلماء من النصـارى واليهود وغيـرهم على أنّهـا أهم مصدر تاريخي ، يتحدث عن تاريخ اليهود وعاداتهم وتقاليدهم وعباداتهم وأنسـابهـم وملوكهم وجميع آدابهم .

وقد استطاع اليهود عبر السنين الطويلة أن يحفظوا هذا الكتاب ، ويضفـوا عليه صيغة الوحي والقداسة ، وهذا الكتاب هو كشكول من العلوم والمعـارف ، والفلسفة والحكمة ، والخرافـات والأباطيـل ، وفيه الكثيـر من عقائـد الأمم وأفكارهـا أخذهـا اليهود ونسبوها لهم .

وقد أدرك هذه الحقيقة العلماء والمفكرون من اليهود والنصارى ، وكتبوا حولها الكثيـر من الكتب التي تـدل على الـدّقة وسعـة الاطّـلاع ، وكـل من طـالـع الكتـاب المقدس يلمس هذه الحقيقة ساطعـة أمام عينـه ، فليس من المعقول أن تكـون دائرة المعـارف الـروسيـة أو الفـرنسيـة أو الصينيـة أو الأفغـانيـة كتب عـالميـة حجـة على جميع شعوب العالم ، وكذلك لا يمكن لكتاب المـورد مثلاً (إنكليـزي - عربي) أن يكون كتاباً عالمياً لجميع لغات العالم ، وهـو لا يبحث إلّا عن لغة واحـدة ؛ والتوراة كتاب لا يتحدث إلّا عن الشعب اليهودي ، فهو لا يمكن أن يكون من كتب الوحي ، إذ لا بد في كتاب الوحي أن يكون هـدىً ونوراً لجميـع أفراد البشـر ، لا لشرذمـة من

الناس ، وموسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً لبني إسرائيل فحسب بل لكل الناس وإن كان من بني إسرائيل نسباً وغالب أسفار التوراة تتحدث عن تاريخ بني إسرائيل وتاريخ أنبيائهم وملوكهم ، وتاريخ معاناة الشعب اليهودي وقتله وتشريده من قبل ملوك الأرض ، وعن هيكل سليمان ومتى بني ، وكم مرة جدّد بناؤه بعد هدمه وحرقه .

وقسم التاريخ يشغل القسم الأكبر من التوراة ، وقد جرت هذه الأحداث لليهود خلال مئات القرون ، وهذا دليل على أنّ هذه الأسفار كانت تكتب عند وقوع تلك الأحداث أو بعدها ، وذلك بعد موت موسى بن عمران بعشرات القرون .

والذي أبقى هذا الشعب متماسكاً عبر القتل والدمار الذي أصابه هو أنّهم أتقنوا فن النفاق والتلون بحسب الوضع الحاكم ، مع تمسكهم بعقيدتهم في الباطن ، فاليهود يتلوّنون بحسب الأوضاع السائدة ، ويتظاهرون بالولاء للحكام والانخراط في دينهم ، وإن كان الحكام وثنيين ؛ لذا نجد إرميا يدعو بنو إسرائيل إلى الدخول في طاعة بختنصر الذي ذبح اليهود واستعبدهم أكثر من سبعين سنة ، وأحرق دولتهم وجميع معالم حضارتهم ونقلها إلى بابل ؛ ففي عهد يهوياتيم بن يوشيّا وهو الذي أسره بختنصر وكان له عبداً ثلاث سنين ، ووقع السبي في عهده[1] يقول إرميا :

« هكذا قال الرب لي : اصنع لنفسك رُبُطاً وأنفاراً واجعلها على عنقك ، وأرسلها إلى ملك أدوم ، وإلى ملك موآب ، وإلى ملك بني عمّون، وإلى ملك صور وصيدون . . . إلى صدقيا ملك يهوذا وأوصهم إلى سادتهم قائلاً : هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل هكذا تقولون لسادتكم : إنّي أنا صنعت الأرض والإنسان والحيوان الذي على وجه الأرض بقوّتي العظيمة وبذراعي الممدودة، وأعطيتها لمن حسن في عيني، والآن قد دفعت كل هذه الأراضي ليد بنو خذنصّر ملك بابل عبدي ، وأعطيته أيضاً حيوان الحقل ليخدمه فتخدمه كل الشعوب وابنه وابن ابنه حتى يأتي وقت أرضه أيضاً فتستخدمه شعوب كثيرة وملوك عظام ، ويكون أن الأمة أو المملكة التي لا تخدم نبوخذنصّر ملك بابل والتي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل إنّي أعاقب تلك الأمّة بالسيف والجوع والوباء ، يقول الرب حتى أفنيها بيده . فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرّافيكم وحالميكم وعائفيكم وسحرتكم الذين

---

(١) الملوك الثاني : ٢٤/١ ـ ٧ .

يكلمونكم قائلين : لا تخدموا ملك بابل لأنّهم إنّما يتنبأون لكم بـالكذب لكي يبعدوكم من أرضكم ، ولأطردكم فتهلكـوا ؛ والأمة التي تـدخل عنقهـا تحت نير ملك بابل وتخدمه أجعلها تستقـر في أرضها يقـول الرب وتعملهـا وتسكن بها »[1] .

هـذه الدعـوة من التوراة من أجـل الخضوع والخنـوع والتسليم لملك بـابـل ، وتكذيب كل من يخالـف هذه الدعوة من الأنبياء والعرّافين وغيرهم ، ووضع إرميا النير على عنقه من أجل تعليم الناس عملياً الخضوع لملك بابـل ، هذه الأمـور كلها تـدلّ على أنها وقعت في حال محاصرة بخت نصّر لأورشليم ، وقد قـام إرميا بهـذه المهمة وبهـذا العمل من أجـل أن يحفظ بني إسرائيـل ويبقيهم في أرضهم ، لأنّ آخر كـلامه يكشف لنا عن سرّ هذه الدعوة ، وخاصة حينما كذّب الأنبياء :

« لأنّهم يتنبـأون لكم بـالكـذب لكي يبعـدوكم من أرضكم ولأطـردكم فتهلكوا ، والأمة التي تدخل عنقها تحت نير ملك بابل وتخدمه أجعلهـا تستقرّ في أرضها يقول الرب ، وتعملها وتسكن بها » .

وتاريخ اليهود مملوء بهذه المـواقف التي يتعاملون فيهـا مع الـواقع المعـاش ، ولكنهم في البـاطن كانـوا يحيكون المؤمـرات ويخـططون للوصـول إلى هـدفهم من القضاء على الشعوب الأخرى ؛ وبحث هذا الموضوع يطول ويحتاج إلى مجلدات ، وهو خارج عن هدفنا في هذا الكتاب .

العقائد الوثنية في التوراة

بقي علينا أن نتعرض لبعض محتويات التوراة التي أخذت عن الوثنيين ، وهذا المـوضوع لا يـزال في مهده ، لأنّ الكثيـر من هذه العقـائد تمّ كشفهـا من خلال علم الآثار ، وهو وإن كشف لنا بعض هذه العقائد إلاّ أنّ الكثير منها لا يـزال تحت طبقات الأرض ، ولا بـدّ أن يأتي اليـوم الذي يكشـف للعـالم الكثير من عقـائـد الـوثنيين في الكتاب المقدس .

---

(١) إرميا : ٢/٢٧ ـ ١١ .

ابن الله البكر عند الوثنيين واليهود والنصارى

إنّ من سبر العقائد الوثنية القديمة يجد أنّها تتطابق مع بعضها البعض ، وإن تعددت واختلفت هذه العقائد ، فكل أمة كانت تدّعي أنّ إلهها هو ابن الله البكر فقد أطلق الهنود على (أبولو) المدفون في دلهي ابن الله البكر[1]

وكذلك كان الكلدانيون يعظمون (فولو) الذي كان يدعى (بالكلمة) وكانوا يصفونه بهذه العبارات (فولو) الكائن قبل كل شيء وابن الله البكر[2] .

كما أنّ الأشوريين كانوا يدعون (مردوخ) الكلمة ، ويدعونه أيضاً ابن الله البكر ، وكانوا يتوسلون إليه بهذه الدعاء : « أنت القادر الموفق ومانح الحياة ، أنت الرحيم بين الآلهة ، أنت ابن الله البكر »[3] وقد أخذت التوراة هذا اللقب وجعلته ليعقوب (إسرائيل) :

« هكذا يقول الرب إسرائيل ابني البكر »[4] .

واليهود في كتبهم الفقهية فلسفوا هذا الأمر وكشفوا عن حقدهم وتعصبهم ، فالولد البكر له ميزة في الإرث يختصّ بها دون غيره ، ففي المادة (٤٩١) من بن شمعون أن للولد البكر من الأب مثل حظ الوالدين ، وذلك لعلّة البكورة ، وبما أنّ ابن إبراهيم البكر هو إسماعيل عليه السلام فقد عمد اليهود في تلمودهم إلى نزع هذا اللقب منه لأنّه ولد من جارية مصرية ، وأعطوها لابنه إسحاق الذي ولد من امرأة عبرانية فانتقلت إلى ابنه يعقوب ؛ ففي المادة (٥٠٢) من بن شمعون ينص على أنّ :

« البكر من الجارية أو الأجنبية لا يمنع البكورة من الإسرائيلية بعدها » .

ولّم يكتف اليهود بهذه المنزلة ليعقوب من أنّه ابن الله البكر ، بل جعلوا قوته

---

(١) هيجن في كتابه الأنكلوسكنس ج ١٦٢/٢ .

(٢) خرافات التوراة : ص ٣٧٤ .

(٣) خرافات التوراة : ٤٧٣ .

(٤) الخروج : ٢٢/٤ .

تفوق قوة يهوه نفسه ، وذلك من خلال المصارعة التي جرت بينهما ، وإليك أيها القارىء الكريم تلك الأسطورة التي تحكيها التوراة :

مصارعة يعقوب ويهوه

ففي سفر التكوين أن يعقوب لما هرب من العراق وهاجر إلى أرض كنعان في فلسطين وصل إلى جدول صغير اسمه (اليبّوق) في أرض الأردن فعبَّر أهله وبقي وحده :

فبقي يعقوب وحده يصارعه رجل ما حتى طلع الفجر ، فلما رأى أنّه لا يقدر عليه ضرب حقَّ فخذه ، فانخلع حق الفخذ من يعقوب في صراعه معه ، ثم قال أطلقني فقد طلع الفجر ، فقال يعقوب : لا أطلقك حتى تباركني ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : يعقوب فقال : لن يدعى اسمك يعقوب من بعدُ ، بل إسرائيل لأنّك صارعت الله والناس وغلبت »[1] .

فدعا يعقوب اسم المكان فنئيل قائلاً لأنّي نظرت الله وجهاً لوجه ونجوت بنفسي (ومعناه) مصرع إله إسرائيل ، وهذا يدل على ضعف إله التوراة ؛ ولذلك ندم على خلقه للإنسان وجعل حرساً على الشجرة حتى لا يأكل منها الإنسان وينازعه على الحياة الأبدية كما تقدم[2] .

والتوراة التي تروي هذه المصارعة بين يعقوب وربّه نجدها في أول ذلك الأصحاح تبيّن جبن وخوف يعقوب من أخيه عيسو ، فيرسل الرسل إليه ليأمن شرّه :

هكذا تقولون لسيدي عيسو هكذا قال عبدك يعقوب : تغربت. . . ولبثت إلى الآن وقد صار لي بقر وحمير وغنم ، وعبيد وإماء ، وأرسلت لِأخبر سيدي لكي أجد نعمة في عينك »[3] .

---

(١) التكوين : ٢٣/٣٢ ـ ٣٠ لا يخفى على القارىء العزيز أنّ المترجمين حرّفوا القصة وترجموا : « صارعت الله » بقولهم : « جاهدت مع الله والناس » كما في النسخة العربية المطبوعة في بيروت سنة ١٨٧٠ م ويدل على هذا التحريف ما جاء في الكتاب المقدس للكاثوليك طبع دار الشرق جمعيات الكتاب المقدس بيروت ٧ تشرين الثاني ١٩٨٨ ص ١١٩ فقد جاءت الترجمة صحيحة كما ذكرنا هنا .

(٢) التكوين : ٦/٥ ـ ٨ .

(٣) التكوين : ٣٢/ ٢ ـ ٥ .

فرجع الرسل وأخبروه أن أخاه عيسو قادم للقائه ، فخاف يعقوب جداً وضاق به الأمر ، ودعا ربّه :

« نجِّني من يد أخي عيسو لِأنّي خائف منه أن يأتي ويضربني مع البنين »[1] .

فانظر أيها العاقل إلى هذه التناقضات في نفس هذا الأصحاح وفكر في العقليّة اليهودية وقبحها ، كيف يصارع الإنسان ربّه وفي نفس الوقت يخاف من أخيه ، ولا تعجب عزيزي القارىء من هذه التناقضات فإنّ إله التوراة يهوه له كثير من اللطائف والفكاهات ، وقد مرّ عليك الكثير منها .

إله الجنس عند الوثنيين

إن عبادة الجنس اليوم في العالم الغربي مهما كانت شنيعة وقوية فإنّها لم تصل إلى ما وصل إليه الهنود في عبادتهم للعلاقة الجنسية ، وقد بقيت هذه العبادة قائمة حتى اليوم ، إلاّ أنّ الفرق بين عبادة الجنس اليوم في الغرب وبين عبادة الهنود هو أن عبادة الجنس في الغرب ليس لها آلهة خاصة ، وليس لها كتاب مقدس . وكان إله هذه العلاقة عند الهنود شيڤا ، ورمزها عضو التذكير ، وكتابها المقدس هو « أجزاء من التافترا » (ومعناها كتب للنصوص) « وشاكتي » (ومعناها القوة التي تبعث النشاط » بالنسبة إلى شيڤا هي ـ كما كانوا يصورونها أحياناً زوجته كالي ، وأحياناً أخرى يتصورون تلك القوة الباعثة تشيڤا على نشاطه الجنسي عنصراً في شيڤا نفسه ، وبهذا تكون طبيعته مشتملة على قوّتي الذكورة والأنوثة في آن واحد معاً ، وهاتان القوتان يمثلهما الهنود بأوثان يطلقون عليها اسم « النجا » أو « يوني » وهي تمثل عضوي التناسل عند الرجل والمرأة وأينما سرت في الهند شاهدت آثاراً لهذه العبادة للعلاقة الجنسية[2] .

وقد أخذ اليهود هذه الفكرة الوثنية عن آلهة الجنس الهندية وجعلوها لآدم أبي البشر ، الذي خلقه الله على صورته ، تقول التوراة :

---

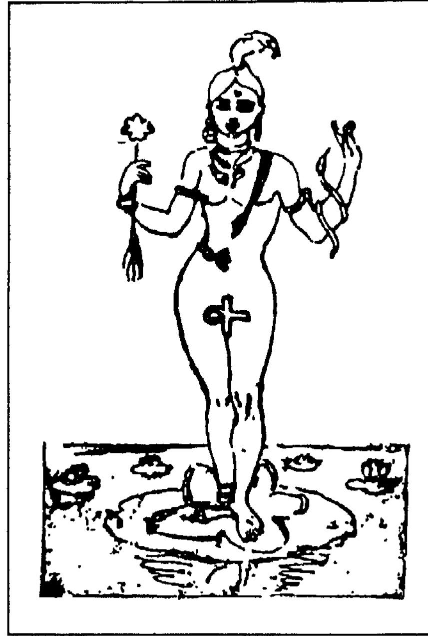
(٢) التكوين : ٣٢/١١ ـ ١٢ .

ـ (١) قصته الحضارة : ٣/٢٢٣ .

« يـوم خلق الله الإنسان على شبـه الله عمله ، ذكراً وأنثى خلقـه وباركـه ودعا اسمه آدم »[1] .

وهذه العبارة ظاهرة في نسبة ذلك لإله التوراة لأنّه خلق آدم على صورتـه ، فلا بد أن يكون هو كذلك ؛ هذا بالإضافة إلى سائر الصفات الأخرى التي تذكرها التوراة له ، وهي صفات بشرية كما تقدم .

وقد نقل تـوما أنمن في كتـابه (الـوثنيون القـدماء ص ٩) صـورة لبراهما وهو بحالتي الذكورة والأنوثة ، يدعون ظهوره بـالناسـوت (ارداناري) والـرمز الكـائن في أسفل البطن وبين الفخذين : علامـة التناسـل ، ومعنى وقوفـه على الحادقـوقة رقـوة الإيجاد والكلمة المستعملة وصفاً لتجسّده لاتخـاذه الناسـوت « ارداناري » وقـد نقلنا هذ الصورة كما وردت في الكتاب المذكور .



براهما في حالتي الذكورة والأنوثة

(١) التكوين : ٥/٢ .

القوانين الوثنية في التوراة

من الأحكام والقوانين التي نجدها في التوراة ، وهي مأخوذة عن الوثنيين ، ما في سفر الخروج :

إذا إبتعت عبداً عبرانياً فليخدمك ستّ سنين وفي السابعة يخرج حرّاً مجّاناً ، إن دخل وحده فليخرج وحده ، وإن كان ذا زوجة فلتخرج زوجته معه ، وإن زوَّجه مولاه امرأةً فولدت له أبناء أو بنات فالمرأة وأولادها يكونون لمولاه ، وهو يخرج وحده »[1] .

وهذه الأحكام تماثل ما جاء في المادة ١١٧ ـ ١١٨ من قانون حمورابي .

وفي نفس الأصحاح تتحدث الآية ١٨ عن دية الإصابات فتقول :

« وإذا اختصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو لكمه فلم يمت بل ألزم الفراش ، فإن قام ومشى خارجاً على عكازه فقد بريء الضارب غير أنّه يعطيه دية عطلته وينفق على علاجه »[2] .

وهذا أيضاً ينطبق على المادة ٢٠٦ من شريعة حمورابي .

وقد بين الأب الفرنسي الدكتور هنري كازيل أنّ جزءاً صغيراً من هذه الشرائع يتضمن تشريعات نابعة من قانون حمورابي والشرائع الآشورية والحثيّة وبعض أصول مصرية فرعونية أو كنعانية[3] .

من أحكام التوراة

ومن أجل تتميم الفائدة وإعطاء برهان آخر على عدم كون التوراة من كتب الوحي نذكر نبذة من الأحكام التي لا يقبل بها وجدان البشر ، ولا تمتّ إلى شريعة موسى عليه السلام بصلة .

ففي أخريات إشعياء :

---

(١) الخروج : ٢١/٢ ـ ٤ .

(٢) الخروج : ٢١/١٨ ـ ١٩ .

(١) الفكر الديني اليهودي ص ١٩ ـ ٢٠ .

إنّ الله أمر نبيّه إشعياء أن يمشي عرياناً وحافياً بين الناس ثلاث سنين ليبلغ الناس ويقول لهم : هكذا يسوق ملك آشور سبي مصر وجلاء كوش الفتيان والشيوخ عراة وحفاة ومكشوفي الأستاء خزياً لمصر »[١] .

ولعلَّ نوادي العراة التي تقام اليوم في العالم الغربي قد نشأت من هذه التعاليم .

وفي إرميا : إنّ الله أمر نبيّه إرميا أن يصنع رُبُطاً وأنياراً ويجعلها في عنقه كما يجعل نير الفدان على أعناق البقر ليبلغ الناس ويقول :

« أدخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل[٢] » .

وفي حزقيال : إنّ الله أمر نبيّه حزقيال أن يأكل كعكاً من خبز الشعير الذي يخبزه أمام عيون بني إسرائيل على الخراء الذي يخرج من الإنسان ليبلغ ويقول : هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم[٣] .

أنبياء التوراة

يقول إرميا :

وقد رأيت في أنبياء السامرة حماقة تنبأوا بالبعل وأضلّوا شعبي إسرائيل ، وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يُقشعرُ منه ، يفسقون ويسلكون بالكذب ويشدّون أيادي فاعلي الشر حتى لا يرجع الواحد عن شرّه . . . هكذا قال رب الجنود عن الأنبياء هانذا أطعمهم أفسنتيناً وأسقيهم ماء العلقم لأنّه من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق من كل الأرض ، هكذا قال ربّ الجنود لا تستمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم »[٤] .

أما الكهنة ورجال الدين والربّيون فقد شاركوا الأنبياء في الصفات السابقة ، فكذبوا على الله وهم يدّعون أنّهم يتكلمون عن الله ، ولكن هؤلاء أيضاً ضلّوا بالخمر وتاهوا بالمسكر الكاهن والنبي ترنّحا بالمسكر ابتلعتهما

---

(١) إشعياء : ٢٠/٢ ـ ٤ .
(٢) إرميا : ١٢/٢٧ .
(٣) حزقيال : ١٢/٤ ـ ١٣ .
(٤) إرميا : ١٣/٢٣ ـ ١٦ .

الخمر ، تاها في المسكر ضلّا في الرؤيا ، قلقا في القضاء »[١] .

التوراة الحالية تصرّح بتحريفها

من خلال هذه النصوص المتقدمة يتضح للقارىء أن اليهود ساهموا بالكذب على الله ، وقاموا بتحريف التوراة على ضوء المتغيرات التي كانت تحدث في المجتمعات ، ولم يقف الأمر عند الناس العاديين بل الكهنة والمتنبّئون والربّانيون حرفوا التوراة ؛ والتوراة الحالية تصرِّح بهذه الحقيقة :

وأمّا وحي الربّ فلا تذكروه بعدُ لأنّ كلمة كلِّ إنسان تكون وحيه إذ قد حرّفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا »[٢] .

« يقول الرب : الذين يسرقون كلمتي بعضهم من بعض ، هأنذا على الأنبياء ، يقول الرب : الذين يأخذون لسانهم ويقولون قال : هأنذا على الذين يتنبأون بأحلام كاذبة ، يقول الرب : الذين يقصّونها ويضلّون شعبي بأكاذيبهم ومفاخراتهم وأنا لم أرسلهم ولا أمرتهم »[٣] .

وقد اختلط وحي السماء بكلامِ أهلِ الأرض ، وأخذ كل واحد يكتب كتاباً ويدّعي أنه من عند الله ، يشري به ثمناً قليلاً كما يعبّر القرآن .

وقد هدّدهم الله وتوعدهم :

« ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئاً، أنبياؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب في الخرب ، لم يصعدوا إلى الثغر ولم يبنوا جداراً لبيت إسرائيل للوقوف في الحرب في يوم الرب ، رأوا باطلاً وعرافة كاذبة ، القائلون وحي الربِّ والربُّ لم يرسلهم . . . ألم تروا رؤيا باطلة وتكلمتم بعرافة كاذبة قائلين : وحي الرب ، وأنا لم أتكلم »[٤] .

ومع هذه النصوص كيف يبقى للتوراة مصداقية ؟ ولست أدري ما الذي حمل النصارى على أن يضمّوا التوراة إلى الأناجيل ويجعلوها لهم كتاباً مقدساً ، مع أنّ

(١) إشعياء : ٧/٢٨ .
(٢) إرميا : ٣٦/٢٣ .
(٣) إرمياء : ٣٠/٢٣ ـ ٣٢ .
(٤) حزقيال : ١٣ /٤ ـ ٧ .

اليهود قتلوا المسيح واستغلّوا النصارى ولا يزالون ، وإلى يوم القيامة .

وصدق الله العظيم حيث يقول في كتابه المجيد :

﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسُوا حظّاً ممّا ذكّروا به ، ولا تزال تطّلع على خائنة منهم إلاّ قليلاً منهم ، فاعف عنهم واصفح إنّ الله يحبّ المحسنين ﴾[1] .

﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون ﴾[2] .

﴿ فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم ممّا كتبت أيديهم ، وويل لهم ممّا يكسبون ﴾[3] .

فهذه النصوص صريحة بأنّ التوراة طرأ عليها التبديل والتحريف والنسيان والإخفاء العمدي ، فالقرآن يصرّح بتحريف التوراة الحالية .

ونفس التوراة الموجودة تدلّ على ذلك كما تقدم ، ومن هنا تعلم زيف قول المبشرّين في المنشور الذي سبب كتابة هذا الكتاب إنّه من المستحيل تحريف الكتاب المقدس ، وهذا الادّعاء هو محض اختلاق لا يمت إلى الواقع بصلة .



(١) المائدة / ١٣ .
(٢) البقرة / ٧٥ .
(٣) البقرة / ٧٩ .

عيسى بن مريم في القرآن

تحدث القرآن الكريم عن عيسى بن مريم وأثنى عليه الثناء الجميل ، وذكر معاجزه الباهرة أكثر مما ذكرت له الأناجيل . فهو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل ، كما أن محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله) خاتم النبيين .

وقد ذكره القرآن في ٣٣ آية خلال ١٣ سورة :

﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلّم الناس في المهد ومن الصالحين ﴾[١] .

﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآيةٍ من ربّكم أنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ، وأنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم ، إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾[٢] .

ومن خلال الآيات التي وردت في القرآن الكريم يمكننا أن نتعرف على شخصية المسيح في نظر القرآن :

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٤٥ ـ ٤٦ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٤٩ .

وكان (عليه السلام) عبداً لله وكان نبياً[1] .

وكان واحداً من الأنبياء الخمسة أولي العزم صاحب شريعة وكتاب وهو الإنجيل[2] .

وكان رسولاً إلى بني إسرائيل[3] .

وقد سماه الله بالمسيح وكان كلمة الله وروحاً منه[4] .

وقد بشّر برسول الله محمد بن عبد الله (ص)[5] .

وجعله الله وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين[6] .

وكان من المصطفين ومن المنتجبين ومن الصالحين[7] .

وجعله الله مباركاً أين ما كان ، وزكيًّاً ، وآيةً للناس ورحمة من الله ، وبارًّاً بوالدته ، وكان مسلَّماً عليه[8] .

فهذه أوصاف الأنبياء التي وصفه الله تعالى بها وعظمه ورفع قدره .

وعلى ضوء هذه الصفات التي وصفه القرآن بها يتضح لنا أن المسيح القرآني غير مسيح الأناجيل ، لأن المسيح القرآني كان عبداً مخلصاً لله ، ولم يدعُ لنفسه مطلقاً ، ولم يتكلم إلاّ بما أمره تعالى ، وقد تبرّأ المسيح (عليه السلام) مما نسبوه إليه ، وقد بلّغ رسالة ربه كما أمره تعالى :

« الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم[9] » .

﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتّخذوني وأمي إلهين من

---

(١) سورة مريم : الآية ٣٠ .

(٢) سورة الأحزاب /٧ . الشورى /١٣ . المائدة /٤٦ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٤٩ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٤٥ . النساء /١٧١ .

(٥) سورة الصفّ : الآية ٦ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ٤٥ .

(٧) سورة آل عمران : الآية ٣٣ . الأنعام /٨٥ ـ ٨٧ .

(٨) سورة مريم : الآية ١٩ ـ ٣٣ .

(٩) يوحنا : ١٧/٧ .

دون الله ؟ قال : سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علاّم الغيوب * ما قلت لهم إلاّ ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربّي وربّكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفّيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد * إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾[1] .

﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّا ﴾[2] .

هذه الأوصاف القرآنية تشتمل على زبدة العبودية ، فهو عبد الله الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، ولم يقل إلا ما أمره الله به : أن اعبدوا الله ربّي وربكم ، فهو سيّد الموحدين في عصره ، ولذا مجّده القرآن وأثنى عليه .

ولو سبرنا الأناجيل الموجودة حالياً لوجدنا هذه الصفات موجودة في طياتها ، وإن كان النصارى يذهبون إلى التثليث وهو ما حاربه المسيح (عليه السلام) .

وهنا يحق لكل إنسان أن يتساءل في نفسه : إذا كان المسيح حارب التثليث ودعا لعبادة الله وتوحيده ، فكيف يزعم النصارى بأن المسيح هو ابن الله ؟ وهذه الدراسة وضعت للإجابة على هذا السؤال ، وسوف يتّضح للقارىء الكريم من خلال هذه الأبحاث أن التثليث هو من وضع بولس الذي شيّد أركان النصرانية الحالية ، فأدخل فيها العقائد الوثنية ، وقلب تعاليم السيد المسيح رأساً على عقب .

ولا يخفى أن الأوصاف التي وصف القرآن بها المسيح نجد بعضها في الأناجيل الحالية : ومن هذه الأوصاف أنه كان عبداً لله ، وداعياً إلى الله ، وسيد الموحدين ، ولم يدع يوماً لنفسه ، أو يدّعي أنه ابن الله ؛ وما نجده في إنجيل مرقس وغيره من تعاليم السيد المسيح التي تدعو للتوحيد وعبادة الله هي من أقواله التي لم تحرّف .

ففي الوصية الأولى للسيد المسيح حينما سأله أحد الكتبة :

« أي وصية هي أوّل الكلّ » ؟

---

(١) سورة المائدة : الآية ١١٦ ـ ١١٨ .

(٢) سورة مريم : الآية ٣٠ ـ ٣١ .

« فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا ربّ واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك ؛ هذه هي الوصية الأولى[1] » .

وقوله لمريم المجدلية :

« امضي إلى إخوتي وقولي لهم : إني صاعد إلى أبي الذي هو أبوكم وإلهي الذي هو إلهكم[2] » .

وهذا الكلام كان من السيد المسيح بعد الصلب والدفن . حينما ظهر للسيدة مريم قبل صعوده ، وهو آخر كلام المسيح وهو خير دليل على أن السيد المسيح كان لا يرى لنفسه أي ميزة عن الآخرين وأنه عبد الله .

ومن الأوصاف المهمة للمسيح القرآني أنّه بشّر برسول الإسلام محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله) كما بشّر به سائر الأنبياء الآخرين .

﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين ﴾[3] .

وظاهر هذه الآية المباركة أن رسالة المسيح (عليه السلام) كانت تدور حول ركنين أساسيين :

الأول : التصديق بالتوراة والعمل بها .

الثاني : البشارة برسول الإسلام محمد بن عبد الله (ص) والركن الثاني لم يكن هدف السيد المسيح (عليه السلام) فحسب ، بل هو هدف جميع الأنبياء حيث إن كل نبي كان يبشر بالرسول الذي يأتي من بعده وبخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (ص)[4] .

---

(١) مرقس : ١٢/٢٨ ـ ٣٠ .

(٢) يوحنا : ٢٠/١٧ ـ ١٨ . وهناك آيات أخرى في الأناجيل لم أذكرها خوفاً من الإطالة ، فراجع متى : الأصحاح ٥ و ٦ وأما إنجيل برنابا الذي لا تعترف به الكنيسة الحالية فإنه الإنجيل التوحيدي الوحيد الذي يصف المسيح بأنه كان عبداً لله ورسولاً إلى بني إسرائيل ، كما يصفه القرآن الكريم .

(٣) سورة الصف : الآية ٦ .

(٤) في التوراة الحالية آيات لا تنطبق إلا على رسول الإسلام لو أنصف أهل الكتاب ، وللتدليل على ذلك =

والقرآن يصرّح بهذه الحقيقة ، يقول تعالى :

﴿ **الذين يتّبعون الرسول النبيّ الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾[1] .

ويقول أيضاً : ﴿ **الذي آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾[2] .

وصريح هذه الآية يدل على أن أهل الكتاب كانوا على معرفة كبيرة بصفات

= نذكر ما جاء في التوراة المطبوعة في لندن سنة ١٨٦١ ففي التثنية ١٨/١٨ : « وأقيم لهم نبياً مثلك من بني إخوتهم وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكلّ ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه » وقد حرفت العبارة الأولى ـ إلى : « وأقيم لهم نبياً مثلك من وسط إخوتهم » ـ في سائر الطبعات الأخرى وهذا الكلام لا ينطبق إلا على رسول الإسلام الذي هو من بني إسماعيل بن إبراهيم وهو أخو إسحاق جد اليهود لعدة أمور :

الأول : لما في التثنية : ١٠/٣٤ ما نصّه : « ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه » وهذا نص في أن موسى أفضل من عيسى ، مع أن عيسى من بني إسرائيل أيضاً ، وفي الأصحاح المتقدم يقول : أقيم لهم نبياً مثلك أي : مثل موسى ، فهو لا يريد عيسى وإنما يريد غيره ، وليس هناك غير عيسى سوى محمد بن عبد الله (ص) .

الثاني : قوله : « وأجعل كلامي في فمه » وهو ظاهر في إرادة القرآن الذي أوحاه الله على لسان نبيّه فتحدى به الأولين والآخرين ، فعجزوا عن أن يأتوا بسورة مثله .

الثالث : قوله : « فيكلمهم بكل ما أوصيه به » أي : آمره به وهو القرآن الذي فيه تبيان كل شيء ولا يصح إرادة الإنجيل لأن عيسى ليس مثل موسى بنص التوراة كما تقدم .

الرابع : قوله : « ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه » أي : أنا أعاقبه وأنتقم منه وقد انتقم الله من أعداء الرسول الذي حاربوه .

راجع سائر الآيات الأخرى : التثنية : ١/٣٣ وما بعده قوله : « وهذه البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم » راجع التثنية : ١/٣٣ ـ ٢ . إشعياء : ٩ و٢٦ و٤٢ و٤٣ و٥٠ و٥١ و٥٢ و٥٤ و٥٥ و٦٠ و٦٥ ، دانيال : الأصحاح ٢ و٧ . حبقوق : ٣/٣ حجى : ٢ ، زكريا : ٣ ، ملاخي : ٣ ، مزمور : ١/٧٢ ، يوحنا : ١٦/١٤ ـ ٢٦ ـ ٣٠ . وإن أردت التوسع فعليك بكتاب رسول الإسلام في كتب السماء للدكتور الصادقي .

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٦ .

النبي ومكان وزمان ولادته ، كما ورد في الروايات ؛ وهذه المعرفة لم تكن إلا لكثرة ما جاء من الآيات الخاصة به في الكتب المقدسة وعلى لسان الأنبياء السابقين ، حتى أن أهل الكتاب كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم لكثرة تلك البشارات والآيات الواردة في علامات ظهوره .

والقرآن يبين أن رسول الله كان أمنية إبراهيم وإسماعيل ودعوتهما :

﴿ ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [1] .

ولو أمعنّا النظر في سبب هجرة اليهود إلى الجزيرة العربية نجد أن السبب في ذلك يعود إلى انتظارهم لخروج النبي ومعرفتهم بمكان وزمان ولادته ، ولذا هاجروا إلى الجزيرة وسكنوا في المدينة وحولها لعلمهم بأنها دار هجرته ، وكانوا يهددون العرب المشركين برسول الله ، ويحدثونهم بصفاته وعلاماته المكتوبة في التوراة والمنقولة عن أنبيائهم . فلما بعث الله رسوله كذبوا به حسداً وبغياً فقال تعالى في حقهم :

﴿ ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به ؛ فلعنة الله على الكافرين ﴾ [2] .

لقد ساعد اليهود كثيراً قبل ولادة الرسول في إشاعة صفاته وعلاماته بين العرب ، وبذلك كانوا من أهمّ الأسباب في إسلام المشركين العرب ، ولما بُعث رسول الله وشاهد العرب صفاته قالوا : هذا هو النبي الذي كان اليهود يحدثوننا عنه ، فأسلموا أفواجاً أفواجاً .

وإذا رجعنا إلى التوراة والإنجيل الحاليين لا نجد فيهما تلك العلامات والبشارات ، وهذا دليل واضح على أن التوراة والإنجيل القرآنيين غير الموجودين فعلاً بين أيدي اليهود والنصارى ؛ والكتاب الوحيد الذي تجسدت فيه صفات الإنجيل القرآني هو إنجيل (برنابا) الذي ورد فيه اسم رسول الله وصفاته وعلاماته

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٢٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٨٩ .

عشـرات المـرّات ، وإن كـانت الكنيسـة لا تعتـرف بـه ، والعلة لا تخفى على كـل منصف أريب .

وعليه فإن عيسى المسيـح القرآني الـذي نؤمن به ونقـدسه ونعتبـره من الرسـل أولي العزم هو المسيح الذي بشّر بمحمد بن عبد الله (ص) في إنجيله، وصدّق جميع الأنبياء السابقين ؛ وأما مسيح الأناجيل الموجودة فهو غير مسيح القرآن ، وهو يساوي براهما وبوذا ، وهو يعتبر الأنبياء السابقين عليه أنهم سَرَقة ولصوص[1] .

الإنجيل القرآني

تحـدث القرآن الكـريم عن الإنجيل في اثنتي عشـرة آية في ستّ سـور ، وقد وصفه بالصفات التالية :

إنه منزل من عند الله ، أنزله على عيسى بن مريم .

وإنه هدىً ونوراً ومصدِّقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظة للمتقين[2] .

وإنه مكتوب فيه البشارة برسول الإسلام[3] .

وإنه أحد السندات التي جعلها الله سبحـانه وتعـالى سنداً لشـرائه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم في مقابل الجنة :

﴿ إنَّ الله اشتـرى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بـأنَّ لهم الجنة ، يقـاتلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون ، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ﴾[4] .

ومن هذه الآية يتضح لنا أن القرآن رفع من منزلة التوراة والإنجيل حتى قـرنهما بنفسه ، وهذا لا نجده في أي كتاب سماوي آخر غير القرآن .

فالإنجيل القرآني هو نور وهدى وموعظة للمتقين يـدعو إلى عبـادة الله الواحـد القهار ، وهذا الإنجيل أنزل على عبد الله ورسوله المسيح عيسى بن مريم ، وليس له

(١) يوحنا : ١٠/٧ ـ ٨ .
(٢) سورة آل عمران ٤٨ ـ ٦٥ . المائدة/٤٦ ـ ٤٧ . الحديد/٢٧ .
(٣) سورة الصف ؛ الآية ٦ .
(٤) سورة التوبة : الآية ١١١ .

وجود اليوم . والأناجيل الأربعة ما هي في الواقع إلا كتب لسيرة السيد المسيح كُتب بعضها على يد بعض تلامذته ، وليست بكتب وحي كما سوف يتضح ذلك للقارىء الكريم من خلال الأبحاث الآتية ، وإن كان النصارى يدّعون بأنها كتب وحي .

ويكفي أن هذه الأناجيل تنسب إلى أصحابها ، فيقال : إنجيل متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا ؛ وهناك أناجيل أخرى كثيرة ربما تفوق على مائة إنجيل ، إلا أن الكنيسة حرّمت جميع الأناجيل الأخرى وأقرّت الأربعة الحالية .

وهذه الأناجيل ـ مع ما أصابها من تحريف وحذف ـ فإنها لا تزال أكبر دليل على أنها غير إنجيل السيد المسيح (عليه السلام) ، فهي تصرح بهذه الحقيقة التي لا تقبل الشك ، والمسيح إنما جاء بإنجيل واحد ، وهذه الأناجيل الأربعة لم تكن موجودة في عصر المسيح ، وإنما كتبت بعده بعشرات السنين .

ففي إنجيل متى :

« وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلّم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت » .

« الحقُّ أقول لكم حينما نكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يُخبر أيضاً بما فَعَلَتْهُ (المرأة) هذه تذكاراً لها »[1] .

وفي مرقس :

« الحق أقول لكم ليس أحدٌ ترك بيتاً أو إخوة أو أخوان أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلي ولأجل الإنجيل إلّا ويأخذ مائة ضعف الآن »[2] .

وقال : **« ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلّصها »**[3] .

وأمّا رسائل بولس فهي صريحة بالدعوة إلى إنجيل المسيح ، ففي إحدى رسائله :

---

(١) متى : ٤/٢٣ و ٢٦/١٣ مرقس : ١٤/٩ . كرز : وعظ ونادى ببشارة الإنجيل (سريانية) .
(٢) مرقس : ١٠/٢٩ ـ ٣٠ .
(٣) المصدر السابق : ٨/٣٥ .

« **فإنّ الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم** [1] » .

(ومراده من إنجيل ابنه : إنجيل يسوع المسيح) .

وفي رسالة أخرى له :

« إنّي أتعجّب أنّكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ، ليس هو آخر ، غير أنّه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحوّلوا إنجيل المسيح »[2] .

وفي ثالثة له :

« **فقط عيشوا كما يحقّ لإنجيل المسيح** [3] » .

وهذه النصوص صريحة في أنّ الإنجيل الذي أنزل على المسيح وكُرز به يباين الأناجيل الموجودة حالياً ، ومما يؤكد هذه الحقيقة ما جاء في معجم اللاهوت الكتابي من أنه كان قبل تدوين الأناجيل الأربعة (إنجيل شفهي شائع يعمل على تفسير سرّ يسوع)[4] وأمّا الأناجيل الأربعة ، متى كتبت ؟ وعلى يد من ؟ وما مقدار اعتبارها فهذا ما يحتاج إلى البحث والتحقيق مفصّلاً .



---

(١) رومية : ١/٩ .
(٢) غلاطية : ١/٦ ـ ٧ . ومن أحب التوسع في هذا الموضوع فليرجع إلى فهرس الكتاب المقدس ص ٤٠ مادة إنجيل حيث جمع فيها جميع الموارد الواردة في الكتاب المقدس حول إنجيل المسيح .
(٣) فيلبي : ١/٢٧ .
(٤) معجم اللاهوت الكتابي ص ٨٧٢ .

الإنجيل

كلمة الإنجيل تدلّ على الكتاب الذي يروي حياة يسوع ، أو على القراءة التي تتلى أثناء القداس الإلهي ، وفي اللغة اليونانية العامة تعني كلمة إنجيل : « الخبر السار » وبخاصة : بشرى سارة[1] .

« وفي كتابات العهد الجديد المتأخرة يمتد مفهوم الإنجيل إلى البشارة ، وتعريف ما حصل في حياة المسيح وسمع ورؤي من التلاميذ : وجود المسيح ، خطاباته ، حياته ، تصبح نفسها محتوى الإنجيل .[2] .

ومن خلال هذه التعاريف للإنجيل من قبل كبار علماء النصارى يتضح لنا أنّ الإنجيل فعلاً هو اسم لسيرة المسيح من خطابات وكلمات وسلوك وأخلاق وقصص شاهدها التلاميذ ونقلوها في الكتب التي كتبوها عن سيرة السيد المسيح ، وأصبحت فيما بعد الأناجيل الأربعة التي اعترفت الكنيسة بها واعتمدتها دون غيرها ؛ وما هذه الأناجيل في الواقع إلاّ ككتب الأحاديث وسيرة الرسول الأعظم محمد بن عبد الله (ص) عند المسلمين ، إلاّ أنَّ كتب سيرة الرسول الأعظم تخضع لعلم التاريخ في تأليفها وترتيبها ، وأما الأناجيل فيقول فيها صاحب كتاب معجم اللاهوت الكتابي :

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي ص ١١٣ . راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٠ ـ ١٢١ .
(٢) معجم اللاهوت الكاثوليكي ص ٣٨ .

« ليست الأناجيل ترجمات لسيرة يسوع مدوّنة بحسب مناهج علم التاريخ العصرية ، وإنّما قد كتبها مؤمنون بهدف إيصال الإيمان وتقويته ، وهي تنظم ذكريات قد أنارها ورفعها حقّاً الإيمان بقيامة المسيح ، ولكن متى خضعت للنقد بفطنةٍ تسمح بالوصول بكل تأكيد إلى يسوع الناصري »[1] .

وعليه : فإنّ الأناجيل الأربعة بنفسها وباعتراف علماء النصارى تدلّ على أنّها ليست من كتب الوحي ؛ والنسخ الأصلية لبعضها كتبت باللغة العبرية ، والموجود منها مترجم من اليونانية ، ولا يعرف من المترجم ولا مقدار معرفته وتضلعه بالعبرية ، هذا بالإضافة إلى أنّها مقطوعة السند . حرّفت كثيراً عمّا كانت عليه حين كتابتها على يد أصحابها ؛ وهذا ما يدعونا إلى تحقيق هذه المسألة بالأدلّة والبراهين متوخين بذلك الحق والصدق ، ولا أريد أن أتحامل على أمة كبيرة تدين بدين السيد المسيح عليه السلام ، ونحن نكنّ لها كل احترام كما علّمنا الله ، وهذا لا يعني أن لا نسفر عن وجه الحق ، وخاصّة لمن يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية ، التي ينصّ قانونها على حريّة الرأي والدين ، فكيف إذا كان الرأي مبرهناً عليه من كتب النصارى ومن كلمات علمائهم ؟ .

الأناجيـــــــل

لقد كتبتْ أناجيلُ كثيرةٌ حول سيرةِ المسيح عليه السلام ، والمعترف به من قبل الكنيسة هو الأناجيل الأربعة وهي :

١ ـ إنجيل متى . ٢ ـ إنجيل مرقس . ٣ ـ إنجيل لوقا . ٤ ـ إنجيل يوحنا ، وإذا ضمّ إليها سفر أعمال الرسل ، ورسائل بولس الأربعة عشرة ، ورسالة يعقوب ، ثم رسالتان لبطرس الرسول ، ورسائل يوحنا الثلاث ، وأخيراً ما يسمى بالسفر

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي ص ٨٦٧ . إن تناقضات الأناجيل دعت بعض المفكرين الغربيين إلى إنكار حقيقة المسيح ، وأنه أسطورة من الأساطير شبيهة بخرافات كرشنا وأوزريس وأتيس وأدونيس ، فقد أنكر وجوده بولينجبرك ، وجهر بذلك ڤلني في كتابه « خرائب الأمبراطورية » الذي نشره عام١٧٩١ . ولما التقى نابليون ١٨٠٨ بالعالم الألماني ڤيلاند لم يسأله سؤالاً سياسياً . بل سأله : هل يؤمن بتاريخية المسيح ؟ لقد دارت حول الأناجيل أبحاث فكرية مهمة ، وحول المسيح ، ونحن نؤمن بأنّه رسول من أولي العزم معصوم ، وكتابه الإنجيل كتاب هدى ونور ، ولكن انحراف تلاميذه وتحريفهم لتعاليمه وعدم التميز بين إنجيل المسيح الذي لا وجود له وهذه الأناجيل ، خلقت هذه البلبلات الفكرية .

النبوي ، وهو رؤيا يوحنا ، فإذا انضمت هذه الرسائل إلى الأناجيل الأربعة أطلق عليها جميعاً « العهد الجديد » في مقابل « العهد القديم » وهو الأسفار الخمسة الأولى في التوراة وسائر أسفار الأنبياء الآخرين ، فيصبح المجموع ٣٩ سفراً ، وهو العهد القديم .

ومن سبر الأناجيل الأربعة وأنصف يجد أنّها لا تمتّ إلى الوحي بأي صلة ، وذلك لعدة أمور بديهية ، وهي :

أولاً : نسبتها إلى أصحابها ، ولم يدَّعِ أحد حتى اليوم بأنّها للسيد المسيح (ع) .

ثانياً : إنَّ هذه الأناجيل تصرِّح بأنَّ السيد المسيح لم يأتِ بإنجيله من نفسه بل أوحاه الله إليه ، قال المسيح (ع) :

« أنا أتكلّم بما رأيت عند أبي »[1] .

وقال : « **لست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي ، والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي** »[2] .

وقال : « **الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني** »[3] .

وقال بولس في رسالته الثانية إلى ثيموثاوس :

« كل الكلام هو موحىً به من عند الله »[4] .

وقد بلَّغ المسيح عليه السلام رسالته كاملة كما أمره الله سبحانه وتعالى ، وهذا ما صرّح به نفسه وأشار إليه بقوله في صلاته :

« الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم »[5] .

وأما الأناجيل الأربعة فهي من كتابة بعض تلامذة المسيح كما تشهد هي على نفسها ، وخاصة إنجيل لوقا في الأصحاح الأول منه .

---

(١) يوحنا : ٣٨/٨ .
(٢) يوحنا : ٢٨/٨ ـ ٢٩ .
(٣) يوحنا : ٢٤/١٤ .
(٤) ثيموثاوس الثانية : ١٦/٣ .
(٥) يوحنا : ٨/١٧ .

وبما أنّ الكثير من علماء النصارى لهم تحقيقات مهمة ودقيقة حول الأناجيل ، أحببت أن أنقل كلماتهم لأنّها أوقع في النفس وأقوى حجة ، لكونها صادرة من علماء نصارى وليست من المسلمين .

يقول ول ديورانت بعد تحقيقه حول شخصية السيد المسيح ، والتشكيك فيها من قبل العلماء والمفكرين الغربيين :

هذا ما كان من أمر المسيح نفسه ، أما الأناجيل فليس أمرها بهذه السهولة . ذلك أنَّ الأربعة الأناجيل التي وصلت إلينا هي البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيراً ، كانت في وقتٍ ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول والثاني . واللفظ الدال على الإنجيل « gospel » (وهو في اللغة الإنجليزية القديمة godspel أي أخبارٌ طيبة) ترجمة لِلّفظ اليوناني euangelion والذي يبدأ به إنجيل مرقس ومعناه « أخبار سارة » هي أنَّ المسيح قد جاء ، وأن ملكوت الله قريبة المنال ، وأناجيل متّى ، ومرقس ، ولوقا ، يمكن الإحاطة بها بنظرة واحدة : ذلك بأنّ محتوياتها وحوادثها يمكن ترتيبها في أعمدة متوازية « والنظر إليها كلها مجتمعة » ؛ وقد كتبت كلها باللغة اليونانية الدارجة ، ولم تكن نماذج طيبة في النحو أو في الصقل الأدبي . بيد أنَّ ما في أسلوبها السهل من قوة وإيصال المعاني عن أقرب طريق ، وما في تشبيهاتها والصور التي ترسمها من وضوح ، وما في الإحساسات التي تصورها من عمق ، وما في القصص التي ترويها من روعة ، كل هذا يكسبها حتى في صورتها الأصلية الفجة جمالاً فذاً ، زاده قوة عند العالم الإنجليزي ، الترجمة العظيمة البعيدة كل البعد عن الدقة ، والتي وضعت للملك جيمس .

وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث . أمّا النسخ الأصلية فيبدو أنّها كتبت بين عامي ٦٠ ، ١٢٠ م ، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل ، ولعلّها تعرضت أيضاً لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ أو أغراضها . والكتّاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادي لا ينقلون قط شيئاً عن العهد الجديد ، بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم ، ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠ إلا في كتاب پپياس Papias الذي كتب في عام ١٣٥ إذ يقول إنَّ « يوحنا الأكبر » وهو

شخصية لم يستطع الإستدلال على صاحبها ـ قال : إنّ مرقس ألّف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس .

ويضيف پيپاس إلى هذا قوله : «وأعاد متّى كتابة الكلمات بالعبرية إليه» ويبدو أنّ هذا الإنجيل مجموعة آرامية من أقوال المسيح . والراجح أنّ بولس كانت لديه وثيقة من هذا النوع ، وذلك لأنّه ينقل أحياناً كلمات يسوع بنصها . وإن كان لا يذكر الأناجيل قط . ويتفق الناقدون الثقات بوجه عام على أسبقية إنجيل مرقس في الزمن على سائر الأناجيل ، وفي تحديد تاريخه بين عامي ٦٥ و٧٠ م . وإذ كان هذا الإنجيل يكرر المسألة الواحدة أحياناً في عدة صور فإنّ الكثيرين من الباحثين يعتقدون أنّه يعتمد على الكلمات السالفة الذكر وعلى قصة أخرى قديمة العهد قد تكون هي الصورة الأولى لإنجيل مرقس نفسه . ويبدو أنّ إنجيل مرقس كان منتشراً أثناء حياة بعض الرسل أو حياة الرعيل الأول من أتباعهم ومريديهم . ولهذا فإنّه يبدو من غير المحتمل أنه كان يختلف اختلافاً جوهرياً عمّا كان لديهم من أقوال وعن تفسير المسيح لهذه الأقوال . ومن حقنا إذن أن نحكم كما حكم شوتزر Schwetyer ذلك العالم النابه الحكيم بأنّ إنجيل مرقس في جوهره « تاريخ صحيح » .

وتقول الرواية المأخوذ بها إنّ إنجيل متى أقدم الأناجيل كلها ، ويعتقد إيرنيوس Irenaeus أنّه كتب في الأصل باللغة «العبرية» ـ أي الآرامية ، ولكنه لم يصل إلينا إلاّ باللغة اليونانية . وإذ كان يبدو لنا إنّه في هذه الصورة الأخيرة يردد أقوال إنجيل مرقس ، وأنه ينقل في أكبر الظن من أقوال يسوع نفسها ، فإن النقاد يميلون إلى القول بأنّه من تأليف أحد أتباع متى ، وليس من أقوال « العشار » نفسه . وحتى أكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامي ٧٥ ـ ٩٠ م . وإذ كان الغرض الذي يبتغيه متى هو هداية اليهود فإنّه يعتمد أكثر من غيره من المبشرين على المعجزات التي تعزى إلى المسيح ، ويحرص حرصاً يدعو إلى الريبة على أن يثبت أنّ كثيراً من نبوءات العهد القديم قد تحققت على يدي المسيح . بيد أنّه رغم هذا أشد الأناجيل الأربعة تأثيراً في النفس وإثارة للعاطفة . ولا يسعنا إلاّ أن نعده بين روائع الآداب العالمية ، وإن لم يدرك ذلك كاتبه القديم .

والإنجيل حسب نص القديس لوقا ، وهو النص الذي يعزى عادة إلى العقد الأخير من القرن الأول ، يعلن أنّه يرغب في تنسيق الروايات السابقة عن المسيح ،

والتوفيق بينها ، وأنّه يهدف إلى هداية الكفرة لا اليهود ، وأكبر الظن أنّ لوقا نفسه كان من غير اليهود ، وأنّه كان صديق بولس ، ومؤلف سفر أعمال الرسل . وهو يقتبس كثيراً من كتابات مرقس كما يقتبس منها متى . فإنّك لتجد في إنجيل متى ستمائة آية من الستمائة والإحدى والستين التي يشتمل عليها النص المعتمد لإنجيل مرقس ، وتجد منها ثلثمائة وخمسين في إنجيل لوقا تكاد أن تكون هي بنصها . وفي إنجيل متى كثير من الفقرات التي توجد في لوقا ولا توجد في إنجيل مرقس ، وهنا أيضاً تكاد تكون هي بنصها ، ويبدو أنّ لوقا أخذ هذه عن متى ، أو أنّ لوقا ومتى أخذاها عن أصل مشترك ، لم نعثر عليه بعد . ويصقل لوقا هذه المقتبسات الصريحة بمهارة أدبية تحمل لينان على الظن بأنّ هذا الإنجيل أجمل ما ألف من الكتب .

ولا يدّعي الإنجيل الرابع أنّه ترجمة ليسوع ، بل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية بوصفه كلمة الله ، وخالق العالم ، ومنقذ البشرية . وهو يناقض الأناجيل الأخرى في كثير من التفاصيل وفي الصورة العامة التي يرسمها للمسيح . وإن ما يصطبغ به الكتاب من نزعة قريبة من نزعة القائلين بأنّ الخلاص لا يكون بالإيمان بل بالمعرفة ، وما فيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية ، قد جعلا الكثيرين من الباحثين في الدين المسيحي يشكّون في صدق القول بأنّ واضعه هو الرسول يوحنا . بيد أنّ التجارب توحي إلينا بألا نعجل في تكذيب الروايات القديمة ؛ ذلك بأنّ أسلافنا لم يكونوا كلهم بلهاء . وتنزع الدراسات الحديثة إلى تحديد تاريخ الإنجيل الرابع بأواخر القرن الأول . والراجح أنّ الروايات المأثورة كانت صادقة إذ تعزو إلى المؤلف نفسه « رسائل يوحنا » ، ذلك بأنّها تعرض الأفكار نفسها بالأسلوب نفسه .

وملاك القول أنّ ثمة تناقضاً كثيراً بين بعض الأناجيل والبعض الآخر ، وأنّ فيها نقطاً تاريخية مشكوكاً في صحتها ، وكثيراً من القصص الباعثة على الريبة والشبيهة بما يروى عن آلهة الوثنيين ، وكثيراً من الحوادث التي يبدو أنّها وضعت عن قصد لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم ، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس متأخر من طقوسها . لقد كان المبشرون بالإنجيل يرون كما يرى شيشرون وسالست ، وتاستس أن التاريخ وسيلة لنشر المبادىء الخلقية السامية ، ويبدو أنّ ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرضت لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب ، ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو « تصحيح » .

فإذا سلّمنا بهذا كله بقي الشيء الكثير . إن ما في الأناجيل من تناقض لا يتعدى التفاصيل الجزئية إلى الحقائق العامة ، وإنّ الأناجيل الثلاثة الأولى لتتفق اتّفاقاً عجيباً ، وتعرض في مجموعها صورة منسقة للمسيح . ولقد دفعت حماسة الكشف كبار الناقدين إلى أن يقيسوا صحة أقوال العهد الجديد بمقاييس لو طبقت على مئات من العظماء الأقدمين أمثال حمورابي ، وداود ، وسقراط ـ لزالوا كلهم من عالم الحقائق وهووا إلى عالم الخرافات . وإنّ المبشرين بالإنجيل ، رغم ما يتّصفون به من تحيّز وميل مع الهوى ومن الأخذ بأفكار دينية سابقة ، ليسجلون كثيراً من الحوادث التي يعمد المخترعون الملفقون إلى إخفائها ـ كتنافس الرسل على المنازل العليا في ملكوت الله ، وفرارهم بعد القبض على يسوع ، وإنكار بطرس ، وعجز المسيح عن إتيان المعجزات في الجليل ، وإشارة بعض من سمعوه إلى ما عسى أن يكون مصاباً به من الجنون ، وتشككه الأول في رسالته ، واعترافه بأنّه يجهل أمر المستقبل ، وما كان يمرّ به من لحظات يمتلىء قلبه فيها حقداً على أعدائه ، وصيحة اليأس التي رفع بها عقيرته وهو على الصليب ؛ إن من يطلع على هذه المناظر لا يشك قط في أنّ وراءها شخصية تاريخية حقّة . ولو أنّ عدداً قليلاً من الرجال السذج قد اخترعوا في مدى جيل واحد هذه الشخصية الجذابة ، وهذه المبادىء الأخلاقية السامية ، وهذه النظرية الأخوية الملهمة ، لكان عملهم هذا معجزة أبعد عن المعقول من أية معجزة تسجلها الأناجيل . وإنّ الخطوط الرئيسية في سيرة المسيح ، وأخلاقه ، وتعاليمه لتبقى بعد قرنين من النقد الشديد واضحة معقولة ؛ لتكون أروع ظاهرة في تاريخ الغربيين وأعظمها فتنة للألباب .[1] .

الأناجيل وتاريخ كتابتها

من العسير جداً تحديد تاريخ كتابة الأناجيل ، ومن الصعب أيضاً معرفة كتّابها الحقيقيين .

أمّا إنجيل متّى فإنّه ينسب إلى القديس متى وهو أحد تلامذة السيد المسيح ، وكان يهودياً يعمل عشّاراً يجبي الضرائب للحاكم الروماني كلوديوس ؛ آمن بالمسيح عليه السلام واتّبعه وترك وظيفته ، وقد اختلف علماء النصارى في تاريخ كتابة إنجيله

(١) قصة الحضارة : ج ١١/٢٠٦ ـ ٢١١ .

فقيل إنّه كتبه ما بين سنة ٦٠ ـ ٧٠ ميلادية . قال ول ديورانت :

ويعتقد ايرينوس أنّه كتب في الأصل باللغة العبرية ـ أي الآرامية ـ ولكنه لم يصل إلينا إلاّ باللغة اليونانية ، وإن كان النقاد يميلون إلى القول بأنّه من تأليف أحد أتباع متى ، وليس من أقوال العشار نفسه ، وحتّى أكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامي ٧٥ ـ ٩٠ ميلادية(١) .

وهذا الاختلاف في كاتب الإنجيل ، وتاريخ كتابته ، وضياع النسخة الأصلية التي كتبت باللغة الآرامية ، وعدم معرفة المترجم الذي ترجمه إلى اللغة اليونانية ، وعدم معرفتنا بمقدار تضلّعه باللغتين العبرية واليونانية ، وانقطاع سند هذا الإنجيل ؛ كل ذلك يوجب ضعف هذا الإنجيل .

وقد وصف نورثن مترجم إنجيل متى بأنه لا يميّز بين الخبيث والطيب ، وهو حاطب ليل لا يميز بين الرطب واليابس ، وليس من البعيد أن يكون أحد أعداء المسيحيين ـ الذين حاربوا المسيح وأتباعه ـ قام بالدسّ فيه ، ويقوّي هذا الإحتمال ما نقله صاحب كتاب الفارق عن نورثن أحد علماء النصارى عند تفسيره للفقرة الثانية والخمسين من الأصحاح السابع والعشرين منه وهو قوله :

« الأرض تزلزلت ، وتشققت الصخور ، وتفتحت القبور ، وكثير من أجساد القديسين الراقدين قاموا وخرجوا من قبورهم بعد قيامته ، ودخلوا إلى المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين ، والآية تحكي أن المسيح قام من الموت بعد الصلب كما يزعمون » .

قال نورثن : إن هذه الفقرة مناقضة لقول بولس بأن عيسى أول القائمين ، وباكورة الراقدين ؛ ثم قال : هذه الرواية كاذبة ، والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة في اليهود بعدما صارت أورشليم خراباً ، فلعل أحداً كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى هذه الجملة وأدخلها الكاتب في المتن ، وهذا المتن وقع في يد المترجم فترجمها على أنها من الأصل(٢) .

---

(١) قصة الحضارة : ٢٠٨/١١ . وقد تردد أيضاً صاحب قاموس الكتاب المقدس في مادة متى ص ٨٣٢ ـ ٨٣٣ .

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١ .

وقال جرجس زوين الماروني اللبناني في كتابه المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٣ ، والمترجم من اللغة الفرنسية :

إنَّ متَّى كتب بشارته ، أي إنجيله في أورشليم سنة ٣٩ للمسيح على ما ذهب إليه القديس « ايرونيوس » والسبب في ذلك على ما ذهب إليه القديس « ابيفانوس » إما إجابة لليهود الذين آمنوا بالمسيح ، أو إجابة لأمر الرسل ، ولم يكتب إنجيله باليونانية بل بالعبرية على زعم « اوسيبيوس » في تاريخه ، وقد وافق « اوسيبيوس » القديس « ايرونيموس » أن بانتيوس إذ كان قد ذهب ليكرز بالإيمان المسيحي في الهند وجد إنجيلاً لمتى الرسول مكتوباً بالعبرانية ، فجاء به إلى الاسكندرية وبقي محفوظاً في مكتبة قيصر إلى أيامه ، لكن هذه النسخة العبرانية قد فقدت وبعد فقدها ظهرت ترجمتها في اليونانية ولم يعرف الذي ترجمها[١] .

وبناءً على ما تقدم يتضح لنا الإجماع على أن متى كتب إنجيله باللغة العبرية ، وأن أصله لا يعرف له وجود ، والموجود هو ترجمته اليونانية .

إنجيل مرقس

كان مرقس يهودياً من بيت لاوي ، وقد ولد في إقليم الخمس مدن ؛ تتلمذ على يد بطرس الرسول ، وقتل في الاسكندرية ـ كما في أعمال الرسل عام ٦٨ ميلادية ـ على يد الوثنيين في عهد « نيرون » ، وقد كتب إنجيله بناءً على طلب أهل رومية ، وقد كتبه ما بين عامي ٦٠ ـ ٧٠ ميلادية ، ونقل فيه نظريات أستاذه بطرس ؛ وكان بطرس يقول بإنسانية المسيح وعدم لاهوته بالمعنى الذي أراده بولس ، كما جاء في أعمال الرسل[٢] . قال ول ديورانت نقلاً عن بيباس : إن مرقس ألّف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس ، وقال : ويتفق الناقدون الثقاة بوجه عام على أسبقيَّة إنجيل مرقس في الزمن على سائر الأناجيل ، وفي تحديد تاريخه بين عامي ٦٥ ـ ٧٠ ميلادية[٣] .

ويذهب ابن بطريق في تاريخه إلى أن بطرس هو الذي كتب إنجيل مرقس

---

(١) نقل ذلك النجار في كتابه قصص الأنبياء وصاحب كتاب الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١ .

(٢) أعمال الرسل : ٢٢/٢ .

(٣) قصة الحضارة : ٢٠٧/١١ ـ ٢٠٨ .

بالرومية في مدينة رومة ، ونسبه إلى مرقس [1] .

إنجيل لوقا

هو من أوضح وأصرح الأناجيل دلالةً على عدم كونه من كتب الوحي ، وذلك لأنه يحمل دليله بنفسه : ففي افتتاحية الأصحاح الأول منه يصرح لوقا بأنه كتب إنجيله لصديق له :

« إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلّمها إلينا الأولون الذين كانوا من قبل معاً بنين وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً ـ إذ قد تتبّعت كل شيء من الأول بتدقيق ـ أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمت به » .

وكفى بهذا الكلام دليلاً على أن الأناجيل من وضع أناس عاديين ، وليست بكتب وحي .

وقد اختلفت كلمات الباحثين حول لوقا ، والأغلب على أنه من أهل أنطاكية ، وأنه تلميذ بولس الذي كان عدوّاً لدوداً للنصارى ، وقد آمن بالمسيح بعد موته ، وهو الذي شيّد أركان النصرانية ، وحلّل الكثير ممّا حرّمته التوراة ؛ وهو الذي أدخل العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ؛ وسوف نفصّل هذه المسألة في الصفحات القادمة ، فانتظر .

وقد اتّفقت كلمات العلماء على أن لوقا لم يرَ السيد المسيح ، وقد كتب إنجيله باللغة اليونانية بين عامي ٦٠ ـ ٧٠ ميلادية على أشهر الأقوال .

قال ول ديورانت : والإنجيل حسب نص القديس لوقا ـ وهو النص الذي يعزى عادة إلى العقد الأخير من القرن الأول ـ يعلن أنه يرغب في تنسيق الروايات السابقة عن المسيح والتوفيق بينها ، وأنه يهدف إلى هداية الكفرة لا اليهود ، وأكبر الظن أن لوقا نفسه كان من غير اليهود ، وأنّه كان صديق بولس مؤلف سفر أعمال الرسل ، وهو يقتبس كثيراً من كتابات مرقس كما يقتبس منها متى ، فإنك لتجد في إنجيل متى ستمائة آية من الستمائة والإحدى والستين التي يشتمل عليها النص المعتمد لإنجيل

(١) تاريخ ابن بطريق : ١/٤٤ .

مرقس ، وتجد منها ثلثمائة وخمسين في إنجيل لوقا تكاد تكون هي بنصّها ، وفي إنجيل متى كثير من الفقرات التي توجد في لوقا ولا توجد في إنجيل مرقس[1] .

وإنجيل لوقا هو الإنجيل الوحيد الذي له مقدمة ، وهذه المقدمة موجهة إلى رجل إسمه ثاوفيلس وهو بنفسه صاحب المقدمة في أعمال الرسل ، ومن هنا يرى الكثير أنَّ مؤلف إنجيل لوقا وأعمال الرسل واحد .

إنجيل يوحنا

يرى الكثير من علماء النصارى أن يوحنا صاحب الإنجيل هو يوحنا أحد تلامذة المسيح الإثني عشر ابن زبدي الصياد ، وكان من المقربين إليه .

وقبل أن يؤمن يوحنا بالمسيح كان يعمل صياداً كأبيه ، وبعد أن آمن بالمسيح ترك مهنته ؛ وقد ألف إنجيله باللغة اليونانية ، وهو يختلف عن الأناجيل الثلاثة الأخرى ، فقد ركّز عى لاهوتية المسيح باعتباره كلمة الله ، وخالق العالم ، ومنقذ البشرية .

فهو يناقض الأناجيل الأخرى في التفاصيل والصورة العامة التي يرسمها للسيد المسيح .

وقد اختلف في تاريخ تأليفه ، فزعم بعض العلماء أنه كتبه سنة ٦٥ ميلادية قبل خراب أورشليم ، وذهب آخرون إلى أنه كتبه سنة ٩٨ ميلادية . ومن سبر غور هذا الإنجيل يجد أنه كتب في القرن الثاني ، لأن فكرة لاهوتية المسيح ظهرت في نهاية القرن الأول ، ولم تكن معروفة عند المسيحيين قبل ذلك ؛ ولذا لم يتعرض لها أصحاب الأناجيل الثلاثة ، وإلا لكان ذلك خيانة للأمانة ؛ والعجب من الكنيسة كيف تركت العقيدة حول المسيح كما تصوّرها الأناجيل الثلاثة ، وتبنّت فكرة ألوهية المسيح التي طرحها يوحنا في إنجيله ، فتركت الأناجيل الثلاثة وتبنّت فكرة يوحنا في إنجيله ، وهذا خلاف موازين العلم والمنطق .

والحاصل أن يوحنا حينما اختلف الأساقفة في حقيقة المسيح ، وطلبوا منه أن يبين لهم ذلك كتب لهم إنجيله ، فكانوا السبب في كتابته وبإيحاءٍ منهم لا من روح

---

(١) قصة الحضارة : ١١/٢٠٩ .

القدس . هذا وقد ذهب فريق آخر من علماء النصارى ومفكريهم إلى أنَّ هذا الإنجيل ليس ليوحنا بن زبدي الصياد ، ففي دائرة المعارف البريطانية التي شارك في تأليفها أكثر من خمسمائة عالم من النصارى الغربيين ، في مادة إنجيل ما هذا نصّه :

أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزوّر أراد صاحبه مضادة حواريَّين لبعضهما ، وهما القديسان يوحنا ومتى ، ولقد ادّعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علّاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ، ووضعت اسمه على الكتاب ، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً . ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه ، وإنّا لنشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ـ ولو بأوهى رابطة ـ ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليلي ، فإن أعمالهم تضيع سدى لخبطهم على غير هدى . انتهى

وذهبت جماعة ثالثة إلى أن هذا الإنجيل تأليف طالب من طلاب مدرسة الاسكندرية ؛ وقالت جماعة رابعة : إن إنجيل يوحنا ورسائله ليست من تصنيفه ، بل صنفها بعضهم في بداية القرن الثاني ونسبها ليوحنا ، ليتقبلها الناس ويأخذوا بها ؛ وقالت جماعة خامسة : إن هذا الإنجيل كان في الأصل عشرين باباً ، فألحقت كنيسة (أفاس) الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا . . والذي أراه أن هذا الإنجيل ليس ليوحنا تلميذ المسيح ، ويدل على ذلك أن مرقس ولوقا ذكرا معجزة للسيد المسيح وقالا إن يوحنا الصياد كان شاهداً عليها معهما[1]، وهذه المعجزة لم يذكرها يوحنا في إنجيله ، فلو كان الكاتب هو يوحنا الحواري لما فاتته هذه المعجزة التي كان شاهداً عليها .

هذا بالإضافة إلى أنَّه من غير المعقول أن يكون كاتب سفر الرؤيا هو نفسه كاتب إنجيل يوحنا ، وذلك لأن سفر الرؤيا سفر يهودي ، وأما إنجيل يوحنا فإن الفلسفة اليونانية غالبة عليه ، وبدايته تدل على أن الكاتب كان متأثراً بالفلسفة ، أو فيلسوفاً :

« في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله . .

---

(١) مرقس : ٩/١ ـ ٨ . لوقا : ٩/٢٨ ـ ٣٦ .

كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ، والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه »[١] .

كلمات العلماء حول الأناجيل

لا بد لي أن أنقل كلمات علماء النصارى حول الأناجيل لكي يطّلع القارىء الكريم على حقيقة هذه الأناجيل الأربعة . وقبل نقل تلك الكلمات لا بدّ لي من التذكير بكلام صاحب معجم اللاهوت الكتابي السابق ؛ فقد ذكر أنه كان بعد السيد المسيح إنجيل شفاهي ينقل على الألسن ، وبعد مدّة طويلة دونت الأناجيل[٢] .

وبهذا الصدد يقول ول ديورانت : « ولا يسع الإنسان إلا أن يشك في هذه التفاصيل التي تناقلها الناس مشافهة في أغلب الظن ، ثم دوّنوها بعد وقوعها بزمن طويل »[٣] .

وقال المفسّر الإنجيلي الكبير (هورن) حول الأناجيل : « إنَّ الحالات التي وصلت إلينا ـ في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة ـ منقطعة وغير معينة لا توصلنا إلى أمر معين ، وقد صدّق المشايخ القدماء الأولون الروايات الواهية وكتبوها ، وأصبحت موضع القبول لمن خلفهم تعظيماً لها ، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتبٍ إلى آخر ، وتعذّر نقدها بعد انتهاء هذه المدة »[٤] .

ويقول (كنت تلستوي) وهو من كبار المؤلفين الأرثيودكس : « لا تحسبوا أنني أعتبر هذه الأناجيل الأربعة مقدسة ومعتمداً عليها ، فإن ذلك محض الضلال بوضوح ، أجل ، إنه كتب عن تعاليم المسيح منذ القرن الأول للميلاد كتابات كثيرة ، وأما التي بقيت في أيدي الناس فليست سوى أضغاث أحلام ، وخرافات وأوهام لا يصح الإعتماد عليها . ثم يقول :

ليعلم قارئو كتابي هذا أن أصل التعليم المسيحي مقدس ، إلا أن هذه الكتابات الرائجة ليست مقدسة ، ولا من تعاليم المسيح »[٥] .

---

(١) يوحنا : ١/١ ـ ٥ .

(٢) معجم اللاهوت الكتابي ص ٨٧٢ .

(٣) قصة الحضارة : ٢٣٦/١١ .

(٤) في الجزء ٤ من تفسيره ط ١٨٢٢ كما نقل ذلك عنه صاحب كتاب إظهار الحق ج ٥٤/١ .

(٥) كتاب المقارنات بين الكتب السماوية ص ٦٠ راجع بقية الكلمات لعلماء النصارى .

تناقضات الأناجيل

لقد كتب كثير من العلماء والمفكرين من النصارى وغيرهم عن الكتاب المقدس وعدم تواتره ، وانقطاع سنده في جميع أسفاره ومراحل كتابته ؛ وهناك دليل أوضح من ذلك كله بنظري ، وهذا الدليل يحمله الكتاب المقدس بنفسه ، وخاصة(العهد الجديد) ، وهذا الدليل هو تناقض الأناجيل الأربعة ، واختلافها في تفاصيل الحوادث الخارجية التي شاهدها التلاميذ بأنفسهم ، ونقلوها للناس في أناجيلهم .

والاختلاف والتناقض في الحادثة الواحدة دليل على أن هذه الأناجيل لا تمتّ إلى الوحي بصلة . وخير دليل على ذلك الاختلاف في نسب المسيح ـ وإن كان من تعرّض له هو لوقا ومتى فقط ـ :

١ ـ فمتى يقول إنه من أبناء يوسف بن يعقوب ، ولوقا يجعله من أبناء يوسف بن هالي .

٢ ـ ومتى يقول بأنه من أولاد سليمان بن داود ، ولوقا يقول إنه من أولاد ناثان بن داود .

٣ ـ ومتى يقول إن آباء المسيح ـ من داود إلى جلاء بابل ـ سلاطين مشهورون .

ولوقا يخالفه ويذكر أنهم ليسوا سلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان .

٤ ـ يذكر متى أن شملتائيل هو ابن يكنيا ، ولوقا يذكر أنه ابن تيري .

٥ ـ متى يقول أنَّه ابن زربا بل أبيهود ، ولوقا يقول اسمه ريسا مع أن أسماء بني زربا بل مكتوبة في الأصحاح الثالث عشر من السفر الأول من أخبار الأيام ، وليس في أسمائهم أبيهود ولا ريسا .

٦ ـ ومتى يدّعي بأن بين المسيح وداود ستة عشر جيلاً ، ولوقا يقول إن بينهما واحداً وأربعين جيلاً[1] . والأعجب من ذلك كله أن متى جعل المسيح وسليمان وداود من أبناء فارص ، وهو الذي ولد من زنا يهوذا بكنّته ثامار ، كما جاء في سفر التكوين[2]

وكما أن الأناجيل مختلفة في نسب المسيح فإنها أشدّ اختلافاً في حادثة صلبه ؛ وهي أس العقيدة التي تدور عليها رحى الديانة النصرانية .

ولو كانت الأناجيل كتب وحي لم تختلف هذا الإختلاف العظيم في أعظم حادثة في حياة المسيح ، ولو كانت لتلامذته لما كان فيها هذا الاختلاف أيضاً ، وسوف نبيّن للقارىء الكريم وجوه الاختلاف ليطّلع على تناقضات هذه الكتب ، وبذلك نكون قد بيّنا التناقضات من أول هذه الأناجيل ، حيث إنها تبتدىء بنسب السيد المسيح ، وفى نهايتها ، حيث إنها تنتهي بحادثة صلب المسيح . والقارىء اللبيب يستطيع أن يفهم سائر التناقضات الأخرى بالقياس على المبدأ والمنتهى ، وبذلك يفهم كل ما فيها من تناقض واختلاف .

وأما تفصيل تناقضات الأناجيل من أولها إلى آخرها فذلك ما يحتاج إلى مجلّدات كبيرة ، وربما لا تفي حياة الباحث بذلك كله ، ولذا اقتصرت على أولها وآخرها للتدليل على عدم حجّيتها ، لأن المفروض أن التلاميذ شاهدوا حادثة الصلب بأم أعينهم ، واختلافهم في نقلها بعد ذلك دليل على اشتباه أو كذب بعضهم ؛ وهذا الإحتمال كافٍ في عدم اعتبارها جميعاً ، لِأنَّ اعتبار البعض دون البعض ترجيح من غير مرجح ، فلا بدَّ أن تسقط عن الإعتبار ؛ وإليك أيها القارىء الكريم نصّ حادثة الصلب التي وردت في الأناجيل الأربعة :

---

(١) متى : ١/١ ـ ١٧ . لوقا : ٣/٢٢/٢٧ .
(٢) التكوين : ١٥/٣٨ ـ ١٩ .

قال متى بعد نقله قول المسيح لتلامذته :

« كلكم تشكّون فيَّ هذه الليلة[1] » .

« حينئذٍ جاء معهم يسوع إلى ضيعةٍ يقال لها جَثْسَيْماني فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك . ثم أخذ معه بطرس وابنَي زَبدي وابتدأ يحزن ويكتئب . فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت . امكثوا ههنا واسهروا معي . ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكاس . ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت . ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً . فقال لبطرس : أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة . اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربةٍ . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف . فمضى أيضاً ثانيةً وصلّى قائلاً : يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكاس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك . ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة . فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه . ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم ناموا واستريحوا . هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يُسلَّم إلى أيدي الخطاة . قوموا ننطلق . هوذا الذي يسلمني قد اقترب .

وفيما هو يتكلم إذا يهوذا واحد من الإثني عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوفٍ وعصيٍ من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب . والذي أسلمهُ أعطاهم علامةً قائلاً : الذي أقبّلهُ هو هو . أمسكوه . فللوقت تقدّم إلى يسوع وقال : السلام يا سيدي وقبّلهُ . فقال له يسوع : يا صاحب لماذا جئت . حينئذٍ تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه . وإذا واحدٌ من الذين مع يسوع مدّ يده واستلّ سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . فقال له يسوع : ردّ سيفك إلى مكانه . لأن كلّ الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون . أتظنّ أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدّم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة . فكيف تكمل الكتب إنه هكذا ينبغي أن يكون .

في تلك الساعة قال يسوع للجموع : كأنه على لصٍ خرجتم بسيوفٍ وعصيٍ لتأخذوني . كل يومٍ كنتُ أجلس معكم أعلّم في الهيكل ولم

---

(١) متى : ٢٦/٣٦ - ٥٦ .

تمسكوني . وأما هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الأنبياء . حينئذٍ تركه التلاميذ كلّهم وهربوا .

فوقف يسوع أمام الوالي فسأله الوالي قائلاً : أنت ملك اليهود . فقال له يسوع : أنت تقول . وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يقيمون الدعاوى ضده ولم يجب بشيء . فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك . فلم يجبه ولا عن كلمةٍ واحدةٍ حتى تعجب الوالي جداً .

وكان الوالي معتاداً في العيد أن يطلق للجمع أسيراً واحداً من أرادوه . وكان لهم حينئذٍ أسيرٌ مشهور يُسمَّى باراباس . ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن أطلق لكم . باراباس أم يسوع الذي يُدعى المسيح . لأنه علم أنهم أسلموهُ حسداً . وإذ كان جالساً على كرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلةً : إياك وذلك البارَّ . لأني تألّمت اليوم كثيراً في حُلمٍ من أجله . ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرّضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع . فأجاب الوالي وقال لهم : مَنْ مِنَ الإثنين تريدون أن أطلق لكم . فقالوا باراباس . قال لهم بيلاطس : فما أفعل بيسوع الذي يُدعى المسيح . قال له الجميع ليُصلب . فقال الوالي : وأيّ شرٍ عمل . فكانوا يزدادون صراخاً قائلين ليُصلب . فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغبٌ أخذ ماء وغسل يديه قُدّام الجميع قائلاً : إني بريءٌ من دم هذا البارّ . أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا دمهُ علينا وعلى أولادنا . حينئذٍ أطلق لهم باراباس . وأما يسوع فجلده وأسلمهُ ليُصلب .

فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة . فعرّوه وألبسوه رداءً قرمزياً . وضفروا إكليلاً من شوكٍ ووضعوه على رأسه وقصبةً في يمينه . وكانوا يجثون قُدّامه ويستهزئون به قائلين : السلام يا ملك اليهود . وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه . وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب .

وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان فسخّروه ليحمل صليبه ولما أتوا إلى موضع يقال له جُلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارةٍ ليشرب . ولما ذاق لم يرِد أن يشرب .

وقال مرقس في الأصحاح ١٤/٣٢ ـ ٥١ :

« وجاؤوا إلى ضيعةٍ اسمها جَثْسيماني فقال لتلاميذه اجلسوا ههنا حتى

أصلي . ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم : نفسي حزينة جداً حتى الموت . امكثوا هنا واسهروا . ثم تقدم قليلاً وخرّ على الأرض وكان يصلّي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن . وقال : يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك . فأجِزْ عني هذه الكاس . ولكن ليكن ليس ما أريد أنا بل ما تريد أنت . ثم جاء ووجدهم نياماً فقال لبطرس : يا سمعان أنت نائمٌ أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة . اسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربةٍ . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف . ومضى أيضاً وصلّى قائلاً ذلك الكلام بعينه . ثم رجع ووجدهم أيضاً نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه . ثم جاء ثالثة وقال لهم : ناموا الآن واستريحوا يكفي. قد أتت الساعة . هوذا ابن الإنسان يُسلَّم إلى أيدي الخطاة . قوموا لنذهب . هوذا الذي يسلّمني قد اقترب .

وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا أحد الإثني عشر ومعه جمعٌ كثير بسيوفٍ وعصيٍ من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ . وكان مسلّمهُ قد أعطاهم علامةً قائلاً : الذي أقبّلهُ هو هو . أمسكوه وامضوا به بحرصٍ . فجاء للوقت وتقدم إليه قائلاً : يا سيدي يا سيدي . وقبّلهُ . فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه . فاستلّ واحدٌ من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه .

فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لصٍ خرجتم بسيوفٍ وعصيٍ لتأخذوني . كل يومٍ كنتُ معكم في الهيكل أعلّم ولم تمسكوني . ولكن لكي تكمل الكتب . فتركه الجميع وهربوا . وتبعه شابٌ لابساً إزاراً على عريه فأمسكه الشبّان . فترك الإزار وهرب منهم عرياناً .

فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة . وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالساً بين الخُدّام يستدفىء عند النار . وكان رؤساء الكهنة والمجتمع كلّه يطلبون شهادةً على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا . لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً ولم تتفق .

وقال لوقا في الأصحاح ٢٢ / ٣٩ ـ ٥١ :

وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون . وتبعه أيضاً تلاميذه . ولما صار إلى المكان قال لهم صلّوا لكي لا تدخلوا في تجربةٍ . وانفصل عنهم

نحو رمية حجرٍ وجثا على ركبتيه وصلّى قائلاً : يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكاس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك . وظهر له ملاك من السماء يقوّيه . وإذ كان في جهادٍ كان يصلي بأشدّ لجاجة وصار عرقه كقطرات دمٍ نازلة على الأرض ، . ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن . فقال لهم لماذا أنتم نيام . قوموا وصلّوا لئلّا تدخلوا في تجربةٍ .

وبينما هو يتكلم إذا جمعٌ والذي يُدعى يهوذا واحد من الاثني عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبّلهُ . فقال له يسوع يا يهوذا بقُبلةٍ تسلّم ابن الإنسان . فلمّا رأى الذين حوله ما يكون قالوا يا رب أنضرب بالسيف . وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى . فأجاب يسوع وقال : دعوا إلى هذا . ولمس أذنه وأبرأها .

وقال يوحنا في الأصحاح ١٨/١ ـ ١٤ :

قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قِدرون حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه . وكان يهوذا مسلّمهُ يعرف الموضع . لأنّ يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه . فأخذ يهوذا الجند وخدّاماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح . فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم : من تطلبون . أجابوه يسوع الناصري . قال لهم يسوع أنا هو وكان . وكان يهوذا مسلّمهُ أيضاً واقفاً معهم . فلما قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض فسألهم أيضاً : مَنْ تطلبون . فقالوا يسوع الناصري . أجاب يسوع قد قلت لكم إني أنا هو . فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون . ليتمّ القول الذي قاله إن الذين اعطيتني لم أهلك منهم أحداً .

ثم إن سمعان بطرس كان معه سيفٌ فاستلّه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى . وكان اسم العبد مَلخُس . فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك في الغمد . الكاس التي أعطاني الآب ألا أشربها .

ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به إلى حنان أولاً لأنه كان حما قيافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة . وكان قيافا هو الذي أشار على اليهود أنه خيرٌ أن يموت إنسان واحد عن الشعب .

ومن أمعن النظر في نصوص الأناجيل الأربعة التي نقلناها يتضح له مدى

الخلاف في نقل أعظم حادثة في حياة السيد المسيح ، وسوف نشير في الصفحات القادمة إلى أبرز نقاط الخلاف والتباين بين هذه الأناجيل .

١ ـ قال متى : إن يسوع جاء مع تلاميذه إلى ضيعة جشيماني ، ووافقه مرقس ، وخالفهما لوقا فقال : إلى جبل الزيتون ، وقال يوحنا : عبر وادي قدرون حيث كان بستان .

٢ ـ قال متّى : ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب ، ووافقه مرقس ، أما لوقا فقد خالفهما وذكر أنه طلب منهم أن يصلّوا حتى لا يدخلوا في تجربة ، ثم انفصل عنهم رمية حجر وصار يصلّي ، أما يوحنا فقد اسقط هذه العبارة .

٣ ـ ذكر متى أن المسيح قال لمن معه :

« نفسي حزينة حتى الموت امكثوا ها هنا واسهروا معي ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلاً : يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت ، ثم جاء ألى التلاميذ فوجدهم نياماً فعاتب بطرس على عدم سهرهم معه ساعة ، ثم مضى ثانية وصلّى ثم جاء فوجدهم نياماً فتركهم ومضى ، وصلّى ثالثة ثم جاء وقال : ناموا الآن واستريحوا ، هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة . ثم قال : قوموا ننطلق هوذا الذي يسلمني قد اقترب .

وقريب منه عبارة مرقس .

أما لوقا فزاد أمرين :

الأول : أن ملكاً من السماء نزل إلى المسيح يقوّيه وهو يصلي .

الثاني : أنه كان يصلي ويلج حتى أخذ العرق يتساقط منه وكأنه قطرات دم نازلة على الأرض . وقد أسقط مجيئه إلى التلاميذ في المرة الثالثة . وأما يوحنا وهو أحد الثلاثة الذين انفرد بهم يسوع عن سائر التلاميذ . فقد أسقط ذلك كله ولم يذكر شيئاً منه ، وهو دليل على عدم حصول شيء من ذلك ، أو أن كاتب إنجيل يوحنا ليس هو تلميذ المسيح كما قلنا سابقاً ، وهو الصحيح عندي . وهنا سؤال يطرح نفسه وخاصة لمن دقق في عبارة لوقا ، وهو : كيف أدرك التلاميذ الملك وكيف رأوا عرقه

يتساقط على الأرض كقطر الدم وهم نيام وفي الليل ؟

٤ ـ قال متى :

« وفيما هو يتكلم إذ يهوذا أحد الاثني عشر قد جاء معه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الكهنة وشيوخ الشعب ، والذي سلّمه أعطاهم علامة قائلاً : الذي أقبّلهُ هو هو أمسكوه . فللوقت تقدم إلى يسوع وقال : السلام يا سيدي وقبله ، فقال يسوع يا صاحب لماذا جئت ؟ حينئذٍ تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه » .

ووافق مرقسَ متًى في المعنى ، وأما لوقا فقال :

إن المسيح قال له : يا يهوذا ألقبلة تسلم ابن الإنسان ؟ بدل قوله يا صاحب لماذا جئت، وزاد لفظ « والكتبة » قبل شيوخ الشعب .

وأسقط يوحنا « الكتبة » وشيوخ الشعب وزاد « القديسيين » ولم يذكر أن يهوذا قبّله أو دلّ عليه بل قال إنه كان واقفاً معهم ، وزاد أن المسيح خرج إليهم وقال لهم : من تطلبون ؟ قالوا : يسوع الناصري . فقال لهم : أنا هو ، وأنه لما قال لهم ذلك رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض . ثم أعاد سؤاله وأعادوا الجواب . ثم قال فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون .

٥ ـ ذكر متى أنهم قبضوا على يسوع ، ثم إن بطرس استلّ سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه ، فأمره المسيح بردٍّ سيفه إلى غمده . وقال : أتظن أنني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدِّم لي أكثر من إثني عشر جيشاً من الملائكة ، فكيف تكمل الكتب ؟ إنّه هكذا ينبغي أن يكون ، ثم قال : وأما هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الأنبياء ، حينئذٍ تركه التلاميذ كلهم وهربوا .

أما مرقس فقد وافقه في المعنى إلا هرب التلاميذ كلهم ، وزاد قوله : وتبعه شاب لابساً إزاراً على عريه فأمسكه الشبان فترك الإزار وهرب عرياناً ، (وهو يوحنا) .

وأما لوقا فذكر أن واحداً ضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه وانفرد عن الجميع بأنَّ المسيح لمس أذنه وأبرأها .

وأمـا يوحنـا فلم يزد شيئـاً بل نقص جمـلاً ، وانفرد بـذكر اسم الضـارب الذي استـلّ السيف وهو سمعـان بطرس وبـذكر اسم العبـد الذي قـطعت أذنه اليمنى وهـو (قلخُس) .

٦ ـ إن المحاورة التي ذكرها يوحنا وجرت بين يسوع وطالبيه، وقوله لهم : من تطلبون ؟ وقولهم : يسوع الناصري ، ورجوعهم وسقوطهم ـ بعـد قولـه لهم أنا هـو ـ تدل على أنهم وصلوا إلى هدفهم ورجعـوا بالمـطلوب ، وتفيد أيضـاً أن المسيح هـو الذي عرّف نفسه لأعدائه لا أن يهوذا عرّفه لهم .

٧ ـ انفرد يوحنا عن الثلاثة بشيء ينسجم مع الـواقع ، حيث ذكـر أن يهوذا لمـا جاء ، جاء ومعه مشاعـل ومصابيـح وسلاح ، وهـذا ينطبق مـع الواقـع حيث إنَّ الليل يحتاج إلى مشاعل ومصابيح .

مصير المسيح بعد القبض عليه

قال متى في الأصحاح ٢٦/٥٧ ـ ٧٥ :

«والـذين أمسكوا يسـوع مضوا بـه إلى قيـافـا رئيس الكهنـة حيث اجتمـع الكتبـة والشيوخ . وأمـا بطرس فتبعـه من بعيدٍ إلى دار رئيس الكهنـة فـدخـل إلى داخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية . وكان رؤسـاء الكهنة والشيـوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه . فلم يجدوا . ومع أنـه جاء شهـود زورٍ كثيرون لم يجدوا . ولكن أخيراً تقدم شـاهدا زورٍ وقـالا . هذا قـال إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيامٍ أبنيه . فقام رئيس الكهنة وقـال له أمـا تجيب بشيء ماذا يشهد بـه هذان عليـك . وأما يسـوع فكان سـاكتاً . فـأجاب رئيس الكهنة وقال له : أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله . قـال لـه يسـوع أنت قلت . وأيضـاً أقـول لكم ؛ من الآن تبصـرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء . فمزّق رئيس الكهنة حينئـذٍ ثيابـه قائـلاً : قد جـدّف ما حـاجتنا بعـدُ إلى شهـودٍ . هـا قـد سمعتم تجديفه . ماذا ترون ؟ فأجابوا وقالوا إنه مستوجب الموت . حينئـذٍ بصقوا في وجهه ولكموه . وآخرون لطموه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح مَنْ ضربك .

أما بطرس فكـان جالسـاً خارجـاً في الدار فجـاءت إليه جـارية قـائلة :

وأنت كنت مع يسوع الجليلي فأنكر قدام الجميع قائلاً لستُ أدري ما تقولين . ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصري . فأنكر أيضاً بقسمٍ إني لست أعرف الرجل . وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس : حقاً أنت أيضاً منهم فإن لغتك تظهرك . فابتدأ حينئذٍ يلعن ويحلف إني لا أعرف الرجل . وللوقت صاح الديك . فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له : إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات . فخرج إلى خارج وبكى بكاء مراً .

وقال مرقس في الأصحاح ٢٤/٥٣ ـ ٧٢ :

« فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة . وكان بطرس قد تبعه من بعيدٍ إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالساً بين الخدام يستدفىء عند النار . وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادةً على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا . لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً ولم تتفق شهاداتهم . ثم قام قوم وشهدوا عليه زوراً قائلين نحن سمعناه يقول إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي وفي ثلاثة أيامٍ أبني آخر غير مصنوعٍ بأيادٍ . ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق. فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلا : أما تجيب بشيء . ماذا يشهد به هؤلاء عليك . أما هو فكان ساكتاً ولم يجب بشيء فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له : أأنت المسيح ابن المبارك . فقال يسوع أنا هو . وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء . فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال : ما حاجتنا بعدُ إلى شهودٍ . قد سمعتم التجاديف ما رأيكم . فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت . فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له : تنبأ . وكان الخدام يلطمونه .

وبينما كان بطرس في الدار أسفل جاءت إحدى جواري رئيس الكهنة . فلما رأت بطرس يستدفىء نظرت إليه وقالت : وأنت كنت مع يسوع الناصري . فأنكر قائلاً : لست أدري ولا أفهم ما تقولين . وخرج خارجاً إلى الدهليز فصاح الديك. فرأته الجارية أيضاً وابتدأت تقول للحاضرين : إنَّ هذا منهم فأنكر أيضاً . وبعد قليل أيضاً قال الحاضرون لبطرس حقاً أنت منهم لأنك جليلي أيضاً ولغتك تشبه لغتهم . فابتدأ يلعن ويحلف إني لا أعرف هذا الرجل الذي تقولون عنه . وصاح الديك ثانية فتذكر بطرس القول الذي

قاله له يسوع إنك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات . فلما تفكر به بكى .

وقال لوقا في الأصحاح ٢٢/٥٤ ـ ٧١ :

فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة ، وأما بطرس فتبعه من بعيدٍ . ولما أضرموا ناراً في وسط الدار وجلسوا معاً جلس بطرس بينهم . فرأته جارية جالساً عند النار فتفرّست فيه وقالت : وهذا كان معه . فأنكره قائلاً : لست أعرفه يا أمرأة . وبعد قليل رآه آخر وقال وأنت منهم . فقال بطرس : يا إنسان لست أنا . ولما مضى نحو ساعةٍ أكّد آخر قائلاً : بالحق إن هذا أيضاً كان معه لأنه جليلي أيضاً . فقال بطرس يا إنسان لست أعرف ما تقول . وفي الحال بينما هو يتكلم صاح الديك . فالتفت الرب ونظر إلى بطرس فتذكر بطرس كلام الرب كيف قال له : إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات . فخرج (بطرس) إلى خارج وبكى بكاء مراً .

والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين : تنبأ . مَنْ هو الذي ضربك . وأشياء أخر كثيرة كانوا يقولون عليه مجدفين .

ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين إن كنت أنت المسيح فقل لنا . فقال لهم : إن قلت لكم لا تصدقون وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني . منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله . فقال الجميع : أفأنت ابن الله . فقال لهم أنتم تقولون إني أنا هو . فقالوا ماحاجتنابعدإلىشهادةلِأننا نحن سمعنا من فمه .

وقال يوحنا في الأصحاح ١٨/١٢ ـ ٢٧ :

« ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به إلى حنّان أولاً لأنه كان حما قيافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة . وكان قيافا هو الذي أشار على اليهود أنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب .

وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع . وكان ذلك التلميذ معروفاً عند رئيس الكهنة فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة . وأما

بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً . فخرج التلميذ الآخر الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة وكلّم البوابة فأدخل بطرس . فقالت الجارية البوابة لبطرس ألست أنت أيضاً من تلاميذ هذا الإنسان . قال : ذاك لست أنا . وكان العبيد والخدام واقفين وهم قد أضرموا جمراً . لأنه كان برد وكانوا يصطلون وكان بطرس واقفاً معهم يصطلي .

فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه . أجابه يسوع أنا كلّمت العالم علانية . أنا علّمت كلّ حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً . وفي الخفاء لم أتكلم بشيء لماذا تسألني أنا . أسأل الذين قد سمعوا ماذا كلّمتهم . هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا . ولمّا قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفاً قائلاً أهكذا تجاوب رئيس الكهنة . أجابه يسوع : إن كنت قد تكلّمت ردياً فاشهد على الردي وإن حسناً فلماذا تضربني . وكان حنان قد أرسله موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة .

وسمعان بطرس كان واقفاً يصطلي فقالوا له ألست أنت أيضاً من تلاميذه . فأنكر ذاك وقال : لست أنا . قال واحد من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذي قطع بطرس أذنه أما رأيتك أنا معه في البستان . فأنكر بطرس أيضاً . وللوقت صاح الديك . »

٨ ـ وبعد نقل النصوص السابقة يتضح لنا أن متى يقول بأن الذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى «قيافا» رئيس الكهنة حيث اجتمع عنده الكهنة والشيوخ ، ووافقه على ذلك مرقس ولوقا ، إلا أنهما لم يصرّحا باسمه ، وأما يوحنا فقال : إنهم أوثقوه وذهبوا به إلى « حنّان » حما « قيافا » فخالف الثلاثة في ذلك .

٩ ـ قال متى : إن بطرس تبع يسوع من بعيد إلى دار رئيس الكهنة ، ووافقه مرقس ولوقا ، وأما يوحنا فخالفهم وقال : إن بطرس تبع يسوع هو والتلميذ الآخر ، (يعني يوحنا) .

١٠ ـ قال متى : إن بطرس الذي تبع المسيح من بعيد دخل إلى داخل دار رئيس الكهنة وجلس بين الخدم ينتظر النهاية ، ثم ناقض نفسه في الفقرة ٦٩ فقال : أما بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار ، فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلي ، فأنكر قدّام الجميع ، ثم لما خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت : وهذا كان مع يسوع الناصري ، فأنكر أيضاً بقسمٍ : لست أعرف الرجل ، وبعد

قليل جاء القيّام وقالوا لبطرس : حقاً أنت أيضاً منهم ، فابتدأ يلعن ويحلف إني لا أعرف الرجل ، وللوقت صاح الديك ، فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له : إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات ، فخرج إلى خارج وبكى بكاءً مراً .

وأما مرقس فقد ذكر الحادثة وجعل بطرس داخل الدار يستدفيء ، فقالت له الجارية ذلك فأنكر ، ثم رأته مرة أخرى في الدهليز وقالت للحاضرين : هذا منهم ، فأنكر أيضاً ؛ وهذا بخلاف متى الذي جعل الجارية التي رأته في المرة الثانية غير الأولى ، وأن الديك صاح عقب المرة الأولى لا بعد المرات الثلاث ؛ وقد صاح الديك بعد المرة الثالثة مرة واحدة عند متى ، وعند مرقس صاح مرتين .

وجعل مرقس كلام المسيح لبطرس :

« **وأنت تنكرني ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين** » .

وأما لوقا فجعل سؤال الجارية له مرة واحدة فأنكر ، ثم رآه رجل آخر وقال : أنت منهم ، فأنكر ، ولما مضى ساعة أكّد آخر قائلاً : هذا أيضاً كان معه ، فأنكر ، وفي الحال صاح الديك ، وزاد قوله : فالتفت الرب ونظر إلى بطرس ، فتذكّر كلام الرب .

وأما يوحنا فقال : إن الغلام الذي كان مع (بطرس) وهو يوحنا دخل مع المسيح إلى دار رئيس الكهنة لأنه كان معروفاً عنده ، ثم توسط لبطرس عند البوابة فأدخله ، وقالت له الجارية : أنت أيضاً من تلاميذ هذا الإنسان ؟ قال : ذاك لست أنا ، وعندما كان بطرس خارجاً مع العبيد والخدم ، وكان برد وقد أضرموا ناراً فأخذ يصطلي معهم ، فقال له المصطلي ألست أنت من تلاميذه ؟ فأنكر ، فقال له واحد من عبيد رئيس الكهنة ـ وهو نسيب الذي قطع بطرس أذنه ـ : أما رأيتك أنا معه في البستان ؟ فأنكر أيضاً ، وللوقت صاح الديك .

فانظر أيها القارىء اللبيب إلى كثرة التناقضات في هذه الحادثة الصغيرة ، وتناقض كلام الإنجيل الواحد فيها فضلاً عن تناقضه مع الأناجيل الأخرى .

١١ ـ ذكر متى أن رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله كانوا يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه فلم يجدوا ، ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا .

ولو لم يكن عندنا حجة إلا هـذا النص المتناقض لكـان دليلاً كـافياً على جهـل الكاتب وتناقض كلامه ، فانظر إلى قوله :

« وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبـون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه » .

وكأنهم إذا وجدوا شهادة حق لا يقتلوه .

وأما مرقس فإن كلامه أكثر دقة في هذا المـوضوع من غيـره حيث قال : وكـان رؤسـاء الكهنة والمجمـع كله يـطلبـون شهـادة على يسـوع ليقتلوه ، فلم يجـدوا لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً ولم تتفق شهاداتهم .

١٢ ـ الذي يفهم من نص متى ومرقس أن محاكمة المسيح والمناقشة بينه وبين الكهنة ورئيسهم كانت ليلاً عقيب القبض عليه ، ووصوله إلى دار رئيس الكهنة ؛ وأما المفهوم في كلام لوقا ويوحنا فهو أن المحاكمة كانت صباحاً .

١٣ ـ ذكر متى أنه تقدم في نهايـة المطاف شـاهدا زور وشهـدا عليه أنـه قال : إني أقـدر أن أنقض هيكل الله في ثـلاثة أيـام وأبنيه . وأمـا مرقس فقـال : فقـام قـوم وشهدوا عليه زوراً لا شاهدان ثم قـال متى : فقام رئيس الكهنـة وقال لـه : أما تجيب بشيء ؟ مـاذا شهد هـذان عليك ؟ وأمـا يسوع فكـان ساكتـاً ، فأجـاب رئيس الكهنة وقال : أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟ فقال لـه يسوع : أنت قلت ، وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً على يمين القـوة ، وآتياً على سحاب السماء ! فمزّق رئيس الكهنة حينئذٍ ثيـابه قـائلاً : إنـه جدف ، مـا حـاجتنا بعـد إلى شهود ؟ هـا قد سمعتم تجـديفه مـاذا ترون ؟ فـأجابـوا وقالـوا : إنه مستوجب الموت ، حينئذٍ بصقوا في وجهه ولكموه ، وآخرون لطموه قائلين : تنبأ أيها المسيح .

وزاد مرقس على متى في شهادة الشهود عليه : إني أنقض هـذا الهيكل المبني بالأيادي وفي ثـلاثة أيـام ، أبني آخر غيـر مصنوع بـأيادٍ . وقـول رئيس الكهنة : أنت المسيح ابن المبـارك (أي داود) فقال يسوع : أنا هو الـخ . . . فخالف بـذلك متى في المواضع الثلاثة .

وأمـا لوقـا فلم يذكـر أي طلب لشهود الـزور ، وإنما ذكـر قول مشيخـة الشعب ورؤساء الكهنة :

« إن كنت المسيح فقل لنا . فقال : إن قلت لكم لا تصدقونني وإن سألت لا تجيبوني ولا تطلقونني . منذ الآن تجدون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله . فقال الجميع : أنت ابن الله ؟ فقال لهم : أنتم تقولون ذلك »

فخالف بذلك متى ومرقس . ومن العجيب أن لوقا يذكر قول مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة للمسيح : أنت ابن الله ؟ مع أنه لم يدّع أنه ابن الله ، بل قال : ابن الإنسان .

وأما يوحنا فقد ألغى شهادة الزور وشهوده ، وألغى محاكمة الكهنة والشيوخ والكتبة له ، ولم يذكر من ذلك شيئاً ، مع أنه من تلاميذ المسيح ، وقد شهد ما لم يشهده متّى ، لِأنّه كان معروفاً عند رئيس الكهنة ، ودخل داره مع يسوع كما نصَّ يوحنا في إنجيله ، وكذلك مرقس الذي قال بأنهُ فرَّ عرياناً ؛ ثم إنَّ شهادة الذين شهدوا بمسألة نقض الهيكل ليست شهادة زور فقد جاء في يوحنا : ١٩/٢٠ :

« إنقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه »

فكيف يصح أن يقال إنهم شهدوا زوراً ؟ وبعد هذا كله فإن الكهنة ورئيسهم لم يقولوا إن سبب الموت هو ما ذكر من هدم الهيكل وبنائه ، بل حين قال لهم إنه المسيح ـ على رأي مرقس ـ وإنه سيكون على يمين قوة الله ! ومع هذا فلم يقولوا للوالي شيئاً من هذا ، بل قالوا إنه يفسد الشعب ، ويقول إنه ملك اليهود .

١٤ ـ قال متى في الإصحاح ١/٢٧ :

« ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه ، فأوثقوه ومضوا به ؛ ودفعوه إلى بيلاطس البُنطي الوالي » .

ووافقه مرقس ، غير أنه لم يذكر صفة « بيلاطس » ولا جنسيته ؛ واختصر لوقا وقال في الأصحاح ١/٢٣ : « فقام كل جمهورهم وجاؤوا به إلى « بيلاطس » . وقال يوحنا ٢٨/١٨ : « ثم جاؤوا بيسوع من عند «قيافا» إلى دار الولاية ، وكان الصبح ، ولم يدخلوا دار الولاية لكيلا يتنجسوا فيأكلون الفصح » . وهذه العبارة انفرد بها يوحنا عن الثلاثة !

١٥ ـ قال متى متابعاً :

« حينئذٍ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد ادين ، ندم وردّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً : قد أخطأت إذ سلّمت دماً بريئاً ، فقالوا : ماذا علينا ؟ أنت أبصر . فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ، ثم مضى وخنق نفسه . فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا : لن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم ! فتشاوروا واشتروا بها « حقل الفخاري » مقبرةً للغرباء ، ولهذا سمي ذلك الحقل « حقل الدم » إلى هذا اليوم . حينئذٍ تمّ ما قيل بإرميا النبي القائل : وأخذوا الثلاثين من الفضة من ثمن المثمّن الذي ثمّنوه من بني إسرائيل ، وأعطوها عن « حقل الفخاري » كما أمرنا الرب » .

وقد أسقط هذا التقرير أصحاب الأناجيل الثلاثة . كما أن صاحب سفر أعمال الرسل ١/١٨ خالفه حيث قال : فإن يهوذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشقّ في الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ، وصار ذلك معلوماً عند سكان أورشليم حتى دُعي ذلك الحقل في لغتهم « حقل دما » أي : حقل دم . فالفرق بين تقرير متى وتقرير سفر الأعمال ظاهر ، وإذا أخذنا بأحدهما وجب أن يكون الآخر كاذباً .

وعبارة سفر الأعمال تفيد أن مؤلفه ليس عبرانياً بدليل قوله : « في لغتهم » وبعد هذا ، فقد نسب متى إلى رؤساء الكهنة شراء « حقل الفخاري » بالفضة ، وحينئذٍ تمّ ما قيل بإرميا . . . الخ

ونسبة القول إلى إرمياء غلط ، فإنّ هذا القول لا يوجد في كتاب إرميا ، فذكر متّى لإسم إرميا غلط يقيناً ، وإنما قال هذا القول زكريا في سفره ، ونصّه :

« فقلت لهم : إن حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي وإلا فامتنعوا وزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة ، فقال الرب : ألقها إلى « الفخاري » الثمن الذي ثمّنوني به ، فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى « الفخاري » في بيت الرب ، ثم قصفت عصاي الأخرى » .

وبعد هذا فإن كلام زكريا لا تعلق له بالمسيح أصلاً ، وليس في شأنه ، ولكن القوم يتصيدون كل كلام ويلحقونه بكتبهم المقدسة ليجعلوه دليلاً على أن الحادثة قد تنبأ بها الأنبياء من قبل ، وهي بعيدة عن غرضهم بعد السماء عن الأرض .

سبب صلب المسيح

١٦ ـ اختلفت الأناجيل في السبب الحقيقي الذي بنى عليه الوالي الحكم بصلب المسيح ، والتّهم التي وجهها إليه الكهنة وشيوخ الشعب ، وقد اتّخذ كل واحد سبباً غير الآخر ، وإن اتفق الجميع على أن الوالي لم يجد فيه جرماً يستوجب الموت .

قال متى : فوقف يسوع أمام الوالي ، فسأله قائلًا : أأنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع : أنت تقول . وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يقيمون الدعاوى ضده ولم يجب بشيء ، فقال له « بيلاطس » : أما تسمع كم يشهدون عليك ؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة ، فتعجب الوالي جداً !

وقد وافقه مرقس ، وأما لوقا فأثبت ما لم يثبته متى ومرقس فقال ٢٣ / ٢ : وابتدأوا يشكون منه قائلين : إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطي جزية لقيصر قائلاً إنه هو مسيح ملك ! فسأله بيلاطس : أنت ملك اليهود ؟ فأجابه وقال : أنت تقول . وبديهي أن هذا الكلام خلاف ما قاله متى من أنه لم يجب بشيء حتى تعجب الوالي .

وقد انفرد لوقا حيث ذكر أن بيلاطس لما سمع ذكر الجليل سأل : هل الرجل جليلي؟ وحين علم أنَّه من سلطنة هيرودس أرسله إليه . وقد تناقضت كلمات الأناجيل حول هيرودس، فقد ذكر متّى في الأصحاح ٢ / ٧ ـ ١٩ أن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية . أيام هيرودس ، وقد لاحق هيرودس المولود الجديد من أجل أن يقتله بعد أن أخبره المجوس بذلك ، فهربت به أمه إلى مصر ، وكان هناك إلى وفاة هيرودس . ثم إنه ذكر في الأصحاح ١٤ / ١ أن هيرودس كان رئيس الربع وقد قبض على يوحنا المعمدان وقتله .

وأما مرقس فقد ذكره (٦ / ١٤) على أنه هو الملك .

وأما لوقا فقد ذكر أن ولادة المسيح كانت في أيام هيرودس ملك اليهودية الأصحاح ١ / ٥ وذكر في الأصحاح ٣ / ١ إن بيلاطس البنطي كان والياً على اليهودية ، وهيرودس رئيس ربع على الجليل ، وأيضاً ٢٣ / ٧ .

وبناءً على ذلك لا بد أن هيرودس كان اسماً لعدة أشخاص وهو الأقرب ، لأن

المسيح صلب في عقده الثالث ، ومن البعيد أن يكون بقي تلك المدة ، مع أن ولادة المسيح كانت في ملكه .

وعلى كل حال فإن هيرودس لما أُرسل إليه يسوع طلب منه أن يصنع أمامه آيةً فلم يجبه بشيء ، وطبيعي أنه لا يستطيع أن يأتي بآيةٍ لأنه ليس هو المسيح ، بل هو يهوذا كما سنبين ذلك .

وأما يوحنا فقد خالف الثلاثة ١٨/٢٨ وما بعدها إذ قال إنهم « لم يدخلوا دار الولاية لئلا يتنجسوا ، فخرج إليهم بيلاطس وقال : أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان ؟ فأجابوا وقالوا : لو لم يكن فاعل شرّ لما كنا قد سلمناه إليك ، فقال بيلاطس : خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم ، فقال له اليهود : لا يجوز لنا أن نقتل أحداً ، ليتم قول المسيح الذي قاله مشيراً إلى أية ميتةٍ كان مزمعاً أن يموت » .

وقد خالف لوقا الذي جعل أسباب قتل المسيح تنحصر في ثلاثة أسباب :

١ ـ الإفساد في الأرض .

٢ ـ ادّعاء الملك .

٣ ـ التحريض على عدم أداء الجزية لقيصر ، وزاد على الثلاثة قوله : ليتم قول يسوع .

١٧ ـ يفهم من متى ٢٧/٢٢ ـ ٢٤ أن بيلاطس كان يعتقد براءة المسيح ، وأنهم أسلموه حسداً ، وأنه لا سوء فيه ، وأنه غسل يديه قدام الجميع قائلاً : إني بريء من دم هذا البارّ . فكيف يصحّ مع هذا أن يقال إنَّه جلده وأسلمه ليصلب كما زعم متّى ؟

وقد وافقه مرقس على المعنى مع ما فيه من تناقض .

وأما لوقا فخالفهما في الجلد فلم يذكره ، ولم يذكر أنه غسل يده براءةً من دمه وأسلم المسيح لمشيئتهم .

وأما يوحنا فقد وافق الثلاثة في اعتقاد الوالي براءة المسيح وجلده ، ولم يذكر غسل يده .

١٨ ـ اتفقت الأناجيل الأربعة على أن اليهود طلبوا صلب المسيح من بيلاطس وإطلاق مجرم لهم اسمه (باراباس) ، وقد اختلفت كلماتهم حول صفاته ، فقال متى : إنه كان أسيراً عند بيلاطس ، وقال مرقس ولوقا : إنه كان في فتنة حصل فيها قتل ، وقال يوحنا : وكان باراباس لصاً .

مصير المسيح بعد الحكم عليه

١٩ ـ قال متّى في الإصحاح ٢٧/٢٧ : فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة ، وعرّوه وألبسوه ثوباً قرمزياً وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه ، وقصبة في يمينه ، وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين : السلام يا ملك اليهود ! وبصقوا عليه ، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه .

وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ، ومضوا به للصلب .

وقد وافقه مرقس إلا في شيئين : التعرية ولون اللباس ، فقد جعله أرجوانياً لا قرمزياً .

وأما لوقا فلم يجعل الاستهزاء بالمسيح في دار الولاية كما فعل متى ومرقس ، ولم يقل إن العسكر استهزأوا به ، بل الشعب هو الذي كان يهزأ به عند موضع الصلب ، ولم يذكر تعريته ولا لون الثوب ، وإنما ذكر أنّ هيرودس ألبسه ثوباً لامعاً عندما ردّه إلى بيلاطس .

ويوحنا جعل العسكر هو الذي ضفر إكليلاً من شوك ووضعه على رأسه ، وألبسه ثوباً أرجوانياً . وزاد يوحنا أن بيلاطس أعاد عليه السؤال فلم يعطه جواباً وقال له : أما تكلمني ؟ وكان يحاول أن يطلقه لولا إصرار اليهود .

٢٠ ـ يقول متى ٣٢/٢٧ : وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه (سمعان) فسّخروه لحمل صليبه .

وزاد مرقس كنيته وقال (ابو ألكسَنْدَرُس ورُفُس) .

ووافق لوقا متّى . وقد ناقض يوحنا الثلاثة . وكذّب مسألة (سمعان) (القيرواني) ١٧/٢٩ ، وذكر أنهم مضوا به وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له (جُمجمة) .

٢١ ـ ذكر متى أنهم لمّا صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ، ولم يبين من هم الذين اقتسموا ثيابه بطريق القرعة ، ومثل ذلك في مرقس ، ولم يذكر لوقا حول هذه المسألة شيئاً ، وأما يوحنا فقد ذكر أن العسكر هو الذي اقتسم ثيابه بلا قرعة بعد أن قسمها أربع أقسام ، وأما قميصه فاقترعوا عليه .

٢٢ ـ قال متّى ٢٧/٢٣ : ولما أتوا إلى موضع يقال له «جلجثة» وهو المسمّى موضع الجمجمة أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب ، ولما ذاق لم يرد أن يشرب .

أما مرقس فقد خالفه فقال : أعطوه خمراً ممزوجة بمرّ ليشرب ، فلم يقبل .

وأما لوقا فقال : إن العسكر الذي كان يستهزىء به قدم له خلاً ، ولم يقل إنه ممزوج بمرارة كما قال متى ؛ وأما يوحنا فقد أسقط العبارة من أصلها .

٢٣ ـ انفرد لوقا بقوله :

« وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتي كنّ يلطمن أيضاً وينحن عليه ، فالتفت إليهن يسوع وقال يا بنات أورشليم لا تبكين عليّ بل أبكين على أنفسكنّ وعلى أولادكن ، لأنه هوذا أيام تأتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثدي التي لم ترضع ، حينئذٍ يبتدئون يقولون للجبال اسقطي علينا ، وللآكام غطّينا لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا ، فماذا يكون باليابس » .

ولم يذكر الثلاثة شيئاً من هذا .

٢٤ ـ اتفقت كلمات الأناجيل الأربعة على أنه صلب مع يسوع رجلان آخران . قال متى ومرقس : إنهما لصّان ، وقال لوقا : وجيء باثنين آخرين مذنبين ليقتلا معه . وقال يوحنا : وصلبوا اثنين آخرين معه ، ولم يذكر وصفهما .

٢٥ ـ قال متى : إن المجتازين والكتبة والكهنة والشيوخ كانوا يجدّفون عليه ويستهزئون به ، وإن اللصين اللذين سمّرا وصلبا معه كانا يعيرانه . ووافقه على ذلك مرقس . وذكر لوقا أن المعير أحدهما فقط ، وأن الثاني كان ينهاه وانتهره قائلاً : أولا تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ! ثم قال ليسوع : اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك ، فقال له يسوع : الحق أقول لكم إنك اليوم تكون معي في الفردوس . وأما مرقس فأسقط استهزاء اللص أو اللصين به .

٢٦ ـ لم يحـدّد أحد من أصحـاب الأنـاجيـل وقت الصلب ، إلا مـرقس فقـد حدده بالساعة الثالثة .

كلمات المسيح الأخيرة قبل تسليم الرُوح

٢٧ ـ اختلفت كلمـات الأناجيـل حول الكلمـات الأخيرة ليسـوع ، فقـال متى ٢٧/٤٦ : ونحو الساعـة التاسعـة صرخ يسـوع بصوت عـظيم قائـلاً : إيلي إيلي لما شَبَقْتَني ! أي إلهي إلهي لماذا تركتني[1] .

وقد خالفـه مرقس فقـال : إنه قـال : ألوى ألـوى لما شَبَقْتني ، ولم يقـل إيلي إيلي كمـا زعم متى . وقد خـالف الاثنين لوقـا حيث قال : إنـه نادى بصـوت عـظيم وقال : يا أبتاه في يديك أستودع روحي ، ولما قال هذا أسلم الروح . وقـد خالفهمـا أيضاً في مسألة تقديم الخل . وخالف الثلاثة يوحنا فلم يـذكر للمسيـح كـلامـاً سوى أنه قال لِأمّه التي كانت بجواره والتلميذ الذي كان يحبه : يا إمرأة هوذا إبنـك ، ثم قال للتلميذ : هوذا أمك .

وخالف الثلاثة يوحنـا فذكـر أن سقيه الخـل كان بعـد أن قال : أنـا عطشـان ، فمـلأوا اسفنجة من الخـل ووضعوهـا على زوفا وقدمـوها إلى فمه ، أمـا الثلاثـة فقد جعلوا السقي من الساقي ابتداءً . ولم يـذكر يـوحنا شيئـاً عن قولـه : أيلي أو ألوي ، وإنما قال : فلمّا أخذ يسوع الخل قال : قد اكتمل ، ونكس رأسه وأسلم الروح .

الذين حضروا صلب المسيح

٢٨ ـ قال يوحنا ١٦/٢٥ : وكانت عند صليب يسوع أمه واخت أمه مريم زوجة

---

(١) إن هذه الكلمات هي نـداء اليأس الـذي نسبه مـرقس ومتى للمسيح وهـو في حال الاحتضـار ، فهل أن إيمان المسيح العظيم وصلابته في ذات الله انقلب إلى شك في اللحظات المريـرة ؟ وقد استبـدل لوقـا هذه الكلمات بما يتلاءم مع عقيدة أستاذه بولس فقال : يا أبتـاه في يدك أسـتودع روحي . والعجيب في الأمر أن هذه الكلمات قد وردت بعينها في المزمور ٢٢ حيث يبتدىء بهذه الكلمات « إلهي إلهي لمـاذا تـركتني » كما أن في الآيـة ١٨ منه وردت هـذه العبارة « يقسمـون ثيابي بينهم وعلى لبـاسي يقترعـون » والعبارة التي استبدلها لوقا وردت بعينها في المزمور ٣١/٥ ، وهذا مما يثيـر الريب والشك . والأعجب من ذلك كله أن النصارى يدّعون بأن المسيح قدم نفسه فداءً للبشريـة بمحض اختياره ، مـع أن كلماتـه في حـال احتضاره دليـل لا يقبل الشـك على أنه كـان حزينـاً خائفـاً مرغمـاً على الموت بهـذه الصـورة البشعة ، وغير راضٍ عن هذا المصير الأسود .

(كلوبا) ومريم المجدلية ، فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً قال لأمه : يا امرأة هوذا ابنك ، ثم قال للتلميذ : هوذا أمك ، وفي تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته . وقد انفرد يوحنا بهذه العبارة ولم يذكرها أحد سواه . وذكر متّى أن التلاميذ هربوا لما قبض على المسيح ، وكان منهم يوحنا ، وكان يلبس رداءً على عريه ، فأمسكه أحد الجنود فترك له الرداء وهرب عارياً .

فكيف جاء بعد ذلك ليشاهد المسيح وهو يصلب ؟ وعبارة يوحنا تفيد أن الواقفات حول الصليب قريباته .

وأما لوقا فلم يذكر قرب أحد من معارفه ، ولم يشر إليهم بكلمة ، بل قال : وكان جميع معارفه ونساءٌ كنّ قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك .

ولم يذكر مرقس أن أحداً من معارفه نظر حادثة الصلب من قريب ، بل قال : وكانت أيضاً نساءٌ ينظرن من بعيد بينهن « مريم المجدلية » ومريم أم يعقوب الصغير وأم يوسي وسالومة اللواتي أيضاً تبعنه وخدمنه حين كان في الجليل ، وأُخَرُ كثيرات اللواتي صعدن معه إلى أورشليم .

ولفظ متى يوافق عبارة مرقس . فهذه الأناجيل لم تتفق حتى في هذا الموقف الجلي .

الآيات التي ظهرت بعد موت المسيح

٢٩ ـ ذكر متى ٢٧ / ٥١ : أن حجاب الهيكل قد انشق نصفين من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت ، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين .

وأما مرقس فقد أهمل هذا القول ولم يذكر شيئاً منه .

وأما لوقا فقال ٢٣ / ٤٥ : وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه . ولم يذكر زلزلة ولا تشقق الصخور ، ولا تفتح القبور ، ولا قيام الأموات ؛ وقد ذكر تلك العلامات قبل أن يسلم يسوع الروح ، خلافاً لمتى !

وأما يوحنا ـ الذي كان المسيح يحبه وحضر صلب المسيح على ما زعموا ـ فلم

يذكر شيئاً من ذلك ، وهذا دليل على عدم كون كاتب إنجيل يوحنا هو يوحنا الصياد تلميذ المسيح .

٣٠ ـ إتّفق متّى ومرقس ولوقا على أنَّ الذي تسلَّم جسد المسيح ولفَّه في ثياب كتّان ودفنه هو « يوسف » ووصفه متّى بأنّه كان غنياً . وانفرد متّى ويوحنا بأنّه كان تلميذاً ليسوع . وخالفهم يوحنا حيث أشرك مع يوسف نيقوديموس .

قيام المسيح من القبر

٣١ ـ قال متى في الأصحاح الثامن والعشرين :

وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظر القبر . وإذا زلزلة عظيمة حدثت . لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه . وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج . فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات . فأجاب الملاك وقال للمرأتين : لا تخافا أنتما . فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب ، ليس هو ههنا لأنه قام كما قال . هلمّا أنظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعاً فيه . واذهبا سريعاً قولا لتلاميذه إنه قد قام من الأموات . ها هو يسبقكم إلى الجليل . هناك ترونه . ها أنا قد قلت لكم . فخرجتا سريعاً من القبر بخوفٍ وفرحٍ عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه . وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال : سلام لكما فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له . فقال لهما يسوع : لا تخافا . إذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني .

وفيما هما ذاهبتان إذا قوم من الحراس جاؤوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين . قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام . وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين . فأخذوا الفضة وفعلوا كما علّموهم . فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم .

وأما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع . ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا . فتقدم يسوع وكلّمهم قائلاً . دفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع

الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر . (آمين) .

من خلال نص متى السابق في الأصحاح الأخير من إنجيله ، ومراجعة سائر الأناجيل الأخرى يتّضح للباحث أن مسألة قيام المسيح من القبر لا واقع لها ، وليست إلا مجرد دعوى لا تؤيدها الأناجيل نفسها ، ولم يستطع أحد أن يدّعي حتى اليوم أنه رأى المسيح قام من قبره . ومن أراد التثبت من ذلك فما عليه إلا مراجعة الأناجيل والتمعن في نصوصها ، ومن خلال التدقيق في نصوصها يتضح تناقض هذه الأناجيل في مسألة قيام المسيح من القبر ، وهذا دليل آخر على بطلان هذه العقيدة ، وعدم تصديق الأناجيل لهذه الدعوى ؛ وقد ذهب جماعة من النصارى إلى القول بهذه الحقيقة كما سوف نبيّن في الصفحات القادمة .

ومن نص متى المتقدم يتضح أن مريم المجدلية ومريم أخرى ذهبتا إلى القبر عند الفجر أول الأسبوع لتنظرا القبر فقط ، وأما مرقس فخلط في الوقت فقال : إن الذهاب كان باكراً جداً ، ثم قال : إذ طلعت الشمس ، وجعل من ذهب إلى القبر ثلاث نسوة ١ ـ مريم المجدلية ٢ ـ مريم أم يعقوب ٣ ـ سالومة . وقال : إنما ذهبن ليدهنّ يسوع بالحنوط الذي اشترينه ، ومن المعلوم أن اليهود لا يبيعون ولا يشترون يوم السبت ، والذاهبات نسوة كنَّ قد حضرن مع يسوع من الجليل ومعهن أناس لم يبيّن عددهم ، وهل أنهم نساء أم رجال ، وجعل منهن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب ، وزاد يونا ونقص سالومة التي ذكرها مرقس . وخالف يوحنا فذكر أن التي ذهبت إلى القبر مريم المجدلية وحدها ، وأن الظلام كان باقياً ، ولم يذكر شروق الشمس كما فعل مرقس .

٣٢ ـ ذكر متى أن المرأتين أتتا إلى القبر والحجر مطبق على بابه ، وأن الملك نزل من السماء أمامها على الهيئة التي وصف . وخالفه مرقس فقال : إن اللاتي ذهبن إلى القبر تطلعن إلى القبر فوجدن الحجر قد تدحرج . وأما لوقا فقد وافق مرقس في أن النساء وجدن الحجر مدحرجاً عن القبر قبل أن يأتين إليه . وأما يوحنا ـ وهو الذي قال إن الذي ذهب إنما هو مريم المجدلية وحدها ـ فقال : إنها نظرت الحجر مرفوعاً عن القبر .

٣٣ ـ يستفاد من متى أن الملك أخبر المرأتين بأن يسوع قام من الأموات ، وأنه يطلب لقاء تلاميذه بالجليل ، وأنهما نظرتا إلى المكان الذي كان مضطجعاً به . وخالفه مرقس فلم يذكر ملكاً ، وقال : إنهن رأين في القبر شاباً جالساً في القبر عن اليمين . وخالفهما لوقا فقال : إنهن دخلن القبر ولم يجدن جسد يسوع ، وفيما هنّ متحيرات إذ وقف بهن رجلان بثياب براقة ، وأنهما قالا لهنّ : لماذا تطلبن الحي بين الأموات وإنه في الجليل ؟

وخالف يوحنا جميع هذه الأناجيل وقال : إن مريم المجدلية رأت الحجر مرفوعاً فعادت بسرعة إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الذي كان يسوع يحبه وأخبرتهما قائلة : أخذوا السيد من القبر !

٣٤ ـ يفهم من متى أن المرأتين لما انطلقتا لإخبار التلاميذ لقيهما يسوع وقال : سلام لكما .

وخالف مرقس فذكر أنهنّ خرجن سريعاً وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ، ولم يقلن لأحد شيئاً لأنهن كن خائفات ؛ وأنه ظهر أولاً لمريم المجدلية وحدها ، فذهبت وأخبرت الذين كانوا معه ، وهم ينوحون ويبكون ، فلما سمعوا أنه حي وقد نظرته فلم يصدقوا .

وخالف لوقا فقال : إنهن ذهبن وأخبرن الرسل فلم يصدقوهن . وانفرد لوقا بأن بطرس ركض إلى القبر وانحنى ونظر إلى الأكفان وحدها فتعجب بما كان . وأما يوحنا فجعل وصول الخبر إلى التلاميذ على لسان مريم المجدلية وحدها ، وأن الذي ركض إلى القبر اثنان : بطرس والتلميذ الآخر الذي كان المسيح يحبه . وقد سبق هذا صاحبه فنظر إلى الأكفان في القبر ولم يدخل ، ودخل بطرس بعد أن جاء إلى القبر ثم بعد ذلك دخل التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر ، ورأى فآمن .

ثم أتى يوحنا بمريم المجدلية إلى القبر مرة ثانية ، وأنها كانت واقفة تبكي ، ثم انحنت ونظرت في القبر فنظرت ملكين بثياب بيض جالسين واحداً عند رأسه والآخر عند رجليه ، وسألاها عن بكائها فقالت : إنهم أخذوا سيدي ولا أعلم أين وضعوه . ولما قالت ذلك التفتت فرأت المسيح ولم تعلم أنه هو ، وظنته البستاني وقالت له : يا سيد إن كنت حملته فقل لي أين وضعته وأنا آخذه ؟ وأن يسوع قال لها : يا مريم ! فالتفتت وقالت له « ربوني » الذي تفسيره يا « يا معلم » .

٣٥ ـ ذكر مرقس أن يسوع ظهر لاثنين بهيئة أخرى . فأخبرا التلاميذ فلم يصدقوا .

وذكر لوقا أن اثنين كان منطلقين إلى بلدة (عمواس) فاقترب إليهما يسوع وهما يتحاوران فيما كان من حادثة صلب المسيح وقتله وقيامه من الأموات ، وقد أمسكت أعينها عن معرفته فقال لهما : ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين ؟ فأجاب أحدهما الذي اسمه (كليو باس) وقال له : هل أنت متغرّب وحدك في أورشليم ولم تعلم الأمور التي حدثت فيها في هذه الأيام ؟ فقال لهما : وما هي ؟ فقال : المختصّة بيسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في العقل والقول أمام الله وجميع الشعب ، كيف أسلّمه رؤساء الكهنة وحكّامنا لقضاء الموت وصلبوه ، ونحن نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل .

ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدوث ذلك ، بل بعض النساء حيّرتنا إذ كنَّ باكراً عند القبر ، ولما لم يجدنَ جسده أتين قائلات إن هُنَّ رأينَ منظر الملائكة قالوا إنه حيّ ! ومضى قوم من الذين معنا إلى القبر فوجدوا هكذا كما قالت النساء ، وأما يسوع فلم يروه .

فوبّخهما يسوع قائلاً : أيها الغبيّان والبطيئا القلوب . في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء . وفسّر لهما الأمور الغامضة من موسى وجميع الأنبياء ، وأنهما شددا عليه في أن يذهب معهما ففعل ، فلما اتّكأ معهما أخذ خبزاً وكسره وناولهما فانفتحت أعينهما وعرفاه ، ثم اختفى عنهما .

وقد انفرد لوقا بهذه القصة ، وهي تؤيد ما قاله أهل الإسلام ونطق به القرآن من أن المسيح لم يصلب ولم يدفن ، وإنما رفعه الله إليه .

الكلام الأخير قبل الصعود

٣٦ ـ قال متى : وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حين أمرهم يسوع ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكّوا ، فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً : دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ؛ وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به ، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر .

وأما مرقس فقال : أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ، ووبّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذي نظروه قد قام ، وقال : اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها . . . ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله .

وقال لوقا : إنه قال : لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير ، وهو أنه لا بد أن يتألم المسيح ويقوم في الأموات في اليوم الثالث ، وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم . ثم طلب منهم أن يقيموا في مدينة أورشليم ، ورفع يديه وباركهم ، وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء ، فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم .

وأما يوحنا فقد تحدث عن غداء السمك الذي اجتمع عليه المسيح مع تلاميذه والحوار الذي دار بينه وبين سمعان وبطرس حيث سأل الأول أتحبّني ؟ ثلاث مرات ، ثم سأل الثاني ، ولم يذكر صعوده إلى السماء . ولا يخفى على القارىء الكريم أن كل واحد من أصحاب الأناجيل تحدث عن شيء لم يتحدث عنه الآخر ، فمتى زعم أن يسوع طلب في آخر كلام معهم أن يعمّدوا باسم الآب والابن والروح القدس ، ومرقس نقل توبيخ المسيح لهم ووصفه لقساوة قلوبهم ، وطلب منهم أن يكرزوا بالإنجيل الخليقة . وقد تعرض لأمر عظيم لا نعلم من أي جهة استقى ذلك فقد ذكر أن المسيح صعد ألى السماء وجلس عن يمين الله ، فكيف علم ذلك مع أن المسيح وبخهم على عدم إيمانهم ؟ فليس لهم هذا الإيمان العميق ليصلوا إلى هذا المقام العظيم ، كما أن المسيح لم يخبرهم بذلك .

وأما لوقا فقد تحدث عن مسألة الفداء حيث فدى يسوع البشرية بنفسه . وأما يوحنا فلم يتحدث عن شيء من ذلك .

ومن خلال هذه المقارنة المطولة وكشف التناقضات بين الأناجيل تعرف أن لكل إنجيل مسيحه الخاص وفكرته الخاصة عن يسوع . .

هذا غيض من فيض من التناقضات الواردة في الأناجيل في حادثة واحدة ، وقد أنهاها (ياركز) إلى ثلاثين ألفاً[1] . والقسيس « ميل » إلى نيِّف ومائة ألف . ويقول

---

(١) yarkz في ج ٥ من تفسيره .

« شولز » إنها لا تحصى . وفي دائرة المعارف البريطانية والفرنسية زهاء مليون ، وقد يعترف بهذه الاختلافات والتناقضات الكثير من علماء النصارى أمثال اكهارن - كيس - هيس - ديوت - ويز - فرش .

هذا بالإضافة إلى الاختلافات بين النسخ والتراجم والأغلاط والتناقضات . . وبيان هذه الأمور يحتاج إلى عدة مجلدات ضخمة[1] .

زبدة المخض ونهاية المطاف

من خلال هذه الرحلة الطويلة في حادثة صلب المسيح - وهي أعظم حادثة في حياته - يتضح للقارىء اللبيب أن مسألة صلب المسيح وخروجه من قبره لا حقيقة لها ، وإلا لما كان هذا التناقض العجيب ؛ هذا بالإضافة إلى أن المسيحيين غير مجمعين على القول بصلب المسيح ، بل هناك طوائف منهم تنفي الصلب والقتل عنه ، ومن القائلين بذلك (الساطرنيوسيون) و (الباردیسیانیون) و (التاتیانیسیون) و (البارسكاليونيون) و (البولسيون) وهذه الحقيقة نجدها في تاريخهم « موسيهيم » الذي يدرس في مدارس اللاهوت الإنجيلية .

وممن ذهب إلى ذلك من علماء النصارى المسيو « أرادواسیوس » الفرنسي الأستاذ في مدارس اللاهوت الإنجيلية ، كما جاء في كتابه (عقيدة المسلمين في بعض مسائل النصرانية ص ٤٩) . والقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يقول بكل صراحة : ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم** ﴾ فقد ألقي شبهه على غيره فغلط اليهود وظنوا أنه المسيح فقبضوا عليه وقتلوه على أنه المسيح ، وما ذهب إليه القرآن هو مذهب بعض الطوائف من النصارى :

منهم « الباسيليديون » الذين يعتقدون بأن يسوع لما كان ذاهباً لمحل الصلب ألقي شبهه على (سيمون السرثاي) تماماً ، وألقى شبه (سيمون) عليه ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه (اليهود) الغالطين .

ومنهم (السرنثيون) فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى ، وقد عثر على فصل من كلام الحواريين وإذا كلامه كلام الباسيلديين ، وقد صرّح القديس

---

(١) راجع كتاب المقارنات بين الكتب السماوية ص ٤٠٨ - ٤٢٩ .

برنابا في إنجيله باسم الذي صلب بدل عيسى وهو يهوذا .

وقال الهر « ارنست دي بونس » الألماني في كتابه « الإسلام أي النصرانية الحقة ص ١٤٢ ما ملخصه أن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات « بولس » ومن شبهات الذين لم يروا المسيح ، لا من أصول النصرانية الأصلية .

وقال فوتيوس : إنه قرأ كتاباً يسمى : رحلة الرسل فيه أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وتوما وبولس . ومما قرأوا فيه : « إن المسيح لم يصلب ولكن صلب غيره ، وقد ضحك بذلك من صالبيه » .

وقد حرمت مجامعهم الأولى قراءة الكتب التي تخالف الأناجيل الأربعة فصار أتباعهم يحرفون تلك الكتب ، وما سلم منها نجد أنه ينكر الصلب وفقاً للقرآن كإنجيل برنابا .

إنجيل برنابا وحادثة الصلب

إنَّ القارىء لإنجيل برنابا يحس في أعماقه بأنه يعيش مع المسيح في تقواه وعبوديته لله ، ويشعر بصدق الكاتب وإيمانه العميق برسول الله عيسى بن مريم الذي غرس في قلب تلميذه برنابا الإيمان والصدق ، وقد طلب الأستاذ من التلميذ أن يكتب عنه حيث التفت إليه قائلاً :

« يا برنابا ، عليك أن تكتب إنجيلي حتماً ، وما حدث في شأني مدة وجودي في العالم ، واكتب أيضاً ما حلَّ بيهوذا ليزول انخداع المؤمنين ويصدق كل أحد الحق[1] » .

وهكذا حقق الله أمنية السيد المسيح حيث بقي إنجيل برنابا آية لإظهار الحق وكشف الحقيقة حول صلب المسيح ، وغيرها من العقائد التي لم يقل بها المسيح أصلاً . لقد بقي إنجيل برنابا مصوناً من التحريف يدعو إلى التوحيد بأسلوب حكيم وعبارات بليغة نسجت بحروفٍ من نور الحقيقة لتعكس النور الذي كان يشعّ في قلب

(١) إنجيل برنابا : ١٢١/١ ـ ٢ .

برنابا ، ومن ذلك النور شعّت أنوار الحق لتكون شواهد صدق وأعظم حجة على النصارى .

وقد امتاز برنابا بقوة التفكير ، والحكمة العالية ، والدقة البارعة ، والعبارة البليغة ، وهو أعظم كتاب تملكه الكنيسة وتفتخر به لولا أتباع الهوى والبدع في تحريمها لهذا الكتاب العظيم ؛ فهو الكتاب الوحيد الذي يشبع العقل ويروي الظمآن من الحيرة ويعصم من الإنحراف والتشكيك الذي تزرعه الأناجيل الأربعة في قلب مطالعيها ؛ إنه الكتاب الذي يروي حياة المسيح وينقل أقواله وحكمه المضيئة التي تتلألأ نوراً على صفحاته بما لا يدع مجالاً للشك في أن هذه الحكمة ليست لإنسان عادي ، بل هي لرسول الله عيسى بن مريم . وهو الكتاب الوحيد الذي يجب أن يعتمد عليه في فهم العقيدة النصرانية الحقيقية ؛ وإن حاول مترجمه إلى اللغة العربية الدكتور سعاده أن يلقي الشكوك حوله ، حيث زعم أن مؤلفه كان رجلاً يهودياً ثم تنصّر وتعمق في النصرانية ، ثم أسلم وتعمّق في الإسلام ، وكتب بعد ذلك الكتاب .

وما علينا إلا أن نأسف لهذا الدكتور الذي ينزل إلى هذا المستوى من ضحالة الفكر لكي يشكك في نسبة الكتاب إلى برنابا ، فمن الذي يسع عمره لكي يتعمق في الأديان الثلاثة حتى يصل إلى أعظم المراتب ، ثم يكتب هذا الكتاب ؟ ولو فرضنا أن الذي كتبه أسلم في آخر حياته كما زعم ، فمن الذي وضع كتابه هذا في مكتبة البابا ؟ وقد اتّفق المؤرخون على أن النسخة الأصلية لهذا الإنجيل هي النسخة الإيطالية التي كانت في مكتبة بابا روما (سكتس الخامس) ، وقد اختلس هذه النسخة راهب اسمه (فرامرينو) ، وعن طريقه وصلت تلك النسخة إلى مكتبة أحد مستشاري ملك بروسيا ، ثم انتقلت إلى البلاط الملكي في ڤينا سنة ١٧٣٨ م . ولا تزال موجودة هناك حتى الآن . وقد اعترف المترجم بنفسه أن الكنيسة حرّمت هذا الإنجيل ورمت كاتبه بالزندقة ، وكان ذلك على لسان البابا (جلاسيوس) الأول الذي جلس عل الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ . والذي حرم كتباً من عدادها إنجيل برنابا . ويؤيد هذا المطلب ما جاء في دائرة المعارف البريطانية التي ذكرت أن البابا جيلاسيوس الأول ٤٩٢ ـ ٤٩٦ أصدر حكماً قاطعاً بتحريم الأناجيل التالية في الأقطار المسيحية[1] :

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ط ١٣ ج٢/ ١٨٠ تحت عنوان : . apocrypha literature

إنجيل (برنابا) ، إنجيل (تدويس) ، إنجيل (هيمس) ، إنجيل (برتولوماس) ، إنجيل (اندريو) .

والبابا جيلاسيوس الأول جلس على الكرسي البابوي في عام ٤٩٢ أي قبل الإسلام بـ ١١٨ سنة . ونحن لا نحتاج إلى إثبات صحة هذا الإنجيل وإنما المطلوب من كل مسيحي أن يقدِّس هذا الكتاب ويؤمن به لِأنَّه يذود عن ساحة السيد المسيح المقدسة الأكاذيب والإفتراءات التي تنسبها له الأناجيل الأربعة المعترف بها .

والذي يتميز به إنجيل برنابا هو أن عباراته متراصّة وأسلوبه رائع في عرض حياة المسيح ، وهذا ما يجذب القارىء لكي يشعر بأنه يعيش في عصر المسيح وكأنه يشاهد تلك الصور الرائعة في حياته ؛ ومن راجع حادثة الصلب يقطع بصحة هذا الكتاب . وإليك قصة الصلب برواية برنابا :

« ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنوّ جمٍّ غفير ، فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً ، وكان الأحد عشر نياماً ، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبرائيل وميخائيل ورفائيل وأوريل أن يأخذوا يسوع من العالم ، فجاؤوا واخذوا يسوع من النافذة . .

ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياماً ، فأتى الله العجيب بأمر عجيب فتغير يهوذا في المنطق وفي الوجه فصار شبهاً بيسوع ، حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع ، أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ، لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيد هو معلمنا ، أنسيتنا الآن ؟ أما هو فقال مبتسماً : هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفوا يهوذا الاسخريوطي ؟ وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه .

أما نحن فلما سمعنا قولِ يهوذا ورأينا جمهور الجنود هربنا كالمجانين[1] » .

ثم فصّل برنابا قصة أخذ الجنود ليهوذا وكيف كان يصيح بأنه ليس هو المسيح ، وما جرى عليه من الضرب والشتم والاستهزاء ، حتى صلب في النهاية بدلاً من المسيح (عليه السلام) ، وقد بيّن برنابا كيف أنه شكّ هو ومريم العذراء

---

(١) إنجيل برنابا : ١١٥/١ ـ ١١ .

وسائر التلاميذ ، وكانوا يعتقدون أن المسيح هو الذي صلب حتى نزل المسيح (عليه السلام) وكشف لهم الحقيقة ، وعانق أمّه قائلاً : « صدّقيني إني لم أمت قط ، لِأنَّ الله قد حفظني إلى قرب انقضاء العالم » .

وبعد أن استرجع الكل قواهم الفكرية والعقلية وعرفوا المسيح ، سأل برنابا يسوع (عليه السلام) :

يا معلّم ، إذا كان الله رحيماً فلماذا عذبنا بهذا المقدار بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتاً ؟ ولقد بكت أمك حتى أشرفت على الموت ، وسمح الله أن يقع عليك عار القتل بين اللصوص على جبل الجمجمة ، وأنت قدوس الله ؟ فأجاب يسوع :

« صدّقني يا برنابا إن الله يعاقب على كل خطيئة مهما كانت طفيفة عقاباً عظيماً ، لأن الله يغضب من الخطيئة ، فلذلك لما كانت أمي وتلاميذي الأمناء الذين كانوا معي أحبّوني قليلاً حباً عالمياً أراد الله البرّ أن يعاقب على هذا الحب بالحزن الحاضر ، حتى لا يعاقب عليه بلهب الجحيم . فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله ، على أني كنت بريئاً في العالم ، أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنني أنا الذي متّ على الصليب ، لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة ، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله ، الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله[1] » .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم ، وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه ما لهم به من علمٍ إلا اتّباع الظن ، وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً * وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾[2] .

وهذا التعليل الذي ذكره يسوع لبرنابا هو زبدة توحيد الأولياء لأن الحب

---

(١) إنجيل برنابا : ٢٢٠/١٤ ـ ٢٠ راجع الفصل ١١٥ إلى آخر الكتاب .

(٢) سورة النساء : الآية ١٥٧ ـ ١٥٩ .

الحقيقي لا ينبغي أن يكون لغير الله ، ولكي تكـون مسألـة الصلب حجة كـاملة على الـذين ألّهوا المسيـح أو جعلوه ابن الله ، فـإذا كـان إلهـاً أو ابن الإلـه فكيف يعـذّب بالصلب ، وبهذه القتلة الشنيعة ؟!

﴿ وإذ قـال الله يا عيسى بن مـريم أأنت قلت للنـاس اتّخـذوني وأمّي إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقـد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علاّم الغيوب ﴾[1] .

دلالة الأناجيل الأربعة على أن المصلوب غير المسيح

إن من أمعن النظر في الأناجيل الأربعة ودقق في عبـاراتها ونصـوصها يجـد أن المصلوب هو شخص آخر غير السيد المسيح ، كما صرّح بذلـك برنـابا في إنجيله ، ونصّ عليه القرآن الكريم ، وهذا ما يدعونا إلى طرق الأناجيل الأربعة ونقل نصوصها وتحقيقها .

فإذا رجعنا إلى هذه الأناجيل نجد أن المسيح كان معروفاً عند اليهود بفصاحتـه وبيانه ، ومحاجّته للكهنة ، وكان اليهود يتعجبون من ذلـك حيث أنهم كانـوا يعرفـونه بأمه وأبيه ، ويتعجبون من ذكـائه ، وأنـه لم يتعلم عند أحـد ، ومع ذلـك تغلّب على الكهنة والعلماء .

ففي متى :

« ولمـا جاء (المسيـح) إلى وطنه كـان يعلمهم في مجمعهم حتى بهتـوا وقالوا : من أين لهذا هذه الحكمـة والقوات ؟ أليس هـذا ابن النجار ؟ أليست أمه تُدعى مريم ، وأخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا ؟ »[2] .

وفي لوقا :

« وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمـة الخارجـة من فمه ويقولون : أليس هذا ابن يوسفـ[3] ؟ » .

---

(١) سورة المائدة : الآية ١١٦ .

(٢) متى : ١٣/٥٤ ـ ٥٥ . مرقس : ٦/١ ومابعده .

(٣) لوقا : ٤/٢٢ .

وفي يوحنا :

« **ولمّا كان العيد قد انتصف صعد يسوع إلى الهيكل وكان يعلّم ، ويتعجب اليهود قائلين : كيف يعرف هذا الكتب وهو لم يتعلّم**[1] » .

فهذه النصوص تدل بلا شك على معرفة اليهود التامة بالمسيح ، ومعرفتهم بأبيه وأمه وإخوته ، وهذا يدل بوضوح على أن المصلوب الذي شكّ به التلاميذ ومريم هو غير المسيح ، ومن المستحيل عادة أن يشك التلاميذ بالمسيح الذي عاشوا معه مدة من الزمن ، هذا بالإضافة إلى أنه كان معروفاً لجميع اليهود بأبيه وأمه ، فليس من المعقول أن يشكّوا بنفس المسيح لأنهم كانوا يعرفونه تماماً ، وليس شكهم إلا لأن الذي صلب كان شبيهاً به ؛ ومن هنا سأل رئيس الكهنة المسيح المزعوم الذي صلبوه قائلاً له :

« **أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟ قال له يسوع : أنت قلت**[2] » .

وفي لوقا :

« **فقال الجميع : أفأنت ابن الله ؟ فقال لهم : أنتم تقولون إني أنا هو**[3] » .

وهذا دليل صريح على أنه ليس هو المسيح ، وإلا لقال لهم أنا ، كما قال لهم عندما حاصره الجنود فخرج إليهم المسيح وقال لهم :

« **من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصري ، فقال لهم : أنا هو . . . فسألوه ثانياً فأجاب : قلت لكم أنا هو**[4] » .

ويمكن لنا أن نكشف سر قول يهوذا ـ الذي صلبوه على أنه المسيح ـ : « أنتم تقولون ذلك ولم يجب » من نفس الأناجيل ، وهذا مما يؤكد لنا أن المسيح لم يصلب . فقد جاء في متّى ولوقا أن :

---

(١) يوحنا : ٧/١٤ .
(٢) متى : ٢٦/٦٣ .
(٣) لوقا : ٢٢/٧٠ .
(٤) يوحنا : ١٨/٤ ـ ٥ .

« مشيخة الشعب سألوه : إن كنت أنت المسيح فقل لنا ، فقال لهم : إن قلت لكم لا تصدقون ، وإن سألت ما تجيبون وما تطلقوني منذ الآن يكون المسيح جالساً عن يمين قوة الله فقال الجميع : أفأنت ابن الله ؟ فقال لهم : أنتم تقولون إني أنا هو(١) » .

وقد صوّر برنابا الموقف وكيفية دخول يهوذا إلى غرفة المسيح حينما جاؤوا للقبض عليه بما ينطبق تماماً مع ما بيّناه فقال :

« ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع ، فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا في المنطق وفي الوجه فصار شبيهاً بيسوع ، حين أننا اعتقدنا أنه يسوع ، أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ، لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيد هو معلمنا ، أنسيتنا الآن ؟ . . .

فقال متبسماً : هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطي ؟ وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه(٢) » .

وكلام يهوذا في متى صريح في أنه لو قال الواقع وهو أنه ليس هو المسيح عيسى بن مريم لما صدّقوه . لأنه يشبهه صورة وصوتاً ، وحينما قبضوا عليه لم يكن هناك أحد غيره على صورة المسيح ، فكيف يصدّقونه في أنه ليس هو المسيح ؟ وقد عرف ذلك فصارحهم بالحقيقة وقال لهم : إن قلت لكم ما تصدقون ، وإن سألت ما تجيبون وما تطلقوني .

برنابا والخلاف بعد المسيح

لقد كشف برنابا عن الخلاف الذي وقع بين التلاميذ بعد صعود المسيح ، وصرَّح بأنَّه الباحث على كتابة إنجيله ، وذلك في أول وآخر فصل منه ، وهذه سيرة أتباع الأنبياء وأصحابهم عبر التاريخ ، فإن أصحابهم كانوا نور الهداية للناس وحملة مشاعل العلم والمعرفة ، كما أن بعض أتباعهم كان مبعث الشقاق والخلاف بين

---

(١) لوقا : ٢٢/٦٦ - ٧٠ ، ومتّى : ٢٦/٦٣ .

(٢) إنجيل برنابا : ١١٥/١ - ١١ .

الناس حيث إن الأصحاب كانوا أول من ينحرف عن تعاليم الأنبياء لاغترارهم بالدنيا الفانية ، واتّباعهم الشهوات والأهواء .

قال برنابا :

« وبعد أن انطلق يسوع تفرقت التلاميذ في أنحاء إسرائيل والعالم المختلفة ، أما الحق المكروه من الشيطان فقد اضطهده الباطل كما هو الحال دائماً ، فإن فريقاً من الأشرار المدّعين أنهم تلاميذ بشّروا بأن يسوع مات ولم يقم ، وآخرون بشّروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام ؛ وآخرون بشّروا ولا يزالون يبشرون بأنّ يسوع هو ابن الله ، وقد خدع في عدادهم بولس »[1] .

وقد بيّن برنابا السبب في كتابته الإنجيل في أوّل فصل منه حيث قال :

« أيها الأعزاء ، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيّه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم ، والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً ، مجوّزين كل لحم نجس ، الذي ضلّ في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه ، إلا مع الأسى ، وهو السبب الذي لأجله أسطّر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع ، لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله ، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضادّ لما أكتبه لتخلصوا إخلاصاً أبدياً[2] » .

وعليه فإن كلام برنابا واضح في أن سبب كتابته للإنجيل هو تعاليم الكفر التي أخذ بولس وغيره بإشاعتها وتعليمها للناس ، وهي على خلاف تعاليم يسوع المسيح ، ولكي نكشف عن هذه التعاليم التي أدخلت إلى الدين المسيحي ، ونطّلع على العقائد الوثنية التي أدخلها بولس في النصرانية التي شيّد أركانها والباقية إلى يومنا هذا ، لا بدّ لنا أن نتعرف أولاً على بولس ، من هو ؟ وكيف آمن بيسوع وأصبح من كبار دعاة الكنيسة ؟ وذلك من خلال نفس الكتاب المقدس .

---

(١) إنجيل برنابا : ٢٢٠/١ ـ ٦ .
(٢) إنجيل برنابا : ١/١ ـ ٩ .

من هو بولس ومتى تنصّر

لكي لا نُرمى بالغلوّ ولا يكون حكمنا على بولس مبالغاً فيه ، ولكي يكون الحكم عليه بيد القارىء الكريم ، لا بدّ لي أن أطرق باب العهد الجديد كي يعرّفنا على شخصيته ، وبقلم بولس نفسه . يقول بولس في تعريف نفسه :

« أنا رجل يهودي ولدت في طرطوس كيليكه ولكن ربيت في هذه المدينة (أورشليم) »[1] .

ويقول أيضاً في رسالته لِأهل غلاطية :

« فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثير من أترابي في جنسي ، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي »[2] .

ويقول أيضاً : « فسيرتي منذ حداثتي التي من البداءة كانت بين أمّتي في أورشليم يعرفها جميع اليهود عالمين بي من الأول ، إن أرادوا أن يشهدوا أني حسب مذهب عبادتنا الأضيق عشت فريسياً[3] » .

---

(١) أعمال الرسل : ٢٢/٣ .

(٢) غلاطية : ١/١٣ ـ ١٤ .

(٣) أعمال الرسل : ٢٦/٤ ـ ٥ ، إن من دقق النظر في أعمال الرسل وسائر رسائل الرسل يرى أنها من وضع بولس ، بالإضافة إلى رسائله الخاصة .

وعليه فإن بولس بتعريف نفسه هو ذلك اليهودي المتعصب الذي ارتاض رياضة فريسية ـ (وهي من أعلى درجات التصوف) ـ حتى فاق أقرانه ، وكان أشدّهم تعصباً ليهوديته ؛ وهذا التشدد والتعصب ظهرا عملياً في حياته ، حيث إنه قاد أكبر الحملات ضد المسيح (عليه السلام) وأتباعه ، فكان يضطهدهم حتى الموت ، ويزجّهم في غياهب السجون رجالاً ونساءً لا تأخذه فيهم رحمة(١) .

وقد قام بولس بأعمال عديدة مضادّة ليسوع الناصري . يقول بولس : « فأنا ارتأيت في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أموراً كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري ، وفعلت ذلك أيضاً في أورشليم فحبست في سجون كثيرين من القديسين آخذاً السلطان من قِبَل رؤساء الكهنة ، ولما كانوا يُقتلون ألقيت قرعة بذلك ، وفي كل المجامع كنت أعاقبهم مراراً كثيرة وأضطرّهم إلى التجديف ، وإذا فرط حنقي عليهم كنت أطردهم إلى المدن التي في الخارج(٢) » .

« لقد كان بولس لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الربّ إلى أن تقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات ، حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً ونساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم(٣) » .

وعليه فإن بولس هو أشد الأعداء الذين عرفوا بعداوتهم للمسيحيين ، وهو ذلك القاتل الذي قتل الكثير منهم ، وعذب الكثير منهم مرّات في المجامع العامة ، ونفي الكثير منهم إلى خارج البلاد ، هذا ما عرف به بولس بين اليهود كما اعترف هو بذلك .

فهو العدو الحاقد على المسيح والمسيحيين ، الذي عمل الكثير من أجل القضاء على تعاليم المسيح ، كما صرّح بنفسه : « ارتأيت في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أموراً كثيرة مضادّة لاسم يسوع الناصري » .

فهذا تاريخه مع المسيحيين : قتلٌ وتشريدٌ وزجٌّ في السجون ، وهذه العداوة المستحكمة فيه والتي تفرّد بها عن أبناء جنسه هي التي جعلت رؤساء الكهنة

---

(١) أعمال الرسل : ٢٢/٤ .

(٢) أعمال الرسل : ٢٦/٩ ـ ١١ .

(٣) أعمال الرسل : ٩/١ ـ ٢ .

يعتمـدون عليه كـل الاعتماد ، ويختـارونه على غيـره لكي يلاحق المسيحيين الـذين هربوا من أورشليم إلى دمشق ، وأفلتوا من سطوتـه : « ولما كنت ذاهبـاً في ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة[1] » .

فهـو المبعوث الخـاص لكل الكهنـة إلى دمشق : (كما يشهـد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذ أخـذت أيضاً منهم رسـائل لـلأخوة في دمشق ذهبتُ لِآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا)[2] .

فبولس لم يكن يلاحق المسيحيين في أورشليم فحسب ، بل فوّض إليه الكهنة والمشايخ ملاحقتهم في كل مكان ، ومن الواضح أن هذه المنـاصب إنما أعـطيت له لما كان يكنّه من عداوة لهم .

كيفية تنصّر بولس

لقد تحدّث بولس عن كيفية تنصّره بنفسه بعد الفقرة التي صـرّح فيها بـأنه كـان مبعـوثـاً خـاصـاً من قبـل رئيس الكهنـة ، والكهنـة والمشـايـخ لمـطاردة المسيحيين وملاحقتهم إلى دمشق ، والإتيان بهم إلى أورشليم لمعاقبتهم ، فقال :

« فحدث لي وأنا ذاهب قريب دمشق أنه نحـو نصف النهار بغتـةً أبـرق حـولي من السمـاء نور عـظيم ، فسقطت على الأرض ، وسمعت صـوتاً قـائلاً لي : شـاول شـاول (أي بولس) لمـاذا تضطهـدني ؟ فأجبت : من أنت يـا سيد ؟ فقـال لي : أنا يسـوع الناصـري الذي أنت تضـطهده ، والـذين كانـوا معي نظروا النـور وارتعبـوا ، ولكنهم لم يسمعـوا صـوت الـذي كلمني ؛ فقلت : مـاذا أفعـل يـا ربّ ؟ فقـال لي الرب : قم واذهب إلى دمشق ، وهناك يقال لك عن جميع ما تـرتب لك أن تفعـل ، وإذ كنت لا أبصر من أجل بهـاء ذلك النـور ، اقتادني بيـدي الذين كـانوا معي فجئت إلى دمشق »[3] .

وقد أعاد بولس مرة ثانية كيفية تنصّره في أعمال الرسل ، وكيف ظهر له النور ،

---

(١) أعمال الرسل : ٢٦/١٢ .
(٢) أعمال الرسل : ٢٢/٥ - ٦ .
(٣) أعمال الرسل : ٢٢/٦ - ١١ .

ونحن ننقل كلامه بالنص لكي يكتشف القارىء الكريم بولس بنفسه :

قال بولس : « ولمّا كنت ذاهباً في ذلك إلى دمشق بسلطان ووصيّة من رؤساء الكهنة رأيت في نصف النهار في الطريق نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي ، فلمّا سقطنا جميعاً على الأرض سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ صعبٌ عليك أن ترفس مناخس . فقلت أنا : من أنت يا سيد ؟ فقال : أنا يسوع الذي أنت تضطهده ، ولكن قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذاً إيّاك من الشعب ، ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلماتٍ إلى نور ، ومن سلطان الشيطان إلى الله ، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين »(1) .

وهنا لا بد لنا من وقفة تأمّل أمام كلام بولس ، وما فيه من تناقض يكشف لنا حقيقة هذا الرجل .

أولاً : هل يمكن لإنسان كرّس حياته في الرياضة الفريسية ، وكان مقدماً على أقرانه في الصوفية اليهودية ، والذي قتل وشرّد وطارد المسيحيين ، ولا تزال يديه ملطختين بدمائهم ؛ وهو في طريقه للقبض عليهم وإرجاعهم إلى أورشليم فهل يمكن أن يؤمن بالمسيح بهذه العجالة ، وهو في أوج قدرته وسلطانه؟ ، حيث كان مبعوثاً خاصاً من قِبَل رئيس الكهنة والكهنة والشيوخ ليلاحق النصارى ويعتقلهم في دمشق ؟

ثانياً : لماذا آمن بعد صلب يسوع وصعوده إلى السماء ، وإذا لم تؤثر فيه معجزات وكلمات المسيح وهو حيّ فكيف أثرت فيه بعد موته ؟ فهل أن المسيح كان مانعاً من إيمانه ، وبعد موته آمن بالمسيح ، أم أن في ادّعائه الإيمان بالمسيح بعد موته وفي حال تأدية وظيفته سراً آخر لا بدّ أن ينكشف لنا في الصفحات القادمة ؟

ثالثاً : تناقض كلامه في الأصحاح ٢٢ والأصحاح ٢٦ :

١ ـ فقد قال في الأول : « إنه نحو نصف النهار أبرق لي حولي من السماء نور عظيم » .

---

(١) أعمال الرسل : ٢٦/١٢ ـ ١٨ .

أما في الثاني فقال : « رأيت في نصف النهار في الطريق نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي » . فالنور أبرق حوله خاصة في الكلام الأول ، وفي الثاني حوله وحول الذين كانوا معه .

٢ ـ وقال في الأول : « فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قائلاً : شاول شاول لماذ تضطهدني » .

وفي الثاني قال : « فلما سقطنا جميعاً على الأرض سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية : شاول لماذا تضطهدني » .

ففي الكلام الأول سقط بنفسه دون الآخرين ، وفي الثاني سقطوا جميعاً .

٣ ـ وفي كلامه الأول قال : « والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي يكلمني » . بينما لم يشر إلى هذا المعنى في الثاني ، ولكن كلامه الأول يتناقض تماماً مع ما جاء في الأصحاح التاسع ، فقد جاء فيه أن « المسافرين معه وقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً »[1] .

٤ ـ قال في الأول : « فأجبت من أنت يا سيد ؟ فقال لي : أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده ، فقلت : ماذا أفعل يا ربّ ؟ فقال لي الرب : قم واذهب إلى دمشق ، وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل » . فقد أحاله يسوع إلى دمشق ليأخذ تكليفه من هناك ، فذهب إلى دمشق وهناك كلّفه حنانيا بعد أن وضع يده على عينيه فارتد بصيراً .

بينما في الأصحاح ٢٦ قال له : « ولكن قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذاً إياك من الشعب ، ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ، ومن سلطان الشيطان إلى الله ، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين » .

وهذا الكلام صريح في أن المسيح أرسله وكلفه بتبليغ دعوته ، وهذا يناقض الكلام الأول الذي أمره فيه أن يذهب إلى حنانيا حتى يقول له ماذا يجب عليه أن

---

(١) أعمال الرسل : ٩/٧ .

يفعل : « وهو رجل تقي حسب الناموس ومشهودٌ له من جميع اليهود »[1] .

وهو الذي كلفه وفتح عينيه ، ودعاه للدعوة إلى شريعة المسيح ؛ كما أنه أدّعى في الأصحاح ٢٢ أنه عمي من بهاء ذلك النور الذي ظهر له حتى قاده الذين كانوا معه إلى دمشق ، وأما في الأصحاح ٢٦ فلم يقل إنه عمي ، ومع هذا التناقض في كلام بولس والإدّعاء تارة بأنه كلّف من نفس المسيح بتبليغ الرسالة ، وأخرى من قبل حنانيا ، هل يمكن للعاقل أن يصدّق بولس في دعواه الإيمان بيسوع ، وإرساله له إلى العالم بعدما كان أكبر أفعى تنفث الحقد والبغض للمسيح وأتباعه ، وبعد أن قتل تلاميذه وطارد المسيحيين تحت كل حجر ومدر ؟

ونحن لا نريد الحكم على بولس هنا ، وإنما نعود إلى نفس بولس ليحدثنا عن موقف التلاميذ وسائر الناس منه لمّا أعلن إيمانه بالمسيح ، ومن الطبيعي أن كيفية إيمان بولس لا يصدق بها الجاهل فضلاً عن العاقل ، وخاصة لمن كان يعرفه ويعرف مواقفه من المسيح وأتباعه ؛ ولذا عرف بولس بأن الناس لا يصدقونه في دعواه الإيمان ، فقال :

وحدث لي بعدما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلي في الهيكل أني حصلت في غيبة، فرأيته قائلاً لي: أسرع وأخرج عاجلاً من أورشليم لِأنهم لا يقبلون شهادتك عني . فقلت : يا رب هم يعلمون أني كنت أحبس وأضرب في كل مجمع الذين يؤمنون بك ، وحين سفك دم استفانوس شهيدك كنت أنا واقفاً وراضياً بقتله ، وحافظاً ثياب الذين قتلوه . فقال لي : اذهب فإني سأرسلك إلى الأمم البعيدة »[2] .

بهذه الكلمات أراد بولس أن يتم المسرحية ، ويقول للذين يعرفونه : بأنني مرسل إلى الأباعد من الناس ، لأنه كان يعرف تماماً أنه لا يصدقه أحد من الناس وخاصة الذين يعرفونه ، ولذا لمّا قصّ كيفية تنصُّره في مجلس الملك أغريباس قال فستوس بصوت عظيم :

---

(١) أعمال الرسل : ١٢/٢٢ ، من هذا الكلام تكشف لنا كثير من الأمور ، فهذا حنانيا المشهود له بالتقوى من جميع اليهود وهو من أعدل الناس عندهم ، والمعروف بالتقوى والعمل بالناموس ، واليهود هم الذين قتلوا المسيح وطاردوا أتباعه ، كيف يمكن للمسيح أن يجعل حنانيا المتفاني باليهودية واسطة بينه وبين شاول ، ومن الداعين إلى رسالته ؟.

(٢) أعمال الرسل : ١٧/٢٢ ـ ٢١ .

« أنت تهذي يا بولس ، الكتب الكثيرة تحوّلك إلى الهذيان[1] » .

ومن هذا الكلام نفهم أن نفاق هذا الرجل كان لا ينطلي على الذين عرفوه وسمعوا كلامه ، ولذا صاح فستوس بذلك الصوت العظيم لما سمع كلامه وقوله : الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان ، إشارة إلى كثرة الكتب التي كان يكتبها عن المسيح وشريعته أو الكتب الكثيرة التي كان يطالعها في الدين اليهودي أو الفلسفة اليونانية ، ومن هنا نجد أنَّ أكثر الرسائل في العهد الجديد هي له باعتراف الجميع . ولسنا نحن الذين لا نصدق كلام بولس ، وإنما اتبعنا في هذه الحقيقة تلاميذ المسيح الذين كانوا أعرف الناس به ، فلذا رفضوا دعواه تلك كما رفضها سائر الناس . ففي أعمال الرسل :

« أما شاول (بولس) فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق ، إلى الجامعات »[2] .

وبعد أن ظهر عليه النور وحصل له ما حصل ورجع إلى أورشليم « حاول أن يلتصق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنَّه آمن ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل ، وحدَّثهم كيف أبصر الرب في الطريق ، وأنَّه كلَّمه ، وكيف جاهر في دمشق بإسم يسوع ، فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر بإسم الرب يسوع »[3] .

ومن تعمق في هذا الكلام يتضح له السر والمهمة التي كان بولس يقوم بها من خلال إعلانه الإيمان برسالة يسوع ، ودعواه إرسال يسوع له إلى الأمم والشعوب ، لقد أراد بولس من هذا الإنقلاب المفاجىء أن يدخل إلى صفوف التلاميذ وينقض تعاليم المسيح من الداخل باسم المسيح، كما هي عادة المنافقين في تحريفهم لتعاليم الأنبياء في جميع الأديان السماوية ؛ وهذه الدعوة ليست مجرد حدس وتخرّص ، بل هي الحقيقة التي نفهمها من كلام الإنجيل :

---

(١) أعمال الرسل : ٢٦/٢٤ .
(٢) أعمال الرسل : ٩/١ ـ ٢ .
(٣) أعمال الرسل : ٩/٢٦ ـ ٢٨ .

« ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونه فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل ، وحدّثهم كيف أبصر الرب ، فكان معهم يدخل ويخرج من أورشليم » .

وإلا لماذا لم يلتصق إلا بالتلاميذ ، ولماذا كان لا يفارقهم حتى كان دخوله وخروجه معهم ، وهل كان ذلك إلا لمراقبة تحركاتهم ورصد خططهم والإطّلاع على أفكارهم وطريقة تبليغهم للرسالة ؟

وبهذه الطريقة استطاع بولس أن يخدع التلاميذ ، وخاصة برنابا الذي كان يتحلى بالتقوى والطهارة والبساطة أكثر من غيره من التلاميذ ، ولذا قبل كلامه وتشفّع له عند الرسل ؛ ولكن برنابا بعد أن كُشف له بولس وكُشفت له تعاليمه المضلّة ، كتب إنجيله لكي لا يضلّ الناس بولس وغيره ، كما سبق ونقلنا كلامه . وقد أشار العهد الجديد إلى الخلاف الذي حصل بين برنابا وبولس :

« فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة[1] » .

« فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر[2] » .

ومن هنا يحق لكل إنسان أن يتساءل حول بولس .

كيف أصبح من قادة المسيحيين وهو لم يكن في يوم من الأيام من تلاميذ المسيح أو المحبين له أو لأتباعه ، وإنما كان سفاكاً وأفعى تنفث عليهم الحقد والسموم ، وترميهم بشتى أنواع العذاب والحيل ، وتطاردهم في كل مكان ؟

لقد انقلب بولس فجأة وأصبح من الدعاة إلى ربوبية المسيح حتى أصبحت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطابعه ، والسؤال المهم هنا ليس كيف انتقل بولس من الكفر بالمسيحية إلى الإعتقاد الشديد بها ، فإن لذلك نظائر في تاريخ الأديان بل العجب كل العجب أن ينتقل شخص من الكفر المطلق بدين إلى أن يصبح أعظم داعية للدين الذي كان كافراً به ، وهذا ليس له نظير في تاريخ الأديان ولكن بولس استطاع أن يتغلب على المقاييس ويصبح من أكبر زعماء النصرانية . وبهذه الطريقة

---

(١) أعمال الرسل : ١٥/٢ .

(٢) أعمال الرسل : ١٥/٣٩ .

استطاع أن يدخل العقائد الوثنية ، وينقض جميع تعاليم المسيح ، ويبتدع البدع العظيمة ، ويحلِّل ما حرَّمته التوارة ، وقد وضع الرسائل العديدة في الدين الذي اخترعه ثم صارت جزءاً من العهد الجديد ، لها ما للأناجيل من القداسة والإحترام .

قال (الهر أرنست دي بونس) الألماني في كتابه : « الإسلام أي النصرانية الحقة » ص ١٤٢ :

« إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس وأشباهه من الذين لم يروا المسيح ، لا من أصول النصرانية الحقة » .

وقال ول ديورانت : « أما بولس فهو الذي شاد صرح المسيحية الديني ، كما أنه وبطرس وضعا نظام الكنيسة العجيب ؛ لقد عثر بولس في خفايا الشريعة اليهودية على حلم يصور لليهود فلسفة الحشر والنشر، فحرره ووسّع نطاقه ، وجعله عقيدة ذات قوة تستطيع أن تحرّك العالم بأسره واستطاع بصبره الشبيه بصبر رجال السياسة أن يمزج مبادىء اليهود الأخلاقية بعقائد اليونان فيما وراء الطبيعة ، وأوجد طقوساً خفية جديدة ، ووضع مسرحية للحشر جديدة استوعبت كل ما سبقها من مسرحيات تصور هذه العقيدة ، وعاشت بعدها كلها ، وأحل العقيدة محل العمل في اختيار الفضيلة .

ولسنا ننكر أنَّ هذا كان تغيّراً يؤسف له كل الأسف ، ولكن لعلَّ الإنسانية هي التي شاءت أن يكون ذلك .

إن الذين يستطيعون أن يحذوا حذو المسيح هم أقلية من القديسين ، ولكن نفوسنا قد تستطيع أن تسمو بآمالها في الحياة الخالدة إلى مستوى رفيع من الإيمان والشجاعة ؛ ولم يشعر معاصرو بولس بأثره في التو والساعة ، لأن الجماعات التي أنشأها كانت أشبه بجزائر صغيرة في بحر الوثنية الواسع الخضم ، ولأن كنيسة رومة كانت من صنع بطرس ، وبقيت وفيّة لذكراه ؛ ومن أجل هذا ظلّ بولس مائة عام كاملة بعد موته لا يكاد يذكره إنسان . فلما انقضت الأجيال الأولى من المسيحيين ، وأخذت الأحاديث الشفهية تضعف ذكراها في الأذهان ، وأخذ العقل المسيحي يضطرب بمئات من عقائد الزيغ والضلال ، لما حدث هذا أضحت رسائل بولس إطاراً لمجموعة من العقائد أضفت على الجماعات المتفرقة اتّزاناً ، وألّفت منها كنيسة واحدة قوية .

ومع هذا كله بقي الرجل - الذي فصل المسيحية عن اليهودية من حيث الجوهر والأساس - يهودياً في قوة خلقه وصارمة مبادئه ، ولما أن أراد رجال العصور الوسطى الدينيون أن يجعلوا الوثنية كثلكة براقة لم يجدوا ما يتّفق مع هذه النزعة ، فلم يقيموا له إلا قليلا من الكنائس . أما البروتستينية فهي نصر لبولس على بطرس ، وكان الاعتقاد بأن النجاة إنما تكون بالإيمان والعقيدة نصراً لبولس على المسيح »[1]

وقال أيضاً :

« لقد فصل بولس المسيحية عن اليهودية ، فلم تعرُض المسيح على العالم كما كان يعرض عليه من قبل بوصفه يهودياً يلتزم الشريعة اليهودية ، قلّ ذلك أو كثر ، بل أنطقه في خطابه لليهود بقوله : أنتم ، وبحديثه عن الناموس بقوله : ناموسكم ، ولم يكن مسيحاً منتظراً أُرسل لينجي خراف إسرائيل الضالّة ، بل كان ابن الله الخالد معه ؛ ولم يكن المحكّم بين الناس في المستقبل فحسب ، بل كان هو الخالق الأول للكون ؛ فإذا نظرنا إلى المسيح هذه النظرة كان في وسعنا أن نغفل إلى حدّ ما حياة الرجل يسوع اليهودية ، إذ نراها تذوي ويذهب سناها كما يذهب عند الطائفة اللاأدريّة غير المؤمنة ، أما فكرة المسيح الإله فقد هضمتها وامتصّتها تقاليد العقل الهلنستي الدينية والفلسفية ، ومن ثم كان بوسع العالم الوثني - بل وفي وسع العالم المضاد للسامية - أن يحتضنها ويرضى بها »[2] .

وقال الكلبي ، وهو من كبار علماء المسلمين في القرن الثاني الهجري في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون** ﴾[3] .

« إن النصارى كانوا على دين الإسلام[4] إحدى وثمانين سنة بعدما رفع عيسى ، حتى وقعت بينهم وبين اليهود حرب ، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس ، وكان قتل جملة من أصحاب عيسى (عليه السلام) ، فقال يوماً لليهود : إن

---

(١) قصة الحضارة : ١١/٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٢) قصة الحضارة : ١١/٢٧٥ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣٠ .

(٤) لأن جميع الأنبياء دعوا إلى الإسلام ، وهذا ما نصّ عليه القرآن ؛ والإسلام هو التسليم المطلق لله تعالى .

كـان الحق مع عيسى فكفـرنا بـه ، فالنـار مصيرنـا ؛ فنحن معذّبـون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار ، ولكن سأحتال وأضلّهم ، وكـان له فـرس يقاتـل عليه فعـرقبه ، وأظهـر النـدامـة ،ووضع على رأسـه التـراب ، فقـالت النصـارى : من أنت ؟ فقـال بولـس عدوّكم ، وقد نوديت من السماء أن ليس لك توبة إلا أن تتنصّر ، وقد تبت ؛ فأدخلوه الكنيسـة فـدخـل بيتاً فيهـا ، وأقـام سنـة لا يخـرج لا ليـلاً ولا نهـاراً ، حتى تعلّم الإنجيل ؛ ثم خرج فقال : نوديت أن الله تعالى قد قبـل توبتـك ، فصدّقـوه وأحبّوه ، ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطور ، وعلّمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة ، ثم توجه إلى الروم وعلّمهم اللاهـوت والناسـوت ، وقال لهم : لـم يكن عيسى بأنس ولا بجن ، ولكنه ابن الله »[1] .

ويؤيد كلام هذا العالم المسلم كلام الحداد في كتابه « القرآن والكتاب » .

فبعد أن دافع عن عقيدة التثليث وزعم أنها من التوحيد ، قال : « وهذا التعليم (أي التثليث والتجسيد) الكامل لم يكن الرسل والحواريّون يبشّرون به لأول وهلة ، بل كانوا ينادون بالتوحيد الأركان الأولى لأقوال الله ، في ديار الـوثنية والشـرك ، وبعد توطيد الإيمان كانـوا يفسّرون للمؤمنين عن الـطبيعة الإلهيـة في تفاعلهـا اللا محـدود وتثليثها الذاتي اللامتناهي ، على قدر ما يمكن للعقل البشري المحـدود أن يستوعب حياة الحي القيوم اللا محدودة »[2] .

وإذا رجعنا إلى تاريخ الكنيسة نجد أن الخلاف بين المـوحدين الـذين يقولـون بأن المسيح هو عبد الله ، وبين القائلين بالتثليث ظلّ قائماً قرونـاً طويلة ؛ ففي القـرن الرابع الميلادي تدخلت الدولة للحدّ من الخلاف الذي حصل بين اثنـاسيوس الـذي يدعو إلى أن المسيح ابن الله ويؤمن بالتثليث ، وبين التوحيد الذي يدعو إليه أريـوس وذلك لأن مجمع نيقية الذي عقد عام ٣٢٥ م لم يضع حـداً لهذا النقاش الحاد الـذي احتدم أواره .

وكـان الغالب في أسـاقفة الشـرق يناصـرون أريوس سـراً أو جهراً ، أي إنهم

---

(١) حياة الحيوان للدميري : ٢/١٦١ . ونحن إنما نقلنا كلام الكلبي لا لـلإحتجاج بـه لأنه عـالم مسلم ، ولكن من باب التأييد لما جاء في العهد الجديد ، وهذا الكلام مـوافق لما تقـدّم في مضمونـه ، وسوف يأتي ما يوضح ذلك أكثر فأكثر .

(٢) القرآن والكتاب ص ٤٤ .

يـرون أن المسيح ابن الله ، ولكن لا يشـرك مع الأب في مـادته ولا في خلوده ، وقـد قبل نسطيف بقرار المجمع وطرد أريوس من البلاد ، وظل عـدة سنوات طـريداً ، ثم أظهر قبوله للعقيدة التي قررها المؤتمر بعد أن أضـاف عليها تحفـظات دقيقة لا ينتـظر من إمبراطور أن يفهمها ؛ فآمن قسطنطين بأقواله ، وأمر أن يقبل في العشاء الربّاني ، ولكنه مات فجأة ، والظاهر أنهم سمّموه ، ومن هنا انتصر اثناسيوس بعد أن دافع عن عقيدته عـدة سنوات ، وأصبحت عقيـدته أصـلاً من أصول المسيحيـة ، وإليه يـرجع الفضل في استمساك الكنيسة بعقيدة التثليث[١] .

وهـذا الكلام يـدل بوضـوح على أن المسيحيين لم يكونـوا متفقين على عقيدة التثليث التي غـرسها بـولس ، وبقيت هـذه العقيـدة بين الجـزر والمـدّ إلى أن تثبتت أركانها في الغرب الوثني ، وأصبحت بعد ذلك عقيدة الكنائس ، حتى الشرقية .

العقائد التي ابتدعها بولس

إذا رجعنا إلى آخر الأصحاح ٢١ من أعمال الرسل نجد أن بولس ابتدع بـدعـاً كثيرة على خلاف تعاليم موسى وتعاليم المسيح ، فقد صرّح المسيح (عليه السلام) بدوام الشريعة الموسوية قائلاً :

« لا تـظنـوا أني جئت لأنقض النـامـوس أو الأنبيـاء ، مـا جئت لأنقض ، بـل لأكمل ، فإني الحق أقول لكم : إلى أن تزول السمـاء والأرض لا يزول حـرف واحد أو نقـطة واحدة من النـاموس حتى يكـون الكل ، فمن نقض إحـدى هـذه الـوصـايـا الصغرى وعلَّم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات ، وأما من عمل وعلَّم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات »[٢] .

أما بولس فقد ضرب أقوال المسيح عرض الجدار ، وشرَّع شريعة خاصة به لم ينـزل الله بهـا من سلطان ، وقـد شعـر اليهـود بخـطر هـذا الـرجـل على الشـريعـة الموسوية ، ووقفوا في وجهه وأخذوا يطاردونه .

« ولما وصل بولس أورشليم تلقاه الإخوة بفرح ، وفي اليوم الثاني دخـل بولس

(١) قصة الحضارة : ج ١٢/٢٠ ـ ٢١ .

(٢) متى : ١٧/٥ ـ ١٩ .

إلى يعقوب وحضر جميع المشايخ ، فبعد ما سلم عليهم طفق يحدثهم بكل ما قام به بين الأمم من خدمة ، فلما سمعوا كانوا يمجّدون الرب وقالوا له : أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا وهم جميعاً غيورون للناموس ، وقد أخبروا عنك أنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلاً أن لا يختنوا أولادهم ، ولا يسلكوا حسب العوائد . وقد اقترح عليه إخوته بأن يقوم بالطقوس التي يقوم بها اليهود حتى يظهر أمامهم أنه من حفظ الناموس ، ففعل بولس ، ولما قاربت الأيام السبعة أن تتم رآه اليهود الذين من أسيًا في الهيكل وهاجموه وألقوا القبض عليه صارخين : أيها الإسرائيليون ، هذا هو الرجل الذي يعلم الجميع في كل مكان ضداً للشعب والناموس »[1] .

لقد كانت الصورة العامة عند اليهود عنه أنه ضد اليهود وضد الناموس ، ومن هنا ثاروا لمّا رأوه وقبضوا عليه حتى جاء أمير العسكر وخلّصه منهم وأدخله إلى المعسكر ، فلحقه الشعب ، فاستأذن الأمير وخطبهم باللغة العبرية ، ثم أخذ يبيّن لهم أنه من اليهود المرتاضين ، وأنه آمن بعد ما رأى النور في طريقه إلى دمشق ؛ ولكن الشعب لم يعبأ بكلامه وطالبوا بقتله ، فأمر الحاكم بإدخاله إلى المعسكر ، ويُضرب ضربات ليعلم منه لأي سبب هاجمه الشعب . فلما طرحوه للسياط قال للقائد : أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير محكوم عليه ؟ فتوقف القائد وذهب إلى الأمير وأخبره بأنه روماني . فقال له الأمير : أنت روماني ؟ قال : نعم . وللوقت تنحى عنه الذين كانوا يزمعون ضربه.واختشى الأمير منه .

وفي اليوم الثاني أراد الأمير أن يعرف الحقيقة ، ولماذا يشتكي منه اليهود ؛ فأحضر رؤساء الكهنة وكل مجمعهم ، وأقام بولس بينهم .

ولمّا تفرّس بولس فيهم وعلم أنهم على قسمين : صدّوقيين وفريسيين ، صرخ في المجمع : أيها الرجال الإخوة أنا فريسي إبن فريسي ، فوقع النزاع والخلاف بين الطرفين وافترقت الجماعة ،.ودارت بينهما معركة وتخلص بولس من المحاكمة بعد أن أشغلهم بأنفسهم .

وحفاظاً عليه أمر الأمير باختطافه من وسطهم ، وهنا صمّم بعض اليهود على

---

(١) أعمال الرسل : ٢١/١٧ ـ ٢٨ .

قتل بولس وأعدّوا له كميناً ، وحرّموا على أنفسهم الطعام حتى يقتلوه فعَلِمَ بالأمر ابن أخته فأطلعه على ذلك ، وأخيراً أمر الأمير بإرساله إلى والي قيصرية ، وبقي هناك إلى أن تفاقم الأمر ، ورُفع أمره إلى قيصر روما ، فبُعث به إليه ، وفي نهاية المطاف اجتمع بولس مع اليهود هناك وأصبحت محاكمته عند قيصر نسياً منسياً ، ولما وصل إلى روما استدعى اليهود وأخذ يكلمهم بأمر المسيح من الصباح إلى المساء ، إلى أن أوقع الخلاف بينهم فخرجوا مختلفين من عنده .

ومن خلال هذه الرحلة يتّضح لدينا أن بولس كان يهودياً ومات يهودياً ، ولكنه كان يتلوّن بحسب الأوضاع والظروف ، فكان تارةً يظهر أنه يهودي فريسي من المتشددين والمتعصبين لدينهم ، وأخرى يدّعي بأنه روماني . وأما احترامه تعاليم اليهود وعدم تصديق اليهود فهذا دليل على أنه كان يمثل دوراً مهماً في تحريف الدين والتلاعب به ، ولكن عوام اليهود لم يدركوا هذه الحقيقة ، لذا قاموا بثورة ضدّه وأرادوا قتله .

ولا يخفى أن حماية السلطات الرومانية له ومحافظتها عليه ، وأخيراً تبعيدها له إلى روما ، دليل على اتصاله بالرومان والعمالة لهم وتأييد سلطتهم ، ويفهم ذلك بكل وضوح من خلال المعاملة الحسنة والطيبة التي كان يتلقّاها منهم طوال رحلته ، وإعطائه الحريّة الكاملة في جميع تنقلاته في سفره إلى روما ؛ وهذه العناية الخاصة لا يحصل عليها الإنسان العادي ، وخاصة في الإمبراطورية الرومانية .

قال صاحب معجم اللاهوت الكتابي في معرض حديثه عن علاقة بولس بالدولة الرومانية : « أما العلاقات مع السلطة السياسية فإنها تثير مشكلة ، فإزاء الإمبراطورية الرومانية يجاهر بولس بولاءٍ تام ، وفي الخضوع للسلطات المدنية واجب من واجبات الضمير لأن أصحابها أقيموا خداماً للعدالة الإلهية (رومية ١٣/١ ـ ٧) وينبغي إقامة الصلوات من أجل الملوك وسائر القائمين على السلطة (ثيموثاوس الأولى ٢/٢ ». ومن الواضح أن من يجعل السلطة الوثنية مظهراً من مظاهر العدالة الإلهية ويصلي ويدعو للقائمين عليها لا يمكن أن يكون له عقيدة بالدين الإلهي المسيحي الذي يتناقض تماماً مع العقيدة الوثنية ، وهذا ما يؤكد لنا أن بولس كان ماهراً في خطته ، ومن أجل التلاعب بالدين استعان بالسلطة ليستظل بها ويصل إلى هدفه ، وخاصة السلطة الوثنية التي لا تؤمن بالدين اليهودي ولا النصراني .

وزبدة المخض أن بولس كان داهية من كبار رجال التاريخ ، فقد استطاع أن يسيطر على الكنيسة ويؤثر على تلاميذ المسيح إلى أن غطت تعاليمه على تعاليمهم ، ويعود ذلك إلى عدة عوامل كانت متوفرة فيه ، وهذه العوامل جعلته من أعظم الدعاة في تاريخ الديانة المسيحية . وأهم العوامل التي اجتمعت فيه يمكن حصرها في ثلاثة أمور :

١ ـ لقد كان شديد الذكاء ، بارع الحيلة ، سريع الملاحظة ، يدير الأمور بدهاء وحنكة ، ويعرف أفكار الناس من خلال تفرّسه بهم ، وبذلك عرف كيف يسيطر على مشاعرهم وعقولهم .

٢ ـ كان نشيطاً دؤوباً لا يعرف الملل ولا الكلل ، صاحب إرادة قوية وتصميم ، وقوة استمرار .

٣ ـ كان صاحب شحصية قوية ، شديد التأثر على الجماهير ، قوي السيطرة على النفوس ، قديراً يعرف كيف ينتزع الثقة ممّن يتحدث إليه .

وبهذه الصفات التي كان يتحلّى بها إستطاع أن يسيطر على الكنيسة ، وبذلك شيَّد أركان الديانة النصرانية التي لا تزال حتى يومنا هذا ؛ ويفرض أفكاره على المسيحيين ، ويجعل رسائله وكتبه كتباً مقدسةً تشغل القسم الأكبر من العهد الجديد .

وقد طاف العديد من بلاد العالم ، يلقي الخطب ويبني الكنائس ، وقد استطاع بذكائه أن يستفيد كثيراً من سمعة التلاميذ في الدعاية لنفسه ، وإلقاء الشرعية على تعاليمه ؛ فهو مع أنَّه لم يكن يوماً من تلاميذ المسيح ولا من مؤيديه ، بل كان من ألدِّ أعدائه ، مع ذلك كلّه فقد غمرت تعاليمه تعاليم التلاميذ والحواريين ، ولذا بعد أن أعلن إيمانه إلتصق بالتلاميذ حتى أصبح كالظلّ لهم لا يفارقهم من أجل أن يأخذ الشرعية والثقة منهم .

قال ول ديورانت :

« لقد واصل يوحنا ـ عرف أو لم يعرف ـ ما بدأه بولس من فصل المسيحية عن اليهودية ، فلم يعرّف المسيح للعالم كما يعرض من قبل بوصفه يهودياً يلتزم الشريعة

اليهودية ، لم يكن مسيحاً منتظراً لينجي خراف إسرائيل الضالة ، بل كان ابن الله الخالد معه ؛ ولم يكن المحكم بين الناس في المستقبل فحسب ، بل كان هو الخالق الأول للكون ؛ فإذا نظرنا إلى المسيح هذه النظرة فلا بد أن نغفل حياة يسوع اليهودي إذ نراها تذوب وتتلاشى ويذهب سناها . أما فكرة المسيح الإله فقد هضمتها وامتصّتها تقاليد العقل الهلنستي الدينية والفلسفية ، ومن ثم كان بوسع العالم الوثني - بل في وسع العالم المضاد للسامية - أن يحتضنها ويرضى بها »[1] .

وهذا الكلام من هذا العالم النصراني الأمريكي يدل على العمق والدقة في التحليل ، فهو يكشف لنا السر الذي جعل تعاليم بولس وأفكاره هي الغالبة على العالم المسيحي ، والمسيطرة على الكنيسة ؛ وكشف لنا السر أيضاً عن تقهقر تعاليم التلاميذ أمام تعاليمه ، ومن الواضح أن العالم الغربي قبل المسيحية كان وثنياً بكل طقوسه وتقاليده ؛ وقد أخذ بولس بتلك التقاليد والطقوس وأدخلها في النصرانية ، وعرضها على العالم الغربي فقبلها وهضمها .

ومن هنا تفوّق بولس على سائر الحواريين الذين كان غالبهم يلتزم بتعاليم المسيح (عليه السلام) .

فهو في الواقع أوجد ديناً جديداً خاصاً به ، ولذا ثار عليه اليهود وقالوا بأنّه يعلّم الناس الارتداد عن الناموس ، ولم يحترم تعاليم الأنبياء السابقين ولا تعاليم المسيح ، وقد استخدم تعبيرات فلسفية وعبارات معقدة لا يفهمها أكثر الناس ، وهي أشبه شيء بالتلاعب بالألفاظ والمغالطات اللفظية التي ينطلي أكثرها على الناس ، ونحن لا نقول ذلك ، بل رئيس الحواريين بطرس هو الذي اعترض عليه فقال في آخر رسالته الثانية :

« إنَّ بولس حرّر برسالته أشياء عسرة الفهم يحرّفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم »[2] .

---

(١) قصة الحضارة : ١١/ ٢٧٥ .

(٢) بطرس ٢ : ٣/ ١٦ وهذه الحقيقة مما مرس عليها اليهود عبر تاريخهم المظلم ، واعتمدوا عليها في مواجهتهم لخصومهم حتى جعلوها أصلاً من أصول مخططاتهم الجهنمية ، ففي البروتوكول الثامن من بروتوكولات حكماء صهيون ما يلي : « يجب أن نأمن كل الآلات التي قد يوجهها أعداؤنا ضدنا . . . =

وللتدليل على ذلك أنقل للقارىء الكريم بعض عباراته :

« أتضرع إليكم أيها الإخوة ، كونوا كما أنا لأني أنا أيضاً كما أنتم »[1] .

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب ملعون كل من علّق على خشبة ، لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح »[2] .

« إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرّر بالإيمان ، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعدُ تحت مؤدب لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع ، لِأنَّ كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ، ليس يهودي ولا يوناني ، ليس عبدٌ ولا حرٌ ، ليس ذكر وأنثى لِأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع ، فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة »[3] .

وقوله : « لأني متّ بالناموس للناموس لأحيا لله ، مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ ، فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبَّني وأسلم نفسه لِأجلي ، لست أبطل نعمة الله ، لِأنه إن كان بالناموس برٌّ فالمسيح إذاً مات بلا سببٍ »[4] .

ومما يدلنا على أنه ابتدع ديناً جديداً ما جاء في رسائله ، فهو يدعو فيها إلى نقض تعاليم المسيح وشريعة التوراة بكل صراحة ، فيقول :

« وأماالآن فقد تحرّرنا من الناموس إذ مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدَّة الروح لا بعتقِ الحرف »[5] .

= وسوف نلجأ إلى أعظم التعبيرات تعقيداً وإشكالاً في معظم القانون ـ لكي نخلص أنفسنا ـ إذا أكرهنا على إصدار أحكام قد تكون طائشة أو ظالمة ، لأنه سيكون هاماً أن تعبر عن هذه الأحكام بأسلوب محكم حتى تبدو للعامة أنها من أغلى نمط أخلاقي » بورتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة محمد خليفة التونسي ص ١٢٩ .

(١) غلاطية : ٤/١٢ .

(٢) غلاطية : ٣/١٣ ـ ١٤ .

(٣) غلاطية : ٣/٢٤ ـ ٢٩ .

(٤) غلاطية : ٢/١٩ ـ ٢١ .

(٥) رومية : ٧/٦ .

ويقول أيضاً : « وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ، ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً ، فأظن أن هذا حسن »[١] .

وهذا تصريح منه بأنه كان يشرّع بحسب رأيه ، وقد حرّم بولس الختان مع أن التوراة أمرت به ، وهو من أهم الأحكام في الشريعة الموسوية ، وفي سفر التكوين إنه من شريعة إبراهيم ، حتى أن التوراة نهت عن الأكل من الأغلف[٢] .

وختن عيسى بن مريم لما تمت ثمانية أيام من ولادته وسمي بعد ذلك بيسوع[٣] .

وتحريم بولس للختان هو من أهم الأسباب التي دعت اليهود للثورة عليه ومطاردته وطلب محاكمته[٤] .

وقد استهان بهذا الحكم وجعل الختان هو « ختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان »[٥] .

ومن عجائب الدهر وغرائب الأمور أن بولس يلعن السيد المسيح (عليه السلام) على صفحات الكتاب المقدس باسم الدين ، ويجعله أصلاً من أصول الدين المسيحي ، ويدعو إلى التحرر من تعاليم الأنبياء ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على دهاء هذا الرجل وقدرته على التلاعب بالدين ؛ يقول في حقّ المسيح :

« إن المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب ملعون كل من علّق على خشبة »[٦] .

---

(١) كورنثوس الأولى : ٧/٢٥ - ٢٦ .
(٢) التكوين : ١٧/٩ . الخروج : ١٢/٤٣ .
(٣) لوقا : ٢/٢١ .
(٤) أعمال الرسل : ٢١/٢١ .
(٥) أعمال الرسل الأصحاح الثاني والثالث والرابع ، فراجع . ومما يؤسف له أن الذين يدّعون أنهم اتباع السيد المسيح يخالفون تعاليم السيد المسيح في الختان ، ويتبعون بولس ، ومن هنا تعلم أن المسيحيين الحقيقيين الذين يطبقون تعاليم المسيح ويقدسونها هم المسلمون لا غير ، وأما اليهود وإن كانوا يختتنون إلا أنهم لا يعترفون بالمسيح ، وإنما يفتخرون بقتله وصلبه .
(٦) غلاطية : ٣/١٣ .

والمكتوب في التوراة أن من اكتسب خطيئة يستحق عليها القتل فقتل ، وعُلّق على خشبة ، فلا تَبِتْ جثّته على الخشبة ، بل تدفنه في ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله »[1] .

فقد حرّف بولس هذا الحكم وتلاعب بالآيات وحرّفها من أجل أن يحمل الناس على عدم المبالاة بالشريعة ، لأن المسيح لعن بعذاب الصلب وعذّب بدلاً عن الناس ، فلا تلحقهم لعنة ترك الناموس ، لأنه حمل أوزارهم كاملة ، وإلى الأبد ، ولذا لا يعاقب أي إنسان على أي ذنب .

منزلة بولس عند المسيح

من الطبيعي أن يجعل بولس لنفسه المنزلة العظمى والخاصة عند السيد المسيح من خلال رسائله التي كتبها وشيد فيها أركان الدين الجديد الذي أوجده ، ومن البديهي أن هذه المنزلة لا يصل إليها أحد حتى رئيس الحواريين بطرس ، وهذا ما سوف يظهر لنا إذا ما تعمقنا في رسائله . فهو يدّعي أنه المبعوث الخاص للسيد المسيح ، وأن رسالته راجعة إلى دعوة خاصة منه ، فهو لم يبعث من قبل البشر (حتى لو كانوا رسلاً) وإنما أرسل من قبل يسوع شخصياً ، وهو يذكّر بهذا الأمر خاصة عندما يتمسك بسلطانه الرسولي : « فنحن سفراء المسيح وكأن الله يعظ بألسنتنا » .

والأمر لا يقف به عند هذا الحدّ ، بل يترقى إلى أن يجعل كلامه هو كلام الله : « ما أسمعناكم . . لم تتقبلوه على أنه كلام بشر ، بل على أنه كلام الله » .

ويرى بولس أن له فهماً خاصاً لسر المسيح ، وهو دور فريد في التدبير المسيحي مرتبط بشخصه ومن قبيل المواهب الروحية ، فلا يمكن تسليمه إلى غيره . وقد نال بولس معرفة خاصة لهذا السر بنعمة من الله (افسس : ٣/٤) وهو مكلف بأن يعلن هذا السر للناس ، وفي سبيل إتمام هذا السر يتحمل الإضطهاد ويعاني الآلام ، ويلقى في السجن (كولوسي : ١/٢٤ ـ ٢٩ . أفسس : ٣/١ ـ ٢١) .

هذه هي النعمة الخاصة ببولس وهي غير قابلة للنقل إلى غيره أما مهمّة السفارة

---

(١) التثنية : ٢١/٢٢ ـ ٢٣ .

عن المسيح ، وحتى الوعي الروحي للعمل الرسولي ، فيمكن أن يهبهما الروح لجميع الرسل (اكورنتس ٢/٦ - ١٦)[١] .

هذا من الناحية النظرية التبليغية ، وأما من الناحية العملية فإن بولس مارس تلك السلطة التشريعية ، فكان كثيراً ما يستعين بسلطته التعليمية التي تؤهله لإلقاء الحُرم على كل من عساه يبشّر بإنجيل خلاف إنجيله (غلاطية : ١/٨ - ٩) وقد جعل لنفسه القدرة على تفويض سلطاته الخاصة إلى غيره ، وأخيراً باشر بولس سلطته بمقتضى سلطان حقيقي على الكنائس التي كلّف بها ، فهو يحكم ويفرض جزاءات (كورنتس : ٥/٣ - ٥ واتيموتاوس : ١/ ٢٠)[٢] .

بهذه المنزلة التي جعلها بولس لنفسه استطاع أن ينشر الدين الذي شيّد أركانه ، وقد جعل أصل عقيدة النصارى تبنىٰ على أساس واحد وهو العقيدة بصلب المسح ، والتي يتفرع عليها عقيدة الفداء وعقيدة التثليث .

قال الكاردينال مننغ الإنكليزي :

« إذا لم تكن وفاة المسيح صلباً حقيقة ، فحينئذٍ يكون بناء عقيدة الكنيسة قد هدم من الأساس ، لأنه إذا لم يمت المسيح صلباً لا توجد الذبيحة ولا النجاة ولا التثليث »[٣] .

وخلاصة عقيدة النصارى التي تبنى على قصة صلب ابن الله وفدائه ودخوله الجحيم ، هذه العقيدة ليست من الديانة النصرانية الحقيقية ، وإنما هي من العقائد الوثنية التي أدخلها بولس إلى الميسحية ؛ وهذا ما سوف نتعرض له ونكشف حقيقته من دون أن نتعرض لبطلان هذه العقيدة الوثنية ، لأن إثباتها هو بنفسه دليل على بطلانها وحرمة التعبد بها .

يقول بولس حول تركيز هذه العقيدة :

« أما أنا فمعاذ الله أن أفتخر إلا بصليب ربّنا يسوع المسيح ، وعندي أصبح

(١) نقلنا هذا الفصل من كتاب معجم اللاهوت الكتابي ص ٣٧٩ - ٣٨٠ لكي لا نتهم في بيان تلك الحقائق .

(٢) راجع المصدر السابق .

(٣) في كتابه : كهنوت الأبدية The Eternal pries thood .

العالم به مصلوباً وأصبحت مصلوباً به عند العالم »[1] .

كما أنه جعل أساس الهداية إلى الدين المسيحي هو تصور فكرة صلب المسيح : « على أن المسيحي إذا كان قد اهتدى فقد حدث ذلك لأنه قد ترسمت نصب عينه صورة المسيح المصلوب »[2] .

وإن كان قد تبرر فلم يكن ذلك بفضل الأعمال بحسب الشريعة ، بل بإيمانه بالمصلوب ، لأنه هو ذاته قد صلب مع المسيح في المعمودية إلى حد أنه قد مات عن الشريعة ليحيا لله (غلاطية : ٢/١٩) ولم يعد له أي تعلق بالعالم (غلاطية : ٦/١٤) ومن ثم فإنه يضع ثقته في قوة المسيح وحدها ، وإلا فإنه سيظهر بمظهر من هو « عدو صليب المسيح » (فيلبي : ٣/١٨)[3] .

ومن خلال هذه الأفكار التي تركها لنا بولس في رسائله يتضح لنا أنه جعل العقيدة بصلب المسيح - بل تصور هذه الفكرة - أساساً للدين الذي شيد أركانه ؛ ولم يكتف بهذا الحد بل أبطل العمل بالناموس بعد صعود يسوع ، وجعل الإيمان بالخالص بالدين المسيحي هو الإيمان بسرّ الفداء والثالوث ، لا العمل بالناموس .

وقد هدم أركان الأديان بهذه الفكرة التي طرحها في الدين الذي شيده ، حيث جعل الإيمان بالدين هو الاعتقاد دون العمل ، وهذا على خلاف تعاليم جميع الأنبياء حيث جعلوا الإيمان هو الاعتقاد القلبي المقرون بالعمل .

« وأما الآن فقد ظهر برُّ الله من دون الناموسِ مشهوداً له من الناموس والأنبياء ، برّ لله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كلّ وعلى كلِّ الذي يؤمنون . لأنه لا فرق ، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح ، الذي قدّمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله لإظهار برّه في الزمان الحاضر ليكون باراًّ ويبرّر من هو من الإيمان بيسوع ، فأين الافتخار ؟ قد انتفى بأي ناموس . أبناموس الأعمال ؟ كلا ، بل

(١) غلاطية : ٦/١٤ .
(٢) غلاطية : ٣/١ .
(٣) معجم اللاهوت الكتابي مادة صليب ص ٤٨٤ .

بناموس الإيمان »[1] .

« وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطيّة ، ولكن حيث كثرت الخطيّة ازدادت النعمة جداً ، حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربّنا »[2] .

لقد ندد كمال التنديد بمن يعمل بالناموس ، وقد وصف الغلاطيين بالغباء : « أهكذا أنتم أغبياء ؟ أنتم الذين أمام أعينكم قد رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً ، أريد أن أتعلّم منكم هذا فقط ، أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان ؟ أهكذا أنتم أغبياء ؟ أبعد ما ابتدأتم بالروح تكمّلون الآن بالجسد ؟ فالذي يمنحكم الروح ويعمل قوّات فيكم أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان ؟ كما آمن إبراهيم بالله فحُسب له برّاً . اعلموا إذاً أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم ، والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرّر الأمم ، سبق فبشّر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم . إذاً الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن ، لِأنَّ جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنةٍ لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به ، ولكن أن ليس أحد يتبرّر بالناموس عند الله فظاهرٌ لأنّ البارّ بالإيمان يحيا ؛ ولكن الناموس ليس من الإيمان »[3] .

ومن هنا تعلم كم من البون الشاسع بين تعاليم بولس الذي أمر بترك الناموس وبين تعاليم التوراة التي جعلت تارك العمل بالناموس ملعوناً : « ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل ، بها ويقول جميع الشعب : آمين »[4] . وخالف تعاليم المسيح الذي نادى بأعلى صوته :

« لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون الكل . فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى

---

(١) رومية : ٣/٢١ ـ ٢٧ .
(٢) رومية : ٥/٢٠ ـ ٢١ . راجع افسس : ٢/١٥ والعبرانيين : ٩/١٠ .
(٣) غلاطية : ٣/١ ـ ١٢ .
(٤) التثنية : ٢٧/٢٦ .

وعلّم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكون السماوات ، وأما من عمل وعلّم فهو يدعى عظيماً في ملكوت السماوات »[1] .

وقد خالف بولس كل هذه التعاليم ، وجعل العامل بالناموس ملعوناً ، ولعل السيد المسيح (عليه السلام) كان ينظر إلى ما سيقوم به بولس ، فلذا عبّر عنه بأنه يدعى أصغر في ملكوت السماوات لخروجه عن تعاليم الأنبياء ، ودعوته المضادة لهدف الخلقة المبنيّ على العمل والحركة ، من كل القيود وعدم المبالاة بالمثل والقيم ؛ والتحلل الذي تعيشه المجتمعات اليوم ناشىء من تعاليم بولس الذي أسقط العمل من التكاليف الإلهية ، وجعل الإيمان مبني على تصور فكرة الصلب ، ولم يكتفِ بهذا الحد حتّى جعل الناموس هو أسرٌ وقيد في عنق الإنسان :

« أما الآن فقد تحرَّرنا من الشريعة إذ مات الذي كنّا ممسكين فيه حتى نعبد بجدّة الروح لا بعتقِ الحرف »[2] .

وهذا تصريح آخر منه للتحرر والتخلص من الناموس لِأن المسيح قد مات ، وبموته ماتت تعاليمه ، وأن الدين الحقيقي هو الدين الذي قام به بولس وشيّد أركانه ؛ ولذلك نجد أنه يدعو في بعض كلماته إلى إنجيل خاص به ، حيث ينسبه إليه لا إلى يسوع .

« في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح »[3] .

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه ـ ويقوّي عقيدتنا في أن بولس دعا إلى دين جديد شيّد أركانه وبنى أصوله ، وهي تخالف أصول يسوع المسيح (عليه السلام) ـ حديث بولس عن الخلافات التي حصلت بينه وبين تلاميذ المسيح ، وقد ظهرت هذه الخلافات في كلماته وعبرت على رقابة الكنيسة عدة مرات ، فهذّبتها وصبغتها بعبارات أدبية . يقول بولس :

« بعد أربع عشرة سنة صعدت إلى أورشليم مع برنابا آخذاً معي

(١) متى : ١٧/٥ ـ ١٩ .

(٢) رومية : ٦/٧ .

(٣) رومية : ١٦/٢ .

تيطس أيضاً وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم ، ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً ، لكن لم يضطرّ ـ ولا تيطس الذي كان معي وهو يوناني ـ أن يختتن ، ولكن بسبب الأخوة الكَذَبَة المُدخَلين خفيةً الذين دخلوا اختلاساً يتجسسوا حرّيتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا ، الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ، ليبقى عندكم حق الإنجيل ، وأما المعتبرون أنهم شيء مهما كانوا لا فرق عندي . الله لا يأخذ بوجه إنسان فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا عليّ بشيء . بل بالعكس إذ رأوا أني أؤتُمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان . فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيّ أيضاً للأمم . فإذ عَلِمَ بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفاً ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان . غير أن نذكر الفقراء . وهذا عينهُ كنت اعتنيت أن أفعله .

ولكن لمّا أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً . لأنه قلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لمّا أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان . ورأى معه باقي اليهود أيضاً حتى أن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم . لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا . نحن بالطبيعة يهودٌ ولسنا من الأمم خطاةً إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرّر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس »[1] .

إن من تأمل هذا الكلام وسبر أغواره يجد أنه ينطوي على حقائق هامة ، وعلى حرب شعواء بينه وبين كبار الحواريين ، وهذه الحرب لم تكن بين التلاميذ الآخرين وإنما كانت بينه وبينهم ، وهذا يعني أنه كان طرفاً في مقابل التلاميذ ، وما ذلك إلا للبدع والدين الجديد الذي شيّد أركانه ، وكان على خلاف تعاليم المسيح ، فهو صعد إلى أورشليم مع برنابا بعد أربع عشرة سنة ، وكان صعوده بموجب إعلان

(١) غلاطية : ٢/١ ـ ١٦ . ولا يخفى أن صعوده إلى أورشليم بعد ١٤ سنة كان بعد مكوثه في دمشق ٣ سنوات ورجوعه منها .

واتفاق ، وهذا يعني أنه لولا ذلك الإعلان والاتفاق لم يصعد إلى أورشليم .

ومن الواضح أن عدم صعوده كان للخلاف بينه وبين التلاميذ ، وربما يكشف لنا كلامه عن السر في عدم صعوده قبل ذلك الإعلان ، فقوله : « وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم » يدل على أنه كان له إنجيل خاص كما تقدم ، وقد اعترض عليه التلاميذ ، فلذا جاء وقرأه على كل واحد منهم على انفراد ، لا أنه قرأه على الجميع ؛ وهذا دليل على ذكائه حتى لا يُغلب ويفشل في دعوته : « ولكن بالانفراد على المعتبرين » وفي باقي كلامه يكشف لنا عن الخلاف الحادّ وأنهم وضعوا عليه جواسيس ليستمعوا إلى أقواله في المسيح حتى يطردوه عنهم ، وهنا أعلن بولس أن التجسس عليه لن يثنيه عن خطته وعن التبشير بالدين الذي شيّد أركانه ، ولذا لم يعتبر التلاميذ الذين انتقدوه ووصفهم بأنهم كذابون مراؤون ، وليس ذلك إلا لوقوفهم في وجهه ودحض مزاعمه الباطلة ؛ وكما قلنا فإن عباراته هذّبت على مرّ السنين ، وإلا فالحرب كانت شديدة بينه وبين التلاميذ المخلصين ، ويكفي أنّ برنابا وضع إنجيله للرد عليه ، وقد اتّهمه بتعليم الكفر كما تقدم ، وهذه المشاجرة إنما حصلت بعد سبعة عشرة سنة من إيمانه بالمسيح ، وهي مدة كافية لدراسة حياة المسيح وتعاليمه ، ووضع إنجيله الذي كان على خلاف تعاليم المسيح .

يهودية بولس تظهر في الدين الجديد

إن بولس عاش يهودياً فريسياً ومات كذلك ولم يترك عقيدته أبداً ، وقد نبّه على ذلك ول ديورانت كما تقدم .

ومما يؤكد لنا حقيقة هذا الأمر تلاعبه بنصوص التوراة ولعنه للنبي العظيم عيسى بن مريم (عليه السلام) ، فقد جاء في التوراة :

« وإذا كان على الإنسان خطيّة حقها الموت فقتل وعلّق على خشبة فلا تَبِتْ جثته على الخشبة ، بل تدفنه في ذلك اليوم لأن المعلّق ملعون من الله[١] » .

فالآية تنص على أن من اقترف خطيئةً يستحق عليها القتل فقتل وعلّق على

---

(١) التثنية : ٢١/٢٢ ـ ٢٣ .

خشبة ، يكون ملعوناً لأن المعلق ملعون .

وبولس جعل المسيح مستحقاً للصلب بخطيئة البشر ثم جعله ملعوناً بصلبه لكي يفدي البشرية بزعمه ، فهو لعن فوق لعن ، وما ذلك إلا لحقده على المسيح الذي لم يقف عند هذا الحد ، بل زاد عليه بأن أدخله إلى الجحيم .

دخول يسوع إلى الجحيم

لم يكتف بولس بهذا الحد من التجاسر على ساحة السيد المسيح (عليه السلام) في لعنه باسم الدين ، بل أدخله إلى نار جهنم أيضاً باسم الدين وأصوله :

« سبق فرأى وتكلّم عن قيامة المسيح أنه لم تُترَكْ نفسه في الهاوية ، ولا رأى جسده فساداً »(1) .

« فإن المسيح أيضاً تألّم مرة واحدة من أجل الخطايا ، البارّ من أجل الأثمة لكي يقربنا إلى الله مُماتاً في الجسد ولكن مُحييً في الروح الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن(2) » .

ومن الصعوبة بمكان أن يتصور الإنسان هذه العقيدة التي تزعم بأن المسيح صلب ليكفّر عن البشرية خطيئتها ، وإذا بهذا السيد البار العظيم يصلب ويلعن وينزل إلى قعر جهنم من أجل المذنبين ، مع أن المسيح كان يخاطب أعداءه ويلعنهم بقوله :

« إليكم عني أيها الملاعين إلى النار الأبدية(3)» .

يسوع المسيح ينزل إلى الجحيم

إن نزول يسوع المسيح إلى الجحيم هو قضية إيمانية ، وهو فعلاً من حقائق العهد الجديد الأكيدة ؛ على أنه من الصعب تحديد قيمة بعض النصوص ـ وما كان

---

(1) أعمال الرسل : ٢/٣١ .
(2) بطرس الأولى : ٣/١٨ ـ ١٩ .
(3) متى : ٢٥/٤١ .

مضمون بشارته للأرواح التي في السجن ـ لهؤلاء الـذين رفضوا فيمـا مضى أن يؤمنوا يوم كان الذين رفضوا فيما مضى أن يؤمنوا يوم كان نـوح في الفلك (بطرس الأولى : ٣/١٩ ـ ٢٠) .

فإنه لمن الأكيد أن نزول يسوع إلى الجحيم هذا يعني في آن واحد حقيقة موته كـإنسان وانتصـاره على الموت[١] ، فـإذا كان الله قـد « أنقـذه من أهـوال الجحيم ، فـذلك لكـونه زجّـه فيها أولاً ، ولكن دون أن يتـركه أبـداً لتلك الأهـوال ؛ وإذا كـان المسيح في سر الصعود « قد صعد فوق كلها » فهذا يعني أيضـاً أنه كـان قد نـزل إلى أسافل الأرض، وكان لا بدّ من هذا النزول الكئيب لكي يستـطيع أن يمـلأ كل شيء، وأن يملك كسيّد على الكون (افسس : ٤/٩ ـ ١٠) . أخيـراً عنـدما يـظهر يسـوع المسيح فإن الذين لا يطيعون إنجيله يعاقبون بالهلاك الأبدي مبعـدين عن وجه الـرب (تسالونيكي الثانية : ١/٨ ـ ٩) فإنهم يذهبون لملاقاة الموت والجحيم في مستنقـع النار (الرؤيا : ٢٠/١٤ ـ ١٥)[٢] .

وقد صرح بهذه العقيدة كثير من علماء النصـارى حتى أن نيكوديمـوس ذكر في إنجيله محـاورة حصلت بين المسيـح والشيـطان في النـار ، وقـد خلّص من فيهـا من النساء والأطفال والرجال (الأصحاح ١٥/١٧)[٣] .

وهذه العقيدة الوثنية دخلت إلى التوراة كسائر العقائد الوثنية التي أخذهـا اليهود عن الوثنيين وقد وردت في التوراة كما أنها وردت بالإنجيل :

---

(١) لا أدرى كيف انتصر يسوع على الموت مع أنه في آخر أيامه وقبـل أن يقبضوا عليـه ابتدأ يحـزن ويكتئب ويقول لتلاميذه : نفسي حزينة جداً حتى المـوت امكثوا هنـا واسهروا معي ، ثم أخـذ يصلي قائـلاً : يا أبتـاه إن لم يمكن أن تعبر عني هـذه الكأس إلاّ أن أشـربها فلتكن مشيئتـك . ولما صلب صـاح بصوتٍ عـظيم قـائـلاً : أيلي أيلي لمـا شبقتني ؟ أي : إلهي إلهي لمـاذا تـركتني . راجـع متى ٢٦/٣٨ ـ ٤٢ و٢٧/٤٦ .

(٢) معجم اللاهوت الكتابي ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ولا يخفى ما في كـلام صاحب المعجم من تنـاقض ، فكيف أخرج المسيح من النار من كان فيها منذ أن بنى نوح سفينة حيث لم يكن هنـاك إنجيل حتى يؤمنـوا به ، وأن الذين لا يؤمنون بالإنجيل فلا بد أن يخلدوا في النـار . وهذا ينـطبق على المسيحيين لأنهم خالفـوا تعـاليم المسيح واتبعـوا تعاليم بـولس ، وإذا كان كـذلك فمـا معنى عقيـدة الفـداء والتضحيـة عن كـل البشرية ؟

(٣) راجع كتاب « عقائدنا » للدكتور الصادقي ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

« هكذا قال السيد الرب في يوم نزوله إلى الهاوية »[1] .

ولا يخفى أنَّ القول بنزول يهوه والمسيح إلى الجحيم هو عقيدة الوثنيين في آلهتهم المتجسدة .

آلهة الوثنيين تدخل الجحيم

يعتقد الوثنيون أن آلهتهم نزلوا إلى الجحيم بعد قتلهم وصلبهم ليخلصوا الأموات » فهذا كرشنا مخلّص الهنود قبل ذهابه إلى السماء نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات .

زورستر أيضاً نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات وأدونيس المخلّص المولود من عذراء نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات .

وباخوص المخلص المولود من عذراء نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات .

وهرقل المخلص المولود من عذراء نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات .

عطارد الكلمة نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات .

بالدور آله الاسكندنافين من بعد قتله نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات .

كوتز لكوتل مخلص المكسيكيين نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات[2] .

والهنود يدَّعون أن ڤشنو قتل مصلوباً على شجرة وهبط إلى جهنم ، ثم صعد إلى السماء على أن يعود في اليوم الآخر يحاسب الناس أحياءهم وأمواتهم[3] .

ومن الأسرار الخفية في دين الوثنيين اليونان أنهم كانوا يقيمون احتفالات سرية يكشف فيها عن رموز مقدّسة ، وكانت تلك الطقوس تمثل عذاب إله من الآلهة وموته وبعثه ؛ أو تحيي ذكرى هذا العذاب والبعث والموت بطريقة مسرحية ، وتعد أولئك حياة أبدية خالدة[4] .

---

(١) حزقيال : ٣١/١٥ .

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٠٣ .

(٢) قصة الحضارة : ٣/٢٠٤ .

(٣) المصدر السابق : ٦/٣٤١ .

وبعد هذا العرض لبعض العقائد البوليسية التي هي أساس العقيدة النصرانية . حـان الأوان لكي نبيِّن للقارىء الكريم هـذه الأصـول التي أخـذهـا بـولس من الـوثنيين : كـالبـوذيين والبـابليين والآشـوريين والرومـان والفـرس وغيـرهم من الأمم الوثنية .

وقبـل الخوض في هـذه الأبحاث ونقـل تلك العقائـد التي أدخلها بـولس إلى النصرانية أودّ أن أذكّر القارىء مرة أخرى بأن كل مـا أنقله من عقائـد وأفكار وثنيـة في هـذه الأبحـاث نقلتهـا من مصـادر كتبت بـأقـلام علمـاء ومحققين نصـارى غـربيين وشرقيين ، وليس فيهم أي مصدر من عالم مسلم ، إلا ما كـان منقولاً عن نفس أهـل الكتاب .



عقيدة الفداء في الميزان

لعل الحجر الأساسي للدين النصراني هو عقيدة الفداء التي أخذها بولس عن الوثنيين ، وهي عقيدة لا تتماشى مع المنطق والعقل السليم ، ولا يمكن هضمها حسب الفطرة ، ولا الإيمان بها إلا بعد عزل العقل عن حجيّته ، وهي غريبة عن وحي السماء لا تنطبق مع حكمة الخالق وعدله ، ولا يبقى معها داعٍ لبعث الأنبياء وإنزال الكتب وتعليم البشر الأخلاق والمثل العليا ، ومعها يبطل الثواب والعقاب ، والجنة والنار ، ويذهب جهاد الأنبياء عبثاً وباطلاً ، لأن المسيح قدّم نفسه ذبيحة وفداء للبشرية كفّارة عن ذنوب المذنبين ، الذين لا يبقى عليهم ذنب لأنه مغفور لهم ذلك بقتل المسيح وصلبه ودخوله الجحيم .

وقد فتح بولس باب العصيان والفساد للمسيحيين على مصراعيه بفتحه باب الغفران بالاعتراف عند رجال الدين . ومن هنا فتحت الكنيسة باب الغفران وباعت صكوكه ، وقسمت الجنة إلى قطعات باعتها لأصحاب الأموال فجنت بذلك الأموال العظيمة . وهذا ما شجع المسيحيين على الاستهتار بالمحرّمات وارتكاب جميع أنواع المعاصي بحيث لم يبق هناك محرم في المجتمع المسيحي ، وخاصة الغربي ؛ ولذا لا يشعر الكثير منهم بأي ذنب مقابل الجرائم التي يرتكبونها . وقد ارتكبت الدول المسيحية أعظم الجرائم في حق العالم الثالث في استعبادها لهم واخضاعهم لسلطانها بشتى أنواع السلاح المدمر . وإذا كان رجل الدين المسيحي يغفر كل شيء جناه العاصي مهما كان في أقل من طرفة عين ، فأيّ جريمة يتورع عنها المسيحي ؟

ولذا لا نجد محرماً اليوم إلا الزواج بـامرأة ثـانية ، وحـرمة ذلـك لا تخفى على اللبيب ، وأما الخيانة الزوجية والزنى بمئـات النساء فهـذا أمر مبـاح ومعمول بـه حتى الزنا بالمحارم ، وما أكثره اليوم ! وحتى اللواط أصبح قانونياً تجيزه المحـاكم المدنيـة ويتعاطاه كبار رجال الدولة من القضاة والنواب والوزراء والمحامين .

لقـد قام بـولس بأعـظم جنايـة على البشريـة بغرسـه عقيدة الفـداء في التعاليم المسيحيـة ، حيث جعل تصـوّر فكـرة صلب المسيـح هي الإيمـان الحقيقي ، وهي طريق الخلاص ؛ وأما العمل بالشريعة الموسوية والعيسوية فليس بواجب ، والعامـل بها ملعون ! ومن عجائب الدهر أن وصايا وتعاليم موسى وعيسى وسائر الأنبياء نبـذها المسيحيون وراء ظهورهم ، واتبعوا تعاليم بولس الوثنية منذ فجر الدين المسيحي .

يسوع وعقيدة الفداء في الأناجيل

لقـد ذهب أصحـاب هـذه العقيـدة إلى أن المسيـح قـدّم نفسـه طـوعـاً للقتـل والصلب ، واختـار أن يموت بتعـذيب مزرٍ جـداً كمجرم علّق جسـده على مشنقـة من أجل أن يبذل نفسه فداءً عن كثيرين .

يقـول صاحب معجم الـلاهوت الكتـابي في كتابـه المذكـور : (مـوت يسـوع المسيح الإختياري) .

إنه لفداء غالي الثمن ، حيث إنه يستبدل تقديم الذبائـح غير العـاقلة بالـذبيحة الشخصية والاختياريـة بعبد الـرب الذي « أفـاض للموت نفسـه » . فيسوع لم يـأت لِيُخـدم بل لِيَخـدم ، وليبـذل نفسـه فـداءً عن كثيـرين (متى : ٢٠/٢٨ . مـرقس : ١٠/٤٥)وسوف تكون ذبيحته هي وسيلة خلاصنا ، وهذا الطابع الاختيـاري في موت يسوع هو الـذي يقصد إبرازه القديس يوحنا (يوحنا : ١٨/٤ ـ ٨) كما تنبه الأنـاجيل الازائيـة بوضـوح جليّ من خلال ذكـر العشاء الأفخـارستي حيث يسلِّم المسيح نفسـه مسبقاً للموت[1] .

ومن خلال كلام صاحب المعجم وكلمات العلماء الآخرين يتضح لنا أن فكـرة الفداء والذبيحة ليست هي فكرة جديدة ، وإنما هي فكرة وثنية بشكلها البدائي ، وقد

---

(١) معجم اللاهـوت الكتابي ص ٥٩٦ ـ ٥٩٧ .

تقدم في الأبحاث أن فكرة الفداء كانت في ابتداء مراحلها أن يقدم الأهل الابن الأكبر ذبيحة للآلهة ، واليهود قاموا بهذه العبادة فذبحوا أبناءهم لآلهة الوثنيين كما نقلنا النصوص من التوراة وغيرها ، ثم تطورت هذه العقيدة عند الوثنيين ، واستبدل تقديم الأبناء بتقديم الحيوانات ذبيحة للآلهة ، وهذا عين ما ذكره صاحب المعجم حيث قال : « إنه لفداء غالي الثمن حيث إنه يستبدل تقديم الذبائح غير العاقلة بالذبيحة الشخصية والاختيارية بعبد الرب » . والمسيحيون رجعوا بهذه العبادة إلى شكلها الوثني البدائي ، حيث قدم ابن الله نفسه ذبيحة من أجل التكفير عن ذنوب البشر .

وهذه العقيدة تتعارض مع نفس الأناجيل حيث إن هناك نصوصاً تبيّن بطلان هذه العقيدة صراحة ؛ فهذا المسيح يعلّم أتباعه ويلقنهم هذا المبدأ الفطري والعقلي والإلهي ليرددوه في صلاتهم وعبادتهم يومياً :

« فقال لهم : متى صلّيتم فقولوا : أبانا الذي في السماوات . . . .
واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا ، ولا تدخلنا في تجربة ، لكن نجّنا من الشرير »[1] .

وقوله لهم أيضاً : « فإنه إن غفرتم للناس زلّاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي ، وإن لم تغفروا للناس زلّاتهم لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم[2] » .

وقوله أيضاً « فاغفروا إن كان لكم على أحدٍ شيء لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السماوات زلاتكم ، وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السماوات أيضاً زلاتكم[3] » .

وقوله لتلاميذه : « إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعني ؛ فإن من أراد أن يخلّص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها . لأنه ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه ؟ أو ماذا يعطى الإنسان فداءً عن نفسه ، فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذٍ يجازي كل واحد بحسب عمله[4] » .

---

(١) لوقا : ١١/١ ـ ٤ ، متّى : ٦/٩ ـ ١٣ .
(٢) متّى : ٦/١٥ .
(٣) مرقس : ١١/٢٥ ـ ٢٦ .
(٤) متى : ١٦/٢٤ ـ ٢٧ .

وكلام المسيح (عليه السلام) صريح بأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، ولا ينجيه شيء إلا العمل الصالح الذي يرضاه الله ، وعند ذلك يفدي نفسه ، والمسيح لا يفدي أحداً من الناس أبداً ، وكفى بهذه الآيات دليلاً على بطلان عقيدة الفداء ودعاوى بولس .

﴿ ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ، ولا يجدْ له من دون الله وليّاً ولا نصيراً ﴾(١) .

﴿ ولا تكسب كلّ نفس إلاّ عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾(٢) .

فهذه النصوص الإنجيلية تبطل عقيدة الفداء . وربّ سائل يسأل ويقول : إن الكتاب المقدس فيه أيضاً نصوص تدل على الفداء ، فكيف نجمع بين هذه النصوص المتعارضة ؟

والجواب : إن النصوص التي تدل على الفداء أضعف من النصوص التي تدل على بطلان هذه العقيدة ، وذلك لورود هذه النصوص في الأناجيل الأربعة ، بخلاف نصوص الفداء ، فإنها وردت غالباً في غير الأناجيل الأربعة من الكتاب المقدس ؛ هذا بالإضافة إلى أن هناك نصوصاً أخرى واردة عن يسوع المسيح ، وهي تعبّر عن رفضه لهذه الفكرة عملياً من خلال تصرفاته الأخيرة ، وكلماته في آخر لحظات حياته ؛ وهي أكبر دليل على بطلان هذه العقيدة .

فإذا رجعنا إلى تصرفات المسيح في اللحظات الأخيرة من حياته نجد أن كل تصرفاته وأقواله تخالف هذه العقيدة وتبطلها .

ففي متى : لمّا وصل المسيح إلى ضيعة جَشْيمَاني ، وفي نفس الليلة التي قبض عليه فيها قال لتلاميذه :

« اجلسوا ها هنا حتى أمضي وأصلّي هناك . . . وابتدأ يحزن ويكتئب فقال : نفسي حزينة جداً حتى الموت ، امكثوا ها هنا واسهروا معي . ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه ، وكان يصلّي قائلاً : يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني

---

(١) سورة النساء : الآية ١٢٣ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٦٤ .

هذه الكأس . . . يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكـأس إلا أن أشربهـا فلتكن مشيئتك[1] » .

وقد نقل مرقس نفس الكلام مع فارق بسيط حيث قال :

« يا أبا الآب كل شيء مستطاع لـك ، فأجـر عني هذه الكـأس ، ولكن ليكن ليس ما أريد أنا بل ما تريد أنت[2] » .

وفي لوقا :

« ولما صار إلى جبل الزيتون قال لتـلاميذه : صلوا لكي لا تـدخلوا في تجـربة ، ثم انفصـل عنهم . . . وجثا على ركبتيـه وصلّى قائـلاً : يا أبتـاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتـك وظهر لـه ملاك من السماء يقوّيه ، وإذ كان في جهادٍ كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات الدم نازلة على الأرض[3] » .

ومما يزيدنا إيمانـاً برفض المسيح لهـذا المصير المشؤوم صـراخه لمّـا وضعوه على خشبة الصليب فقد (صرخ بصوتٍ عظيم قائلاً : إيلي إيلي لما شبقتني ؟ أي : إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ »[4] .

فهـذه التصرفـات وهذه الكلمـات الصادرة عن يسـوع في آخر لحـظات حياتـه تنادي بأرفع صوتها بأنه كان ساخطاً وغير راض عـلى هذا المصيـر ، ولذا بـدأ يكتئب ويحزن حتى خرّ على وجهه ، وكان يصلّي بأشد لجـاجة حتى نـزل ملاك من السمـاء يقوّيه ، ومع ذلك كان عرقه يتصبّب وكأنه قطرات الدم تتساقط على الأرض ، إنـه لم يتـرك الصلاة وبقي طـوال الليل يتضـرّع ويستغيث ويطلب من ربـه ليصرف عنـه هذه الميتة الشنيعة . إن اليراع يقف عاجزاً أمام هذه الحالة التي كان عليها يسوع .

وهنا يقف المرء حائراً أمام دعوى النصارى بأن المسيح قدّم نفسه بكل اختيـاره من أجل أن يفتدي البشرية ، فكيف يمكن لنا تصديق هذه الدعوى ، وهذه الأنـاجيل

---

(١) متى : ٢٦/٣٦-٤٢ .

(٢) مرقس : ١٤/٣٦ .

(٣) لوقا : ٢٢/٣٩-٤٤ .

(٤) متى : ٢٧/٤٦ . لوقا : ٢٣/٤٦ . مرقس : ١٥/٣٤ .

تصرّح بأن المسيح كان ساخطاً على هذا المصير الأسود ، حيث جُعل مجرماً وحكم عليه بالصلب مع اللصوص ؟ فهل هناك عبارات وتصرفات أشد ممّا صدر من يسوع تدلّ على رفضه وبغضه لهذه الميتة ؟ ولا يخفى على كل عاقل أن الراضي بالشيء لا يطلب دفعه بالدعاء ، ولا يحزن حتى يخرّ على وجه ويجثو على ركبتيه يصلّي ويدعو الله طوال الليل ليصرف عنه الموت .

إن ما نقلناه كافٍ في دحض هذه الدعوى التي تزعم بأن المسيح استقبل الموت بكل رضا واختيار .

هذا وهناك دليل آخر لا يقبل الشك على كراهية المسيح لهذا المصير المزري وهو قوله :

« إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه ، ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلّم ابن الإنسان ، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد[1] » .

فلو لم يولد يهوذا الذي أسلمه للقتل لما قتل المسيح أصلاً ، فلو كان يسوع راضياً بالقتل ومحبوباً لديه لما حكم بالويل والعذاب على الرجل الذي أسلمه ، ولما كان تسليمه له أعظم جريمة ارتكبها ، وإذا كان ولا بد فيجب على المسيحيين أن يقدّسوا يهوذا ويرفعوه فوق مقام القديسين ، لأنه أسدى لهم أعظم خدمة بتسليمه يسوع للصلب وبذلك قدّمه ذبيحة وفداءً عن البشرية . ولا يخفى ـ على اللبيب ـ ما في إنجيل يوحنا من تناقض بين نصوصه في خصوص حادثة الصلب ، فهو ينقل عن يسوع أنه قال للحاكم :

« لذلك الذي أسلمني إليك خطيّة عظيمة[2] » .

وهذا الكلام يتناقض مع قوله لليهود لما جاؤوا إلى البستان الذي كان مختفياً فيه ودخلوا إليه للقبض عليه فخرج المسيح إليهم :

« وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه يسوع الناصري ، قال لهم يسوع : أنا هو . . . فلما قال لهم ذلك رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض ،

---

(١) لوقا : ٢٢/٢٢ . مرقس : ٢١/١٤ . متى : ٢٤/٢٦ .
(٢) يوحنا : ١١/١٩ .

فسألهم مرّة أخرى من تطلبون ؟ فقالوا : يسوع الناصري ، فأجاب قد قلت لكم أنا هو[1]» .

وهذا الكلام يناقض الكلام الأول تماماً ، ففي الكلام الأول حكم على من أسلمه بأنه ارتكب خطية عظيمة ، وأما في هذا الكلام فهو الذي أسلم نفسه لأعدائه ، وعليه فيجب أن تعود الخطية العظيمة إلى المسيح نفسه لا إلى يهوذا ، لأنه كان بإمكانه أن يخفي نفسه عن الأعداء . . هذا غيض من فيض مما تحفل به الأناجيل من مناقضات ، وقد مرّ عليك كثير منها وما بقي أكثر .

عقيدة الصلب عند الوثنيين

﴿ وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم ، وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه ما لهم به من علم إلا اتّباع الظن ، وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزاً حكيماً * وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمننّ به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾[2] .

لقد تحدثنا سابقاً عن تناقض الأناجيل واختلافها حول صلب المسيح ، ونقلنا أقوال العلماء والمفكرين من النصارى والمذاهب والفرق ، وأثبتنا أنه لا يوجد دليل حتى من نفس الأناجيل يدل على موت المسيح ودفنه وخروجه من القبر ، ولم نجد أي إنجيل يصرح بأن أحداً من الناس شاهده يخرج من القبر بعد دفنه ، وقد ردّ القرآن هذه المزاعم وبيّن أن السيد المسيح لم يقتل ولم يصلب ، وعقيدة الصلب هي عقيدة وثنية ، حيث إن الوثنيين كانوا يقدّمون البشر ذبيحة ، والغالب كان يقدم الأسارى والعبيد والأولاد ، وكان الرومانيون واليونانيون يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاءً لها ، كما أن المصريين كانوا يقدّمون البشر ذبيحة حتى أصبحت عادة فيهم ، وكانوا يقدمون الابن البكر من إحدى العائلات الاتاناتية ، يأخذونه إلى هيكل في فستات في عالوس ، ويضعون على رأسه إكليلاً ، ثم يذبحونه قرباناً للآلهة كما تذبح الأنعام . قال المحقق دوان[3] .

---

(١) يوحنا : ١٨/٤ ـ ٨ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٥٧ ـ ١٥٩ .

(٣) في كتابه خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الأخرى ص ١٨١ ـ ١٨٢

= Doone Bible « Myths and their parallelsin othen religions » ..

« إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداءً عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم ، وذكر هذه العقيدة عند الهنود سابق لعصر الفديك (Vedic) [1] وكتاب الركفدا يمثّل الآلهة يقدمون بروشاد ـ وهو الذكر الأول ـ قرباناً ويعدّونه مساوياً للخالق .

وجاء في كتاب التزيا برهمانا ما نصّه : « وسيد المخلوقات (برجاباتي) قدم نفسه ذبيحة للآلهة » .

وجاء أيضاً في كتاب استباتاً برهمانا ما نصّه : « والعالم لهذه الذبيحة بروشا ميدا » « أي ضحية الذكر الذكر الأول » يصير كل شيء .

وقال دوان أيضاً : « ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر ـ الذي هو نفس الإله فشنو ، والذي لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم ـ تحرك حنوّا كي يخلص الأرض من ثقل حملها ، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة » .

وقال هوك : « ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسّد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداءً عن الناس من الخطيئة » [2] .

وقال القس جورج كوكس : « ويصفون (أي الهنود) كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً ، لأنه قدم شخصه ذبيحة ، ويقولون : إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه » [3] .

وقال المسيو كوينيو : « يذكر الهنود موت كرشنا بأشكال متعددة ، أهمها أنه مات معلقاً على شجرة سمر بها بضربة حربة » [4] .

وقال دوان : « والمقصود من الشجرة (الصليب) ، وإن المستر مور قد صوّر كرشنا مصلوباً كما هو مصوّر في كتب الهنود ، مثقوب اليدين والرجلين ،

= وقد نقلنا ذلك من كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية للعلاّمة محمد تنير البيروتي .

(١) هذه اللفظة معناها العلم بالديانات ، وهي كتابات شعرية وترنيمات للهنود مؤلفة من أربعة كتب ، وقد كتبت قبل المسيح (عليه السلام) بألف عام .

(٢) رحلة هوك : المجلد الأول ص ٣٢٦ .

(٣) كوينيو : الديانات القديمة .

(٤) كتاب لاندري : الآثار المسيحية .

ومعلق بقميصه صورة قلب الإنسان »[1] .

ومن الألقاب التي يدعى بها كرشنا « الغافر من الخطايا ، والمخلص من أفعى الموت » .

وقد صور الراهب جوجيس الإله أندرا الذي يعبده أهالي النيبال مصولباً ، كما يصورونه يوم عيدهم الذي يقع في شهرآب . قال نيت : « كان الوثنيون يدعون كرشنا مخلّص الهنود الراعي الصالح ، الملوكاني الصالح »[2] . وقال هيجن نقلاً عما كتبه اندرادا الكروزويوس ، وهو أوّل أوروبي دخل بلاد النيبال[3] .

قال عند حديثه عن الإله اندرا ـ الذي يعبدونه ويقولن إنه سفك دمه بالصلب وثقب المسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم ـ : « إن صورة الصلب موجودة في كتبهم » .

وقال دوان : « وفي جنوب الهند وتنجور وفي ايونديا يعبدون إلهاً صلب اسمه « بالي » ويعتقدون بأنه فشنو تجسد (أي ظهر بالناسوت) ويصورونه مثقوب الجنب واليدين » .

وجاء في ترنيمة لبوذا :

« عانيت الإضطهاد والامتهان والسجن والموت والقتل بصبر وحبّ عظيم ، لجلب السعادة للنّاس ، وسامحت المسيئين إليك » .

ويدّعون أن (بوذا) ـ الطبيب العظيم ومخلّص العالم ـ قدم نفسه ذبيحة ليكفّر آثام البشر ويجعلهم ورثاء ملكوت السماوات ، وبولادته ترك كافة مجده في العالم ليخلص الناس من الشقاء والعذاب كما نذر .

وقال لبي هوك : « إن بوذا بنظر البوذيين إنسان وإله معاً ، وإنه تجسد بالناسوت في هذا العالم يهدي الناس ويفديهم ويبيّن لهم طريق الأمان . وهذا التجسد اللاهوتي يعتقده كافة البوذيين كما يعتقدون أن بوذا هو مخلص الناس »[4]

---

(١) دوان : خرافات التوراة ص ١٨٤ .

(٢) نيت : الصناعة والخرافات القديمة ص ٢٣ .

(٣) هيجن في كتابه : . The Celtik Druids

(٤) رحلة هوك : المجلد الأول .

وقال مكس مولر : « البوذيون يزعمون أن بوذا قال : دعوا كل الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع عليّ كي يخلص العالم »[١] .

وقال العلاّمة بيل : « قال : (بوجانا) : سأتخذ جسداً ناسوتياً وأنزل فأولد بين الناس لأمنحهم السلام وراحة الجسد ، وأزيل أحزان وأتراح العالم ، وإن عملي هذا لا أبغي به اكتساب شيء من الغنى والسرور »[٢] .

وقال وليمس : « الهنود يقولون : ومن رحمته (أي بوذا) تركه للفردوس ومجيئه إلى الدنيا من أجل خطايا بني الإنسان وشفائهم ، كي يبررهم من ذنوبهم ، ويزيل عنهم القصاص الذي يستحقونه »[٣] .

الصلب عند الصينيين

قال دوان : « وكان الفداء بواسطة التألّم والموت لمخلص إلٰهي قديم العهد جداً عند الصينيين ، وإن أحد كتبهم المقدسة المدعو « يبكينك » يقول عن « تيان » : إنه القدوس الواحد ذو الفضائل السماوية والأرضية ، وإنه سيعيد الكون إلى البر ، وإنه يعمل ويتألم كثيراً ، ولا بد له من اجتياز تيار عظيم تدخل أمواجه إلى نفسه ، وإنه الوحيد القادر على أن يقدم للرب ذبيحة تليق به . . . فالناس يقدمون أنفسهم ذبيحة من أجل اكتساب قوتهم ، والفلاسفة لاكتساب جاهٍ وشهرة ، والأمراء لتثبيت عيالهم ، أما القدوس « تيان » فلأجل الناس يموت ليخلص الطالح ، ويقولون عنه أيضاً إنه واحد مع الله منذ الأزل قبل كل شيء »[٤] .

الصلب عند المصريين

أما المصريون فإنهم يحترمون أوزيريس ويعدّونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة[٥] . وقال دوان نقلاً عن السر ولكنسون : « إن تألم وموت أوزيريس هما السر العظيم في ديانة المصريين ، وبعض آثار هذه العقيدة ظاهر في

---

(١) تاريخ آداب اللغة السنسكريتية ص ٨٠ .

(٢) تاريخ بوذا ص ٣٣ .

(٣) ديانة الهنود ص ٢١٤ .

(٤) خرافات التوراة لدوان ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

(٥) موري في كتابه : الخرافات ص ٣٨٤ ، . Murray Mawal of My thology

ديانات الأمم، ويعدّونه الصلاح الإلهي ، وجالب الفكر الصالح . وكيفية ظهوره على الأرض وموته وقيامه من بين الأموات ـ وأنه سيكون ديّان الأموات في اليوم الأخير ـ تشابه آلهة الهنود » .

الصلب عند الفريجيين

وأما الفريجيّون وهم سكان آسيا الصغرى فإنهم كانوا يدّعون أن « هورس » هو المخلص والفادي ، وإله الحياة والواحد الأبدي المولود الوحيد ، وكانوا يعبدون أتيس الولد الوحيد المخلص ، ويمثلونه برجل مقيد على شجرة وتحت رجليه حمل شبيه « بولو » الذي كان يعبده الميليتيون ؛ فإنهم كانوا يزعمون أنه مات بالجسد ، وأنه حكيم عمل العجائب ، وقد قبض عليه جنود الكلدانيين وقتلوه وسمروه كي يزداد تألماً ، وأنه صلب لأجل خلاصهم[1] .

وقالت السيدة جمصون في كتابها تاريخ (سيدنا) من الآثار : كان الملليتيون يمثلون الإله إنساناً مصلوباً مقيد اليدين والرجلين بحبل على خشبة ، وتحت رجليه صورة حمل .

الصلب عند السوريين

كان السوريون يقولون إن تموز الإله المولود البكر من عذراء تألم من أجل الناس ، ويدعونه ـ المخلص ـ والفادي والمصلوب ، وكانوا يحتفلون في يوم مخصوص من السنة تذكراً لموته ، فيصنعون صنماً على أنه هو يضعونه على فراش ويندبونه ، والكهنة ترتل قائلة : ثقوا بربكم فإن الآلام التي قاساها قد جلبت لنا الخلاص .

الصلب عند الوثنيين اليونان

وأما اليونان فإنهم كانوا يدعون « بروميسيون » مخلصاً ، كما يدعونه أيضاً الإله الحي صديق البشر ، المقدم نفسه ذبيحة لخلاص الناس .

ورواية صلب القراسيوس الهائلة التي كتبها اسيوس في أثينا قبل المسيح

---

(١) دوان : خرافات التوراة ص ١٩٠ .

(عليه السلام) بخمس مائة عام هي أقوم شعر باق إلى الوقت الحاضر بخصوص الصلب ؛ وقد أبدع في تصوير ما قاساه ذلك الإله من عذاب وآلآم ، ولا يتمالك قارىء روايته من الانفعال الكبير ، وكيف تأثر أولئك الذين كانوا يعتقدون بألوهية بطل هذه الرواية ، وهو خالقهم ونافعهم ومخلّصهم ؛ وقد جلب عليه أعداؤهم الآثام والآلام التي احتملها والأحزان التي قاساها من أجل خلاصهم ، وبسبب ذنوبهم جرح ، وبداعي طغيانهم سُحق وتحمَّل القصاص لنجاتهم ، وبضربه وجلده شُفوا ، وأنه اضطهد وتألَّم وامتهن ولم يتململ .

وقد ظهر صبره العظيم حينما كانت كهنة إله الشر تسمّر يديه ورجليه بحبل قوتاسوس ، وليس له شبيه أو مثيل إلا الكمال الذي أجراه ـ وهو معلق ، ويداه ممدودتان بشكل الصليب ـ خدمةً للناس وحبّاً بهم ، وهذه الخدمة جلبت عليه هذا الصلب المخيف[1] .

الصلب عند الوثنيين الرومان

أما الرومان فكانوا يدعون باخوس ابن المشتري من العذراء المخلص (الابن الوحيد) الذبيح ـ حامل الخطايا ـ الفادي ـ وكانوا يقولون : «لما كثر الشر في الأرض طلب بندورا وتوسل إلى المشتري سيد الآلهة كي يأتي ويخلص الناس من الآثام والخطايا ، فاستجاب المشتري لهم وجعل ابنه مخلصاً للمذنبين في العالم ، وتعهد باخوس الفادي بتحرير الأرض من الأوزار ، وأنه سيعبده الناس ويرتلون التسابيح تمجيداً لاسمه ؛ ومن أجل تتميم هذا العمل حلّ الإله المشتري (سميل) العذراء البديعة فحملت ودعيت والدة الإله ، وقال باخوس الفادي للأمم : أنا مرشدكم وحاميكم وفاديكم ، أنا الألف والأميكا .

وكان هيركلوس بن زنيس يدعى (المخلص) وقد وجدت نقود منقوش عليها (هيركلوس المخلص) ، وكانوا يدعونه أيضاً الابن الوحيد والكلمة ، وأنه عاد واتحد مع الإله ، وأنه مكوّن كل شيء ، وهو أبو الزمان .

(واسكولابيوس) يدعى أيضاً المخلص ، والهيكل المشاد تذكاراً على

---

(١) دوان : خرافات التوراة ص ١٩٢ .

اسمه يدعى هيكل « المخلص » ، (وأبولو) يدعى (المخلص)[١] .

وكانت جيوش يورس تحمل علماً عليه صورة صليب[٢] قال هيجن : إن تلك الصورة تمثل إما أوستروبات أو سليفا هنا ، فإنهما يظهران للرائي كأنهما صورة إنسان ؛ كان يحملها الرومانيون على رؤوس أعلامهم، وهي تشابه رمز الحمامة التي يضعها الآشوريون على رؤوس أعلامهم ، ولا بد أن تكون تلك الصورة هي صورة ابن الله المصلوب[٣] .

وكان الوثنيون يدعون أبولو « الراعي الصالح » ، وكذلك دعوا عطارد « الراعي الصالح »[٤] .

قال دوان : كان الرومانيون يؤلهون ملوكهم ويعبدونهم ، منهم روميلوس مؤسس رومية ، ويدعونه (ابن الله) ولد من العذراء (واسيلفيا) ، ويقولون عن يوليوس (ابن الله) ويقولون في بلاتو (ابن الله) ، وكانت ولادته في أثينا سنة ٤٢٩ قبل الميلاد ، ويعتقدون أنه ولد من عذراء طاهرة تقية ، وأن إيريس الذي هو أباه أُنذر في المنام بأن لا يقترب منها ولا يمسها حتى تضع حملها ، لأنها حبلى من الإله أبولو[٥] .

الصلب عند الفرس

وأما الفرس فإنهم يعتقدون بأن مترا هو الوسيط بين الله والناس ، والمخلص الذي بتألمه خلص الناس ففداهم ، ويدعونه (الكلمة) والفادي ، ويعتقدون أيضاً بأن زر وستر المتشرع مرسل إلهي أُرسل ليخلص الناس من الطرق الشريرة ، وإلى هذا الحين نرى أتباعه يدعون زر وستر (الحي المبارك المولود البكر الواحد الأبدي) .

ولما ولد ظهر نور أضاء الغرفة التي ولد فيها ، وأنه ضحك لأمه من حين

---

(١) خرافات التوراة ص ١٩٣ .

(٢) أريان في تاريخه عن رموز الاسكندر .

(٣) هيجن في كتابه : الدرويد الكليتكيين .

(٤) نيت في كتابه ؛ الصناعة والخرافات القديمة ص ٢٢ .

(٥) خرافات التوراة ص ١٢٥ .

ولادته ، ويدعونه (النور الشعشعاني) البارز من شجرة المعرفة الذي علق على الشجرة[1] .

الصلب عند المكسيكيين

لقد عبد المكسيكيون إلهاً مصلوباً دعوه المخلص والفادي ، ويسمون ابن الله في لغتهم (باكوب) و (أوبوكو) وقد أحرق الإسبانيون كتب سكان المكسيك والپيرو ، وخربوا هياكلهم ومعابدهم وأبادوها ، وبذلك أضاعوا على الباحثين أكثر الآثار والمدارك التي كانت أكبر دليل على عبادات وعقائد المكسيكيين ، وكان سكان المكسيك قبل ذهاب كولومبو إليها بأجيال عديدة يعبدون إلهاً مخلّصاً اسمه (كوتز لكوتل) ولد من عذراء بتول طاهرة ، وكانوا يقولون إنه رسول من السماء ، وبُشِّرت أمه بأنها ستحمل به من غير مضاجعة رجل ، واسم أمّه العذراء (حوبشيكترال ملكة السماء)[2] .

وعقيدة النصارى في الصلب والفداء هي بعينها عقيدة الوثنيين ، كما أن ألقاب آلهة الوثنيين هي بعينها ألقاب المسيح كما سوف نذكر ذلك ، وقد تقدم منّا البحث حول عقيدة النصارى في الصلب والفداء ، فلا حاجة للتكرار[3] .



---

(١) خرافات التوراة ص ١٩٣ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) راجع متى : الأصحاح ٢٧ . ومرقس : ٥ . ولوقا : ٢٣ . ويوحنا : ١٩ . وأصرح نصّ في هذه العقيدة قول بولس : « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنةً لأجلنا . لأنه مكتوب ملعون كل من علّق على خشبة » . (غلاطية : ٣/١٣) .

عقيدة التثليث عند الوثنيين والنصارى

الأب ، الابن ، روح القدس

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إلهٌ واحد ﴾(١) .

﴿ يـا أهل الكتـاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقـولـوا على الله إلاّ الحق ، إنمـا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، فآمنوا بـالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون لـه ولد ، له ما في السمـاوات وما في الأرض ، وكفى بالله وكيلاً ﴾(٢) .

من طالع العقائد القديمة ـ وخاصة الوثنية منها ـ يجد بينها كمال التشابه ، ومن نظر في تاريخ البشرية وحياة الشعوب القديمـة يجد أنهـا تشترك في كثيـر من العادات والتقاليد ، ولا تختلف إلا في بعض النقاط ، وإن كانت كـل أمـةٍ تتخـذ آلهة خـاصة وتسميها بأسماء خاصة قد تختلف عن أسمـاء آلهة الأمـة الأخرى ، ولعـلّ السبب في هذا التشابـه هو الاختـلاط بين تلك الأمم واستعمار القـويّ منها للضعيف ، وهـذا ما جعل الشعوب المقهورة دائماً تأخذ بعادات وتقاليد ومذاهب الشعـوب القاهـرة ، عن قصـد أو عن غيـر قصـد ؛ وهـذه حقيقـة تـاريخيـة لا يمكن لأي بـاحث أن يغفلها ، والاستعمار الحديث خير شاهد على ذلك .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٧٣ .

(٢) سور النساء : الآية ١٧١ .

وهكذا تأثرت الحضارات ببعضهما البعض ، وفرض القويّ دينه وتقـاليده على الضعيف ، وهذه الحقيقة نجدها واضحة في تاريخ الأديان الوثنية ، حيث إنها تتشابه في أعظم أصولها وأفكارهـا ، وإن اختلفت وتعددت في الـظاهر ؛ وربمـا يخفى هذا التشابه على بعض الناس لأنهم لا ينظرون إلى التـاريخ إلا من كـوة خاصـة ، ولذا لا تـظهر لهم هـذه الحقيقة ، وإن حـاول بعض علماء الأديـان إنكار تـأثـرهـم بـالأديـان الوثنية ، وتظاهروا بخلاف ذلك .

لقـد عبد الـوثنيون الحيـوانات بشتّى أنـواعها من الأفـاعي والخنـازيـر والثيـران والفئران والضأن والمـاعز ، وعبـدوا الأصنام المختلفـة ، وكان المصـريون يقـدّسون العجل ، وخاصة العجل أبيس ، وكان الفرس يعظمون الثور لما لـه من قدرة عـظيمة على الإخصاب ، كما كانوا يصلّون للبقر ويقربون لها القرابين[1] .

وكان أكثر الحيـوانات قـدسيةعنـد الهندي هي البقـرة ، فترى تمـاثيل الثيـران مصنوعة من كـل مادة وفي شتى الأحجـام ، تراهـا في المعابـد والمنازل والسـاحات العامة ، وأما البقرة نفسهـا فهي أحب الكائنـات الحيّة جميعـاً عند الهنـود[2] . وكان سكان جزيرة كريت التي في بحـر ايجه قبـل الميلاد بـ ٢٠٠٠ عـام يعبدون الأفـاعي واليمام والثيران والعدد ٣[3] .

وكذلك كان الثور حيـواناً مقـدساً عنـد اليونـان ، وكان الخنـزير مقـدساً لكثـرة تناسله[4] . وقد تأثّر اليهود تأثراً عجيباً بالأديان الوثنية ، وعبدوا آلهة الـوثنيين وخاصـة العجـل ، ولم يتخلّوا طيلة حياتهم عن عبـادة العجل ، وبعـد أن خلّصهم مـوسى من عبودية فرعون ونجّاهم من البحر ، وبعد مشاهدتهم للآيات الباهرة والعظيمـة على يد موسى طلبوا من موسى أن يجعل لهم عجلاً كما للمصريين عجل .

قال ول ديورانت :

« كـان اليهود في بـدء ظهورهم على مسـرح التاريـخ بـدواً رحّـلاً ، يخـافـون

(١) قصة الحضارة : ٤٤١/٢ .
(٢) قصة الحضارة : ٢٠٨/٣ .
(٣) قصة الحضارة : ٢٩/٦ .
(٤) قصة الحضارة : ٣٢٥/٦ .

الشياطين ، ويعبدون الصخور والماشية والضأن وأرواح الكهوف والجبال ، ولم يتخلّوا قط عن عبادة العجل والكبش والجمل ، ذلك أن موسى لم يستطع منع قطيعه من عبادة العجل الذهبي ، لأن عبادة العجل كانت ولا تزال حيّة في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر ، وظلّوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوي آكلٍ العشب رمزاً لإلههم »[1] . وقد تحدثنا في قسم التوراة عن التوحيد عند اليهود مفصلاً فراجع .

والدين البولسي أشد توغلاً في الوثنية من الدين اليهودي ؛ فقد جمع بولس العقائد الوثنية وصبغها بالصبغة المسيحية .

قال ول ديورانت :

« إن المسيحية لم تقضي على الوثنية بل تبنّتها ، ذلك أن العقل اليوناني المتضرر عاد إلى الحياة في صورة جديدة ، في لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قروناً عدة صاحبة السلطان على السياسة أداة الآداب والطقوس المسيحية ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القدّاس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف ، فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ، ويوم الحساب ، وأبدية الثواب والعقاب ، وخلود الإنسان في هذا أو ذاك ؛ ومنها جاءت عبادة أم الطفل ، والاتصال الصوفي بالله ،ذلك الاتصّال الذي أوجد الأفلاطونية الحديثة واللاأدرية ، وطمس معالم العقيدة المسيحية ؛ ومن مصر أيضاً استمدت الأديرة نشأتها ، والصورة التي نسجت على منوالها ؛ ومن فرجيا جاءت عبادة الأم العظمى ، ومن سوريا أخذت تمثيلية بعث أونيس ، وربما كانت تراقيا هي التي بعثت للمسيحية بطقوس ديونيشس وموت الإله ونجاته ؛ ومن بلاد فارس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه الأرض ألف عام ، وعصور الأرض ، وثنائية الشيطان والله ، والظلمة والنور ، فمن عهد الإنجيل الرابع يصبح المسيح نوراً يضيء في الظلمة ، والظلمة لم تدركه .

ولقد بلغ التشابه بين الطقوس المثراسية والقربان المقدس في القداس حدّاً جعل الآباء المسيحيين يتهمون إبليس بأنه هو الذي ابتدعه ليضلّ به ضعاف العقول .

---

(١) قصة الحضارة : ٢/٣٣٨ .

وقصارى القول : إن المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم[1] .

وزبدة المخض أن التشابه في الأديان الوثنية لا شك فيه ، وذلك يعود بالدرجة الأولى إلى اختلاط الأمم ببعضها البعض ، وحمل القوي الضعيف على تقليده في عقيدته ؛ هذا بالإضافة إلى الجهل الحاكم على غالب الناس ، وثقة الناس بالكهنة الذين كانوا يبدّلون الدين ويغيّرونه بحسب أهوائهم ومصالحهم الشخصية .

التثليث

هو من أقدم العبادات الوثنية في التاريخ ، فقد كشف البارون ڤون أوبنهايم عند كل حلف وغيره من الأماكن كثيراً من تحف الحثيين الغنية ، وجمعها في متحفه في برلين ، ويُرجع كاشف هذه الآثار تاريخ معظمها إلى حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد ، ويرى البعض أنه يعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد ، وتحتوي هذه المجموعة على طائفة من الأسناد منحوتة في الحجر نحتاً ساذجاً ، ولكنه قوي ، وتماثيل لثالوث الآلهة الحثية إله الشمس ، وإله الجو ، وهبات إشتار الحثيين[2] .

وقد أجمع علماء الآثار على وجود هذه العقيدة في الحضارات السابقة على ولادة المسيح ، وكذلك المحققون من علماء الغرب .

قال برتشرد : « لا تخلو كافّة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث ، أو التوالد الثلاثي (أي الأب والابن وروح القدس) »[3] .

وقال موريس في كتابه : الآثار الهندية القديمة : « كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي (أي إن الإله ذو ثلاثة أقانيم) »[4] .

---

(١) قصة الحضارة : ١١/٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

(٢) قصة الحضارة : ٢/٣٠٢ .

(٣) خرافات المصريين الوثنيين ص ٢٨٥ .

Prichard : an analysis of the historical records of ancient egypt .

(٤) الآثار الهندية القديمة : ج ٦/٣٥ . Maurice - Indian antiquities .

التثليث عند الهنود

إذا سبرنا الديانة الهندية القديمة وجدنا أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث (أي القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم) ويدعون هذا التعليم في لغتهم « تري مورتي » وهي جملة مركبة من كلمتين سنسكريتين أما « تري » فمعناها ثلاثة ، « ومورتي » معناها هيئات أو أقانيم ، وهي : (برهمه ، وفشنو ، وسيفا) ثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة ، وهي الرب والمخلص وسيفا ، ومجموع هذه الثلاثة أقانيم إله واحد ؛ ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف وهي الألف والواو والميم ، ويلفظونها « أُوم »ولا ينطقون بها إلا في صلاتهم ، ويحترمون رمزها في معابدهم احتراماً عظيماً .

ولما أراد برهمة (خالق الوجود الذي لا شكل له ولا تؤثر فيه الصفات) أن يخلق الخلق إتّخذ صفة الفعل وصار شخصاً ذكراً وهو « برهمة الخالق » ثم زاد في العمل فانقلب إلى الصفة الثانية من الوجود ، فكان « فشنو » الحافظ ، ثم انقلب إلى الصفة الثالثة الظلالية فكان « سيفا » المهلك ؛ ويدعون هذه الصفات الثلاثة أيضاً « تري مورتي » أي : الأقانيم الثلاثة ، ويشبهونها بالنار ، ويدعون أيضاً (ألني وسوريا وأندرا) وغير ذلك من الأسماء الثلاثية . وجاء في كتب البرهميين المقدسة المعتبرة لديهم أنّ هذا الثالوث المقدس غير منقسم في الجوهر والفعل والإمتزاج ، ويوضحونه بقولهم :

« برهمة الممثل لمبادىء التكوين والخلق ، ولا يزال خلّاقاً إلهياً هو (الآب) .

وفشنو يمثل مبادىء الحماية والحفظ وهو (الابن) المنفك والمنقلب عن الحال اللاهوتية .

وسِيفا المبدىء والمهلك والمبيد والمعيد (وهو روح القدس) ويدعونه كرشنا الرب المخلص والروح العظيم حافظ العالم المنبثق (أي المتولد منه) فشنوا الإله الذي ظهر بالناسوت على الأرض ليخلص الناس ، فهو أحد الأقانيم الثلاثة التي هي الإله الواحد » .

وجاء في (الكبيتا) ـ وهو أحد الكتب الدينية المقدسة عندهم ـ أن كرشنا

قال : « أنا رب المخلوقات جميعها ، أنا سر الألف التي هي ثلاثة آلهة إله واحد » ، فالأقنوم الثالث وهو في صفته المظلمة (المهلك) وفي صفته الحسنة (المعيد) يعبرون عنه بصورة حمامة ، ويقصدون بهذه الصورة الرمز عن الإعادة والخلق الجديد ، وهو الروح الذي يرفّ على وجه الماء . ويعبّرون عن الأقانيم الثلاثة الأبدية الجوهرية بالألف والواو والميم (أوم) كما تقدم ، وهذه الأقانيم الثلاثة ـ الخالق ـ والحافظ ـ والمهلك ـ وأنها تتناوب العمل أي : إن الابن يعمل عمل الآب وروح القدس ـ وروح القدس يعمل عمل الآب والابن ـ والآب يعمل عمل الابن ورح القدس[1] .

ومتى ودُّوا التكلم عنه بصفة الخالق قالوا : (الإله برهمة) ، ومتى راموا الحديث عنه بصفة (المهلك) قالوا : (سِيفا) أو (مهديفا) ، ومتى أرادوا وصفه بصفة الحافظ يقولون : الإله (فشنو) ويقولون : « إن هذا الثالوث المقدس حاضر في كل مكان بالروح والقدرة »[2] .

التثليث عند البرهميين

يقول البرهميون في كتبهم الدينية : إن أحد الصالحين وهو (اتنير) رأى أنه من الواجب أن تكون العبادة لإله واحد ، فتوسل ببرهمة وفشنو وسيفا قائلاً :

« يا أيها الأرباب الثلاثة ، اعلموا أني أعترف بوجود إلهٍ واحد ، فأخبروني أيّكم الإله الحقيقي لأقرّب له نذري وصلاتي » .

فظهرت الآلهة الثلاثة وقالوا له : إعلم أيها العابد أنه لا يوجد فرق حقيقي بيننا ، وأما ما تراه من ثلاثة فما هو إلا بالشبه أو الشكل ، والكائن الواحد الظاهر بالأقانيم الثلاثة هو واحد بالذات[3] .

وقد وجد بأنقاض أحد الهياكل الذي خرّبته مرور القرون في الهند صنماً له ثلاثة رؤوس على جسد واحد ، والمقصود منه (التعبير عن الثالوث)[4] .

---

(١) خرافات التوراة ص ٣٦٦ .

(٢) هلسلي ستيفنس في كتابه : الإيمان والعقل ص ٧٨ .

(٣) الهند : لألن ص ٣٨٢ .

(٤) آثار الهند القديمة ج ٤ /٣٧٢ .

وفي تضـرّعات الـزاهد (أمـورا) ما نصـه : « لك أقـدم التعظيم والخشـوع يا رب ، أنت الإله الرحيم ، يـا شافي الآلام والأتعـاب ، يا رب كـل شيء ، يا حـافظ الكائنات ، يا مصدر الرحمة نحو عبادك ، يا مالك كل شيء ، يـا حيّ ، أنت برهمـة وفشنو وسيفا ، إني أعبدك ، تميزت بأسمائك الألف ، وأشكالك المختلفة ، وشكـل بوذا إله الرحمة »[1] .

التثليث عند البوذيين الصينيين

إن الغـالبية العـظمى لسكان الصين واليـابان هي من البـوذيين ، وهم يعبدون إلهـاً مثلث الأقانيم يسمـونه (فـو) ومتى أرادوا ذكر هـذا الثالـوث المقـدس قـالـوا : الثالوث النقي (فو) ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام التي وجـدت في الهند ، ويقولون أيضاً (فو) واحد ، ولكنه ذو ثلاثة أشكال .

ويوجد في أحد المعابـد المختصة (ببـوتالا) في منشـوريا تمثـال (فو) مثلث الأقانيم[2] .

وكما نجد عند الهنود ثالوثاً مؤلفاً من بـرهمة وفشنـو وسيفا ، كـذلك نجـد عند البوذيين ، فإنهم يقولون إن بوذا إله ، ويقولون بأقانيمه الثلاثة .

والصينيون يعبدون بوذا ويسمونه (فو) ، ويقولون إنه ذو ثلاثة أقانيم ، والألف والواو والميم كما تقول الهنود تماماً[3] .

وأنصـار الفيلسوف الصيني المشهـور « لاوكومنـذا » الذي عـاش قبل المسيـح (ب ٦٠٤) كانوا يعبدون إلهاً مثلّث الأقانيم ، ويُدعون شيعة (تـاوو) وأساس تعليم فلسفته اللاهوتية أن (تاوو) وهو العقل الأبدي ، انبثق منه واحد ، ومن هـذا الواحـد انبثق ثانٍ ، ومن الثاني انبثق ثالث ، ومن هذه الثـلاثة صـدر كل شيء ، وهـذا القول بالتوليد أدهش العلامة موريس لأن قائله وثني[4] .

---

(١) جونس في كتابه : التنقيبات الأسيوية ج ٣/ ٢٨٥ .

(٢) خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الأخرى ص ٣٧٢ ودافس في كتابه : الصين ج ٢/ ١٠١ - ١٠٣ .

(٣) أصل الوثنية : . Faber - origin of heathen Idolatry

(٤) خرافات التوراة ص ١٧٢ .

التثليث عند الفرس

كان الفرس يدعون متروساً ـ الكلمة ـ والوسيط ومخلص[1] قال دوان : وكان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم مثل الهنود تماماً وهم (أورمزد) و (متراث) و(أهرمان) فأورمزد الخلّاق ، ومتراث ابن الله المخلص والوسيط ، واهرمان المهلك ، ويوجد في كتابات زور سترسانن الشرائع الفارسية هذه الجملة « الثالوث اللاهوتي مضيءٌ في العالم ورأس هذا الثالوث موناد » .

التثليث عند المصريين

كان المصريون القدماء يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم مصوراً في أقدم هياكلهم ، ويرى العلماء أن الرمز الذي يصورونه وهو جناح طير ووكر وأفعى هو إشارة إلى ذلك الثالوث واختلاف صفاته[2] .

وقد اتّحدت آلهة مصر المتعددة ، وامتزج أعظم أرباب مصر وهو (رع) (وأمون) وإله آخر هو (فتاح) فأصبحت صور أو مظاهر لإله واحد أعلى ، يجمع الثلاثة[3] وهذا هو التثليث ، وكان كهنة هيكل عمفيس بمصر يعبّرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعلم الدين بقولهم : إن الأول خلق الثاني ، والثاني مع الأول خلقا الثالث ، وبذلك تمّ الثالوث .

وقد سأل توليسو ملك مصر الكاهن (تنيشوكي) أن يخبره هل كان أحد أعظم منه ، أو هل يكون بعده من هو أعظم منه ؟ فقال له الكاهن : « نعم يوجد من هو أعظم ، وهو أولاً الله ـ ثم الكلمة ، ومعهما روح القدس ؛ ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة وهم واحد بالذات ، وعنهم صدرت القوة الأبدية ؛ فاذهب يا فاني يا صاحب الحياة القصيرة »[4] .

ومما لا شك فيه أن تسمية الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس كلمة هو من أصل مصري دخل في غيره من الديانات ، كالديانة المسيحية .

---

(١) راجع كتاب (ابن الإنسان) لدونلاب ص ٢٠ وكتاب (المسيح الملاك) لبنصون ص ٧٥ .
(٢) (الإيمان والعقل) لهلسلي ستيفنس ص ٢٨ .
(٣) قصة الحضارة : ٢/١٦١ .
(٤) خرافات التوراة وما يماثلها من الأديان الأخرى ص ٤٧٣ .

وأبولو المدفون بدلهي يدعى (الكلمة) ، وفي اللاهوت الاسكندري الذي كان يعلمه (بلاتو) قبل المسيح بسنين طويلة : الكلمة هي الإله الثاني ، ويدعى أيضاً ابن الله البكر[1] .

قال بونويك في كتابه : اعتقاد المصريين :

« وأغرب عقيدة عمّ انتشارها في ديانةالمصريين الوثنيين هي قولهم « بلاهوت الكلمة » وأن كل شيء صار بواسطتها ، وأنها منبثقة من الله ، وأنها الله . وكان بلاتو عارفاً بهذه العقيدة الوثنية ، وكذلك ارستو وغيرهما ، وكان ذلك قبل المسيح بسنين ، ولم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون بهذا القول ويعتقدون بهذا الاعتقاد إلا أخيراً» . وقال أيضاً : « وكما أن للكلمة مقاماً سامياً عند المصريين الوثنيين ، كذلك يوجد في كتبهم الدينية المقدسة هذه الجملة : إني أعلم بسبر لاهوت الكلمة ، وهي كلمة رب كل شيء ، وهو الصانع لها ، فالكلمة هي الأقنوم الأول بعد الإله ، وهي غير مخلوقة ، وهي الحاكم المطلق على كافة المخلوقات »[2] .

التثليث عند الكلدانيين

كان الكلدانيون يقولون للكلمة (ممرار) كما أن اليونانيين يقولون بأنه الصانع للعالم والحاكم عليه ، وأن ليس من شيء أعظم منه إلا الله[3] .

قال فرو ثنغام في كتابه (مهد المسيح) ما نصه :

« كان فولو يدعى (الكلمة) ، وكانوا يعظمونه جداً ويصفونه بهذه العبارات :

---

(١) هيجن في كتابه الانكلوسكسنس ج ١٦٢/٢ .

(٢) اعتقاد المصريين ص ٤٠٢ ـ ٤٠٤ . (قوله وهي غير مخلوقة) لا يخفى على القارىء الكريم أن مسألة خلق القرآن ـ وذهاب الأشاعرة إلى أنه غير مخلوق ـ ربّما أخذت عن اليهود الذين أخذوا هذه الفكرة عن الوثنيين ، وقد اخذت مدرسة الخلفاء بكثير من عقائد وأفكار أهل الكتاب ، وخاصة اليهود ، وكتب الصحاح وغيرها تحتوي على الكثير من الإسرائيليات ، وأما مدرسة أهل البيت فلا تعير هذه المسألة أي اهتمام ، ولم يتعرض لها أئمة أهل البيت لا من قريب ولا من بعيد ، لِأنّها مسألة سياسية استغلها الحكام المسلمون للقضاء على مخالفيهم ، كما فعل هارون الرشيد وغيره .

(٣) خرافات التوراة ص ٣٧٤ .

فولو الكائن قبل كل شيء .
ابن الله البكر .
الخبز السماوي الأبدي .
ينبوع الحكمة .
الدال على الله .
النائب عن الله .
صورة الله .
الكاهن .
خالق العالم .
الإله الثاني .
المترجم عن الله .
سفير الله .
قوة الله .
الملك ـ الملاك .
الإنسان ـ الوسيط .
النور الابتدائي ـ الشرق .
اسم الله ـ الفادي[1] .

التثليث عند الآشوريين

قال دوان : وكان الآشوريون يدعون مردوخ الكلمة ، ويدعونه أيضاً ابن الله البكر ، وكانوا يتوسلون إليه بهذا الدعاء : « أنت القادر الموفّق ، ومانح الحياة ، أنت الرحيم بين الآلهة ، أنت ابن الله البكر ، خالق السماوات والأرض ومالكها ، ليس لك شبيه ، أنت الرحيم ومحيي الأموات »[2] .

التثليث عند اليونان

كان الوثنيون اليونان يعتقدون بإله مثلث الأقانيم ، وكان كاهنهم إذا شرع

(١) مهد المسيح ص ١١٢ .
(٢) خرافات التوراة ص ٤٧٣ .

بتقديم الذبائح يرشّون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات إشارة إلى الثالوث ، ويرشّون المجتمعين حول المذبح أيضاً ثلاث مرات ، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاث أصابع ، ويعتقدون بأن الحكماء قد صرحوا أن كل الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة ، ولهم اعتناء تام بهذا العدد ، إلى التثليث في كافة أحوالهم الدينية(١) .

قال ول ديورانت : وانتقل الاعتقاد بأن لبعض الأعداد قوى سحرية من فيثاغورس عن طريق الآباء المسيحيين ، فكان رقم (٣) وهو عدد الثالوث المقدس أكثر الأعداد قداسة(٢) .

وهذا التعليم الثالوثي أصله من مصر ، وكثيرون من الآباء في الجيل الثالث والرابع قالوا إن فيثاغورس وهيركليتوس وبلاتو عملوا التثليث ، وقد اخذوا فلسفتهم في التثليث عن أورفيوس(٣) .

وكان الوثنيون الرومان يعتقدون بالتثليث ، وهو أولاً الله ، ثم الكلمة ، ثم الروح(٤) .

وقد شيد آخر فلاسفة الوثنيين أفلوطينس الذي تتلمذ على يد أمونيوتس الذي ارتدّ عن المسيحية إلى الوثنية ، شيّد فلسفته عن الإله على التثليث ، فكان يقول : « إنَّ الإلـه هو ثالوث من الوحدة ben والفكرة nous والنفس psyche ، ومن وراء الكائن يوجد الواحد »(٥) .

فهو مسيحي بلا مسيح ، كما يقول ول ديورانت ، ولقد قبلت المسيحية كل سطر في أسطره تقريباً(٦) .

وفي عام ١٨٩٥ اكتشف جماعة من الإيطاليين في حاجيا تريادا ـ وهو قصر في كنوستس في كريت ، وهي جزيرة في بحر إيجه ـ وجدوا فيه الثالوث المقدس الذي

---

(١) ترقي التصورات الدينية : ج ٣٠٧/١ .
(٢) قصة الحضارة : ١٦٠/١٧ وقد نقلنا سابقاً ص ٣٣٢ أن سكان جزيرة كريت كانوا يعبدون العدد ٣ .
(٣) دائرة المعارف لنشمبرس ؛ مادة أورفيوس .
(٤) الخرافات ومخترعوها ص ٢٠٥ .
(٥) قصة الحضارة : ج ٣٠٢/١١ ـ ٣٠٣ .
(٦) قصة الحضارة : ٣٠٣/١١ . وعلم الكلام أو اللاهوت عند المسيحيين مبني على هذا الاستدلال .

كـان اليونـانيون يعبـدونه ويقـدسونـه ، ويعود ذلـك إلى قـابين ٣٤٠٠ ـ ١٢٠٠ قبـل الميلاد[١] .

التثليث عند الفلنديين والاسكندنافيين

كان للفلنديين ـ وهم برابرة كانوا يسكنـون شمالي روسيـا في القرون الخـالية ـ إلهٌ اسمه « تريكلاف » وقد وجد تمثال له في هرتو (نجر برج) لـه ثلاثـة رؤوس على جسد واحد[٢] .

وكـان الاسكندنـافيون يعبـدون إلهاً مثلث الأقـانيم يدعـونهـا : « أودين وتـورا وفرى » ويقولـون عن هذه الثـلاثة أقـانيم إنها إلـه واحد . وقـد وجد صنم يمثـل هذا الثالوث المقدس في مدينة أُويبسال من أسوج ، وكان أهالي اسوج ونروج والدنمـرك يفاخرون بعضهم في بناء الهياكل لهذا الثالوث ؛ وكانت جدران هذه الهياكـل مصفحة بـالذهب ، ومـزينة بتمـاثيـل هـذا الثـالـوث ، ويصـورون (أودين) وبيـده حسـام ، (وتورا) واقفاً عن شماله وعلى رأسه تاج وبيده صولجان ، (وفرى) واقفاً عن شمال (تورا) ، وتمثاله فيه علامتا الذكر والأنثى ، ويـدعون (أودين) الآب ، وتـورا الابن البكر ابن الآب (أودين) ، وفرى مانح البركة والنسل والسلام والغنى[٣] .

التثليث عند الدرديين والمكسيكيين

كـان الـدرديـون يعبـدون إلهـاً مثلث الأقـانيم ، وهم (تـولاك) و (قـان) و (مولاك) وسكان سيبيريا القدماء كانوا يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم ، ويدعون الأقنوم الأول من هـذا الثالـوث المقدس (خـالق كل شيء) والأقنـوم الثاني (إلـه الجنـود) والأقنوم الثالث (روح المحبة السماوية) ثم يقولون : أقانيم ثلاثة إله واحد[٤] .

وأما المكسيكيون فقد عبدوا إلهاً مثلث الأقانيم يدعونه « تزكتـاليبوكـا » ، ومعه إلهان آخران : أحدهما واقف وعن يمين الإله المذكـور ؛ والآخر واقف عن يساره ؛.

---

(١) قصة الحضارة : ٦/١٥ .

(٢) بار خورست في كتابه (القاموس العبراني) .

(٣) خرافات التوراة ص ٣٧٧ .

(٤) نفس المصدر السابق .

واسم الإله الأول « إهوتز ليبوشتكي » ، والآخر « تلا لوكا » ، ولما عين برتولوميو مطراناً سنة ١٤٤٥ أرسل القس فرنسيس (هَرْمنديز) إلى المكسيك ليبشر الهندوس بالديانة المسيحية ، وكان هذا القس عارفاً بلغة الهندوس ، وبعد سنة من ذهابه أرسل مكتوباً إلى المطران المذكور يقول فيه : « إنَّ الهندوس يؤمنون بإله كائن من السماء ، وإن هذا مثلث الأقانيم ، وهو الإله الآب ، والإله الابن ، والإله روح القدس ، وهؤلاء الثلاثة إله واحد واسم الآب (بزونا) واسم الابن (باكاب) مولود من عذراء ، واسم الروح القدس (أيكيهيا) ويعبدون صنماً اسمه (تنكا تنكا) يقولون عنه إنه واحد ذو ثلاثة أقانيم وإنه ثلاثة أقانيم إله واحد »[١] .

وقد عبد الوثنيون وسكان الجزائر في الأقيانوس والهندوس إلهاً مثلث الأقانيم يصورونه بشكل صنم له ثلاث رؤوس على جسد واحد ، ويقولون إنه ذو ثلاثة أشخاص بقلب واحد وإرادة واحدة[٢] .

التثليث عند النصارى

أخذ النصارى التثليث عن الوثنيين بكل معانيه ، وحاولوا أن يفلسفوه في علم اللاهوت ، ولكنهم لم يفلحوا وكانوا كحاطب ليل ، وإنما زادوا المسألة تعقيداً وكشفوا عن عدم قدرتهم على تفسير هذه العقيدة بما ينسجم مع المنطق والعقل ؛ ولكنهم أنصفوا حيث اعترفوا بهذا الجهل ، وإن صبغوه بقولهم : إن التثليث فوق مستوى العقل البشري .

قال كارل راهنر في كتابه : معجم اللاهوت الكاثوليكي ، في معرض شرحه للتثليث :

« الثالوث : يعني الثالوث سر الطبيعة الواحدة ، فالأقانيم الثلاثة في الله : (الآب والابن والروح القدس) ، الذي هو السر الأساسي في المسيحية .

والعجيب في الأمر أنَّ كل واحد من علماء النصارى حاول شرح الثالوث يستدل عليه بالآيات الموجودة في العهد الجديد لتفسير هذه العقيدة ، وهذه الآيات مجملة ،

---

(١) كتاب آثار المكسيك القديمة للّورد كنسبرو : ج ١٦٤/٥ .
(٢) راجع كتاب سكوير : رمز الحية ص ١٨١ . وخرافات التوراة ص ٣٧٧ .

ومتناقضة ، ومتفاوتة تماماً ؛ فلا يمكن للقارىء أن يحصل على شرح لحقيقة التثليث ، ويبقى في حلقة مفرغة . وشرح أصحاب هذه العقيدة للتثليث لا يزيد عن الذي فسر الماء بعد الجهد بالماء .

وقد اعترف صاحب المعجم المذكور بعجزه فقال :

« الثالوث هو سر في المعنى الحصري ، ومن غير الممكن أن يُعرف من دون وحي ، والذي لا يمكن حتى وإن أوحي به أن يسبر غوره العقل المخلوق »[1] .

وقد أراحنا هذا العالم النصراني من سرد جميع الأقوال ، لأن عقيدة التثليث لا يمكن فهمها حتى بالوحي على حد زعمه ، وعليه فليس أحد من البشر ملزماً بعقيدة لا يفهمها الناس حتى بالوحي ، ويجب أن تكون هذه العقيدة إما للمجانين الذين لا عقل لهم حتى ينهاهم عن قبول المتناقضات ، وإما لكائنات أخرى عقولهم فوق عقول البشر ؛ وإلا كيف يعقل أن يكون المسيح إلهاً والحال أنه ابنه ، ومعبوداً والحال أنه عبده ، وواحداً والحال أنه ثلاثة ، وثلاثة والحال أنه واحد ؟!

وأما الآيات التي تدل على التثليث عند النصارى فنحن نشير إلى ما تيسَّر منها ، ففي إنجيل متَّى :

« وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس[2] » .

ويوحنا يبتدىء إنجيله بهذه الكلمات :

« في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ، . . . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان[3] » .

ويقول يوحنا في رسالته الأولي :

« فإن الذين يشهدون من السماء هم ثلاثة : الآب والكلمة وروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم في واحد[4] » .

---

(١) معجم اللاهوت الكاثوليكي ص ٩٧ ، مادة : الثالوث .

(٢) متى : ٢٨/١٩ .

(٣) يوحنا : ١/١ ـ ٤ .

(٤) رسالة يوحنا الأولى : ٥/٧ .

ويقول بولس :

« لنا فيه الفداء (بدمه) غفران الخطايا ، الذي هو صورة الله غير المنظور بكرُ كل الخليقة ، فإنه فيه خلق الكل ما في السماوات وما على الأرض ، ما يرى ومالا يرى سواءً ، كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين ، الكل به وله قد خلق ، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل وهو رأس الجسد الكنيسة[1] » .



(١) كولسي : ١/١٤ ـ ١٨ .

الأناجيل تبطل عقيدة التثليث

لا نحتاج إلى إبطال هذه العقيدة الوثنية التي أخذت من الوثنيين ، ولكن لا بدّ لي أن أنبّه القارىء إلى النصوص الإنجيلية التي تدل على بطلان هذه العقيدة .

فإذا رجعنا إلى أوَّل وصية أطلقها السيد المسيح نجد أنَّه يوصي بتوحيد الله ، فلما سأله أحد الكتبة :

« أية وصية هي أول الكلّ ؟ فأجابه يسوع : إن أول كلّ الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا ربٌّ واحدٌ ، وتحبّ الربّ إلهك من كل قبلك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك ؛ هذه هي الوصية الأولى[1] » .

وهذه الوصية هي زبدة التوحيد ، وهي أكبر وأعظم الوصايا ، ولو كان هناك أعظم منها لأوصى به السيد المسيح (عليه السلام) ، ولذا لمّا قال الكاتب للمسيح بعد هذا الجواب : لقد قلت حسناً ، إن الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ، ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحترقات والذبائح . ولمّا سمع يسوع جواب الكاتب ورأى رجحان عقله ووعيه قال له :

« لست بعيداً عن ملكوت الله[2] » .

---

(١) مرقس : ١٢/٢٨ - ٣٠ .

(٢) مرقس : ١٢/٣٢ - ٣٤ .

هذا بالإضافة إلى أن المسيح كان دائماً يطلق على نفسه ابن الإنسان ، وقد ورد ذلك في أكثر من ثمانين موضعاً في الأناجيل الأربعة[1] .

وقد قمت باستقصاء الموارد التي ورد فيها ذكر أن المسيح ابن الله فلم أجد مورداً في العهد الجديد يطلق فيه المسيح على نفسه أنه ابن الله ، وما ورد فهو من إطلاق الناس أو التلاميذ ، وأما قوله : يا أبتاه وأبي في السماء فهذا لا يدل على أنه ابن الله ، بل الأب بمعنى الرب ، ولذلك نجد أن نفس المسيح يقول لهم : أبي وأبيكم ، وقوله : « طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون[2] » . وهذا واضح .

وقد ندد السيد المسيح ببطرس واعتبره شيطاناً لما قال له :

« حاشاك يا رب . . . فالتفت إليه وقال : اذهب عني يا شيطان ، أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله بل بما للناس[3] » .

وإذا دققنا النظر في هذا الأصحاح من إنجيل متى نجد فيه تناقضاً عجيباً لا يمكن للعاقل أن يقبل به ، فالمسيح الذي يقول لبطرس : اذهب عني يا شيطان ، لأنه قال له : حاشاك يا رب ، نجد أنه ـ في الفقرة ١٦ من الأصحاح ١٦ نفسه ـ لما قال له بطرس : « أنت هو المسيح ابن الله الحي » ، فأجابه يسوع : « طوبى لك يا سمعان » ، ثم أعطاه مفاتيح ملكوت السماوات وقال له : « كلّ ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات ، وكل ما تحلّه على الأرض يكون محلولاً في السماوات »[4] .

فكيف يمكن الجمع بين هذين المقامين : أن يعطي المسيح بطرس مقاليد السماوات والأرض ، ثم ينزله إلى أسفل السافلين ، ليجعله شيطاناً ويطرده من قربه ؟

---

(١) راجع متى : ٨/٢٠ و٩/٦ و١٦/١٣ ـ ٢٧ و١٧/٩ ـ ١٢ ـ ٢٢ و١٨/١١ و١٩/١٨ ـ ٢٠ و٢٤/٢٧ و٢٦/٢٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦ . هذه تصاريح متى .

(٢) متى : ٥/٩ .

(٣) متى : ١٦/٢٢ ـ ٢٣ .

(٤) متى : ١٦/١٦ ـ ١٩ .

وقد أزاح برنابا عنا هذا التناقض العجيب حيث روى القصة على حقيقتها ، وهي مما تنطبق مع المنطق والعقل السليم ، وتدل على صحة هذا الإنجيل ، وعلى تحريف الأناجيل الأربعة . روى برنابا القصة كالتالي :

« وانصرف يسوع من أورشليم بعد الفصح ، ودخل حدود قيصرية فيلبس ، فسأل تلاميذه بعد أن أنذره الملاك جبرائيل بالشغب الذي نجم بين العامة قائلاً : ماذا يقول الناس عني ؟ أجابوا : يقول البعض : إيليا وآخرون إرمياء أحد الأنبياء ، أجاب يسوع : وما قولكم أنتم فيَّ ؟ أجاب بطرس : إنك المسيح ابن الله . فغضب حينئذٍ يسوع وانتهره بغضب قائلاً : اذهب وانصرف عني لأنك أنت الشيطان ، وتحاول أن تسيء إليَّ ، ثم هدد الأحد عشر قائلاً : ويل لكم إذا صدقتم هذا ، لأني ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا ، وأراد أن يطرد بطرس فتضرّع حينئذٍ الأحد عشر إلى يسوع لأجله ، فلم يطرده ؛ ولكنه انتهره مرة أخرى ، لأن الله يلعنك . فبكى بطرس وقال : يا سيّد لقد تكلمت بغباوة ، فأضرع إلى الله أن يغفر لي[1] » .

ومما يشهد على أن المسيح (عليه السلام) لم ترد على لسانه هذه الكلمة ، ولم يقبل أن يطلقها أحد عليه ، قوله وهو على الصليب : إلهي إلهي لماذا شبقتني ؟ (أي لماذا تركتني) فهو في هذا اللحظات العصيبة يخاطب ربه بهذه الكلمات ، ولم يقل أبي يا أبي لماذا تركتني ؟

ومما يبطل التثليث صلاة المسيح وتضرعه قبل القبض عليه كما تقدم ذلك ، حيث أحيى تلك الليلة بالصلاة والدعاء ، وإذا كان هو الإله فلمن كان يصلّي ؟ وإذا كان ابن الله ، فكيف يصلّي لأبيه ؟ وقد قال بعد ذلك : « هوذا ابن الإنسان يسلّم إلى الخطاة » عندما جاء الأعداء وأرادوا القبض عليه[2] ومن هنا تعلم أن المسيح (عليه السلام) كان سيد العابدين والموحدين لله . وعلى فرض صلب المسيح ـ كما يقول أتباع هذه العقيدة ـ يحقّ لنا أن نسأل هؤلاء : هل أن المسيح صلب وحده أو الذي صلب هو المركّب من الثالوث ؟ فإن كان المركّب ، فكيف عاد إلى الوجود بعد صلبه ؟ ومن أحياه بعد قتله ؟ والميّت لا ينجي نفسه ، لأن فاقد الشيء لا

(١) برنابا : ٧٠/١ ـ ١١ .
(٢) متى : ٤٥/٢٦ . مرقس : ٢١/١٤ .

يعطيه . ومن الذي تكفل بحفظ الكون والنظام عندما مات الثالوث في تلك المدة ؟ وكيف بقي العالم مستقرّاً ولم يعرض له الكون والفساد فترة موت الثالوث ؟ وإن كان المسيح وحده هو الذي قتل ومات ، فهذا يلازمه انتفاء الثالوث ، لأن الكل ينتفي بانتفاء أحد أجزائه ، وهذا يدلّ على بطلان هذه العقيدة .

وأما قول يوحنا في ديباجة إنجيله في الأصحاح الأول :

« في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان في البدء عند الله ، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان(١) » .

هذا الكلام يدل على عدم فهم قائله ، لأنه يناقض بعضه بعضاً ؛ فكون الكلمةعند الله أنّ لها وجوداً مستقلاً عن وجوده تعالى ، وهذا نظير : عند زيد كتاب ، وعند عادل قلم ، فإن هذا الكلام يفيد أن كل واحد من القلم والكتاب له وجوده المستقل ؛ ولا يخلو الأمر بالنسبة إلى الكلمة من أحد أمرين :

الأول : أن تكون الكلمة المفروضة قديمة وأزلية غنية عن غيرها ، مثل الله ؛

والثاني : أن تكون مخلوقة ومصنوعة له ومحتاجة إليه ؛ فإن أراد يوحنا الأول ، كانت الكلمة إلٰهاً مثل الله ، قديمة وأزلية ، وقد ثبت بالضرورة أن الله واحد قديم وأزلي . وإن أراد الثاني ، كانت الكلمةمخلوقة لله وتحت قبضته وتصرفه ، وحينئذٍ يستحيل أن تكون هي الله ، لاستحالة أن يكون الحادث قديماً والقديم حادثاً ، ويستحيل أن يجتمعا في مصداق واحد خارجاً .

أوصاف أبناء الآلهة عند الوثنيين والنصارى

وقبل ذكر هذه الأوصاف لا بدّ لي أن أبيّن معنى الأبوة والبنوّة في العهد الجديد .

من سبر غور الكتاب المقدس يجد أنه يستعمل الأبوة والبنوة في المعنى المتعارف عند البشر ، وهو التوالد والتناسل بالشكل الذي نشاهده في الكائنات الحية ، والذي جئنا به إلى هذا العالم ، وهذا عين ما يقوله الوثنيون ويعتقدونه في أبناء آلهتهم .

---

(١) يوحنا : ١/١ ـ ٣ .

يقول (بوجانا) إله البوذيين : « سأتخذ جسداً ناسوتياً ، وأنزل فأولد بين الناس لأمنحهم السلام وراحة الجسد ، وأزيل أحزان وأتراح العالم ، وإن عملي هذا لا أبغي به اكتساب شيء من الغنى والسرور »[1] .

وكان الوثنيون يدّعون أنَّ باخوس ابن المشتري من العذراء المخلص ـ الإبن الوحيد ـ الذبيح ـ حامل الخطايا ـ الفادي ، وكانوا يقولون : « لمّا كثر الشر في الأرض طلب بندورا وتوسل إلى المشتري سيّد الآلهة كي يأتي ويخلص الناس من الآثام والخطايا ، فاستجاب المشتري لهم وجعل ابنه مخلصاً للمذنبين في العالم ، وتعهد باخوس الفادي بتحرير العالم ، ومن أجل تتميم هذا العمل حلّ الإله المشتري سميل العذراء الوديعة فحملت ودعيت والدة الإله ، وقال باخوس الفادي للأمم : أنا مرشدكم وحاميكم وفاديكم ، أنا الألف والأميكا »[2] .

وجاء في كتاب الهنود المقدس (فوشنو بورانا) : « قد مجد الآلهة ديفاكي التي حملت برحمها الإله ذا العينين الحندقوقيتين ـ مخلص العالم ـ . والآلهة التي لا يراها الناس تمجدها مُذ حلّ فشنو بها ، فالإله فشنو أصل الشجرة العمومية ، لا تدركه أفهام الآلهة ولا الجن ولا الحكماء ولا الناس في الحاضر والمستقبل ، كما أنها لم تدركه في الماضي . والمعبود برهمة وكافة الآلهة التي ليس لها ابتداء وانتهاء تكرّمت بخلاص الأرض من حملها الثقيل منها بإرسال فشنو إلى رحم ديفاكي ، وولادته منها كأنه ولدها ، وتقمّصه بكرشنة الذي هو نفس برهمة ، وإنه لسر عجيب كيف أن الإله تكيّف بجسد الإنسان »[3] .ا وكان اليونانيون يدعون أبطالهم آلهة وأولاد الآلهة ، ومن جملة أبناء الآلهة هرقل بن الإله المشتري ، ولد من الأم المشترية « الكمين » ملكة تيبس . وقال زوس إله الآلهة عن هرقل إنه ابنه ، وقال : في هذا اليوم سيولد لنا غلام من سبط برسيون ، وسيكون أقوى أولاد الناس[4] .

ومن آلهة اليونانيين وأحبّهم للشعب (ديونيس) الذي لم يقبل بين آلهة أوليمپس إلا في أخريات أيامه ، والسرّ في ذلك أنه كان في في أول الأمر من آلهة

---

(١) تاريخ بوذا ص ٣٣ .

(٢) خرافات التوراة وغيرها في الأديان ص ١٩٣ .

(٣) نفس المصدر ص ١٣٥ .

(٤) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٦٨ .

تراقية ، قبل أن تهبه تلك البلاد لليونان ، وكان في موطنه الأصلي إله الشراب المعصور من الشعير ، وكان اسمه (سبز يوس) فلما جاء بلاد اليونان أصبح إله الخمر ومفدي الكروم وحارسها ، وكان في بادىء الأمر إلهاً للخصب ، ثم أصبح إله السكرة ، وانتهى أمره بأن صار ابن الله الذي مات لينجي البشر .

وقد ضمّوا ديونيس وقتاً ما إلى أبولو ، ولكن أبولو استسلم آخر الأمر لوارث ديونسيس وغالبه ألا وهو المسيح[1] .

واليونان يدّعون أن بريسنيوس ابن الإله المشتري من العذراء دانية ابنة اكريسيوس ملك أرغوس ، عبدوه وقالوا عنه إنه إله ، وبنوا له هيكلاً في أثينا كانوا يعبدونه فيه .

ويقولون إن عطارد هو ابن المشتري من الأم البشرية أطلس ، ويقال إن سيبلين في أركاديا محل ولادته وتربيته ، ويعتقدون أن يولوص ملك جزائر ليباري سيسيليا هو ابن الإله المشتري من الأم البشرية أفاسطا .

ويدّعون أن بولو هو ابن الإله المشتري من الأم البشرية لاتونا ، ويقول الافسيّون أنّه ولد تحت شجرة ، كما يقول البوذيون عن بوذا ، وكانت تلك الشجرة شجرة الزيتون ، ولما وضعته ابتهجت الآلهة في اوليمبيوس وضحكت وابتسمت السماء[2] .

وكان الرومانيون يؤلّهون ملوكهم ويعبدونهم ، ويقيمون لهم التماثيل ، فمنهم روميلوس مؤسس رومية ، ويدعونه (ابن الله) ولد من العذراء راسيلفيا ، ويقولون عن يوليوس قيصر إنه ابن الله ، وقالوا أيضاً إن أوغسطوس قيصر إنسان وإله ، وقد جاء ذكر ألوهيته في شعر فيرجيل إذ يقول إنه ابن جوف (أي المشتري) وبنوا له هياكل عبدوه فيها ، وألّهوا أيضاً الاسكندر المكدوني الذي ولد قبل سنة ٣٥٦ قبل المسيح ، ويقولون عن سيروس ملك الفرس : هو من أصل إلهي ويدعونه المسيح أو الإله الممسوح ، ويقولون عن بلاتو إنه ابن الله ، وكانت ولادته في أثينا سنة ٤٢٩ قبل المسيح ، ويعتقدون أنه ولد من عذراء طاهرة نقية ، وأن أيربس الذي يقال عنه

(١) قصة الحضارة : ٣٣٨/٦ ـ ٣٤٠ .

(٢) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٦٨ ـ ٦٩ .

إن أباه أنذر بحلم رآه في المنام بأن لا يقترب منها ولا يمسها حتى تضع حملها ، لأنها حبلى من الإله أبولو .

والاجبوابو من هنود أمريكا يعتقدون بإله ظهر بالناسوت ويسمونه (ميشابويح) وأنه الولد البكر لأله السماء (منيوتوعا) ويقولون إنه ولد من أم بشرية ، ويحترمون هذا الإله المتجسد احتراماً عظيماً ، ويقولون عنه إنه مخلص الناس(1) .

ونحن إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس وخاصة التوراة التي جعلت الإله يهوه إله عشيرة لا يرضى من بني إسرائيل أن يعبدوا غيره من الآلهة الأخرى ؛ هذا الإله له ابن بكر ، وقد جعلت التوراة ابنه البكر يعقوب (إسرائيل)(2) وذكرت مرة أخرى أن ابنه البكر هو سليمان(3) .

وذكرت أيضاً أن بني إسرائيل هم أبناء الله(4) ، وكذلك الإنجيل يذكر أن المسيح ابن الله(5) ، وأن المسيحيين هم أبناء الله(6) وإله بني إسرائيل هو يهوه ، وهو في مقابل آلهة الآخرين . وكما أن آلهة الوثنيين من الكنعانيين والآشوريين والفرس واليونان والرومان وغيرهم كانت تتوالد ، كذلك الرب في الكتاب المقدس الذي خلق الإنسان على صورته . ومن أوصاف هذا الإنسان أنه يتوالد ، فكذلك إله الكتاب المقدس لا بد أن يكون له أولاد . وأولاده تارة يكونون أبكاراً وأخرى هم من عامة الشعب ، فالأبكار يعقوب وسليمان والمسيح ، وغير الأبكار هم عامّة الشعب اليهودي والمسيحي .

ولكي لا يكون في كلامنا ظلم للآخرين ولا نخرج عن موازين التحقيق العلمي ، لا بد لي أن أنقل كلام كبار علماء النصارى في آخر تحقيقاتهم ، وهم من أشد الناس حرصاً ودفاعاً عن عقيدتهم ، قال صاحب معجم اللاهوت الكتابي عند حديثه عن كلمة الآب والابن ، وكيف أنها مأخوذة من المعنى الوثني .

---

(1) خرافات التوراة ص ١٢٥ . العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٦٩ - ٧٣ .
(2) الخروج : ٢٢/٤ .
(3) أخبار الأيام الأول : ٦/٢٨ .
(4) التثنية : ١/١٤ .
(5) متّى : ٢٩/٨ و١٦/١٦ .
(6) رسالة يوحنا الأولى : ١/٣ ، رومية : ١٤/٨ .

سموّ الأبوّة الإلهية

لم يطلق إسرائيل على الله تسمية أب على طريق البرهان والقياس ، بل اختبار حيّ عاشه ، وربما كان هذا كردّ فعل تجاه مفاهيم الشعوب المجاورة ؛ كانت جميع الأمم القديمة تدعو إلهها أباً لها ، وترجع مثل هذه العادة عند الساميين إلى تاريخ بعيد ، وكانت هذه الصفة الأبوية تتضمن في الإله مهمة الحماية والسيادة ، وغالباً الخلق ، وفي نصوص أوغاريت (القرن الرابع عشر) كان (إيل) الإله الأسمى في المجموعة الإلهية الكنعانية تطلق عليه تسمية (الملك الأب شونم) مما يعبر عن سيطرته على الآلهة والبشر ، ولعل اسم (إيل) نفسه الذي هو أيضاً اسم إله الآباء كان فيما يبدو يدل في الأصل على الشيخ ، وبالتالي يفترض سلطاناً على عشيرته .

وبهذا المعنى دخلت فكرة الأبوة الإلهية الكتاب المقدس ، ولكن هناك معنى آخر يرفضه العهد القديم ، فهذا الإله الفينيقي (إيل) المرموز إليه بالثور على نحو (أبيس) المصري الذي كان يخصب زوجته وينجب آلهة أخرى من البشر والحيوانات ، ومنح الخصوبة للأرض .

وأمّا يهوه فهو وحيد لا نشاط له جنسياً ، ولا شريك له ، ولا ابن بالمعنى الجسدي ؛ وإن كان يهوه يدعى بالأب الذي أنجب إسرائيل (التثنية : ٣٢/٦) فمن البداهة أن هذا الإنجاب مأخوذ بالمعنى الأدبي ، فهو ليس أباً للآلهة وزوجاً لإلاهة ، بل هو في نفس الوقت أب وزوج لشعبه . . ولكن ليس بأسلوب توالد الآلهة الفاحش المذكور في الأساطير البابلية ؛ وهو لا يريد أن يدعى أباً بنفس الطريقة التي بها يدعو أتباع بعل إلههم ، وهكذا نرى رغبة قادة إسرائيل واضحة في تنقية فكرة الأبوّة الإلهية السائدة عند جيرانهم من كل أثر جنسي[1] . وبعد هذا التنزيه ليهوه ـ وأن أبوّته منزهة عن كل أثر جنسي ولا يحتفظون منها إلا بالجانب الإجتماعي الذي يليق نقله إلى الله ـ يعترف صاحب المعجم بأن البنوة في العهد الجديد لها معنى حقيقي . وبذلك يكون قد أثبت ما نفاه أولاً من الولادة عند الوثنيين : « ولكن ابن الله في العهد الجديد فله معنى حقيقي وهو أن يسوع هو ابن الله حقيقة ، والله قد أرسله إلى هذا العالم لكي يتم الصلح بيننا وبينه (رومية : ٥/١٠) يمنح الأب كل ما هو له لابنه

(١) معجم اللاهوت الكتابي ص ٢١ ـ ٢٢ .

لأنه يحبه (يوحنا : ٣/٣٥ و ٥/٢٠) وعندما يرجع يسوع إلى الله يمجد الأب الابن لكي يمجده الابن . (يوحنا : ١٧/١ و ١٤/١٣) .

والمسيحيون هم الآن أبناء الله بنوع أسمى بالإيمان بالمسيح ، فوق التبني الذي كان أحد مميزات بني إسرائيل (رومية : ٩/٤) .

لقد نالوا روح الله الذي يجعل منهم أبناء بالتبني (غلاطية : ٤/٥ - ٧) وعيَّنهم ليكونوا شركاء له في الميراث (رومية : ٨/١٧) ويتطلب هذا ميلاداً ثانياً حقيقياً ليشركهم في حياة الإبن (بطرس : ١/٣ و٢/٢) وهذا حقاً معنى المعمودية التي تحيي الإنسان حياة جديدة (رومية : ٦/٤) وحياة أبناء الله هذه هي بالنسبة إلينا حقيقية نعيشها منذ الآن برغم أنَّ العالم يجهلها (يوحنا : ٣/١) وحينذاك سنصبح شبيهين لله لأننا سوف نراه كما هو (١ يوحنا : ٣/٢) فلا يتعلق الأمر بعد بمجرد لقب يكشف محبة الله لخلائقه ، بل يعني أنَّ الإنسان يشارك في طبيعة ذلك الذي اتخذه إبناً له بالتبني[١] وهذا الكلام صريح بأنَّ معنى البنوَّة هو نفس معنى البنوَّة عند الوثنيين بلا أي فارق .

ويقول أيضاً :

إن إبراز الطابع الروحي من الأبوة البشرية قد ساعد على تفهم أبوّة الله ، وقد ساهم عجز الآباء أيام السبي في إعلاء شأن أبوّة يهوه الباقية ، فبرغم التباين قد تُعزى الأبوة إلى الأسلاف وإلى الله ؛ هذا ما يبدو أيضاً من خلال التاريخ الذي تسرده المصادر الكهنوتية التي وضعت على قمة سلم الأجيال آدم المخلوق على صورة الله (التكوين : ١/٢٧) والقادر أن ينجب أيضاً أولاداً على صورته ، وكأنها تقصد إرجاع التسلسل البشري إلى الله نفسه ، وفيما بعد سيسلك لوقا نفس المنهج (٣/٢٣ - ٣٨) وأخيراً سيرى بولس في الله الأب الأسمى الذي تستمد منه كل أبوّة وجودها وقيمتها (افسس : ٣/١٤ - ١٥) وعليه فإننا بين الآباء البشريين والله شبهاً يمكننا من أن نطلق على الله تسمية الأب ؛ بل أكثر من ذلك أن هذه الأبوة الإلهية هي وحدها التي تعطي كل أبوة بشرية معناها التام في إطار تخطيط الخلاص[٢] .

وقد وفر علينا صاحب المعجم الكثير من العناء ، وكلامه ظاهر في أن أصل

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) معجم اللاهوت الكتابي ص ٢١ .

هذه الفكرة مأخوذ عن الوثنيين وباقٍ على ما كان عليه عندهم ، وأن المسيح هو الابن الحقيقي ، وقوله : وكأن المصادر الكنسية تقصد إرجاع التسلسل البشري إلى الله نفسه . لا يدع مجالاً للشك فيما قلناه ، وهذا القول لم يذهب إليه حتى الوثنيون .

ولا يخفى أنَّ هذه العقيدة من القول بتولُّد الإله كما هو المعروف عند البشر والوثنيين لا يختص بالنصارى بل التوراة صريحة بذلك وإن جهل ذلك صاحب معجم اللاهوت الكتابي . يقول يهوه : « لِأنه يُولد لنا ولد ونُعطى إبناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى إسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام »[1] .

ألقاب ابن الله عند النصارى

لقد مرَّ خلال عرضنا لعقائد الوثنيين ألقاب أبناء الآلهة عندهم ، وهذه الألقاب نجدها بعينها عند المسيحيين حيث يطلقونها على السيد المسيح (عليه السلام) ، وسوف نشير إلى ما تيسَّر لنا منها ، وربما يعثر المتتبع على أكثر من ذلك . لقد دعا الهنود بوذا ـ كما تقدم ويأتي ـ بالأسد السبط ، والمسيح ، والممسوح ، والفادي ، والأزلي ، والوحيد والبكر ، وابن الله ، والمخلّص إلخ . . .

وهذه الألقاب نجدها بعينها في العهد الجديد ، فمما جاء فيه من الألقاب للسيد المسيح ما يلي :

يسوع المسيح[2] ، الله[3]، ابن الله[4] ، البكر[5] ، رب[6] ، الأزلي[7] ، الفادي[8] ، المخلص[9] ، أسد سبط يهوذا[10] ، الرئيس[11] ، رئيس

---

(١) أشعياء : ٦/٩ .
(٢) لوقا : ٢١/١ .
(٣) يوحنا : ١/١ .
(٤) متى : ١٧/٣ .
(٥) العبرانيين : ٦/١ .
(٦) متى : ٢١/٧ .
(٧) العبرانيين : ١٤/٩ .
(٨) لوقا : ٦٨/١ .
(٩) يوحنا : ٦١/٤ .
(١٠) رؤيا يوحنا : ٣١/٥ .
(١١) أعمال الرسل : ٣١/٥ .

الحيـاة[1] ، رب المجـد[2] ، خـالق كـل شيء[3] ، الخبـر النـازل من السمـاء[4] ، الـراعي الصـالـح[5] ، عمـانـوئيـل (أي الله معنـا)[6] ، ابن الإنسـان[7] ، الإبن المبارك[8] ، حمل الله[9] ، ربّ الأربـاب وملك الملوك[10] ، العجل الأحمـر[11] ، الأفعى النحاسية[12] ، الخروف[13] ، المختار[14] ، الوحيد[15] .

ومن ألقـابه : الحكيم ، والمعلم ، ورب العـالمين ، وإله الجميـع ، والعظيم الأبـدي ، ومزيـل الآلام والأتعـاب ، وحـافظ العـالم ، ومثـال الـرحمـة ، ومخلص الناس ، والطيب العظيم ، والإله ما بين الآلهة ، والمسيح المولود الوحيـد ، وطريق الحياة .

---

(١) أعمال الرسل : ٣/١٥ .
(٢) كورنثوس : ٢/٨ .
(٣) يوحنا : ١/٣ ـ ١٠ .
(٤) يوحنا : ٦/٤١ .
(٥) يوحنا : ١٠/١١ .
(٦) متى : ١/٢٣ .
(٧) مرقس : ١٤/٦٢ .
(٨) مرقس : ١٤/٦٦ . متى : ٢٦/٦٣ .
(٩) يوحنا : ١/٢٩ .
(١٠) رؤيا يوحنا : ١٧/١٤ .
(١١) برناباس : ٧/٤ .
(١٢) يوحنا : ٣/١٤ .
(١٣) رؤيا يوحنا : ١٣/٨ و٧/١٠ ـ ١٥ .
(١٤) لوقا : ٢٣/٣٥ .
(١٥) يوحنا : ١/١٤ ـ ١٨ و٣/١٦ ـ ١٨ .

ابن الله هو الخالق عند الوثنيين والمسيحيين

قد مر خلال الأبحاث السابقة ما يدلك على هذه الحقيقة ، وبالإضافة إلى ما تقدم فإننا إذا رجعنا إلى كتب الهنود الدينية نجدها تصرح بأن كرشنة ابن الإله من العذراء ديفاكي ، وهو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس ، خلق السماوات والأرض بما فيهما ، وهو عندهم الأول والآخر ، وإنه كل شيء وموجد كل شيء .

ففي كتاب (بهكواتّ جيتا) وهو أحد الكتب المقدسة عند الهنود جاء أن كرشنة قال لتلميذه (ارجون) الحبيب ما نصّه :

« أنا ربّ كل المخلوقات ومبدعها ، خلقت الإنسان على أربعة أنواع متباينة الأصول والواجبات ، فأعرفني أنا المصور الخالق للإنسان ، أنا الغير مخلوق فلا يلحقني العدم » .

وقال أيضاً : « أنا الخالق والمبيد والعظيم الذي عليّ يتّكل كل شيء » .

وقال في الموعظة التاسعة المدعوة الأسرار الرئيسية والعلوم الأولية : « أنا بسطت العالم بشكله في الحجاب ، وأنا المقيت لكل شيء ، وأنا الوالد والوالدة لهذه الدنيا ، وأنا الكبير الحافظ . وأنا القدوس الواجب معرفته ، وأنا الرمز السري ـ الألف والياء ـ ، أنا السبيل الصالح والمفدّى ، والخالق الشهيد ، والخليل ولي المآب » .

وقال في الموعظة العاشرة المدعوة (التنوعات اللاهوتية الطبيعية) : « أنا

خالق ومصدر كل شيء ، فليصدق ذلك الذين أنعم عليهم »[1] .

ويعتقد الصينيون أن الله الآب لم يخلق شيئاً بل الابن هـو الخالق للكـائنات ، ويـدعون الأصنـام المنحـوتـة على شكله (نتيكـاي) ويصلون لـه ويسـألـونـه قضـاء حوائجهم .

ويقولون عن (لانـوتوا) المـولود من العـذراء الطاهـرة النقية : إنـه خالق كـل شيء .

والتعـاليم الكلدانية تصـرح أن الابن الوحيـد هو الخـالق لكـل شيء . وأتبـاع (تاو) الإله البطل يدّعون أنه ابن الإله ، وأنه الخالق لكل شيء .

والفـرس القدمـاء يعتقدون بـوجود إلـه واحـد لا يـرى ولا يـدرك ، ويـدعـونـه « زروعانا عقارينا » ومعنى هذه الجملة غير محدود الوقت (أي الأبـدي الأزلي) ومن هذا الإله انبثق أورمزد ملك النور ، الابن البكـر الخالق الـذي صدر منـه كل شيء ، وهو الخالق .

وفي كتاب الفرس المقدس « ذندفستا » الذي فيه الأدعية والتضرعات لابن الله البكر ، فقد جاء فيه : « إلى أورمزد أقدم صلواتي ، فهو خالق كل شيء ممّا هـو كان ومـا سيكـون إلى الأبـد ، هـو الحكيم القـوي خـالق السمـاء ، والشمس والقمـر ، والنجـوم والغيـوم ، والمـاء والأرض ، والنـار والشجـر ، والبهـائـم والإنسـان الخ . . . » .

كما أن التعاليم الآشـورية تقـول بأن (نـرودك) وهو ابن الله البكـر كلمته خلق السماوات والأرض وما عليها ، وأنه الرحيم الواهب للحياة .

وجـاء في كتاب المجـوس (زنـدا فستـا) أن أورمـزد ابن الله البكـر كـان منـذ الابتداء ، وهو باقٍ إلى الأبد .

المسيح هو الخالق عند النصارى

ما نقلناه عن الوثنيين ما هو إلا نبذة صغيـرة عن عقيدتهم ، وقـد أخذ النصـارى

---

(١) نقلنا هذا الفصل من كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١١٩ ـ ١٢٤ .

هذه الصفات وجعلوها للسيد المسيح ، ففي إنجيل يوحنا :

« كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان »

« كان في العالم ، وكُوِّن العالم به ، ولم يعرفه العالم[١] » .

وفي رسالة بولس كولوسي :

« فإنه فيه خلق الكل ، ما في السماوات وما على الأرض ، مما يرى ومما لا يرى ، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين ، الكل به وله قد خلق ، الذي هو قبل كل شيء ، وفيه يقوم الكل »[٢] .

وفي رسالة العبرانيين :

« كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء ، الذي به أيضاً عمل العالمين »[٣] .

وفي يوحنا :

« الآب يحب الابن ، وقد دفع كل شيء في يده[٤] » .



(١) يوحنا : ٣/١ و١٠ .
(٢) كولوسي : ١٦/١ ـ ١٧ .
(٣) العبرانيين : ٢/١ .
(٤) يوحنا : ٣٥/٣ و٢٠/٥ .

موافقة النصوص المسيحية للنصوص الوثنية المقدسة

ربما يعجب القارىء من هذا العنوان ، ولكنها الحقيقة التي نلمسها في كتب الفريقين المقدسة ؛ فمن سبر العهد الجديد وغيره من الكتب المقدسة عند النصارى يجد أن نصوصها في السيد المسيح هي عين نصوص الوثنيين في أبناء الآلهة ، لفظاً بلفظ ، وحرفاً بحرف ؛ وهذا دليل لا يقبل الشك على تغلغل الديانات الوثنية في الديانة البولسية النصرانية . والمسيحية لم تحارب الوثنية قط بل تبنّتها .

يقول العلامة ول ديورانت حول هذا الموضوع :

« إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنّتها ، ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة .

فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ، ويوم الحساب ، وأبدية الثواب والعقاب ، وخلود الإنسان ؛ ومنها جاءت عبادة أم الطفل ، والاتصال الصوفي بالله ، ذلك الاتصال الذي أوجد الافلاطونية الحديثة واللا أدرية ، وطمس معالم العقيدة المسيحية ؛ وفي مصر أيضاً استمدّت الأديرة نشأتها والصور التي نسجت على منوالها .

ومن فريجيا جاءت عبادة الأم العظمى ، ومن سوريا أخذت تمثيلية بعث أدونيس ، وربما كانت تراقيا هي التي بعثت للمسيحية بطقوس ديونيش وموت الإله

ونجاته ، ومن بلاد الفرس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه الأرض ألف عام ، وعصور الأرض واللهب الأخير الذي سيحرقها ، وثنائية الشيطان ، والله والظلمة ؛ فمن عهد الإنجيل الرابع يصبح المسيح نوراً .

ولقد بلغ التشابه بين الطقوس المثراسية والقربان المقدس في القداس حدّاً جعل الآباء المسيحيين يتّهمون إبليس بأنه هو الذي ابتدعه ليضل به ضعاف العقول .

وقصارى القول : إن المسيحية كانت آخر شيءٍ عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم »[1] .

وكلام هذا المحقق النصراني يكشف لنا الكثير من الترابط والازدواجية بين عقائد وطقوس الوثنيين والنصارى ، فنحن إذا رجعنا إلى هذه المباحث نجدها واحدة عند الطرفين .

١ ـ عقيدة التثليث .
٢ ـ تقديم أحد الآلهة فداءً عن الخطيئة .
٣ ـ الظلمة التي حدثت عند موت أحد الآلهة .
٤ ـ ولادة أحد الآلهة ، وولادة المسيح .
٥ ـ كل الآلهة تولد من عذراء طاهرة .
٦ ـ النجوم التي ظهرت عند ولادة أحد الآلهة ، وعند ولادة المسيح .
٧ ـ الجنود السماوية التي ظهرت عند ولادة آلهة الوثنيين ، وولادة المسيح .
٨ ـ الاستدلال على الطفل الإلهي عند الوثنيين ، وعند النصارى .
٩ ـ محل ولادة بعض آلهة الوثنيين ، ومحل ولادة المسيح .
١٠ ـ الآلهة المتجسدة عند الوثنيين من سلالة ملوكانية ، وكذلك المسيح .
١١ ـ طلب الملوك والجبابرة قتل الآلهة المتجسدة عند الوثنيين ، وطلب هيردوس قتل المسيح .
١٢ ـ تجربة الشيطان لأبناء الآلهة عند الوثنية ، وطلب إبليس لتجربة المسيح .
١٣ ـ نزول أبناء الآلهة إلى الجحيم عند الوثنيين ، وعند النصارى .
١٤ ـ قيام أولئك الآلهة من بين الأموات ، وقيام المسيح .

---

(١) قصة الحضارة : ١١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

١٥ ـ مجيء الآلهة المتجسدة إلى هذا العالم ثانية ومجيء المسيح أيضاً .
١٦ ـ الاعتقاد بأن الابن هو الخالق عند الوثنيين والنصارى .
١٧ ـ العمادة لإزالة الخطيئة عند الوثنيين والنصارى .

وقد تحدثنا عن بعض هذه الموضوعات وسوف نتحدث عن البعض الآخر ، وأما دراسة جميع هذه المسائل والبرهنة عليها فهذا ما يحتاج إلى عدة كتب ، وربما نوفق في المستقبل القريب لمتابعة هذه الأبحاث إن شاء الله تعالى .

وخير دليل على اشتراك الدين المسيحي مع الأديان الوثنية هو مقابلة النصوص المقدسة بين الطرفين ، وإليك هذه المقابلة :



مقابلة النصوص المقدسة بين
كرشنة ويسوع المسيح

ما يقوله الوثنيون في كرشنة

١ ـ عرف الناس ولادة كرشنة من نجمه الذي ظهر في المشرق[١] .

٢ ـ كان كرشنة من السلالة الملكية ولكنه تولد على ذل وفقر في مغارة[٢] .

٣ ـ لقد شع نور كرشنة فأضاء النهار عند ولادته وتلألأ وجه أمه ديفاكي من نوره [٣] .

٤ ـ لما ولدت ديفاكي كرشنة خافت عاقبة أمره ، فأخذت تبكي وتندب سوء عاقبة رسالته ، فتكلم كرشنة وعزّاها [٤] .

(١) تاريخ الهند : ج ٢/٣١٧ ـ ٣٣٦ .
(٢) خرافات التوراة ـ دوان ص ٢٦٩ .
(٣) خرافات التوراة : ص ٢٧٩ .
(٤) تاريخ الهند : ج ٢/٣١١ .

ما يقوله النصارى في المسيح

١ ـ لما ولد المسيح طلع نجم في المشرق ودل الناس على محل ولادته [١] .

٢ ـ كان المسيح من السلالة الملكية ولكنه تولد في مغارة على ذل ومسكنة [٢] .

٣ ـ لما ولد يسوع المسيح أضيء النهار بنور عظيم فبهر عيون القابلة وخطيب مريم من نوره [٣] .

٤ ـ تكلم يسوع عند ولادته مخاطباً أمه : أنا ابن الله ، وكما أخبرك جبرائيل جئت لأخلص العالم[٤] .

(١) متى : ٢/٣ .
(٢) خرافات التوراة : ص ٢٧٩ .
(٣) إنجيل ولادة يسوع المسيح : ١٢/١٣ .
(٤) إنجيل ولادة يسوع المسيح : ١/٢ ـ ٣ .

٥ ـ وعرفت البقرة أن كرشنة إله وسجدت له [١] .

٦ ـ وآمن الناس بكرشنة واعترفوا بلاهوته ، وقدموا له هدايا من صندل وطيب [٢] .

٧ ـ لما ولد كرشنة كان خطيب أمه غائباً عن البيت حيث ذهب إلى المدينة ليدفع ما عليه من ضرائب للملك [٣] .

٨ ـ سمع ناندا خطيب ديفاكي أم كرشنة نداءً من السماء : خذ الطفل وأمه وفرّ إلى كاكول واقطع نهر جمنة ، لأن الملك يريد إهلاكه [٤] .

٩ ـ أخبر الحاكم بولادة الطفل الإلهي كرشنة وأراد قتله ، فقتل كل ذكر ولد في تلك الليلة ليتوصل إلى قتله [٥] .

١٠ ـ كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنة في الناموس بزمن قليل ، وقد سعى فانسا ملك البلاد في إهلاك القديس راما

---

(١) لوقا : ٢/٨ ـ ١٢ .
(٢) متى : ٢/١٣ .
(٣) لوقا : ٢/١ ـ ٩ .
(٤) متى : ٢/١٣ .
(٥) خرافات التوراة : ص ٢٨٠ .

٥ ـ وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له[١] .

٦ ـ وأتوا البيت ورأوا الصبي فخروا وسجدوا له ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولُباناً ومراً[٢] .

٧ ـ لما ولد يسوع كان خطيب أمه غائباً عن البيت وأتى المدينة ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة [٣] .

٨ ـ يوسف النجار خطيب مريم نودي في المنام أن خذ الطفل وأمه واهرب إلى مصر لأن الملك يريد قتله [٤] .

٩ ـ لما سمع حاكم البلاد بولادة يسوع الطفل الإلهي أراد قتله ، فأمر بقتل جميع الصبيان الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها يسوع [٥] .

١٠ ـ وكان ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل ، وقد سعى هيردوس في إهلاك يوحنا كما سعى في إهلاك الطفل

---

(١) خرافات التوارة : ص ٢٧٩ .
(٢) الديانات الشرقية ص ٥٠ والديانات القديمة ج ٢/٣٥٣ .
(٣) كتاب وشنو بورانا فصل ٢ من الكتاب ٥ .
(٤) المصدر السابق الفصل ٣ .
(٥) متى : ٢/١٥ ـ ١٧ .

وإهلاك كرشنة أيضاً (١) .

١١ ـ وذات يوم كان كرشنة سائراً مع قطيع من البقر فاختاروه ملكاً عليهم ، وذهبت كل بقرة إلى المكان الذي عينه لها هذا الملك (٢) .

١٢ ـ وأُتي إلى كرشنة بامرأة فقيرة مقعدة ، ومعها إناء فيه طيب وزيت وصندل وزعفران وذباد ، فدهنت به جبين كرشنة بعلامة خصوصية ، وسكبت الباقي على رأسه (٣) .

١٣ ـ صلب كرشنة ومات على الصليب (٤) .

١٤ ـ لما مات كرشنة حدثت حوادث عظيمة ، واحتفّ خط أسود بالقمر ، وأظلمت الشمس عند الزوال ، وأمطرت السماء بالنار والرماد ، واشتعلت زبانية النيران ، وأفسدت الشياطين ، وشاهد الناس ألوفاً من الأرواح في جو السماء يتحاربون صباحاً

(١) تاريخ الهند : ٢/٣١٦ .

(٢) المصدر السابق : ٢/٣٢١ .

(٣) تاريخ الهند : ٢/٣٢٠ .

(٤) تقدمت المصادر .

يسوع المسيح ، وكان يوحنا مبشراً بولادة يسوع المسيح (١) .

١١ ـ وفي شهر آذار جمع يسوع الأطفال ورتبهم كأنه ملك عليهم ، فكان إذا مر بهم أحد أخذوه قسراً وأمروه أن يسجد للملك (٢) .

١٢ ـ وفيما كان يسوع في (بيت عنيا) في بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن ، فسكبته على رأسه وهو متّكىء (٣) .

١٣ ـ يسوع صلب ومات على الصليب (٤) .

١٤ ـ لما مات يسوع حدثت بموته مصائب عظيمة ، وانشق حجاب الهيكل من فوق إلى تحت ، وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة ، وفتحت القبور وقام كثير من القديسين وخرجوا من قبورهم ، وزلزلت الأرض (٥) .

(١) إنجيل الطفولة : الأصحاح ٦ .

(٢) المصدر السابق : ١٨/٣ .

(٣) متى : ٢٦/٦ ـ ٧ .

(٤) راجع آخر الأناجيل الأربعة .

(٥) متى : ٢٧/٤٥ ـ ٥٥ .

ومساءً ، وكان ظهورها في كل مكان (١) .

١٥ ـ حدثت ثقبة في جنب كرشنة حيث أصابته الحربة القاتلة (٢) .

١٦ ـ وقال كرشنة للصياد الذي رماه بالنبلة وهو مصلوب : اذهب أيها الصياد محفوفاً برحمتي إلى السماء مسكن الآلهة (٣) .

١٧ ـ قام كرشنة بعد موته من بين الأموات (٤) .

١٨ ـ ونزل كرشنة إلى الجحيم (٥) .

١٩ ـ وصعد كرشنة بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً (٦) .

٢٠ ـ كرشنة خالق كل شيء ، ولولاه لم يكن شيء (٧) .

٢١ ـ كرشنة هو الألف والياء ، وهو الأول والآخر والوسط لكل شيء (٨) .

---

(١) ترقي التصورات الدينية : ١/٧١ .
(٢) خرافات التوراة ص ٢٨٢ .
(٣) فشنو بورانا ص ٦١٢ .
(٤) خرافات التوراة ص ٢٨٢ .
(٥) نفس المصدر السابق .
(٦) نفس المصدر السابق ص ٢٨٣ .
(٧) نفس المصدر السابق ص ٢٨٢ .
(٨) دوان ص ٢٨٣ .

١٥ ـ حدثت ثقبة في جنب المسيح حيث أصابته الحربة القاتلة (١) .

١٦ ـ وقال يسوع لأحد اللصين اللذين صلبا معه : الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس (٢) .

١٧ ـ ومات يسوع ثم قام من بين الأموات (٣) .

١٨ ـ ونزل يسوع إلى الجحيم (٤) .

١٩ ـ وصعد يسوع بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً (٥) .

٢٠ ـ يسوع المسيح خالق لكل شيء ، ولولاه لما كان شيء عما كان ، فهو الصانع الأبدي (٦) .

٢١ ـ يسوع هو الألف والياء والوسط ، وآخر كل شيء (٧) .

---

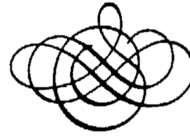
(١) خرافات التوراة ص ٢٨٢ .
(٢) لوقا : ٢٣/٤٣ .
(٣) متى : ٢٨/٧ .
(٤) خرافات التوراة ص ٢٨٢ .
(٥) آخر لوقا .
(٦) يوحنا : ١/١ ـ ٣ .
(٧) رؤيا يوحنا : ١/٨ . و٢٣/١٣ . و ٢١/٦ .

٢٢ ـ قال كرشنة أنا الحافظ وربه وملجأه وطريقه[(١)] .

٢٣ ـ وقال كرشنة : أنا صلاح الصالح ، أنا الابتداء والوسط والأخير ، والأبدي وخالق كل شيء ، وأنا فناؤه ومهلكه[(٢)] .

٢٢ ـ قال له يسوع : « أنا هو الطريق والحق والحياة ، ليس أحد يأتي الآب إلاّ بي »[(١)] .

٢٣ ـ وقال يسوع « أنا هو الأول والآخر ، ولي مفاتيح الهاوية والموت »[(٢)] .



(١) خرافات التوراة ص ٢٨٣ .

(٢) ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٣ .

(١) يوحنا : ٦/١٤ .

(٢) رؤيا يوحنا : ١٧/١ ـ ١٨ .

مقابلة النصوص المقدسة بين بوذا ويسوع المسيح

ما يقوله الوثنيون في بوذا	ما يقوله النصارى في المسيح
١ ـ لما نزل بوذا من مقعد عالٍ ودخل في جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة [1] .	١ ـ لما نزل يسوع من مقعده السماوي ودخل في جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة [1] .
٢ ـ كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا [2] .	٢ ـ كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم [2] .
٣ ـ ولد بوذا من العذراء مايا من غير مضاجعة رجل [3] .	٣ ـ ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجعة رجل [3] .
٤ ـ وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء يدعونه نجم المسيح [4] .	٤ ـ وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر في المشرق [4] .

(١) خرافات التوراة ص ٢٩٠ .
(٢) نفس المصدر ص ٢٩٨ .
(٣) ديانة الهنود الوثنيين ص ٨٢ ـ ١٠٨ .
(٤) خرافات التوراة ص ٢٩٠ .

(١) خرافات التوراة ص ٢٩٠ . والملاك المسيح ص٢٠ .
(٢) متى : ١٨/١ ـ ٢٠ .
(٣) متى : الأصحاح الأول .
(٤) متى : ١/٢ ـ ٣ قال دوان : ومن الواجب أن يدعى نجم المسيح .

٥ ـ ولد بوذا بن العذراء مايا التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد (أي ٢٥ كانون الأول) [١] .

٦ ـ ولد بوذا ففرحت ملائكة السماء ورتلت أناشيد المجد للمولود المبارك قائلين : ولد اليوم بوذا على الأرض كي يعطي الناس المسرات والسلام ، ويرسل النور إلى المحلات المظلمة ، ويهب بصراً للعمى [٢] .

٧ ـ واهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة [٣] .

٨ ـ وقال بوذا لأمه وهو طفل : أنا أعظم الناس [٤] .

٩ ـ لما بلغ بوذا الثاني عشر من عمره دخل بعض بيوت الأصنام وسأله أهل العلم عن مسائل فأجابهم عما سألوه من المشاكل وغلبهم [٥] .

١٠ ـ لما عزم بوذا على السياحة قصد التعبد والتنسك وظهر عليه (مارا) أي

(١) الملاك المسيح ص ١٠ .
(٢) خرافات التوراة ص ٢٩٠ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) العقائد البوذية ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .
(٥) الملاك المسيح ص ٣٧ . تاريخ البوذية ص ٦٧ ـ ٦٩ .

٥ ـ ولد يسوع بن العذراء مريم التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد (أي في ٢٥ كانون الأول) [١] .

٦ ـ لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والأرض ، ورتلوا الأناشيد حمداً للواحد المبارك قائلين : المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة [٢] .

٧ ـ وقدموا (ليسوع وهو طفل) هدايا ذهباً ولُباناً ومراً [٣] .

٨ ـ قال يسوع لأمه لما كان طفلاً : أنا ابن الله [٤] .

٩ ـ لما صار عمر يسوع اثنتي عشر سنة جاؤوا به إلى الهيكل أورشليم وصار يسأل الأحبار والعلماء مسائل مهمة ثم يوضحها لهم فبهتوا من فهمه وأجوبته [٥] .

١٠ ـ لما شرع المسيح في التبشير وبعد أن صام أربعين يوماً ظهر له

(١) خرافات التوراة ص ٢٩٠ .
(٢) لوقا : ٢/١٣ ـ ١٤ .
(٣) متى : ٢/١١ .
(٤) إنجيل الطفولة : ١/٣ .
(٥) إنجيل الطفولة ٢١/١ ـ ٢ . لوقا : ٢/٤١ ـ ٤٨ .

الشيطان كي يجربه (١) .

١١ ـ وقد عمّد بوذا المخلص ، وحين عمادته بالماء كـان روح الله حاضـراً ، وهـو لم يكن الإله العـظيم فقط ، بـل وروح القـدس الذي فيـه صار تجسـد كوتاما لما حل على العذراء مايا(٢) .

١٢ ـ لمـا كـان بـوذا على الأرض في أواخـر أيامـه بدلت هيئتـه وهـو إذ ذاك على جبل (بندافا) في سيلان ، ونزل عليه بغتة نور أحاط برأسه على شكـل إكليل ، ويقولـون إن جسده أضـاء منه نور عظيم وصار كتمثال من ذهب برّاق مضيء كالشمس (٣) .

١٣ ـ لمـا مـات بـوذا ودفن انـحلّت الأكفان وفُتح غطاء بقوة غير طبيعية(٤) .

١٤ ـ قال بوذا إن ذنـوب العالمين عليّ وأنا خلاصهم (٥) .

١٥ ـ قـال بـوذا إنـه لم يـأت ينقض

---

(١) خرافات التوراة ٢٩٣ .
(٢) الملاك المسيح ص ٤٥ . تاريخ البوذية ص ١٧٧ . وخرافات التوراة ص ٢٩٣ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) الملاك المسيح ص ٤٩ .
(٥) تاريخ آداب السكريتي ص٨٠ .

الشيطان كي يجربه (١) .

١١ ـ ويوحنا عمّد يسوع بنهـر الأردن ، وكانت روح الله حاضرة ، وهو لم يكن الإلـه العظيم فقط بـل والروح القـدس الـذي فيه تم تجسـده عندمـا حل على العـذراء مـريم ، فـهـو الآب والابن والروح القدس (٢) .

١٢ ـ لمـا كـان يسـوع على الأرض ، وبعـد ستة أيـام أخذ بـطرس ويعقـوب ويـوحنا وصعـد بهم إلى جبـل عـالٍ ، وتغيـرت هيئتـه قـدامهم وأضـاء وجهـه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور (٣) .

١٣ ـ لمـا مـات يسـوع ودفن انحلّت الأكفـان ، وفُتـح القبـر بقـوة غيـر اعتيادية (٤) .

١٤ ـ المسيح منجي العالم ، وقد أخذ وتحمّل ذنوب العالمين على عاتقه(٥) .

١٥ ـ وقـال يسـوع لا تـظنّـوا أنى جئت

---

(١) متى : ٤/١ ـ ١٨ .
(٢) متى : ٣/١ ـ ٢ . لوقا : ٢٩/١ ـ ٣٤ .
راجع أعمال الرسل : ١٦/١١ . افسس : ٢٥/٥ ـ ٣٢ .
(٣) متى : ١/١٧ ـ ٢ .
(٤) يوحنا : ٣/٢٠ ـ ٧ .
(٥) خرافات التوراة ص ٢٩٣ .

الناموس ، كلا بل أتى ليكمله[1] .

١٦ ـ وقال بوذا للذين صاروا تلامذة له كي يتركوا الـدنيا وغنـاهم ، وينذرون عيشة الفقر والفاقة[2] .

(١) الملاك المسيح ص ٤٧ ـ ٤٨ . تحليل الأديان ص ٢٨٥ .

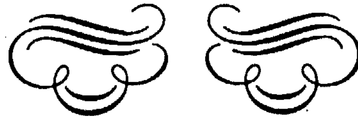
(٢) الرهبانية في اشرق : لهاردي ص ٦٢٦ .

لأنقض النـاموس أو الأنبيـاء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل[1] .

١٦ ـ وقـال يسوع لتـلاميذه كي يتـركوا أنفسهم وينذروا عيشة الفقر والفاقة[2] .

(١) متى : ١٧/٥ .

(٢) متى : ٢٤/١٦ ـ ٢٨ .



الطقوس والعبادات الوثنية في الديانة النصرانية
العمـادة ـ الأعيـاد ـ القديسيـن ـ التماثيـل

من سبر العقائد الوثنية القديمة يجد العمادة من أقدم العبـادات عند الـوثنيين ، وهي على قسمين : تعميـد الأطفال ، وتعميـد الكبار . ففي الهنـد ومنغـوليـا والتبت عنـدما يعمّـدون الأطفال يـوقدون الشمـوع ويحرقـون البخور على المـذابح ، ويقـرأ الكهنة صلوات مخصوصة ، ثم يغطسون الطفل في الماء ثـلاث مرات ، وبعـد ذلك يدعونه بالاسم الذي يريدونه . وهذه العادة التـي عند البرهميين عادة قديمة تشابه ما يعمله الفرس والمصريون واليونان والرومـان القدمـاء ، وهي العمادة بعينهـا ، وحين إجرائها يصلّون ويتـوسلون للشمس ، ويأخـذون على الشخص الأيمان المغلظة على أداء الطاعة للكهنـة ، وحفظ الأسرار ، والنـظافة على جسـده ، ثم يرشـون الشخص بالماء ثلاث مرات ، ويخاطبونـه بما يـوافق المقام ، ويعـدّون الرش بـالماء (الخلق الجـديد) ويلبسـون الشخص ثوبـاً خاصـاً وإكليلاً ، ويـرسمون على جبينـه صليباً ، ويضعون على صدره صليباً من شكل صلبان (تو) .

هـذا إذا كان المعمّـد كبيـراً ، وأما إذا كـان صغيراً فيـأخذه الكـاهن البرهمي ويلطخه بالوحل ، ثم يغمسه بالمـاء ثلاث مـرات ، وعند تغـطيسه يقـول : « يا أيهـا الرب العظيم ، إن هذا الطفل خاطىء تلطخ بالخطيئة كتلطخه من وحل هذه القنـاة ، فكما أن الماء ينظفه من الوحل طهّره وخلّصه من الخطيئة » .

ويعتقدون أنّ العمادة بالماء تزيل الخـطايا مهمـا تكن ، ويسمون الكهنـة الذين يقومون على حافتي الأنهار لأجل عمادة الطالبين « أبناء الشمس »[1] .

(١) راجع التفصيل والتحليـل لأمبرلي ص ٦١ . وبنسـون في كتابـه : الملاك المسيح ص٤٢ . وهيجن : =

وكانت العمادة عند القدماء تجري إما غمساً بالماء أو رشاً به ، ويدعون هذه العمادة الولادة الثانية ، ويرون أن الأنفس تطهُر وتسعُد بعد هذه المراسم ؛ وبعد ذلك يسمّون المعمد بالاسم الذي يريدونه .

وكان المصريون يعمّدون المراهقين ويسلمونهم الأسرار الدينية الأولية ، ويرسمون على جبين المعمد علامة الصليب المقدس .

ومن الأسرار الخفية والطقوس الدينية التي كان اليونان يقومون بها؛ ، وهي موروثة من قبل الآخيين ويبدو أنها كانت في الأصل احتفالاً في الخريف بالحرث والزرع ، وكان طلاب الأسرار الصغرى التي تقام في فصل الربيع بالقرب من أثينا يتطهرون أولاً بأن يغمروا أنفسهم في ماء إيسس[1] .

وكان الرومان يعمدون أولادهم بالماء ، ويعتقدون أن العمادة واسطة لإزالة الخطايا . وذكر المؤرخ (ذيوجنوس) أنهم كانوا يعمدون الذكور في اليوم التاسع من ولادتهم ، والإناث في اليوم الثامن من ولادتهم ، ويدعون ماء العمادة : (الماء المقدس) ، وبعد العمادة يعطي الكاهن أبوي الطفل ورقة شهادة على أن ولدهما عمد وخلق ثانية ، وبعد ذلك لهم الحق أن يعدّوه من العائلة . ويتخذون هذا اليوم عيداً عظيماً . وكانوا يعمدون الذين يتسلمون تعاليم (مثرا السرية)[2] .

وكان كثير من الوثنيين يقومون بهذه المراسم ، فكان وثنيو اسوج ونروج والدنمرك والجرمان وقدماء الدريديويين يعمدون أطفالهم ويقدمون الصلوات لخلاص المعمدين من الخطيئة ؛ وكذلك كان المكسيكيون القدماء يعمدون أطفالهم بعد الولادة ، فيدعون أقارب الطفل وأصدقاءهم ، فيجتمعون في بيت والدي الطفل ، ويعتبرون أن الطفل يولد الولادة الثانية بالعمادة .

فهذه صورة مصغّرة عن إقامة الوثنيين مراسم العمادة على اختلاف مذاهبهم وتباعد بلادهم ، وهذا يدل على أن هذه العبادة قديمة جداً ، وكانت شائعة عند غالب الأمم الوثنية ؛ حتى أن سكان البرازيل كانوا يعمدون أولادهم الذكور والإناث في

= الدرود الكنلتيكيين ٦٩/٢ . وليلي في كتابه : الديانة البوذية ص ٥٥ ـ ١٣٤ .

(١) قصة الحضارة : ٣٤٢/٦ .

(٢) خرافات التوراة ص ٣٢٠ .

الهيكل المسمى (بهيكل الصليب) بصبّ الماء من إبريق ، ويطلقون على ماء العمادة : ماء الولادة الثانية[1] .



(١) راجع كتاب : فتح المكسيك .

العمادة عند النصارى

لقد اتضح ممّا تقدم أن العمادة من العبادات القديمة جداً في الأديان الـوثنية ، وهي اليوم من العبادات المهمة عند النصارى ، وقد اعترف كثير من علمـاء النصارى بأنها عبـادة وثنية ، ولكنهم حـاولوا أن يفـرّقوا بينهـا وبين العمادة عنـدهم ؛ ومن سبر كلمات هؤلاء العلماء يجد أن هذا الفرق لا حقيقة له ، فالعمادة مأخوذة عن الـوثنيين بكل أبعادها .

ففي معجم الـلاهوت الكتـابي جاء مـا يلي : « فـالعمـاد تغـطيس أو غسـل ، ورمزية الماء كعلامة تطهيـر أو حياة كثيـرة الشيوع في تـاريخ الأديـان ، فلا غـرابة إن وجدناها في الأسرار الـوثنية ، إلا أن أوجـه الشبه بينهـا وبين السر المسيحي خـارجية فقط ، ولا تتصل بالحقائق العميقة »[1] .

وقال كارل راهنر في كتابه : معجم اللاهوت الكاثوليكي :

« لما كان سـر العماد السـرّ الأول والأساسي وجب أن يفهم من خـلال علاقتـه الوثنية بنظرية الكنيسة الكاثوليكية ، إنه سر الـولادة الجديـدة المطهـرة المقدسـة » . ويقول أيضاً : « يستعيد طقس العماد رمـز التغطيس المقـدس والطقسي الـذي كانت تستعمله الديانات منذ القديم »[2] .

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي ص ٧٥٤ .

(٢) المعجم اللاهوتي الكاثوليكي : ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

ومن خلال ما شرحه أصحاب المعاجم اللاهوتية لهذه العبادة نجد أن هذه العبادة واحدة بجوهرها ، وأصول هذه العبادة هي بعينها أصول وثنية ، وتتلخص بالنقاط التالية :

١ ـ العماد سر الولادة الجديدة المطهرة المقدسة . وهو السر الوحيد الذي يعطى ولادة جديدة لحياة جديدة في المسيح ، فإن هذه الحياة الجديدة لا يمكن الحصول عليها من دونه . (يوحنا : ٣/٥ . لوقا : ١٦/١٦) وهذا عين ما جاء عن الوثنيين من أن العمادة هي ولادة جديدة للإنسان .

٢ ـ يكون الإدخال في الكنيسة هو النتيجة الأساسية والأولى للعماد[١] .

٣ ـ تحطيم كل الخطايا والتخلص من كل العذابات الأبدية والزمنية (افسس ٥/٢٦)[٢] .

وهذه الأصول هي بعينها أصول مراسم العمادة عند الوثنيين .

وأما كيفية التعميد عند النصارى فهي كالتالي :

يمنح العماد المسيحي بطريقة صحيحة بصب ـ بالتغطيس أو الرش ـ الماء الطبيعي مرفقاً بقول القسّ « أنا أعمدك يا فلان مع دعوة الثالوث الأقدس باسم الآب والابن والروح القدس » .

وبنيّة أن يعمل ما تريد الكنيسة أن يعمل عندما تعمد ، فكل غير معمد يمكنه أن يقبل سر العماد ، حتى ولو كان ولداً لم يبلغ سنّ التمييز (إنما هناك بعض الشروط التي يجب أن تنفذ عندما يكون المعمد من أبوين غير كاثوليكيين ، أو من أبوين جاحدين ، لأن الولد يعمد ليدخل في الكنيسة) وهذه البنود التي ذكرناها هي بعينها البنود الوثنية لهذه المراسم .

وقد نقل ول ديورانت أسرار العمادة وكيفيتها ، ونحن ننقلها بنصّها ونترك الحكم للقارىء .

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) نفس المصدر السابق .

قال : « كانت قوة الكنيسة تعتمد على الطقوس والرموز والأسرار المقدسة التي كانت تقوم بها ، لتشبع غريزة المؤمنين بها لتشغلهم بها ، وهذا هو رمز الوحدة التي يراها القديس أوغسطين ، ليجتمعوا في نوع من الزمالة عن طريق رموز أو شعائر يرونها رأي العين .

وهذه الأسرار والرموز التي اعتمدت عليها الكنيسة كانت تختلف من عصر إلى آخر ، ففي القرن الرابع كانت تطلق على كل شيء مقدس ، وأوغسطين أطلقها في القرن الخامس على الاحتفال بعيد القيامة ، وفي القرن السابع على التعميد وتثبيت العماد والقربان المقدس ، وفي القرن الثاني عشر حُددت الأسرار المقدسة بسبعة أسرار :

التعميد ، وتثبيت العماد ، والكفارة ، والقربان المقدس ، والزواج ، ورتبة الكهنوت ، والمسح بالزيت قبيل الوفاة .

أما الشعائر الصغرى التي تمنح البركة الإلهية كالرش بالماء المقدس ، أو علامة الصليب فلم تكن من الأسرار ، وسميت بمتعلقات الأسرار تمييزاً لها عنها ؛ وكان التعميد أهم تلك الأسرار ، وكان يهدف إلى غرضين : محو الخطيئة الأولى بحيث يولد الشخص ولادة جديدة ، يستقبل على أثرها في حظيرة الدين المسيحي . وكان المفروض أن يطلق الأبوان على طفلهما في هذا الحفل اسم أحد القديسين ، ليكون هذا القديس في المستقبل شفيع الطفل وحاميه ، وهذا هو اسمه المسيحي أو الخاص . وقبل أن يحل القرن التاسع كانت طريقة التعميد المسيحية الأولى ـ طريقة غمر الطفل كله ـ قد استبدلت بها تدريجاً طريقة الرش بالماء ، لأنها أقل خطراً على الصحة من الطريقة الأولى في الأجواء الباردة الشمالية ، وكان بوسع أي قسيس أو أي مسيحي عند الضرورة أن يقوم بعملية التعميد ، وكانت الطريقة القديمة ـ طريقة تأجيل التعميد حتى يكبر الطفل ـ قد استبدلت بها طريقة التعميد في سن الرضاعة ، وقد أنشأت بعض الجماعات ـ وبخاصة في إيطاليا ـ كنائس خاصة لأداء هذه الشعيرة .

وكانت مراسم تثبيت العماد والقربان المقدس تقام عند أتباع الكنيسة الشرقية بعد التعميد مباشرة ، أما عند أتباع الكنيسة الغربية فقد أجّلت سن تثبيت العماد شيئاً فشيئاً إلى السنة السابعة من حياة الطفل ، حتى يستطيع أن يتعلم المبادىء

الأساسية للدين المسيحي[1] .

آيات العماد في العهد الجديد

وأما الآيات الواردة في العماد فبالإضافة إلى ما سبق ، ما جاء في رواية متّى :

« أنا (أي يوحنا) أعمدكم بماء التوبة ، ولكن الذي يأتي بعدي ـ من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه ـ هو سيعمّدكم بالروح القدس ونارٍ[2] » .

« وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل ، واعتمد من يوحنا في الأردن وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السماوات قد انشقّت والروح مثل حمامة نازلاً عليه »[3] .

« من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يُدَن[4] » .

وقد تقدم في مقابلة النصوص المقدسة بين بوذا والمسيح أن بوذا عمد أيضاً :

« وقد عمد بوذا المخلص وحين عمادته بالماء كان روح الله حاضراً وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذي فيه صار تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا[5] » .

« ويوحنا عمد يسوع بنهر الأردن وكانت روح الله حاضرة وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل والروح القدس الذي فيه تم تجسده عندما حل على العذراء مريم[6] » .

وتوافق هذه النصوص دليل على أن هذه العبادة مأخوذة عن الوثنيين بلا شك .

---

(١) قصة الحضارة : ١٤/١٦ ـ ١٥ .
(٢) متى : ١١/٣ .
(٣) مرقس : ٩/١ .
(٤) مرقس : ١٦/١٦ .
(٥) الملاك يسوع المسيح ص ٤٥ .
(٦) متى : ١/٣ ـ ٢ . ولوقا : ٢٩/١ ـ ٣٤ .

الأعيـاد

المسيحيـة

الوثنيـة

في جميع الأديان أعياد يحتفل بها المؤمنون ويجددون فيها حياتهم ونشاطاتهم ، وقد روعي في هذه الأعياد حالة التجدد والتغيير ، كما هو الحال في جميع أطوار الطبيعة من تعدد الفصول ، وتغير الطقس ، فالطبيعة دائماً في حال تجدد وتغير وتبدل ، وقد راعى الدين هذه الحالة في تطور الإنسان الروحي وتكامله ، لذا شرع الإسلام عدة عبادات كصلاة الجمعة ، ودعا المسلمين فيها إلى الغسل يوم الجمعة ، ولبس الثياب الجديدة ، والتعطر والخروج إلى المساجد ، وشرع الحج ، والصيام في شهر رمضان ، ودعا إلى الاحتفال بعيدين في كل سنة ؛ وفي هذه العبادات راعى حالة التجدد من أجل تكامل الجانب الروحي في الإنسان . ثم إن جميع التغييرات الطبيعية إنما هي عامل من عوامل بعث الإنسان على التفكير في آيات الله الكونية. فالتغيّر والتجدد هدف مهم من أهداف الخلقة، وهو حجة على الإنسان لكي يعرف أن هذه التغيرات المختلفة والمتناقضة كلها تصب في هدف واحد ، وهو انتظام الكون الذي يدل بدوره على وحدة الصانع ، وهذا ما يدعو الإنسان إلى توحيد الخالق في الذات والصفات والفعل ، وهو زبدة التوحيد .

ولكن هذه الفلسفة لا نجدها إلا في الأعياد الإسلامية ، وإن كان الكثير من المسلمين لا يعرفون فلسفة تشريعها ، أو لا يلتزمون بهذه الفلسفة ، ويقومون يوم العيد بأعمال تتناقض تماماً وفلسفة تشريع هذه الأعياد ، وقد قلد المسلمون اليوم غيرهم في الانحراف عن تعاليم الإسلام .

وأما أعياد الأديان الأخرى فقد انحرفت عن خط الأنبياء ، ودخلت فيها العادات

والتقاليد الوثنية ، فأصبحت الأعياد فيها مرتعاً للشيطان ومزلقاً للإنسان ، وهي من أيام البعد عن الله لما يقترف الناس فيها من المعاصي والفسق والفجور .

والأعياد المسيحية التي تقام اليوم في العالم لا تخرج عن هذا الإطار ، وخاصة إذا رجعنا إلى توقيت هذه الأعياد فنجد أنها هي أعياد الوثنيين بعينها ، فقد تبنّت الكنيسة الأعياد الوثنية وصبغتها بصبغة مسيحية ؛ وهذه الحقيقة صرَّح بها كبار المحققين من النصارى ؛ والتاريخ خير شاهدٍ على صحة هذا المدّعى .

قال ول ديورانت في كتابه القيّم : قصة الحضارة :

« لقد حلّت عبادة القديسين المخلصة الواثقة محل شعائر الآلهة الوثنية ، وأرضت نزعة الشرك التي توائم أصحاب العقول الساذجة أو الشعرية ، وبُدِّل اسما تماثيل إيزيس وحورس باسمي مريم وعيسى ، وأصبح عيد اللوپركاليا وتطهير إيزيس عيد مولد المسيح ، واستبدلت بحفلات الساترناليا حفلات عيد الميلاد ، وبحفلات عيد الزهور حفلات عيد العنصرة ، وبعيد قديم للأموات عيد جميع القديسين ، وببعث أوتيس بعث المسيح ، وأعيد تكريس المذابح الوثنية للأبطال المسيحيين ، وأدخل في طقوس الكنيسة ما كان يغتبط به الناس من الشعائر القديمة من بخور وأنوار وأزهار ومواكب وملابس وترانيم ، وتسامت العادة القديمة ـ عادة ذبح الضحية الحية ـ فكانت هي التضحية الروحية في العشاء الرباني[1] .

ميلاد يسوع المسيح

ليس من السهل تحديد ميلاد المسيح (عليه السلام) ، فقد اختلفت الأناجيل في تحديد السنة التي ولد فيها .

فقد حدد متى ولوقا ميلاده بالأيام التي كان هيردوس ملكاً على بلاد اليهود .

وإذا أخذنا بالاعتبار ما قاله لوقا من أن المسيح لما عمده يوحنا كان عمره ٣٠ سنة ، وكان ذلك في السنة الخامسة عشرة من حكم تيبيريوس أي في عام ٢٨ ـ ٢٩ م . فحينئذٍ تكون ولادة المسيح في عام ٢ ـ ١ قبل الميلاد[2] .

---

(١) قصة الحضارة : ١٥٢/١٢ .

(٢) لوقا : ١/٣ و ٢١ .

ويضيف لوقا إلى ذلك أنه في تلك الأيام التي ولد فيها يسوع صدر أمر من أوغسطس قيصر ملك الروم بإحصاء عدد السكان وكان والياً على سوريا من قبله في تلك الأيام كويرنيوس[١] .

وكويرنيوس هذا كان حاكماً على سوريا بين عامي ٦ ـ ١٢ م . وقد ذكر المؤرخ يوسفوس أنه أُجري إحصاءٌ في بلاد اليهود وكان في عام ٦ ـ ٧ م . بينما يذكر ترتليان بأن الإحصاء في بلاد اليهود قام به سترنينس حاكم سوريا في عام ٧ ـ ٨ قبل الميلاد ، وإذا كان هو الإحصاء الذي أشار إليه لوقا فتكون ولادة المسيح في عام ٦ قبل الميلاد . وأما اليوم الذي ولد فيه فهذا أمر لا يستطيع أحد أن يحدده ، وقد وقع الخلاف فيه أيضاً منذ القرن الأول الميلادي ، وقد نقل كلمنت الاسكندري الآراء المختلفة حول هذا الموضوع فقال :

إن بعض المؤرخين حدده باليوم التاسع عشر من إبريل ، وبعضهم بالعاشر من مايو ، وبعضهم بالسابع عشر من نوفمبر من العام الثالث قبل الميلاد . والمسيحيون الشرقيون يحتفلون بمولد المسيح في السادس من شهر يناير منذ القرن الثاني بعد الميلاد ، وفي عام ٣٥٤ إحتفلت بعض الكنائس الغربية ـ ومنها كنيسة رومة ـ بذكرى مولد المسيح في اليوم الخامس والعشرين من نوفمبر .

ويضيف ول ديورانت : وكان هذا التاريخ قد عد خطأ يوم الانقلاب الشتائي الذي تبدأ الأيام بعده تطول ، وكان قبل هذا يحتفل فيه بعيد مثراس أي : مولد الشمس التي لا تقهر ، واستمسكت الكنائس الشرقية وقتاً باليوم السادس من يناير ، واتّهمت أخواتها الغربية بالوثنية وبعبادة الشمس ، ولكن لم يكد ينتهي القرن الرابع حتى اتّخذ اليوم الخامس والعشرون من ديسمبر عيداً للميلاد في الشرق أيضاً[٢] .

ولا يخفى على القارىء العزيز أن جعل يوم الخامس والعشرين من كانون الأول عيد ولادة المسيح ليس هو عيداً وثنياً غربيّاً فحسب ، كما اتهمت الكنيسة الشرقية أختها الغربية بذلك ، بل هو عيد أيضاً عند الوثنيين الشرقيين ، فهذا اليوم هو يوم ولادة بوذا ، وهو عيد عند البوذيين وقد نقلنا ذلك سابقاً .

---

(١) لوقا : ٢/١ ـ ٧ .

(٢) قصة الحضارة : ١١/٢١٢ ـ ٢١٣ .

ولد بوذا بن العذراء مايا التي حلّ فيها الروح القدس يوم عيـد الميلاد (أي ٢٥ كانون الأول)[١] » .

ولـد يسوع المسيـح بن العذراء مـريم التي حلّ فيهـا الروح القـدس يـوم عيـد الميلاد (أي ٢٥ كانون الأول)[٢] » .

فعيد الميلاد كان في بداية الأمر عيداً وثنياً يحتفل به وقت الانقـلاب الشتائي ، ببداية طول النهار وبانتصار الشمس على أعدائها ، ثم أصبح عيداً لمثرا الإله الشـاب الوسيم ـ الذي تعلو وجهه هالة من النور ترمز إلى الوحدة القديمـة بينه وبين الشـمس ـ في جميع أنحاء الدولة الرومانية . وما أن وافت القـرون الأولى من التاريـخ الميلادي حتى انتشرت عبادة مثرا الإله ، وكان انتشارها هذا من أسبـاب الإحتفال بعيـد الميلاد عند المسيحيين[٣] .

وخير دليل على أنَّ الأعياد والعطل المسيحية تعود إلى الوثنيين هو أنَّ عـطلة يوم الأحـد عطلة وثنيـة لِأنَّ الإسم الوثني لا يـزال يطلق عليهـا حتى يومنـا هذا في العـالم الغربـي (sunday) أي يوم الشمس مع أنَّ الناموس الذي جاء المسيح لإكماله جعـل عـطلة الأسبوع يـوم السبت وعليه فيجب أن يكـون يوم العـطلة الأسبوعيـة متحـداً بين اليهود والنصارى وليس الأمر كذلك .



(١) بنسن في كتابه : الملاك المسيح ص ١٠ .
(٢) خرافات التوراة ص ٢٩٠ .
(٣) قصة الحضارة : ج ٢/٤٣٦ .

بين مريم العذراء وأمهات الآلهة عند الوثنيين

تقدم خلال الأبحاث السابقة عقيدة الوثنيين في أمهات آلهتهم ، وأما المسيحيون فإنهم يعتقدون بالعذراء مريم نفس إعتقاد الوثنيين ، وينشدون لها الأناشيد ، ويتضرعون إليها في أيام خاصة يسمونها الأيام المريمية ، ويلقبونها ملكة السماء والدة الإله وصاحبة المجد ؛ وربما تصور بعضهم بأنه يتقرب بذلك من السيد المسيح الذي هو أسمى من أن يُتصل به مباشرة ، وقد بالغ المسيحيون في تكريم العذراء وتعظيمها حتى ساووها بولدها . وتُذكر قصة طريفة أن شخصاً ملأ السماوات بصلاة العذراء (السلام لك يا مريم) فظهر له المسيح كما تقول القصة وأنّبه أشدّ تأنيب وقال له :

« إن أمي تشكر لك كثيراً ما قدمت لها من أدعية وصلوات ، ولكن عليك مع ذلك ألّا تغفل عن الصلاة لي أيضاً »[1] .

والقرآن الكريم يكشف لنا عن حقيقة أخرى ، وهي أن النصارى عبدوا مريم كما عبدوا المسيح ، وهذا حصل في زمن المسيح :

﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ، أأنت قلت للنّاس اتّخذوني وأمّي إلٰهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد

---

(١) قصة الحضارة : ١٦/ ٣٠ . وقد اشتبه ول ديورانت حيث زعم بأن القرآن جعل مريم ثالثة الثالوث الجديد . راجع المصدر السابق .

علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علّام الغيوب ﴾[1] .

ولعل الآية ناظرة إلى ما سيحصل بعد المسيح من العبادة لأمه أيضاً .

قال دوان في كتابه : خرافات التوراة :

« كما نجد عند الوثنيين والدات للآلهة يعظّمونهن ويلقّبونهن بألقاب التمجيد والتفخيم ، كذلك نجد عند النصارى والدة للإله يعظمونها ويلقبونها بالألقاب التي يلقب الوثنيون بها والدات آلهتهم ، يؤكد ذلك الرسوم التي يصورونها وهي محتضنة لولدها المسيح ، فإنها مثل الرسوم التي يصور الوثنيون بها والدات آلهتهم تماماً »[2] .

والذي يتصفح تاريخ الأديان منذ فجره يجد كمال التشابه في العقيدة ، وخاصة في أمّهات الآلهة .

فالصينيون يضعون صورة الإله (شيمند) إلههم في أحسن محل من البيت ، ويكللونها بغطاء من الحرير ، كما يفعل أكثر النصارى اليوم بصورة المسيح والعذراء ، ويبنون الهياكل باسمها مثل هيكل والدة الإله ، كما يبني النصارى كنائسهم مثل كنيسة السيدة وكنيسة العذراء .

وقد جاء في كتاب للنصارى قديم العهد اسمه (سفر أخبار الاسكندرية) ما نصه :

« انظروا كيف يمثل المصريون ولادة العذراء ثم ولادة ابنها » وهذا عين ما يقوله النصارى بخصوص ولادة المسيح ، مع أن الفترة الزمنية بين القصتين بعيدة جداً في غور التاريخ[3] .

كما أن عيد دخول المسيح الهيكل وتطهير العذراء الذي يقع في ٢ شباط من كل سنة ، هو من أصل مصري ، فقد كان المصريون يُعيّدون إجلالاً وتعظيماً للعذراء نايث ، وفي ذات اليوم يُعيّد النصارى هذا العيد[4] .

---

(١) سورة المائدة : الآية ١١٦ .

(٢) خرافات التوراة ص ٣٣٦ ـ ٣٣٨ .

(٣) دين المصريين : ص ١٤٣ .

(٤) نفس المصدر السابق .

وهناك حقيقة أخرى يجدها الباحث في دراسته للأديان ، وقد نقلها كبار علماء التاريخ والآثار ، وهي أن الوثنيين ـ على اختلاف لغاتهم وتعدد مذاهبهم وتباعد أوطانهم ـ يصورون والدة آلهتهم وهي حاملة طفلها على صدرها ؛ فأهالي بابل وآشور عبدوا عذراء زعموا أنها والدة إله ، وصوّروها وعلى يدها ولدها الإله ، كما هو الحال عند النصارى ؛ واسم هذه العذراء (ميليتا) ، واسم ابنها المخلص (تموز) ، وقد كان لها في قبرص هيكل اسمه هيكل العذراء (ميليتا) ، وهو من أعظم الهياكل في عصر اليونان إبّان مجدهم .

والمصريون يعتقدون أن هورس المخلص ولد من العذراء (أيسيس) وأنه المنبثق الثاني من عامون ، ويقولون : الابن المولود ، ويصورونه إما على يدي أمه أوفى حجرها[1] .

وكذلك يقول البوذيون في العذراء (بها مايا) والدة الإله بوذا ، ويصورونها حاملة لطفلها الإله بين يديها .

وكذلك يقول الرومان في والدة الإله باخوس ، ويلقبونها بنجمة البحر ، وكذلك لقب المصريون والدة الإله أيزيس ملكة السماء ، ونجمة البحر ، والشفيعة والعذراء[2] .

قال ول ديورانت بعد عرضه للأعياد الوثنية التي تبنّتها الكنيسة :

« وكان أعظم ما ظفرت به هذه الروح ، روح التكيف المتسامحة من نصر ، هو السمو بعبادة الآلهة الأم الوثنية واستحالتها إلى عبادة مريم أم المسيح ، وهنا أيضاً كان الشعب هو البادىء بهذا التسامي ، ذلك أنّ سيريل (cyril) كبير أساقفة الاسكندرية وصف ـ في موعظة له شهيرة ألقاها في افسس عام ٤٣١ م ـ مريم بكثير من العبارات التي كان الوثنيون من أهل تلك البلاد يصفون بها إلهتهم الكبرى (أرتيميس ديانا) Artimis Dian دلالةً على حبّهم إياها واعتزازهم بها ووافق مجلس إفسس في تلك السنة على أن تلقب مريم (أم الإله) ، وعلى الرغم من احتجاج سطوريوس ما لبثت أرق صفات عشتروت وسيبل وأرتميس وديانا وإيزيس أن

(١) خرافات التوراة : ص ١١٥ .

(٢) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية : ص ٧٤ ـ ٧٥ .

جمعت كلها في عبادة مريم ، ثم قررت الكنيسة في القرن السادس إقامة الاحتفال بعيد صعود العذراء إلى السماء ، وحددته باليوم الثالث عشر من اغسطس ، وهو تاريخ عيدين قديمين لإيزيس وأرتميس ، وأضحت مريم القديسة الشفيعة للقسطنطينية وللأسرة الإمبراطورية ، وكانت صورتها تحمل في مقدمة كل موكب عظيم ، وكان لا تزال تعلق في كل كنيسة وبيت في العالم المسيحي اليوناني »[1] .



(١) قصة الحضارة : ١٦/٢٨ ـ ٢٩ .

عبادة الأشخاص عند
الوثنيين والنصارى

﴿ وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنّي يؤفكون * اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أُمروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلّا هو سبحانه عمّا يشركون ﴾(١) .

ممّا لا شك فيه أن العبادة عند الوثنيين مرت بعدة مراحل ، فقد عبدوا في فجر تاريخهم الحجارة والحيوانات والكواكب كما تقدم ثم ترقّى الوثنيون فعبدوا الأشخاص ، وتحولت الآلهة عندهم من الحيوانات إلى البشر ، وقد تعددت الآلهة وتجاوزت الحد المعقول ، فقد جعلوا إلٰهاً للخمر وإلٰهاً للزرع ، وإلٰهاً للفقاع ، وللضأن ، وللربيع وللشتاء وللرياح ، وللحب وللجنس .

قد أفلحت الكنيسة في القضاء على هذه العبادة على مرّ السنين ، إلا أنها أبقت على عبادة الأشخاص وتقديسهم ، فقد جعلت للناس قديسين بدلاً من آلهة الوثنيين ، ومنحتهم صفاتهم ، وجعلت لهم أعياداً هي نفس أعياد الوثنيين ، وجعلت لهؤلاء القديسين صوراً وتماثيل عبدها الناس . وقد حاولت الكنيسة محاربة التماثيل والصور بعد أن اشتدّ خطرها ولكنها لم تفلح ، وهذا ما دعا أوغسطين إلى أن يحارب فكرة عبادة القديسين ، وأطلق كلمات أصبحت شعاراً للآخرين حتى أن ڤلتير استخدمها حينما دشّن كنيسة في فيرني :

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٠ ـ ٣١ .

« علينـا ألاّ ننظر إلى القـديسين على أنهم آلهة ، إنّـا لا نـريـد أن نقلد أولئـك الوثنيين على أنهم آلهة ، إنّا لا نريـد أن نقلد أولئك الوثنيين الذي يعبـدون الموتى ، ولهذا يجب أن لا نبني معابد ولا نقيم لهم مذابح ، بل أن نـرفع بمخلفـاتهم مذبحـاً إلى الإله الواحد »[1] .

لقد طغت عبادة القديسين والتماثيـل حتى خرجت عن الحـدّ المعقول ، وفـاق عدد القديسين عدد الآلهة عند الوثنيين ، وهذا ما أقلق بـال الكنيسة وحملهـا على أن تتخذ إجراءات صارمة للحد من هذا التضخّم في عدد القديسين وفي هذا الصدد يقول ول ديورانت :

« لقـد قـاومت الكنيسـة في بـادىء الأمـر عبـادة القـديسين ومخلفـاتهم ، ثم استعانت بعدئذٍ بها ، ثم أساءت استخدامها وعارضت في عبـادة التماثيـل والصور ، ولكن قـوة الشعور العـام تغلبت على ذلك ، وأدت إلى الإسـراف الذي أثـار مشاعـر محطّمي الصور والتماثيل الدينية البيزنطية ؛ كذلـك قاومت الكنيسـة السحر والتنجيم والتنبؤ بالغيب ،ولكن آداب العصور الوسطى كالآداب القديمة ملأى بهـذا كله ، وما لبث الشعب والقساوسة أن استخدموا علامة الصليب على أنها رقية سحرية تفيـد طرد الشيـاطين أو إبعادهـا ، وكانت التعـاويذ تقـرأ على رأس طالب التعميـد ، كمـا كـان يـطلب إليه أن يغمـره الماء وهـو عار من جميـع ملابسـه حتى لا يختبىء الشيطان في ثـوب يلبسه ، وأضحى العـلاج بالأحـلام الذي كـان يسعى إليـه من قبـل في هيكلي أيسكولاپيوس موفوراً في محراب القديسين كزمس ودميان ، ثم أصبـح من المستطاع أن يحصل عليه في مائة ضريح أخرى »[2] .

لقد عادت الوثنية بكل أبعادها إلى المجتمع المسيحي ، وكثـر عدد القـديسين والمعبودين ، وظهرت لهم ولمريم العذراء كثير من الصور ، ولم يعـظم الناس صـور المسيح فحسب ، بل عظموا معها خشبة الصليب ؛ وأطلق الشعب العنـان لفطرتـه ، فحوّل الآثار والصور والتماثيل المقدسة إلى معبودات ، يسجد لها الناس ويقبلونها ، ويوقدون الشمـوع ويحرقـون البخور أمـامها ، والصـور المقدسـة لم تكن في الأديرة

---

(١) قصة الحضارة : ١٢/ ١٥٢ .

(٢) قصة الحضارة : ج ١٢/ ١٥٣ .

والكنائس والمنازل والحوانيب فحسب ، بل كانت حتى على أثاث المنازل والحلى والملابس .

وهذا ما حمل ليو الثالث على أن يقوم بأعظم ثورة ضد عبادة الأوثان المتمثلة في القديسين ، وخيّل إليه أن الوثنية أخذت تغزو المسيحية وتتغلب عليها ، وقد تأثر بما كان يوجهه المسلمون واليهود إلى المسيحيين من الطعن في الخرافات السائدة عند جماهير المسيحيين ، وقد دعا إلى اجتماع دعا فيه الأساقفة ومجلس الشيوخ إلى الانعقاد في عام ٧٢٦ م . وأصدر مرسوماً بإزالة جميع الصور والتماثيل في الكنائس ، وحرّم تصوير المسيح والعذراء ، وأمر بأن يغطى بالجص ما على جدران الكنائس ، وأيّده بعض رجال الدين ، ولكن الرهبان وصغار القساوسة احتجوا عليه ، وساندهم الشعب ، وقامت حرب ضارية بين الطرفين ، ونادت قوات الثوار بإمبراطور آخر ، ووجهت إليه بأسطول لتستولي على العاصمة ، فدمّره وقبض على زعماء المعارضة »[1] .

موقف البابا

إن موقف البابا ـ ومع كلّ أسف ـ كان ضد هذه الثورة التطهيرية التي دعا إليها ليو الثالث من أجل أن يطهر البلاد من عبادة الأوثان ، ففي المقابل دعا البابا جريجوري الثاني إلى اجتماع للأساقفة ، وصبّ اللعنة على محطّمي الصور والتماثيل المقدسة دون أن يذكر إسم الإمبراطور ، وانضمَّ بموقفه هذا إلى المعادين لحملة التطهير ، فما كان من ليو الثالث إلا أن خلع البابا من منصبه سنة ٧٣٠ م .

وبعد أن توفى ليوسار ابنه قسطنطين الخامس على نهجه ، وحرّم عبادة الصور والتماثيل وقال : « إن الشيطان قد أعاد عبادة الأوثان إلى سابق عهدها عن طريق عبادتها »[2] .

لم تنتهِ هذه الثورة التطهيرية بين التوحيد والوثنية ، بل تطورت المسألة ، وتبنّت الكنيسة الوثنية بكل أبعادها ، ولكن بصبغة أخرى ، فكما أن الوثنيين كانوا

---

(١) قصة الحضارة : ١٤/١٥٩ .

(٢) المصدر السابق .

يعبدون آلهة مختلفة تختلف عن آلهة الأمم الأخرى ، فآلهة الفرس غير آلهة الهنود ، وآلهة المكسيكيين غير آلهة الصينيين ، والأصنام التي كانت تعبدها قريش غير الأصنام التي كانت القبائل الأخرى تعبدها ؛ لقد كان لكل قبيلة صنمها الخاص ومعبودها الخاص ، حتى كان لكل فرد منهم إلهه الخاص .

وهكذا أصبح العالم المسيحي ، (فكان لكل أمة ، ومدينة ، وحرفة ، وأزمة من الأزمان ، ودير وكنيسة قدّيس خاصّ ، كما كان لكل منها إله في رومة الوثنية ، فقد كان لإنجلترا القديس جورج ، ولفرنسا القديس دنيس ، وكان القديس بارتولوميو حامي الدابغين لأن جلده سُلخ وهو حيّ ، وكان صانعو الشموع يتضرعون إلى القديس يوحنا لأنه غمر في قدر مليئة بالزيت المشتعل ، وكان القديس كرستفر نصير الحمالين لأنه حمل المسيح على كتفه ، وكانت مريم المجدلية تتلقى توسلات بائعي العطور لأنها صبّت زيوتاً عطرة على قدمي المسيح ، وكان القديس سبثيان والقديس رتش ذوي قوة وبأس في أيام الوباء ، وكان القديس أبولينيا الذي كسر الجلاد فكّه يشفي ألم الأسنان ، والقديس بليز يشفي آلام الحلق ، والقديس كورني أنطون يحمي الخنازير ، وكان القديس ميدار هو الذي تتضرع إليه فرنسا أكثر من سائر القديسين لينزل إليها المطر ، فإذا لم ينزله ألقى عبّاده الذين ينفد صبرهم تمثالاً له في الماء من حين إلى آخر ، ولعل هذا بمثابة رقية سحرية .

وقد وضعت الكنيسة تقويماً كنسياً جعلت كل يوم فيه عيداً لأحد القديسين ، ولكن التقويم لم يتسع لخمسة وعشرين ألف قديس اعترفت بهم قوانين الكنيسة قبل حلول القرن العاشر الميلادي .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل علقت صور القديسين في الساحات العامة وعلى المباني ، وهذا ما اضطرّ أسقف تورين إلى الشكوى في أنّ كثيراً من الناس يعبدون صور القديسين ، فهم لم يقلعوا عن عبادة الأصنام ، بل كل ما في الأمر أنهم غيّروا أسماءها ؛ وكثرة القديسين لم تكن هي المعبودة فحسب ، بل كثرت مخلفاتهم من العظام والشعور والملابس وكل ما استعملوه في حياتهم ، وأخذت هنا الكنائس تتنافس في مخلفات القديسين ، فكانت باسلقا القديس بطرس تباهي بأنها تحتوي جسدي القديسين بطرس وبولس ، اللذين أصبحت رومة بفضلهما كعبة الحجاج من جميع أنحاء أوروبا .

وكانت كنيسة في سانت أومر تدّعي أن فيها قطعاً من الصليب الحقيقي ، ومن الحربة التي اخترقت جسم المسيح ، ومن مهده وقبره ، ومن المن الذي نزل من السماء ، ومن عصا هارون ، ومن شعر (توم أبكت) وقلنسوته وقميصه المنسوج من الشعر ، والشعر الذي جزّ من مقدم رأسه ، ومن الألواح الحجرية الأصلية التي سجلت عليها الوصايا العشر .

وتحتوي كنيسة أمين رأس يوحنا المعمدان في كأس فضة . وتدّعي واحدة من ثلاث كنائس متفرقة في فرنسا أن فيها جسد مريم المجدلية كاملاً ، كما تؤكد خمس كنائس في فرنسا أن في كل منها الأثر الحقيقي الباقي من ختان المسيح .

وتعرض كنيسة إكستر أجزاء من الشمعة التي استعملها ملاك الله لإضاءة قبر عيسى ، وأجزاء من الخشب الذي تحدث منه الله إلى موسى ، وفي دير وستمنستر بعض دم المسيح ، وقطعة من الرخام عليها طابع قدمه[١] .

وقد سرد ول ديورانت الكثير من هذه الأباطيل التي يكذبها التاريخ والواقع والعقل .

ويضيف إلى ذلك أن كنائس القسطنطينية قبل عام ١٢٠٤ كانت غنية بهذه المخلفات المقدسة ، ولكنها سرقت حينما نهبت القسطنطينية ، ثم اشترى بعضها وأخذت تنتقل من كنيسة إلى أخرى في بلاد الغرب ، إلى من يدفع فيها أغلى الأثمان ، واجتذب هذا العمل الرابح كثيراً من ممارسيه فكانت مخلفات زائفة كثيرة تباع للكنائس والأفراد .

وكانت بعض الأديرة يغريها الكسب بكشف مخلفات جديدة حين تحتاج إلى المال .

لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل كان شر هذه المساوىء هو تقطيع الأولياء الأموات ليتيسّر لعدد من الأماكن أن يحظى برعاية القديس وقوته .

ولما بلغ السيل الزبى وكثرت الخرافات والأقاصيص صدر مرسوم إمبراطوري حرّم حمل أو بيع مخلفات القديسين .

---

(١) قصة الحضارة : ٢٤/١٦ ـ ٢٥ .

وفي عـام ١١١٩ كتب الأب چيبرت النـوچنتي رسالـة في مخلفـات القـديسين نـادى فيها بـوضع حـدٍ لجنون المخلفـات ، ويقول إن الكثيـر من هذه الآثـار لأوليـاء اشتهـروا في سجلات لا قيمـة لها ، وأنَّ بعض رؤسـاء الأديرة أغـوتهم كثرة مـا يحمل إليهم من الهدايا فقبلوا أصطناع المعجزات الكاذبة عن القديسين ، فإذا ما فنّد إنسان أقوالهم هاجموه ؛ ويقول إن القليل من رجال الدين من كان يملك الشجاعة أو الجرأة على الاحتجاج على هذه الأعمال ، ويعترف بأنه هـو نفسه قـد سكت حين رأى تجّار المخلفات يعرضون على المؤمنين المصدقين (بعض عين ذلـك الخبز الـذي مضغه السيد المسيح بأسنانـه نفسها) « وذلـك لأنني لو جـادلت المجانين لحقّ عليّ القـول بأنني مجنون » .

ويضيف إلى ذلك أن في عدد من الكنائس رؤوسـاً كـاملة ليوحنّـا المعمدان ، ويعجب مما كان لهذا القديس من رؤوس كثيرة لا يمكن أن يقطعها قاطع .

وقد حرّم البابا اسكندر الثالث (١١٧٩) على الأديرة أن تطوف بما عندهـا من المخلفات لجمع التبرعات ، كما حرم مجلس لاثران المنعقد في عـام ١٢١٥ عرض المخلّفـات في خارج الأضرحة[١] . إن الكنيسـة كما مـرّ عليك شجّعت الكثيـر من العبادات الوثنية من أجل كسب المال ، ولكنها حينما كانت تتفاقم الأمور وتصـل إلى حد لا يمكن السكوت عليـه كانت الكنيسـة تحدد من هـذه العبادات وتحـاربها ولكن سرعان ما كانت تسكت عنها مرة أخرى .

لقد اتخذت الكنيسة كثيراً من عادات الوثنيين وجعلتهـا شعاراً لهـا فعادة حـرق البخـور أمام المـذبح أو رجـال الدين تـذكرنـا بعادة تقـريب القرابين المحـروقة عنـد الـوثنيين ، وأما عـادة رشّ الماء المقـدس فهي صـورة قـديمـة من التعـاويـذ ، وأمـا المواكب ومراسم التطهير فهي امتـداد لشعائـر موغلة في القـدم ، وملابس القسـاوسة وتلقيب البابا بالحبر الأعظم Pontifex Maximus تراث من رومة الوثنية[٢] .

---

(١) قصة الحضارة : ١٦/٢٧ .

(٢) قصة الحضارة : ١٦/٢٧ .

الكنيسة تقدّس الآبار والعيون للوثنيين

لم تكتف الكنيسة بتبنّيها لتلك العادات والعبادات الوثنية حتى أجازت عبادة الأشجار والآبار ، فلما وجدت أن أهل الريف لا يزالون يعظمون بعض العيون والآبار والأشجار والحجارة ، رأت أن من الحكمة أن تخلع البركة على هذه الأشياء وأن يستخدمها المسيحيون بدلاً من أن تقضي عليها قضاءً سريعاً ، مع أنها عادات شديدة الإرتباط بعواطف الخلق . واتّباعاً لهذا دشنت مجموعة من الحجارة في صورة مائدة في بلوارية على أنها مصلّى القديسين السبعة ، وحللت عبادة شجرة البلوط بأن علّقت على الأشجار صور القديسين المسيحيين .

وعادت الاحتفالات الوثنية العزيزة على الشعوب ، أو التي لا بدّ منها لكي تبيح للناس الخروج على قواعد الأخلاق ، وأضحت أعياداً مسيحية ، واستحالت الطقوس الوثنية النباتية طقوساً كنسية مسيحية ، وظلّ الناس كما كانوا من قبل يوقدون النيران في منتصف الصيف عشية عيد القديس يوحنا ، وسمي عيد قيام المسيح عيد القيامة بالإسم الوثني القديم Eostre وهو إسم إلٰهة الربيع التيوتونية القديمة ، وحل تقويم القديسين المسيحيين محل التقويم الروماني ، وأجازت الكنيسة أن تبقى الأرباب القديمةالعزيزة على الناس ، وأنْ تحمل أسماء قديسين مسيحيين ، فأصبحت آلهة النصر Dea victovria إلٰهة إقليم الألب الأدنى هي القديسة ڤكتورا Vic-toire كما ولد كاستر و پلكس Castor and pollux من جديد ، وأصبحا هما القديسين كزماس Cosmas ودميان Damian[1] .

وهذه المظاهر من عبادةالقديسين والتماثيل نجدها اليوم بشكل كبير عند مسيحيّي الشرق ، فلا نجد ساحة أو بيتاً أو تلاًّ أو منعطفاً أو جبلاً إلا وعليه تمثال قديس أو قديسة ، ولا تزال هذه التماثيل تجني الكثير من الأموال لأصحاب الكنائس .

---

(١) قصة الحضارة : ١٦/٢٧ ـ ٢٨ .

صكوك الغفران بين الوثنيين والمسيحيين

إن مسألة صكوك الغفران مسألة بعيدة الجذور في التاريخ ، وهي نابعة من فكرة مصير الروح بعد الموت . وقد اختلفت المذاهب وتعددت الآراء حول هذه المسألة ، ففي علم اللاهوت الأرفي اليوناني : الروح تذهب بعد الموت إلى الجحيم حيث يحاسبها آلهة العالم السفلي على أعمالها ، وكانت الأناشيد والترانيم الأرفيّة ترشد المؤمنين إلى ما يحب أن يتبعوه في هذا الحساب النهائي الشامل ، وهذا شأن كتاب الموتى عند قدماء المصريين .

وذهب قوم آخرون إلى القول بالتناسخ ، وهو أنَّ الروح تولد مرة بعد مرة لتحيا حياة أسعد من حياتها الأولى ، أو أشقى منها ، حسب طهارتها الأولى أو نجاستها ، ويتكرر هذا المولد حتى تطهر الروح من ذنوبها تطهيراً تاماً ، فيسمح لها بالدخول في جزر المنعمين . وهناك قول ثالث : وهو أن كل إنسان مسؤول عن عمله ورهين به ، ولا يتحمل أحد عنه شيئاً من أعماله : « كل نفس بما كسبت رهينة » والقول الرابع : هو القول بالوساطة في تحمل العذاب ، وخلاصته أن العقاب الذي يلقاه الميّت في الجحيم قد ينتهي إذا كفّر الإنسان عن ذنبه قبل موته ، أو كفّر عنه إنسان آخر من الناس ، وهذا المذهب هو أصل نشأة فكرة صكوك الغفران ، والتي كان عليها اليونان ، ثم جاءت الكنيسة وتبنّتها وزادت عليها بأن كفّرت عن جميع المسيحيين بقتل وصلب المسيح ، ودخوله الجحيم من أجل خلاص البشرية ، وقد استغلّ هذه الفكرة الكثير من الوثنيين ، ومن بعدهم الكنيسة ، من أجل الحصول على الأموال الطائلة ، فكانت أكبر وسيلة لاستغفال الناس وابتزاز أموالهم . وهذا ما

حمل أفلاطون أن يشنّ حملة شعواء على المجتمع الوثني والتقاليد الوثنية التي كانت تستخدم هذه الوسيلة ، ففي القرن الرابع قبل الميلاد رفع أفلاطون عقيدته للتنديد بهذه العقيدة ، وكان يقول :

« يقرع المتنبئون المتوسّلون أبواب الأغنياء ، ويدخلون في روعهم أنهم قد وهبوا القدرة على أن يكفّروا لهم خطاياهم ، أو خطايا آبائهم بضروب من التضحية والرُّقي ، ثم يخرجون من حقائبهم مجموعة ضخمة من الكتب بخط موسيوس أو أرفيوس يمارسون منها طقوسهم ، ويقنعون الأفراد ومدناً بأكملها أن التوبة من الذنوب والتكفير عنها يتمّان بتقريب القرابين ، والقيام بضروب من الاحتفالات التي يشغلون بها ساعات الفراغ ، والتي يتقدمون بها إلى الأحياء وإلى الموتى على السواء ، وهم يسمّون العمل الأخير (الاحتفالات) طقوساً خفية ، ويدّعون أنها تنجينا من عذاب النار ، فإذا أغفلناها فلا يعلم أحد ماذا يصيبنا من عذاب »[١] .

والكنيسة تبنت فكرة الفداء وتكفير المسيح بالصلب عن جميع المذنبين ، ومن البديهي أن هذا التكفير لا يحصل لأحد إلا لمن اعتنق الدين المسيحي ، وقد أعطى السيد المسيح ـ كما جاء في إنجيل متى ـ مفاتيح ملكوت السماوات لتلميذه بطرس ، وجعل كل ما ربطه وحلّه بطرس على الأرض مربوطاً ومحلولاً في السماوات[٢] .

وهذه البركة والقدرة التي كانت للسيد المسيح انتقلت لبطرس ، ثم انتقلت من التلميذ إلى البابوات والقديسين إلى يوم القيامة ، وهؤلاء هم يكفرون عن المذنبين عبر التاريخ .

هذا منشأ فكرة صكوك الغفران التي تعود في أصلها إلى الوثنيين قبل المسيح ، وربما كانت بمفهومها الوثني أقرب إلى المنطق من الفكرة التي يحملها المسيحيون ، والله يعلم كم لهذه الفكرة السيئة من آثار سيئة على المجتمع البشري ، وهي وإن ذكر لها بعض الحسنات فإن مضارها أكثر بكثير من منافعها .

---

(١) قصة الحضارة : ٦/٣٤٥ـ٣٤٦ .

(٢) متى : ١٦/١٩ ـ ٢٠ . ولا يخفى على اللبيب أن المسيح الذي أعطى بطرس هذه المرتبة العظيمة المزعومة نجده بعد ٣ فقرات منها من نفس الأصحاح يخاطبه بقوله : « اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » ومن كان شيطاناً يطرده المسيح كيف يعطى هذه المنزلة العظيمة ؟ فاعتبروا يا أولي الألباب .

وليس الأصل في الإنسان أن يكون مخطئاً حتى يكفّر عنه ، بل الأصل فيه الطهارة والتقوى والطاعة .

فالإنسان يولد على الفطرة من التوحيد والطهارة ، ولا يستطيع أن يكفر إنسان عن إنسان آخر ، ولا أن يتحمل تبعته ، والذي ينجي الإنسان هو عمله الصالح ، وتقوى الله وطاعته .

إن لفكرة التكفير عن الذنوب والاعتراف للقساوسة العديد من المفاسد والمضار الإجتماعية ، ويكفي الجرأة على الله ومخالفة تعاليم أنبيائه والذي يعتقد أن رجل الدين يغفر له كل ما جناه لا يبالي بعد ذلك بالمحرّمات ، ولا يرتدع عن معصية ، ويرتكب أعظم الجرائم ؛ هذا بالإضافة إلى أن هذه العقيدة قد جنت الأموال الطائلة والعظيمة للكنيسة ، وقد استغلّت الكنيسة هذه العقيدة لتحقيق أغراضها السياسية ، وكان القساوسة لا يغفرون للمذنب إلا بعد أن يطلعهم على أسماء الناس الذين كانوا يخالفون بأفكارهم تعاليم الكنيسة ، وقد رفض القساوسة أن يغفروا للذين يناصرون الأباطرة على البابوات . وكانت هذه الطريقة تستخدم أحياناً في محاكم التفتيش كما حدث حين أمر القديس شارل برميو (١٥٣٨ - ١٥٨٣) رئيس أساقفة ميلان قساوسته أن يطلبوا إلى من يأتوهم للتوبة على أيديهم أن يخبروهم بأسماء كل من يعرفونهم من الملحدين ، أو ممن تحوم حولهم شبهة الإلحاد[١] .

وهذا عين ما يستعمله اليوم الحكام الظلمة ضد خصومهم من أبناء الشعوب المقهورة ، التي تطالب بالحرية والديمقراطية .

وقد زادت هذه الفكرة من تفشي الفساد والفحشاء في المجتمع البشري ، لأن المذنب وجد أن كل عمل يقوم به مهما كان يستطيع أن يكفره بالاعتراف عند القس ودفع مبلغ من المال .

وكان أول صكّ بالغفران الكلّي هو الذي عرضه إربان الثاني في عام ١٠٩٥ على من يشتركون في الحرب الصليبية الأولى .

---

(١) قصة الحضارة : ١٦/١٦ .

ثم أخذت هذه الفكرة تتطور وتتوسع بها الكنيسة إلى أن أصبحت تمنح اللذين يتلون أدعية معيّنة ، أو يؤدّون خدمات دينية خاصة ، أو يبنون القناطر أو الطرق أو الكنائس أو المستشفيات ، أو يقطعون الغابات ، أو يجفّفون المستنقعات ، أو يتبّرعون بالمال لحرب صليبية ، لهيئة كهنوتية ، أو لعيد كنسي ، أو حرب مسيحية(١) .

يقول ول ديورانت : واستخدمت هذه السُنّة في كثير من الأغراض الصالحة ، ولكنها فتحت الأبواب للمطامع البشرية ، فقد بعثت الكنيسة ببعض رجال الدين ـ وكانوا في العادة من الرهبان ـ ليجمعوا المال بأن يعرضوا على الراغبين صكوك الغفران ، نظير هبات يقدمها الطالبون ، أو توبة من الذنوب ، أو صلوات يؤدونها وقد نشأ عن هذه العروض التي يسميها الإنكليز غافرات Pardumers تنافس شديد جلّل بالعار كثيراً من المسيحيين ، فكانوا يتظاهرون بتعظيم بعض الآثار الدينية المزوّرة ليحملوا الناس على التبرع بالمال ، وكانوا يحتفظون لأنفسهم من هذه الأموال بقسط قليل أو كثير .

وبذلت الكنيسة عدة محاولات لتقليل المساوىء ، من ذلك أن مجلس لاتران الرابع أمر المطارنة أن ينبهوا المؤمنين إلى ما هنالك من الآثار الدينية الكاذبة ، والشهادات المزورة ، وحرمت رؤساء الأديرة من حق إصدار صكوك الغفران ، وفرضت بعض القيود على حق المطارنة في إصدارها ، وحثّت جميع رجال الدين على أن يراعوا جانب الإعتدال في تحمّسهم لهذه الوسيلة الجديدة ، وندّد مجلس مينز الديني في عام ١٢٦١ بكثير من موزعي هذه الصكوك ، ووصفهم بأنهم كاذبون أشرار يعرضون ما يعثرون عليه من عظام الناس أو الحيوان على أنها عظام أولياء صالحين ، مرنوا على البكاء حين يشاؤون ، يساومون على التطهير من الذنوب بأكبر ما يستطيعون الحصول عليه من المال ، وبأقل ما يقدمونه من الأدعية والصلوات ، وشهّرت بها مجالس كنيسة أخرى مثل هذا التشهير ، كمجلس ڤين (١٣١١) ، ومجلس رافنا (١٣١٧) ، لكن هذه المساوىء لم تنقطع ، وقد ازدادت لِأنها كانت تحقق أكبر المكاسب للكنائس والأديرة ورجال الدين الذين أخذوا الكثير من هذه

---

(١) قصة الحضارة : ١٦/١٧ .

الأموال لِأنفسهم حتى قامت الثورات العظيمة ضدّهم وضد الكنيسة ؛ وقد سنَّ ملك أرغونة جيمس الأول قانوناً عام ١٢٣٣ يجعل أموال الضالّين المصادرة تؤول إلى الدولة دون الكنيسة ، وقد أصبح هذا فيما بعد حافزاً قوياً للملوك الذين وجدوا أن التحقيق والإستيلاء عملان متصلان أحدهما بالآخر[١] .

وقد روى المؤرخون الغربيون كثيراً من المآسي والمحن التي عانى منها الغرب من هذه السيرة السيئة ، إلى أن انتشر الإلحاد وقضى على هيبة الكنيسة ، وعُزل البابا في الفاتيكان ، وتحرر الغرب من سلطة الكنيسة التي حاربت العلم باسم الدين ، وما أن تخلى الغرب عن الكنيسة حتى تطورت الحياة وازدهر الاقتصاد وتحضر الغرب وأصبح رائد الحضارة اليوم ، كل ذلك بفضل تحرّره من سلطان الكنيسة .

محاكم التفتيش الوثنية

كان الدين والدولةعند الوثنيين شيئاً واحداً، وكانت قوانين اليونان ترى أن كل من عارض الدين وامتنع عن عبادة الآلهة اليونانية قد ارتكب أكبر جريمة ، ويستحق على ذلك القتل ، وهذا القانون هو الذي حكم به على سقراط العظيم بالموت ، لأنه دعا إلى توحيد الإله[٢] .

وفي رومة القديمة ـ حيث كان الآلهة حلفاء الدولة وأصدقاءها الأوفياء ـ كان الخروج عليهم أو التجديف في حقهم جريمة ، وهو الخيانة العظمى التي يعاقب عليها بالإعدام ، فإذا لم يوجد من يتقدم باتهام المذنب ، استدعى القاضي الروماني نفسه المتهم وقام بتحقيق القضية ، ومن هذا الإجراء أخذت محكمة التفتيش ، أو التحقيق في العصور الوسطى شكلها واسمها ، وطبق أباطرة الروم القوانين الرومانية في العالم البيزنطي ، فحكموا بالإعدام على المانويين وغيرهم من المارقين .

ولما كثر الإلحاد في القرن الثاني عشر الميلادي قال بعض رجال الكنيسة : إن حرمان الملحدين يجب أن يعقبه نفي الدولة إياهم أو سجنهم ، ولما عادت بولونيا في القرن الثاني عشر إلى اتّباع القوانين الرومانية ، جاء في قانونها نصوص وأساليب ودوافع لإنشاء محكمة تحقيق ، ونقل قانون الإلحاد الكنسي كلمة كلمة من القانون

---

(١) قصة الحضارة : ١٦/١٠٤ .

(٢) قصة الحضارة : ١٦/٩١ .

الخامس المعنون Dehereticis وكان آخر ما فعلته الكنيسة أن أخذت في القرن الثالث عشر قانون ألدّ أعدائها فردريك الثاني : وهو أن يكون الإعدام عقوبة الضلال[1] .

محاربة العلم بين الوثنية والكنيسة

كما أن الوثنية حاربت الإلحاد وكل من جدّف بحق الآلهة ، وأنشأت لذلك محاكم التفتيش ، كذلك حاربت العلم والعلماء ، وحكمت على كل من خالفت أفكاره ونظريّاته الوثنية بالإعدام والقتل .

يقول ول ديورانت :

« كان من مظاهر النزاع القائم بين الدين والعلم أن حرمت الشرائع الوثنية الأثينية دراسةعلم الفلك ، وكان هذا العلم قد خطا خطواته الأولى في بلاد اليونان حين أعلن (أنبا دوقليس) في أكرجاس أن الضوء يستغرق بعض الوقت في انتقاله من نقطة إلى أخرى ، ثم خطا خطوة ثانية حين أعلن بار منيدس في إيليا أن الأرض كروية الشكل . ثم قسم الأرض إلى خمس مناطق ، وعرف أن القمر يواجه الشمس بجزئه المنير على الدوام ، وقد قام علماء آخرون بنظريات أخرى ، وجملة القول : إن القرن الخامس كان في جميع المستعمرات اليونانية عصر تطور علمي عجيب في زمن يكاد يكون خلواً من الآلات العلمية .

ولما كتب انكساغوراس كتابه الذي بحث فيه حقيقة الشمس والقمر والسماء ـ وكان فيه من النظريات العلمية التي لا تزال حيةً حتى اليوم ويعمل بها العلماء ـ صبر عليه الأثينيون ، ولكن (كليون) الذي كان يتزعم الشعب ، لمّا لم يجد وسيلة يضعف فيها خصمه انكساغوراس اتّهمه بالإلحاد لأنه وصف الشمس (وكانت لا تزال في نظر الشعب إلهاً من الآلهة) بأنها كتلة من الحجارة المحترقة ، وقد أدين انكساغوراس رغم دفاع بيركليز المجيد عنه ، وحكم عليه في نهاية المطاف بالإعدام ، ففرّ من أعدائه ثم مات بعد بضعة سنوات[2] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) قصة الحضارة : ١٧٨/٧ ـ ١٨١ .

وقد حذت الكنيسة حذو الوثنيين في محاربتها للعلم والعلماء ، وجنت على البشرية أعظم الجنايات حيث قضت على كثير من العلماء والمفكرين ، لأن نظرياتهم الصائبة والرائعة كانت تخالف تعاليمها التي تعتبرها من وحي السماء ، مع أنها في الواقع ما هي إلا مجموعة عقائد وثنية ما أنزل الله بها من سلطان ؛ وبهذا الموقف المعادي للعلم أصبحت الكنيسة من أكبر عوامل نشر الإلحاد في العالم الغربي ، لظلمها الناس والعلم بإسم الدين ، فقد أنشأت محاكم للتفتيش عام ١٤٨٠ ، لتفتيش عقائد الناس ، وقتلت وأحرقت كثيراً من العلماء وغيرهم ، وقد بلغ عدد الضحايا من عام ١٤٨٠ ـ ١٤٨٨ خلال ٨ سنوات ٨٨٠٠ محروق ، و٩٦٤٩٤ محكوماً بالأشغال الشاقة ، ومن عام ١٤٨٠ ـ ١٨٠٨ أحرق ٣١٩١٢ شخصاً ، وحكم على ٢٩١٤٥٠ شخصاً بالأشغال الشاقة . لقد خاضت الكنيسة حرباً ضروساً ضدّ من سمّتهم بالمرتدين ، وفي نهاية المطاف استطاع الغربيون أن ينتصروا على الكنيسة ويتحرروا من ظلمها واضطهادها للعلم ، وما أن تحرر الغرب من سلطتها حتى تنفّس الصعداء ، وأصبح قائد الحضارة في العصر الحاضر .

لقد نقل لنا التاريخ صوراً حيّة عن تعذيب المخالفين ، وكيف أنهم كانوا يحرقون وهم أحياء ، وقد تعاونت الكنيسة والملوك على سحق المخالفين لأن الملوك كانوا يخافون أن يكون هناك عوامل سياسية وراء هذه الموجة الإلحادية ، ولا يمكنهم الحكم دون مساعدة الكنيسة ، فعملوا معاً على طمس صوت العلم والفكر ، حتى أصبح الناس العاديّون يقومون بحرق كل من يظنون منه المخالفة .

وقد تنافس الحكام في إصدار الأحكام والقوانين القاسية ضد المخالفين ، وشرعوا لها القوانين الظالمة ، فقد أصدر أتو الرابع (١٢١٠) ولويس الثامن ملك فرنسا (١٢٢٦) ، وأصدرت مدينتا فلورنس (١٢٢٧) وميلان (١٢٢٨) مراسيم شبيهة بمرسوم هنري ، وكان أشدّ القوانين اضطهاداً القانون الذي سنّه فردريك الثاني بين عامي (١٢٢٠ ـ ١٢٣٩) وقضى بأن يسلم الضالون الذين تحكم عليهم الكنيسة إلى ولاة الأمور المحلين ، وأن يحرقوا أحياء إلا إذا رجعوا عن ضلالهم فينجون من الموت ويحكم عليهم بالسجن مدى الحياة ، ثم صودرت جميع أملاكهم ، وحرم ورثتهم من ميراثهم ، ويحرم أبناؤهم أيضاً من حق الاختيار والدخول في وظيفة إلا إذا كفّروا عن ذنب آبائهم بإطلاع المسؤولين على الضالين .

وفي عام ١١٨٣ بعث الكونت فيليب صاحب فلاندرز ورئيس أساقفة ريمس عدداً كبيراً من النبلاء ورجال الدين والفرسان و الفلاحين والفتيات والنساء المتزوجات والأرامل إلى حيث أحرقوا وهم أحياء ، بعد أن صادروا أملاكهم واقتسموها بينهم[1] .

هذا وقد كان وضع رجال الدين وفسادهم المادي عاملاً آخر من عوامل كفر الناس وإلحادهم ، وخير دليل على ذلك ، ما قام به البابا جريجوري التاسع عام (١٢٢٧) فقد عيَّن كنراد قس مار برج رئيساً لمحاكم التحقيق في ألمانيا ، وأمره أن لا يكتفي بالقضاء على الضلال ، بل أن يصلح أحوال رجال الدين بعد أن وصمهم بالفساد ، وقال : إنَّ فسادهم هو أهم أسباب ضعف الإيمان بين الناس ، وقد قام كنراد بكلا الواجبين بمنتهى القسوة ، وخيَّر كل من اتَّهم بالضلال بين اثنين : إما الإعتراف فالعقاب ، أو الإنكار فالموت حرقاً ، ولما قام بإصلاح رجال الدين بتلك الجديَّة إنضمَّ المتمسكون بدينهم والضالّون بعضهم إلى بعض ، وقاوموه حتى قتلوه عام (١٢٣٣)[2] .

وقد أخذت هذه الأمور طابعاً سياسياً ، فأخذ كل حاكم يحقق أهدافه ويتوصل إلى أغراضه عبر هذه المسألة ؛ فهنري الثاني ـ لكي يثبت تمسكه بدينه في أثناء نزاعه مع بكت ـ جلد واحداً وعشرين ضالاً وكواهم بالنار في أكسفورد عام ١٢٦٦ .

وفي ألمانيا أقدمت محكمة التحقيق على أفعال جنونية زمناً قصيراً ، فقد حدث في عام ١٢١٢ أن أحرق هنري أسقف استر سبرج ثمانين ضالاً في يوم واحد ، وأعلن زعيمهم القسّ يوحنا عدم إيمانه بالغفران وبالمطر ، وببقاء رجال الدين بلا زواج ، وقال : إن رجال الدين يجب ألا تكون لهم أملاك[3] .

وهذه الأقوال التي توافق الحق والمنطق السليم كانت جريمة عظمى في نظر الكنيسة ، ولذا حكمت على هؤلاء الأبرياء بالحرق والموت . ومن خلال كلام هذا الأسقف الحرّ تعلم أن رجال الدين كانوا هم أصل الفساد ، حيث جمعوا الأموال

---

(١) قصة الحضارة : ١٦/٩٤ـ٩٦ .
(٢) قصة الحضارة : ١٦/١٠٥ـ١٠٦ .
(٣) نفس المصدر السابق .

الطائلة من الناس باسم الدين والقديسين ، وهذا ما جعل القس الثائر يوحنا يطلب بأن لا يملك رجال الدين شيئاً ، ولكي ندرك مدى الفساد الذي كان عليه رجال الدين فلا بد لنا أن نرجع إلى كلام البابا جريجوري التاسع عندما عيّن كنراد قس مار برج رئيساً لمحاكم التحقيق ، وأمره بألا يكتفي بالقضاء على الضلال ، بل أن يصلح أحوال رجال الدين بعد أن وصفهم البابا بالفساد ، وقال إن فسادهم هو أهم أسباب ضعف الإيمان بين الناس(١) .

ولا يعني هذا أن جميع رجال الدين كانوا كذلك ، بل هناك الزهّاد والنسّاك الذين لهم الدور الأول والأخير في حفظ الأديان .

العشاء الرباني المقدس عند الوثنيين

كان للوثنيين اليونان أسرار صغرى وكبرى في دينهم ، وكانت الأسرار الكبرى تدوم احتفالاتها أربعة أيام ، وتبدأ بإدخال من تطهّر في الأسرار الصغرى بالاستحمام والصوم ، ثم الدخول إلى بهو الاندماج في الجماعة السرية ، وهناك يفطر المبتدئون بأن يتناولوا عشاءً ربّانياً مقدساً إحياءً لذكرى دمتر فيشربون مزيجاً مقدساً ، من دقيق الحنطة والماء ، ويأكلون كعكاً مقدساً ، وبعد ذلك يمرّ المحتفلون بعدة مراحل إلى أن يصلوا إلى حجرة مرتفعة تتلألأ فيها الأنوار تمثّل مسكن الصالحين ، وفيها تعرض عليهم الصور والتماثيل المقدسة وسط التعظيم والتبجيل ، وفي وسط هذه النشوة من الإلهام المقدس كانوا يحسّون باتحادهم مع الآلهة ، ووحدة الإله والروح وأنهم قد انتشلوا من أوهام الفردية وأدركوا طمأنينة الإندماج في الألوهية(٢) .

وكان اليونانيون يعتقدون أن الجبابرة قتلوا ديونيسيس وأكلوه ، وأن الآدميين قد تناسلوا من الجبابرة ، فكل واحد من أبنائهم يحمل قسطاً من الخطيئة الأولى ، وعقاب هذه الخطيئة أن الروح تسجن في الجسم كأنها في سجن أو قبر .

ولكن يجب أن يعرفوا ويعزّوا أنفسهم بأن كل إنسان ينطوي في روحه على جزء من الألوهية الخالدة ، بعد أن أكل الحبابرة ديونيسس وتولّد منهم الآدميون .

---

(١) قصة الحضارة : ١٠٥/١٦ .

(٢) قصة الحضارة : ٣٤٢/٦-٣٤٣ .

وكان النسّاك في ارفيوس يتناولون في عشاءٍ رباني جماعي لحم ثور نيئاً - يمثل في اعتقادهم ديونيسس - إحياءً لذكرى قتل الإله وأكل لحمه ، وامتصاصاً للجوهر المقدس من جديد[١] .

وكان الخبز والماء المقدسان يقدّمان لعابدي مثراس في أثينا ، وقد دهش الفاتحون حين وجدوا طقوساً مماثلة لهذه الطقوس منتشرة بين هنود المكسيك وبيرو[٢] .

العشاء الرباني المقدس عند المسيحيين

إن العشاء الرباني هو من أهم الأسرار المقدسة عند المسيحيين ، وهو بجوهره عين العشاء المقدس عند الوثنيين جملة وتفصيلاً ، إلا أن المسيحيين أضافوا إليه القدّاس ، فقبل أن يختم القرن الثاني الميلادي اتخذ القداس في العبادات ، وأخذ ينمو نمواً بطيئاً بالاعتماد على صلاة الهيكل اليهودية ، وعلى الطقوس اليونانية الخاصة بالتطهير والتضحية البديلة ، والاشتراك عن طريق العشاء الرباني[٣] .

والعشاء الرباني يعني الافخارستيا في اللغة اليونانية ، وقد استخدمها النصارى للدلالة على العمل الذي أسسه يسوع عشية موته حيث قدم نفسه لتلاميذه ليأكلوه . إن الحقيقة التي تدعوها افخارستيا تتأصل في العشاء السري حيث أعطى يسوع جسده مأكلاً ودمه مشرباً تحت أشكال الخبز والخمر الملموسين[٤] .

وقد ورد العشاء المقدس في عدة نصوص إنجيلية لا بدّ لي من عرضها .

ففي إنجيل متى : في أواخر حياة المسيح ، وفيما كان التلاميذ يأكلون

« أخذ يسوع الخبز وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ وقال : خذواكلوا هذا هو جسدي ، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً : اشربوا منها كلكم لأن هذا دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة

---

(١) قصة الحضارة : ٣٤٥/٦ .

(٢) قصة الحضارة : ٢٨٤/١١ .

(٣) قصة الحضارة : ج ٢٨٩/١١ .

(٤) معجم اللاهوت الكاثوليكي ص ٢٧ .

الخطايا[1] » .

وقال على ما جاء في إنجيل يوحنا :

« أنا هو الخبز الحيّ الذي نزل من السماء ، إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم[2] » .

وفي لفظ لوقا : اصنعوا هذا لذكري .

« فإن هذا الأمر يضمن أن حقيقة المسيح كلها هي دائماً موجودة بصورة فعالة ، حيث يتمم التلاميذ هذا بصورة شرعية .

في الوقت عينه ، إن ترداد العشاء السري الذي أراد يسوع عينه يجعل حاضره ذبيحة المسيح الدموية على الصليب ، إذ إن جسد ودم العبد المتألم والميت يصبحان حاضرين كمقدم ومراق من أجل الكثرة ، ولا يمكن أن يكونا حاضرين بغير طريقة حسب تأسيس المسيح عينه ـ . . بهذا فإن احتفال الكنيسة الأفخارستي هو وليمة حقاً ، لأن جسد ودم المسيح حاضران كطعام ، وفي آن كذبيحة حقيقية »[3] .

وقد اتّضح للقارىء الكريم من خلال النصوص السابقة أن جوهر العشاء الرباني عند المسيحيين هو نفس العشاء الرباني الوثني عند اليونانيين . وهنا أترك الكلام لعالم كبير من علماء الغرب ومفكريه يحدثنا عن العشاء الربّاني ، يقول ول ديورانت :

« وكان العشاء الرباني من أهم الأسرار المقدسة بعد التعميد ، ذلك أن الكنيسة تمسّكت بمحرفية العبارة المعزوّة للمسيح ـ وقد تناول العشاء الأخير ـ والقائلة : إن الخبز هو جسمه ، وإن النبيذ دمه ، وأهم ما تقوم عليه هذه الشعيرة الربّانية هو تحول رغيف الخبز وكأس النبيذ إلى جسم المسيح ودمه بقدرة القسيس المعجزة .

---

(١) متى : ٢٦/٢٦ ـ ٢٨ . مرقس : ١٤/٢٢ ـ ٢٤ . لوقا : ٢٢/١٥ ـ ٢٠ .

(٢) يوحنا : ٦/٥١ . راجع ١ ـ كورنتوس : ١١/٢٣ ـ ٢٥ .

(٣) معجم اللاهوت الكاثوليكي : ٢٧ .

وكان الغرض الأول من القداس هو أن يسمح للمؤمنين بأن يشتركوا في جسم الأقنوم الثاني من الثالوث الإلهي : (دمه وروحه وألوهيته) وذلك بأكل القربان المقدس وشرب النبيذ المقدس . وهذه العقيدة لم تسلم من التشكيك والطعن فيها من نفس أصحابها ، هذا بالإضافة إلى الزيادة فيها ، فقد نشأت عقيدة حضور المسيح في أثناء العشاء الرباني ، وقد أذاع هذه العقيدة مجلس نيقية عام ٧٨٧ ميلادية ، وفي عام ٨٥٥ قال الراهب الفرنسي رتراموس : إن الخبز والخمر المقدسين لم يكونا جسم المسيح ودمه إلا بطريقة روحية لا جسدية ، وفي عام ١٠٥٤ شكّك رئيس شمامسة ثور برنجار في تحول الخبز والخمر إلى جسم المسيح ودمه ، فكان جزاؤه الحرمان من الدين ،وأعلن مجلس لاتران عام ١٢١٥ هذه العقيدة من المبادىء الأساسية في الدين المسيحي ، وأضاف مجلس ترنت إلى هذا القول عام ١٢٦٠ أن كلّ جزء من الخبز المقدس مهما كُسِر يحتوي جسم عيسى المسيح كله ودمه ورحه ، وبهذه الطريقة تعظم الحضارة الأوروبية والأمريكية اليوم شعيرة من أقدم الشعائر في الأديان البدائية ، وهي أكل الإله »[١] .

وهكذا أضحت المسيحية مجموعة متناقضة من العقائد الوثنية التي صبغت بصبغة مسيحية ، زادتها في بعض الطقوس جمالاً ، وفي البعض الآخر تعقيداً ، وفي البعض الثالث سخافة ، فإننا لا نجد إلهاً أهين بشتى أنواع الإهانات من اللعن والسخرية والتعذيب والقتل ودخول الجحيم ، وبعد ذلك أكله أتباعه وأنصاره ، كما فعل المسيحيون بالمسيح حيث أكلوا إلههم .

وهذا يذكرنا بعرب الجاهلية الذين كانوا يعبدون الأصنام ، ولم يستفد أحد منهم من إلهه إلا قبيلة ثقيف التي أكلت إلهها لما أصابها القحط ، وكان مصنوعاً من التمر . وكذلك أكل عمر إلهه وكان من التمر[٢] .

وصدق ول ديورانت حيث يقول في تقييمه للدين المسيحي :

« وترجع قوة الدين المسيحي إلى أنه يعرض على الناس الإيمان لا المعرفة ، والفن لا العلم ، والجمال لا الحقيقة »[٣] .

---

(١) قصة الحضارة : ١٩/١٦ ـ ٢٠ .

(٢) الإمام الحسين : لعبد الله العلايلي .

(٣) قصة الحضارة : ١٢/١٦ .

أضرار التوراة والإنجيل على المجتمع البشري

عنوان خطير . . ربما يعده البعض تحاملاً على الكتاب المقدس ، إنني أرجو من القارىء أن يأخذني بحلمه ويصابر نفسه معي حتى يعيش في ظلال الكتاب المقدس لحظات من التأمل والفكر .

إنني لا أريد أن أكون المبتدىء في هذا الميدان لأعرض أضرار الكتاب المقدس على المجتمع البشري ، وكيف أن هذا الكتاب المتناقض في أحكامه أسقط جميع المقدسات ، وحطم شخصية الأنبياء بنسبته لهم شتى أنواع الفحشاء والفساد ، ودعوته الناس إلى المعاصي ، وهنا أترك الحديث لكاتب نصراني ـ يحمل عقلاً نيّراً ، وضميراً حيّاً ، وإيماناً واعياً ـ ليحاكم الكتاب المقدس بنفسه ، ويبيّن أضراره ؛ وهو السبب في اتخاذنا لهذا العنوان .

ففي مقال علمي مسهب للكاتب البريطاني (تشارلس وطس) تحت عنوان « أضرار تعليم التوراة والإنجيل » تناول فيه الكتاب المقدس بالبحث العلمي ، وبيّن تفاهته ، مع أنه مسيحي ومن أتباع الكتاب المقدس ، ونحن ننقل كلامه في هذا المضمار بالنص . قال هذا الكاتب :

إنّا لا نود تعظيم التوراة فوق ما تستحق ، ولا نريد وضعها أسفل سافلين أكثر مما تستوجب ، وإنا نعترف أنه قد يوجد فيها بعض تعاليم حسنة لكنها مطموسة بغيوم فروض مضرّة ماحية لأثر تلك التعاليم العادلة ، وما فيها من الكلام البذيء الخشن قد صيّرها غير صالحة للدراسة بين الناس ؛ ولا يخفى أن بهاء التهذيب

والتعليم متعلق بالآداب . ولذلك نرى كتب القصص والروايات تروج وتقدّر قدرها لدى العلاقات بقدر ما تزدان به من حلى الآداب ، بخلاف القصص الدنيئة السافلة ، وهكذا التوراة ، فإن كانت خسيسة فيما تأمر به وغير صادقة فيما ترويه فلا يمكن أن نقبلها على أنها الأساس لتهذيب الأخلاق ، ومن ضروريات الأدب أن تكون موادّه بيّنة صادقة سهلة الاستعمال ، لا مستحيلته ، خصوصاً متى كان العذاب الأليم يوم الدين بالمرصاد لمن يخالف الأوامر ، كما هو نص التعاليم النصرانية ، فكان الاحتياج إلى السلوك الأدبي الخالي من المعايب ضرورياً في الكتاب الذي هو للدين أصل وأساس .

ولا يخفى أن آداب التوراة وفروضها ناقصة متناقضة لا يمكن العمل بها ، وفي الفصل الواحد تبيح ثم تحرم ما قد أباحته ، ثم تبيحه ؛ ونراها ناقشت حساب أحد الرجال المذكورين فيها لأنه كان ذا قلب لا يرى استئصال أعداء آله ، ونراها مدحت رجالاً آخرين من المذكورين فيها لأنهم قاموا بفروض استئصال أعداء هذا الكتاب من رجال ونساء وأطفال ؛ ولقد قيل في هذا الكتاب : « لا تقتل » بل كن محباً للإحسان ، فهل القتل والاستئصال من دلائل هذا الحب المذكور فيها ؟ ووعدت : المحافظين على السبت أجراً عظيماً ، ثم رجعت عن ذلك وأذاقتهم أشد العذاب ، ومزقتهم كلّ ممزق ؛ وأبطلت قصاص العاتي والكَفّار وأنعمت عليه بالغفران .

أمرتنا التوراة بأن يحب بعضنا بعضاً ، ثم رجعت وأمرتنا بأن نبغض حتى جسدنا ودمنا . أمرتنا بأن نسعى وراء تحصيل معاشنا في الدنيا ، ثم نسخت ذلك وأمرتنا بالكسل والإهمال ؛ حرمت علينا تمنّي ما بأيدي الناس أو اشتهاءه ، ثم أباحته ؛ وعلى هذا النمط منسوجة أوامرها ، فهي والحالة هذه خالية من الفروض الأدبية .

ومن جملة الاعتقادات الأصلية التي لُقِّنها النصارى من فم التوراة واستحكم فيهم أمرها هو أن أصل الفضيلة « الإيمان » لا العمل الصالح ، وأن اضطهاد وظلم غير المسيحيين حلال ومحتّم ، وأما نحن فنقول : إن أعظم واجبات الأبوين وأهمها نحو أبنائهم منع التعاليم الخبيثة كيلا يصبح التوحش فيهم طبيعة ، إذا كان دين لأبوين يأمر بالمنكر ؛ وهذا خير درس تشب عليه الأطفال فتحمد عافيتهم ويرجى منهم الخير لِأبناء جنسهم « بني آدم » . أما التوراة فلا تحض إلا على عكس هذا

المبدأ الشريف ، وأغرب من ذلك أن التعاليم المسيحية تحرم شكر من يعمل من المعتقدين فيها عملاً صالحاً من قبل أن يعلم أن عمله لإله التوراة خاصة ، فإن كان عمله حبّاً ببني آدم فلا يقبل منه ولا يجوز شكره ، لأن العمل الصالح المعمول حباً وإخلاصاً للناس يعد عندهم ذنباً عظيماً ، وإذا أسرف في القتل والنهب والجور والسرقة حباً في إله التوراة يعدّ عمله صالحاً مبروراً ، وهذا الذي جعل الكذب والبهتان من الكمالات النصرانية على أنه من الوسائط المقوية للكنيسة . وحق الحق أن الكتاب الذي يعلّم كما جاء بإنجيل متى الإصحاح ٢٠ العدد ١٦ بأن « كثيرين يُدعون وقليلين ينتخبون » لا يعين تعليمه على تعظيم سعادة الإنسان ، إنما يؤدي تعليمه إلى العداوة والبغضاء بين الأخ وأخيه ، وما كان سبب الشرور بين رجل وآخر من جهة الدين إلا تعليم « التوراة » ، وإذا تدبرنا ناموس المحبة الطبيعية رأيناه نقياً طاهراً ، ونرى بموجبه أن أهم واجباتنا محبة الناس كافة ، ولا يجوز لنا الرجوع عن ذلك إلى متى بان لنا أن الصحبة قد وضعت بغير مكانها ، بأن تأتّى عنها ازدراء ، فيجب عند ذلك إظهار الانقلاب صوناً للنفس من الإهانة ، كالشرائع المدنية اتخذت لدفع الناس بعضهم عن بعض ، ومتى كان دين الإنسان يأمره باضطهاد أبناء غير ملته كان من الواجب علينا أن نكون بغاية الاحتراس منه ، فإن التجارب قد علمتنا ما لتلك التعاليم الوحشية من السلطة على الأخلاق ، ومتى كان اعتقاد الإنسان بأمور دينه لا يمس أخلاقه بسوء فلا يجب أن نبغضه ، لأن اعتقاده يعدّ لدينا باطلاً ؛ وما دامت الأخلاق سليمة فلا يجوز لنا أن نكرهه أو أن نغالي بحبه ؛ أما التوراة فتعلمنا عكس هذا وتأمرنا بأن نحب من يؤمن بها مطلقاً ، وأن نبغض من يكفر بها وإن كان ذا أخلاق خير من أخلاق المؤمن بها .

يقولون : إن أساس المواد الأدبية في التوراة هي الوصايا العشر ، وأنه ليس في الإمكان أن ينتقد عليها ، وهذه الوصايا مذكورة في سفري الخروج والتثنية ولكنهما يختلفان اختلافاً بيناً . ويقولون : إن موسى (عليه السلام) أتانا بهذه الوصايا « بعد ما كلّم ربه وجهاً لوجه » مكتوبة على لوح من الحجر ، وعن هذا اللوح نقلت إلى سفر الخروج في الإصحاح ٢٠ لنفع الناس ، ويقولون إنه كتبها ثانياً في سفر التثنية الإصحاح الخامس ، وأنه بهذا الموضع أملاها من ذاكرته لا عن اللوح الحجري ، وكان ذلك الإملاء في شيخوخته ، فلا عجب من التحريف الكائن ما بين النصين . ويليق بنا أن نسأل النصارى بيان وجوه التحريف والتبديل في أهم الأمور الدينية

المذكورة في كتبهم ، المدعوّة إلهامية .

وتقسم هذه الوصايا إلى قسمين : أحدهما يبين واجبات الإنسان نحو خالقه ، والثاني يبين ما على الإنسان من الواجبات نحن أبناء قومه ؛ ويليق بنا تنبيه القارىء اللبيب إلى أمر مهم وهو أن القسم الثاني يحتوي على ستة فروض ، والقسم الأول يحتوي على أربعة فروض ؛ غير أن القسم الأول الذي هو أربعة فورض أطول من الثاني بكثير ، وإذا أمعنا النظر نرى أن الوصية الثانية والثالثة والرابعة من القسم الأول إعادة وتكرار للوصية الأولى ويمكن الاستغناء بها عنهن ، فقوله : « لا يكن لك آلهة غيري » يعم الثانية الناهية عن عبادة الأصنام وكذلك الثالثة الناهية عن السجود لهن وكذلك الرابعة ، فبهذه الوصايا نرى القول بخصوص ما علينا من الواجبات نحو خالقنا كثيراً ، وأما الذي هو بخصوص ما علينا من الواجبات نحو بعضنا بعضاً فقليل غير مفيد ، وجاء في الوصية الثانية ذكر الخلة التي امتاز بها إله النصارى ، وهي الغيرة والحقد كما سنرى .

لقد منعنا بموجب نص الوصايا العشر من عمل الأصنام ثم السجود لها ، ونعم الأمر ؛ وإننا من صميم الفؤاد نقبله ، لكن لِمَ هذا النهي في التوراة ، هل هو لكون عبادة الأصنام تحقيراً وازدراءً بقدر الإنسان العاقل وإخماداً لنور قلبه ؟ كلّا ، ليس من أجل ذلك ، بل هو لغيرة عندهم كما قالت التوراة ، وهو أن إلهها إله غيور يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيه ، فلو قال : لا تسجد للأصنام ولا تعبدها ، إني إله كريم محسن خلقتك مكرماً فلا تنجس نفسك ولا جسدك بعبادة الأصنام ، أنا الذي صورتك وبيد التكريم حافظك ، فلا تذلّ نفسك بعبادة أوثان لا تغني عنك شيئاً ، لكان قوله يأخذ بمجامع القلوب ، ويؤثر فيها أكثر مما جاء بهذا الكتاب من سفر التكوين حتى سفر الرؤيا الخرافية .

قال في الوصايا : « لا تقتل » ولم يزد على ذلك كلمة واحدة كما فعل بخصوص عبادة الأوثان ووعيد من يأتيها ، وقال في الوصية الخامسة : « أكرم أباك وأمك » فهذه وصية لو خلت من معايب التوراة لكانت تأخذ بالألباب ، لأن فضل الأبوين عظيم لا يجحده إلا من سفه نفسه ، وليس لنا على كلمة « أكرم أباك وأمك » اعتراض ، إنما اعتراضنا على ما وعدت به التوراة من طول العمر لمن يكرم أبويه ، حتى أصبح إكرامهما لعلة ، وهو طول العمر ، وكم من الأولاد النجباء البارين

لوالديهم أتاهم ريب المنون وهم في نضارة الشباب ، وكم من ولد شقي عاقّ لوالديه عاش دهراً طويلاً صرفه بإغاظتهما وإهانة نفسه فكان حسرة على والديه ؛ فأين ما وعدت به التوراة من طول العمر ؟ وإننا ننادي على رؤوس الأشهاد : « يا أيها الأولاد برّوا والديكم وأكرموهم ليس من أجل أطماع كطول العمر وغيره ، كلا ، بل ليكن ذلك منكم إجلالاً وإكراماً لهم ، ومن منكم ينسى كيف ربّياه صغيراً بضع سنين لما كان لا يقدر أن يعمل شيئاً ، فشكرهما واجب وبرّهما فرض ، ليس من أجل طول عمر أو نقصه كما قالت التوراة التي ما جاءتنا بوصية حسنة إلا وحفّتها بالجهل ، فأهم واجبات الولد نحو أبويه شكرهما وإطاعتهما » .

أما الوصية السادسة والسابعة والثامنة فلا نقول عنها سوى أن رجال التوراة الأبرار قد كانوا أول الناس مخالفة لها (كالسرقة والزنا والسكر والكذب وما شاكل ذلك) وما زال المعظمون للتوراة ينادون أن أساس تعليمها الأدبي هو الحب ، مع أنه إذا عومل بنو آدم بحسب قانونها الحبّي في هذا العصر لما بقي أحد ينادي بهذه المحبة .

ولقد جاء بالوصية التاسعة : « لا تشهد على قريب بالزور » فلم جاءت التوراة بكلمة قريبك ، أما هو على الحد سواء قباحة إذا شهدنا زوراً على الغريب كما لو شهدناه على القريب ؟ فهذا الكتاب « التوراة » لا يعلم الخير وحسن المعاملة لنيل الحياة الطيبة .

إعلم أيها القارىء الفاضل أن المحبة المبنية على تعاليم التوراة تأمر بقتل أهل المدن كافة . انظر سفر تثنية الاشتراع الإصحاح العشرين في العدد العاشر إلى السادس عشر وإليك نصه : « حين تقترب من مدينة لتحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك ، وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جداً منك التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما » .

هذا هو مثال المحبة المتفاخر بها عندهم .

وأخلاق المسيح المذكورة بالتوراة لم تعلمنا الحب بل عكسه ، فهو القائل كما جاء بإنجيل متى الإصحاح العاشر العدد ٣٣ : « ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السماوات » وزاد على ذلك ما جاء بإنجيل لوقا الإصحاح التاسع عشر العدد ٢٧ : « أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم تأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي » .

فهل بعد هذا ثَمّ من دليل على تعليم هذا الكتاب للبغض وغيره ، ثم أما يعاب على المسيح أن يقول مثل هذا الكلام ختاماً لما يضربه من الأمثال تعليماً لتلاميذه ؟ وكم من مثل ضربه للناس ظاهره يخالف باطنه ، وانظر كيف كان التلاميذ يسألونه عن ألغازه وأحاجيه ، وكيف كان يجيبهم ، كما جاء في إنجيل مرقس الإصحاح الرابع من العدد ١١ إلى ١٢ : « فقال لهم قد أعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله ، وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء ، لكي يبصروا مبصرين ، ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا لئلا يرجعوا ويتوبوا فتغفر لهم خطاياهم » . فهذا دليل على المكر والانحياز المقصود ، وليكون له ما يتمناه اختار التعليم بضرب أمثال غامضة غير مفهومة ، ويعدّ مثل هذا التعليم بزماننا ضرراً وخديعة ، ولا يوافق إلا عصراً كان فيه وحي التوراة على أناس مخصوصين قد أوحي إليهم ما جاء في رسالة تسالونيكي الثانية الإصحاح الثاني العدد ١١ و١٢ : « ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سرّوا بالإثم » .

أُمرنا بأن نكون مقدسين أبراراً كالله ، لكن أتعلمون ما هو هذا التقديس في عرف التوراة ؟ هو أن يأتي الإنسان الكذب والخديعة والقتل . إذا أدرنا الطرف نحو الإصحاح العاشر من سفر الملوك الثاني ونرى من هم أحباب إله التوراة وما هي أعمالهم ففيه ما عمله (ياهو) ببيت أخاب وقتله جميع أولاده وعدتهم سبعون ، وكل ذلك حسن في عين الرب . ولما صار (ياهو) ملكاً على إسرائيل كان أول أعماله الإسراف بالقتل ، وتاريخ حياته كناية عن تاريخ سفك الدماء بطرق متعددة ، ولم عزم على إهلاك بيت أخاب باشر ذلك بطريقة لا يقدر عليها أحد سوى رجال التوراة الأبرار ، فإنه شرع بقتل من توهّم أنهم سيكونون مانعاً دون إتمام مقاصده ، ومن بعد

ذلك جاء إلى السامرة عازماً على قتل عَبَدة البعل ، وكيلا يفلت منهم أحد ادّعى أنه جاء ليعبد البعل ويقرب له الذبائح ، فتمكن بمكره من قتل الجميع بحد السيف ، ولما أتم عمله أتاه وحي تلك الأيام المقدسة : « وقال الرب (لياهو) من أجل أنك قد أحسنت بعمل ما هو مستقيم في عيني وحسب كل ما في قلبي في بيت أخاب ، فأبناؤك إلى الجيل الرابع يجلسون على كرسي إسرائيل » .

ولقد ازدانت التوراة بإداء صموئيلها المرضية لما أتاه وحي تلك الأيام بأن يتخذ الكذب ديدناً . انظر سفر صموئيل الأول الإصحاح السادس عشر من عدد واحد إلى الأربعة وهو : « فقال الرب لصموئيل : حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته من أن يملك على اسرائيل ؟ إملأ قرنك دهناً وتعال أرسلك إلى يسي البيتلحمي لأني قد رأيت لي في بيته ملكاً ، فقال صموئيل : كيف أذهب إن سمع شاول يقتلني ، فقال الرب : خذ بيدك عجلة من البقر وقل قد جئت لأذبح للرب وأدع يسي إلى الذبيحة أنا أعلمك ماذا تصنع وامسح لي الذي أقول لك عنه » فأخبرونا أمن الأدب أن يكون الإنسان كذاباً سفاكاً للدماء وإلا فلم تدعون الناس إلى اتباع من دأبه إتيان المنكرات ؟

ولتعلم ما هي حقيقة آداب التوراة فما علينا إلا أن نقرأ الإصحاح الثلاثين والواحد والثلاثين من سفر التكوين ، حيث نرى مثال الغش والخديعة والسرقة . انظر الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج ترَ مثالاً من غضب موسى واستباحته سفك الدماء ، وانظر الإصحاح السادس والثامن والعاشر من سفر يشوع بن نون ترى كيف قتل هذا البار ألوفاً من الرجال والنساء والأطفال وانظر سفر صموئيل الثاني الإصحاح الثاني عشر من عدد ١١ إلى ٣٢ وغيره مما يتعلق بداود [حاشا لنبي الله داود أن يقع في خطيئة الزنا] تراه زانياً سفاكاً للدماء ، ومع ذلك نقرأ في سفر الملوك الأول الإصحاح الرابع عشر العدد الثامن ما معناه أن داود عمل بحسب ما هو كائن بقلب الرب ! فهذه آداب التوراة التي تحرمها الآداب الدنيوية والآداب الفلسفية . [لا يزال الكلام في أضرار التوراة والإنجيل للكاتب الإنجليزي « تشارلس وطس »] .

وفروض التوراة وأحكامها تجوّز الاستعباد إلى النهاية ، إذ تبيح بيع الرجال والنساء كما تباع البهائم ، ولقد جعلت بأحكامها الفقير عبد الغني والقوي ، وجاء في

سفر الخروج الإصحاح الحادي والعشرين من عدد ٢ إلى ٦ : « إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حراً مجاناً ، إن دخل وحده فوحده يخرج ، إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه « إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات فالمرأة وأولادها يكونون لسيده وهو يخرج وحده ، ولكن إن قال العبد أحب سيدي وامرأتي وأولادي لا أخرج حراً يقدمه سيده إلى الله ويقربه إلى الباب وإلى القائمة ويثقب أذنه بالمثقب فيخدمه إلى الأبد » . فهذه شريعة ليس بعدها ظلم .

إذا كان العبد وحيداً وتزوج عند مولاه ورزق أولاداً قبل انتهاء سني العبودية يخرج وحيداً تاركاً أولاده عبيداً لمولاه مع أمهم يفعل بهم ما يشاء ! واأسفاه كيف تصبح حالة ذاك الرجل المسكين ، يفصل عن زوجته وأولاده وهم حياة روحه ، أيتركهم وحبهم يفتت كبده لينال الإعتاق ؟ فإذا كان حبه لأولاده وزوجته أكثر من حبه للإعتاق كان البلاء له بالمرصاد ، لأن التوراة فرضت على كل من كان مثل هذا المسكين بأن يؤتى به إلى الحاخام ليثقب أذنه بمثقب علامة القضاء عليه بالعبودية ما دام حياً هو وأولاده وزوجته . ثم لم تثقب أذنه ؟ لعلها تثقب ليذوق جسده بعض الآلام التي ذاقتها روحه .

ثم ليخبرونا أي مبدأ أدبي أو أي مثال نافع دنيوي في قول التوراة بسفر التثنية الإصحاح الرابع عشر العدد ٢٦ : « وأنفق الفضة في كل ما تشتهي نفسك في البقر والغنم والخمر والمسكر ، وكل ما تطلب منك نفسك ، وكل هناك أمام الرب إلهك وافرح أنت وبيتك » تدبروا هذا الكلام الآمر باستباحة الرذائل ، وليس له عن ذلك انفكاك ما لم يصر الكلام بغير معنى .

« افتقاد العنصر الأخلاقي في العهد القديم »

ولقد أبت التوراة إلّا الإيقاع بسعادة الإنسان بتعاليمها ، فإنها تسعى وراء إطفاء نـور المودة وتـأمر بـالقسوة ـ تـأمر الإنسـان بقتل زوجتـه إذا راودته على تـرك التـوراة وتعاليمها ؛ أنظر سفر التثنية الإصحاح الثالث عشر من العـدد ٦ إلى ٩ : « وإذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنـك أو صاحبـك الذي مثـل نفسك قائلاً : نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آبـاؤك ، من آلهة الشعـوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك ، من أقصاء الأرض إلى أقصائهـا ، فلا تـرض منه ولا تسمع له ، ولا تشفق عينك عليه ولا ترق لـه ولا تستره ، بـل قتلاً تقتله » الـخ فأي رجل يقدر على إطفاء نور وده ليكون عاملاً بهذا التعليم الوحشي الذي كان سببـاً لشقـاء عائـلات لا تحصى ؟ ولقد أمـرتنا بمـا هو أدهى وأمـر . انـظر إنجيـل مـرقس الإصحاح العاشر من عدد ٢٨ إلى ٢٩ وبعض ٣٠ وهو : « ابتدأ بطرس يقول له : ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعنـاك ، فأجـاب يسوع وقـال : الحق أقول لكم ليس أحـد يتـرك بيتاً أو أخـوة أو أخوات أو أبـاً أو أماً أو امـرأة أو أولاداً أو حقـولاً لأجلي ولأجـل الإنجيل إلا ويأخذ مائة ضعف » فهذه أوامر قد كـانت سبباً لانفكـاك عقدة الحب بين الأهل ، وتشتيت شمل الأخوة والأخوات من بيوت آبائهم ، لأنهـم راموا إنقاذ نفوسهم من أغلال هذا الكتاب .

والمقصود من كلمة آداب « هـو كل مـا يزيـد سعادة وتـرقي نوع الإنسـان فبأي تهـذيب أم أي نفع في قـول إنجيل متى الإصحـاح السادس العـدد ٢٥ : « لاتهتمـوا لحياتكم » والإصحاح الخامس العدد ٣٩ : « لا تقاوموا الشر » أي لا تمنعوا الشـر ،

وقول لوقا الإصحاح السادس العدد ٢٠ : « طوباكم أيها المساكين » ثم قوله كذلك في غير موضع من الإنجيل : « لا تشتغلوا من أجل الخبز الذي يفنى » وغير ذلك مما لو راعيناه في هذا العصر لكانت نواميس حفظ الصحة وحرية الضمير والفوز السياسي الذي نرتع فيه الآن ثاني المستحيلات ، وهذا الإصلاح من ثمر أعمال رجال ونساء أخيار نبذوا التوراة ظهرياً واتخذوا عوضها حقائق الأمور الطبيعية .

وفي رسالة كولوسي الإصحاح الثالث العدد الثاني « اهتموا بما فوق لا بما على الأرض » وفي رسالة يوحنا الأولى والإصحاح الثاني العدد ١٥ : « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم » وفي إنجيل متى الإصحاح السادس العدد ١٩ : « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض » فلم خلقنا على الأرض ، أليست هذه التعاليم هي التي تصير الإنسان خمولاً كسولاً عديم الاعتناء بالأشياء ؟ .

أما الإضطهاد بسبب عدم الإيمان بشيء من التعاليم النصرانية ، خصوصاً التصورية منها فمخالف لمبادىء العدالة والإنصاف ، ولذلك نقول : أأمرت التوراة باضطهاد من لا يؤمن بها ومن يرفض تعاليمها أم لم تأمر بذلك ؟ فإن قيل : نعم قد أمرت ، نقول : أليس من المحتم إصلاح تعاليمها لأن الإيمان بصدق فروضها وتعاليمها هو اعتراف من الناقد بوجود حجج تثبت الاضطهاد والإكراه على الدين ؟ وأما إذا كانت الحجج أو الدليل مفقوداً فعدم الإيمان موجود وليس لهذه الحالة انفكاك قط إلا عند المنافق المرائي .

وفي التوراة أمور جمة لا يقبلها العقل ، بل يقضي بردها ورفضها ، والإنجيل يعد من كان هذا حاله بالعذاب الشديد وإليك بيانه : جاء في إنجيل متى الإصحاح العاشر من العدد ١٤ إلى ١٥ : « ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجاً من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا أغبار أرجلكم ، الحق أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما لتلك المدينة » فحالة العذاب الموعود به من يشك بتعاليمها ظاهرة لا يلزمها تفسير ، أما نفض غبار تراب المحل الذي لم يقبل أهله التلاميذ فلا يفهم ما لم نفحص عن عادات الشرقيين . قال الكتّاب الذين كتبوا عن الشرق وعادات أهله في مثل هذا العمل إشارة للبغض الشديد . وجاء في إنجيل يوحنا الإصحاح الخامس عشر العدد ٦ : « إن كان أحد لا يثبت فيَّ يطرح خارجاً كالغصن ، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق »

وجاء في رسالة تسالونيكي الثانية الإصحاح الأول العدد ٧ ـ ١٠ : « وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته في نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته متى جاء ليتمجد في قديسيه » وجاء في إنجيل مرقس الإصحاح السادس عشر العدد ١٦ : « ومن لم يؤمن يدن » (أي يهلك) وقال بولس في رسالة غلاطية الإصحاح الأول العدد ٩ : « إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أنا ثيما » (أي ملعوناً) وقال المذكور أيضاً في رسالة تيموثاوس الأولى الإصحاح السادس العدد ٣ و ٤ « إن كان أحد يعلم تعليماً آخر ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذي هو حسب التقوى فقد تصلف وهو لا يفهم شيئاً بل هو متعلل بمباحثات ومماحكات الكلام التي منها يحصل الحسد والخصام والإفتراء والظنون الرديئة » وقال أيضاً في الرسالة المذكورة الإصحاح الأول العدد ٢٠ : « اللذان أسلمتهما للشيطان لكي يؤدبا حتى لا يجدفا » هذا كله نصيب من لا يؤمن بالتوراة مع ما هي عليه ، وهذا هو السبب في سفك الدماء كما هو مصرح بتاريخ الكنيسة وما قد قاساه المدعوون هراطقة عند النصارى خير شهيد .

ويدّعي النصارى أن التوراة ضرورية لتهذيب وتعليم الأمم جميعاً ، ثم يعترفون بوجوب تعليم الإنسان ما عليه من الواجبات في الحياة الدنيا ويقولون إن أمامهم أمراً مهماً جداً وهو الاستعداد لحياة مستقبلة بعد القبر ، وأنه يوجد مدينة يعوذون بها متى وصلوها سالمين من أخطار سفر الحياة الدنيا ويدعون أنهم مقتنعون بأنّ التوراة دليل يقودهم سالمين إلى ذلك المكان الأمين مدة سيرهم في سفن الحياة المتقلبة بين أمواج الحوادث الدنيوية .

ويعتمدون على هذا الكتاب في النجاة زاعمين أن من تمسك بهديه لا يهلك ، كأنه لا ريب فيه ، مع أنّا إذا تدبرناه بأن لنا أسباب جمة مهمة تجعلنا في ريب من قول النصارى ودليلهم الذي هو التوراة ، وعدم صلاحيتها لأن تكون دليلاً هادياً ، ليس لكونها يناقض بعضها بعضاً فقط ، أو لقلة ما فيها من المواد ، كلّا إنها تحكي لنا تاريخ تكوين الدنيا ، ثم سقوط آدم ، تاريخ شعب إسرائيل منذ ابتداء نشأتهم حتى صاروا أمة مستقلة ، ثم تعدد شرائعهم الدالة على ما يجلب العمل به بركات السماوات والأرض وما يجلب العمل به الانتقام . وفيها بعض تلميحات عن تاريخ

الأمم السالفة وانقراضهم بسبب ذنوب اقترفوها ، ويتبع ذلك تاريخ حياة أيوب ثم المزامير ثم المراثي والشقاء الذي أحدق بأنبياء التوراة ، ثم الأناجيل الأربعة المذكور فيها تاريخ حياة المسيح وهي متناقضة ، ثم الرسائل وهي كناية عن تاريخ الكنيسة وأحوالها في أول عمرها ، وختام ذلك كله الرؤيا الخرافية المنسوبة ليوحنا اللاهوتي ؛ فكل إنسان يكلّ دون اكتشاف مواد من كتاب كبير حجمه بهذا القدر لتكون له دستوراً يسير بموجبه ، والنتيجة أن كل مواده عديمة النفع .

ولدى تعظيم التوراة على أنها الدليل على الكمال يدخل معها العهد الجديد أيضاً ، وكلاهما مجموعان بجلد واحد ككتاب واحد بين أيدينا يدعوه النصارى (كلمة الله) وهنا لنا معهم سؤال مهم : وهو إن كانت معرفة التوراة برمتها ضرورية لتوقف نيل السعادة الأبدية عليها كما قال يوحنا المعمدان ، فلم فقد منها كتب عديدة عليها مدار السعادة الأبدية ؟ وإذا كانت شهادة التوراة على نفسها مقبولة لديهم يكون ما بين أيدينا جزءاً صغيراً من كتاب كان يدعى في الأيام الخالية (توراة) فإنا نراها نقلت في سفر الأعداد كلاماً من سفر اسمه « سفر حروب الرب » وجاء في سفري القضاء وصموئيل اسم كتاب يدعى « سفر ياسر » وجاء في سفر تثنية الاشتراع اسم كتاب يدعى « سفر أخبار ملوك يهوذا » وجاء كذلك اسم كتاب يدعى « سفر أخبار ملوك إسرائيل » . وجاء كذلك اسم كتاب يدعى « سفر ناثان النبي » وجاء كذلك اسم كتاب يدعى « سفر جاد الرائي » فكيف يعملون لنيل الكمال وليست هذه الكتب موجودة ؟ واعجباً ! مع فقدان هذه الكتب العديدة نرى النصارى يتفاخرون بأن يد العناية قد حفظت لهم كتبهم من الضياع بطريق معجز . وكذلك هذا القسم الباقي المدعو توراة مملوء بالأغلاط والتحريف بقدر جعل كبار علمائهم المتفاخرين بآدابها يعترفون أنه موجود بالتوراة أمور كثيرة لا يمكن اتّباعها أو الدفاع عنها ، ومع ذلك لم تزل حتى الآن شرذمة قليلة تنادي بإلهامية هذا الكتاب وتقف موقف الدفاع عنه .

ومما مرّ يبدو لنا سؤال مهم جداً من تلقاء ذاته بغير تعرض له وهو : أيجب علينا أن نعتقد بأن العهد القديم « كلمة الله » أم لا ؟ فإن قيل نعم وجب علينا عملاً بما يفترضه دين النصارى القيام بجميع فروضه كالعهد الجديد تماماً ، وإن قيل لا وكان ذلك غير واجب فلماذا يعلم حتى بطرق الجور والاضطهاد على أنه كلمة الله . وقد قالوا إن كتب العهد القديم مفيدة للتهذيب غير أنها دون كتب النصارى . وهنا

اعتـراض آخر في نـظر ، فالعهـد الجـديـد مؤسس على العهـد القـديم ، وكثيـراً مـا يستشهد بآياته إثبـاتاً لمـدعاه على أنـه غير مخـالف للعهد القـديم الذي كتبتـه أنامـل القديسين لخيرنا وتعليمنا ، والمسيح نفسه قـد قال كمـا جاء بـإنجيل متى الإصحـاح الخامس من عدد ١٧ إلى ١٩ : « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبيـاء ، ما جئت لأنقض بـل لأكمّل ، فـإني الحق أقـول لكم إلى أن تـزول السمـاء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحـدة من النامـوس حتى يكون الكـل ، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغـرى وعلم النامـوس هكذا يـدعى صغيراً في ملكـوت السماوات ، وأمـا من عمل وعلم فهـذا يـدعى عـظيمـاً في ملكـوت السمـاوات » فـانـظر كيف أن المسيح نفسه حضناً على العمل بموجب العهد القديم . وقال أيضاً كما جـاء بإنجيـل متى الإصحاح ٢٣ العدد ٢ و٣ : « على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل مـا قالـوا لكم أن تحفـظوه فـاحفـظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمـالهم لا تفعلوا لِأنهم يقولون ولا يفعلون » .

ومن جملة الحكايات الكثيرة عند النصارى هذه : « مرة سأل أحد الرجال امرأة عجوزاً أمية عن الفـرق الذي بين العهـدين فأجـابته : إن العهـد القديم هـو الإنجيل مستوراً ، والعهد الجديد هو العهد القديم مكشوفاً » ولقد ذكر هذه القصة أكثر كتّـاب النصارى حجة على أن الكتابين كتاب واحد ، فهذه كلها دعاوٍ باطلة لأننا نـرى أعظم الإختـلاف بين الإنجيـل والتـوراة ، ولنضـرب لـذلـك مثـلاً : علّم مـوسى بـوجـوب القصاص وأن ذلك من أهم الواجبات ، فجاء المسيح وحرم ذلك . أمـر موسى بقتـل الظالم ، أما المسيح فأمر بأن نباركه . قالت الكتب القديمة إن سعادة الإنسان منوطـة بأعماله الصالحة وأن الأعمال الشـريرة تجلب غضب الله وانتقـامه . وأمـا كتب العهد الجديد فتقول بالإيمان فقط . فتدبر .

والـدليل على عـدم لياقـة التوراة بـأن تكون مـرشداً قـد قال بـه أناس يـدعـون (النصـارى الأحـرار) وهم ذوو علم فـاقـوا على كثيـرين من أبنـاء ملتهم قـد رفضـوا الاعتقاد بأن جميع ما فيها حق لا ريب فيه ، ولا يرونها إلا كـأحد الكتب التي يؤلفهـا النـاس ، وعليـه نقـول : إذا لم تكن التـوراة معصـومـة من الغلط فهي إذا من عمـل الناس ، وليس لها علينا أدنى سيطرة أكثر مما تدعونا إليه آدابهـا ككتب الناس ، فـإذا كان هذا هو حالهـا أيليق بأولئـك الكتاب الأحـرار أن يؤمنوا ببعض وكيفـروا ببعض ،

خصـوصاً بعـد اعترافهم بمعـايبها ؟ فـإن ما يؤمنـون به يكفـر بـه غيـرهم من طـوائف النصـارى ، وعلى هذا النمط يعـامل هـذا الكتاب بينهم حتى لا يبقى منـه إلا القليل جداً مما اتفقوا عليه أنه موحى ، فعند أي قياس نقف؟ أنقبـل دعوى الأبـروتستانت أم دعـوى الكنيسـة الكـاثـوليكيـة ، أم نفحص ذلـك من مـوقف المثلثين أم من مـوقف مـوحدي النصـارى أم ماذا ؟ فـإذا كانت التـوراة مرشـداً أميناً يعتمـد عليه ، يجب أن تكون جميع فروضها خالية من نقائص النقض .

ولقـد قالت بـأن الله عليم موجـود في كل مكـان ، ثم قالت في سفـر التكـوين الإصحـاح ١١ العدد ٥ : « فنـزل الرب لينـظر المدينـة والبـرج اللذين كـان بنـو آدم يبنونهما » وقالت في السفر ذاته الإصحاح ١٨ من عدد ٢٠ إلى ٢١ : « وقال الرب إن صراخ سدوم وعمـورة قد كثـر ، وخطيّتهم قـد عظمت جـداً ، أنزل وأرى هـل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إلي ، وإلا فـاعلم » علمتنا بـأن الله لا يغير وعـده ، ثم وصفتـه لنا بـأنه كثيـر الندم وتقلب الأفكـار ، ففي سفر التكـوين الإصحاح السـادس العدد ٦ : « فحزن الـرب أنه عمـل الإنسان في الأرض وتـأسف في قلبه » وفي سفـر صمـوئيل الأول الإصحـاح الخامس عشـر عدد ١٠ و ١١ : « وكـان كلام الـرب إلى صموئيل قائلاً : ندمت على أني قد جعلت شـاول ملكاً لأنـه رجع من ورائي ولـم يقم كلامي » وفي سفر الأعـداد والإصحاح الثـاني والعشرين عـدد ٢٠ و٢١ : « فأتى الله إلى بلعام ليلاً وقال له . . إن أتى الـرجال ليـدعوك فقم واذهب معهم إنمـا تعمل الأمـر الـذي أكلمك بـه فقط . . . فقـام بلعـام صباحـاً وشد على أتـانه وانـطلق مع رؤسـاء مؤاب » ثم قال في العدد الثاني والعشرين أي عقيب ما تقدم « فحمي غضب الله لأنه منطلق » مع أنه لـم ينطلق إلا بأمر من إلٰه التوراة .

علمتنا بأنه لا يراه أحد من البشر ، ثم جـاء في سفر التكـوين الإصحاح الثـاني والثلاثين العدد ٣٠ : « فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً : لأني نظرت الله وجهاً لـوجه » وجـاء في سفر الخـروج الإصحاح ٢٤ العـدد ٩ و ١٠ : « ثم صعـد مـوسى وهارون ونادبا وابيهوا وسبعـون من شيوخ إسـرائيل وتحت رجليـه شبه صنعـة من العقيق الأزرق الشفـاف وكذات السمـاء في النقـاوة » وجـاء في السفـر ذاتـه الإصحـاح ٣٣ عدد ١١ و ٢٣ : « ويكلم الرجل موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه . . . ثم ارتفعت يدي فتنظر ورائي أما وجهي فلا يـرى » وفي سفر التكـوين الإصحاح الثـامن

عشر يذكر زيارة الرب لإبراهيم عند بلوطات ممراً ويحكي كيف كان يتناول الخبز والزبد والحليب ولحم العجل معه .

تقول التوراة إن الله لطيف رحيم ، ثم تعلمنا خلافه ، كما في سفر أشعيا الإصحاح ٤٥ العدد ٧ : « مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر أنا الرب صانع كل هذه » ثم سفر عاموس الإصحاح ٣ العدد ٦ : « هل تحدث بلية في مدينة والرب لم يصنعها » وسفر المراثي الإصحاح ٣ العدد ٣٨ : « من فم العلي ألا تخرج الشرور والخير » وسفر حزقيال الإصحاح ٢٠ العدد ٢٥ : « وأعطيتهم أيضاً فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها » .

تقول إن الله لا يفضل أحداً على أحد من عباده ، ثم علمتنا خلاف ذلك انظر سفر التكوين الإصحاح ٤ من عدد ٤ إلى عدد ٥ : « وقدَّم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قابيل وقربانه لم ينظر » . وسفر الخروج الإصحاح الثاني العدد ٢٥ : « ونظر الله بني إسرائيل وعلم الله » . ورسالة رومية الإصحاح ٩ العدد ١١ إلى ٢٣ : « لِأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذي يدعو قيل لها إن الكبير يستعبد للصغير كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو » والتوراة برمتها كناية عن قصة شعب اختاره إلهها لغير أعمال صدرت منهم .

تقول التوراة : إن الله غيور حقود ، انظر سفر الخروج الإصحاح ٢٠ العدد ٥ : « لأني أنا الرب إلهك إله غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي » ثم رجعت وعلّمتنا خلافه في سفر حزقيال الإصحاح الثامن عشر العدد ٢٠ : « النفس التي تخطىء تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون » .

وقال الإنجيل بألوهية المسيح ، انظر إنجيل يوحنا الإصحاح الأول العدد الأول : « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » ثم رجع وقال في الإنجيل المذكور نفسه الإصحاح ٨ العدد ٤٠ : « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله » ورسالة تيموثاوس الأولى

الإصحـاح الثاني العـدد ٥ : « لأنه يـوجد إلـه واحـد ووسيط واحـد بين الله والنـاس الإنسان يسوع المسيح » .

يقول الإنجيل : إن الله والمسيح واحد ، انظر إنجيل يوحنا الإصحـاح العاشـر العدد ٣٠ : « أنا والآب واحد » ثم رجع وعلمنا في الإنجيل المذكور نفسه أنه شتـان مـا بين المسيح وربـه ، انظر الإصحـاح ١٤ العـدد ٢٨ : « لـو كنتم تحبـونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الأب لأن أبي أعظم مني » .

يقـول الإنجيل إن المسيـح يعلم كـل شيء ، انـظر إنجيـل يـوحنـا الإصحـاح السـادس عشر العـدد ٣٠ : « الآن نعلم أنك عـالم بكـل شيء » ورسـالـة كـولـوسي الإصحاح الثاني آخر العدد الثاني والعدد الثالث : « والمسيح المدخر فيه جميع كنوز الحكمـة والعلم » ثم رجـع وعلمنـا بـأن المسيــح جاهــل . انـظر إنجيــل مـرقس الإصحاح ١١ العدد ١٣ : « فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيهـا شيئاً ، فلما جـاء إليها لم يجـد شيئاً إلا ورقـاً لأنه لم يكن وقت التين » وكـذلك انـظر الإنجيل المذكور ذاته الإصحاح الثالث عشر العدد ٣٢ : « قال وأما ذلـك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب » .

يقـول الإنجيل إن شهـادة المسيح لنفسـه كافيـة صادقـة كما في إنجيـل يوحنـا الإصحاح الثامن العدد ١٤ ففيه : « أجاب يسوع وقـال لهم : وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب » ثم رجع وعلّمنا ضد هذا في إنجيل يوحنا نفسه الإصحاح الخامس العـدد ٣١ : « إن كنت أشهد لنفسي فشهـادتي ليست حقاً » .

يقول الإنجيل إن المسيح فادى الناس جميعاً كما في رسالـة تيموثـاوس الأولى الإصحاح الثاني العـدد ٥ و٦ وهو : « يسـوع المسيح الـذي بذل نفسـه فديـة لأجل الجميع » ثم رجع وعلمنا خلافه كما في إنجيل متى في الإصحاح الخامس العدد ٢٤ « فأجاب (أي يسوع) وقال لهم : « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسـرائيل الضـالة » وإنجيل مرقس الإصحاح السابع العدد ٢٦ و٢٧ : « وكانت المرأة أممية وفي جنسها فينيقية سورية ، فسألتـه أن يخرج الشيـطان من ابنتها ، وأمـا يسوع فقـال لها : دعي البنين أولاً يشبعون لأنه ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » .

يقـول إن أعظم دلائـل النبوة عمـل الآيات والعجـائب ، انـظر متى الإصحـاح

التاسع العدد ٦ : « ولكن لكي تعلموا أن لإبن الإنسـان سلطاناً على الأرض أن يغفـر الخـطايـا ، حينئذٍ قـال للمفلوج : إحمـل فـراشـك واذهب إلى بيتـك » ، ويـوحنـا الإصحاح الخامس العدد ٣٦ : « وأما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا لِأن الأعمال التي أعـطاني الأب قد أرسلني » ، والعبـرانيين الإصحاح ٢ العـدد ٤ : « شاهـد الله معهم بـآيات وعجـائب وقوات متنـوعة ومـواهب الروح القـدس » ، وقد كـان علمنا خـلاف ذلك ، أنظر سفر تثنية الإشتـراع الإصحاح الثـالث عشر من عـدد ١ إلى ٥ : « إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة ، ولو حـدثت الآية أو الأعجـوبة التي كلّمك عنها قائلاً : لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها نتعبدها ، فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم ، لِأن الرب إلٰهك قد يمتحنك لكي يعلم هل تحبون الـرب إلٰهكم من قلوبكم . . . وذلك النبي أو الحـالم ذلك الحلم يقتـل ، لِأنـه تكلّم بالزيغ » ، وإنجيل متّى الإصحاح ٢٤ العدد ٢٤ : « لِأنـه سيقوم مسحـاء كذبـة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عـظيمة وعجـائب حتى يضلّوا لو أمكن المختـارين أيضاً » ، فهنـا قال تحذيراً لنا من أن نصـدق الأنبياء الكـذبة والمسيـح الدجـال الذين يعملون قـوات وعجائب .

يقول الإنجيل في مواضع كثيرة إن انتهاء العالم قد اقتـرب ، انظر إنجيـل متى الإصحـاح ٢٤ عدد ٣٤ : « الحق أقـول لكم لا يمضي هذا الجيـل حتى يكون هـذا كله » أي خراب الكون وقيام يوم الـدين كما صـرح به في أول الإصحـاح . ورسالـة كورنثيوس الأولى الإصحاح ١٥ العدد٥١ و٥٢ : «هو ذا سرّ أقـوله لكم لا نـرقد كلنـا(أي لا نموت) ولكننا نتغير في لحظة في طرفة عين عنـد البوق الأخيـر فإنـه سيبوق فيقـام الأمـوات عديمي فسـاد ونحن نتغير » ورسـالة تسـالونيكي الأولى الإصحـاح الـرابـع العدد ١٥ : « فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب : إننا نحن الأحيـاء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين » ورسالة بطرس الأولى الإصحاح ٤ العدد ٧ : « وإنما نهايـة كـل شيء قـد اقتـربت فتعقلوا واصحـوا للصلوات » وإنجيـل متى الإصحـاح ١٠ العدد ٢٣ : « ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى ، فإني الحق أقـول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان » ثم رجع عن هـذا كله وأخبرنـا برسالة تسالونيكي الثانية الإصحاح الثـاني من عدد ٢ إلى ٣ : « لا تتـزعزعـوا سريعـاً عن ذهنكم ولا ترتاعوا لا بـروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا أي أن يوم المسيح قد

حضـر » وإنجيل متى الإصحـاح ٢٤ العدد ١٤ : « ويكـرز ببشارة الملكـوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يأتي المنتهي » ومرقس الإصحاح ١٣ عـدد ١٠ « وينبغي أن يكرز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم » .

يقول الإنجيل إن ملك المسيح سيكون للأبد لا زوال له ، انظر لوقا الإصحـاح الأول العـدد ٣٣ : « ويملك (أي المسيح) على بيت يعقـوب إلى الأبـد ولا يكـون لملكـه نهايـة » والرسـالة إلى العبـرانيين الإصحاح الأول العـدد ٣ : « . . جلس في يمين العظمة في الأعالي » ثم رجع وعلمنا خلاف هذا ، انظر رسالة كورنثوس الأولى الإصحـاح ١٥ من العـدد ٢٤ إلى ٢٨ : « وبعـد ذلـك النهـايـة متى سلم الملك لله الآب . . . ومتى أخضع له الكل فحينئذٍ الإبن نفسـه أيضاً سيخضـع للذي أخضع لـه الكـل ، كي يكون الله الكل في الكل » .

يعلمنـا إن روح القدس (إلّـه)كما في أعمـال الـرسـل الإصحـاح ٥ العـدد ٣ و ٤ : « فقـال بـطرس يـا حنـانيـا لمـاذا مـلأ الشيـطان قلبـك لتكـذب على الـروح القـدس . . أنت لم تكذب على النـاس بل على الله » « يسـوع الذي من المنـاصـرة كيف مسحـه الله بالـروح القدس والقـوة » وإنجيل يـوحنا الإصحـاح ١٥ العدد ٢٦ : « ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكـم من الأب روح الحق الذي من عنـد الأب ينبثق » . ثم قال خلافه .

يقول الإنجيل : إن جميـع كتب التوراة والإنجيـل وحي من لدن عـزيز عليم ، وإنها نافعة لنا . انظر رسالة تيموثاوس الثانية إصحاح ٣ العدد ١٦ : « كل الكتاب هو موحى به من الله نافع للتعليم والتوبيخ ، للتـوقيم والتأديب الـذي في البر » ثم علمنـا خلافه كما في رسالة كورنثوس الأولى الإصحاح ٧ العدد ٢٥ و ٢٦ : « وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ، ولكني أعطى رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر ، إنه حسن للإنسان أن يكون هكذا » وذكر رأيه . ورسالـة كورنثـوس الثانيـة الإصحاح ٦١ العـدد ١٧ : « الذي أتكلم بـه لست أتكلم بحسب الرب بل كـأنه في غبـاوة في جسارة الافتخـار هذا » وفي الإصحـاح ٧ العدد ٦ إلى ١٢ من الرسالة الأولى : « لكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر ، وأما الباقون فأقول لهم أنا الرب » فأين الوحي الذي يدعونه .

وما هذا الذي مر بك إلا شي قليل من كثير من أوامر التوراة المتقلبة ، التي لها

الأصل في اعتقاد النصارى كآلهتهم الثلاثة ووحي كتبهم المقدسة وانتهاء العالم ، وتركنا أموراً ذات بال لو كان بعضهم لبعض ظهيراً لما استطاعوا لها تأويلاً ، هذا عدا عما بذلوه من الجهد في تأليف روايته المرتبكة ولم يفلحوا .

وإنا نرى ذوي اللب من النصارى لا يقبلون التوراة على أن كل ما فيها وحي من عند الله لا ريب فيه ، والحق يقال : إنهم لذوو أنفس أبية لا يذلون أنفسهم بإخضاعها لحديث خرافة لعبت به أيدي المتلاعبين دهراً طويلاً ، ولا يتبعون الكنيسة ذات التاريخ المعيب الذي هو كناية عن تعداد مظالم واضطهادات ونهب وغير ذلك . ونرى البعض يتفاخرون بأن الله قد حفظ وحيه للناس بواسطة التوراة ، وأنه يجب على كل إنسان تلاوتها باحترام لأنها صلاة ؛ ويعترفون بعد هذا الكلام بأنه قد دخلها بواسطة النساخ أغلاط كثيرة ويرفضون منها أعداداً بل أسفاراً برمتها على أنها مزورة ، ويعدّون قسماً آخر منها مشكوكاً بصحته ، ثم بعد هذا الطرح والتقسيم يقولون إن ما بقي كلام الله لم تمس مادة جوهره بسوء . فقولهم هذا أعظم حجة عليهم كما بيّنا سابقاً . قالوا إن بعض تلك الكتب موحاة ، ثم من بعد ذلك وضعوها تحت سيطرة الفكر والانتقاد ، ومن كان هذا اعتقاده لا بدّ أن يقول في نفسه : « إن لدينا جملة كتب قد خالطها كثير من كلام الناس الباطل ، فكل ما وافقني أقول إنه إلّهي وما لم يوافقني أرفضه » . فتدبر هذه الحالة . ولقد بذل كثيرون جهدهم لتخفيف هذه الحالة ليتمكن الإنسان من مخالفة ضميره فلم يفلحوا .

ولدينا طريق واحد ينفذ من كل مخالفة وهو طريق سهل حسن النتيجة ، غير أن التجارب قد علمتنا صعوبة السير عليه لأنه يقضي بتسليم هذه الكتب للفحص والانتقاد كما تنتقد كتب الناس ، فيؤخذ النافع ويطرح الضار .

كلٌّ يعلم كيف يدعي النصارى بأنه تحفّهم نعمة من لدن الروح القدس فتثير وتهدي دارس التوراة في دائرة الإيمان بها ، مع أننا نجد كل واحد ممن درسها قد فهمها بخلاف غيره بحسب ما تلقاه من العلوم ، فلو لم يكن لتلك النعمة الوهمية تأثير في إدراكهم لنعم الحال فإنهم مع ادّعاء هذه النعمة يخالف بعضهم بعضاً ، وجميعهم ذوو إخلاص بتعليم التوراة ، فما بال الروح القدس لا يوفق بينهم ويهديهم سواء السبيل ؟ فالمسيحي الصادق الأمين من يضع التوراة تحت حكم الانتقاد الأدبي الذي لم يكتسبه من تعاليم هذا الكتاب ، بل من العلوم الدنيوية التي قضى في

دراستها دهراً طويلاً يصعد في غضونه على درجات التمدن والتقدم والإستنارة ، وغير ذلك من الحقائق التي كان سبب تأخيرها هـذا الكتاب ومـا علمه للنـاس ، ولا يخفى أن التعليم الـذي بعث على عصيان ومخـالفـة للتـوراة لم يكن للذين من قبلنـا لأنهم كانوا تحت سيطرة الروح القـدس ونعمته الخـاصة ، كمـا أننا نحن الآن تحت نعمـة وسيطرة الانتقاد الصادق قد تمكنا من معرفة حقيقة التوراة ، التي سرّ روح قـدسها أن يتـرك المتمسكين بها في ظلمـات لا يهتدون ولا يعملون شيئـاً مما يعمله الـدارسـون الآن .

إن تعليم التوراة ما على الرجل من الواجبات نحو أهل بيتـه لفظيـع ، وما على القارىء اللبيب إلا أن يدرس سيرة نوح للتوراة وإبراهيمها وإسحاقها ويعقوبها وداودها وسليمـانها وغيـرهم من رجـالهـا العـظام ، ولا ريب أن من يعمـل في عصـرنـا مثـل أعمالهم يكون مستحقاً لأعظم التحقير ، وإذا أشار أحد بمعاملة نساء عصرنا كما تأمر التوراة يعْدُدْن ذلـك إهانـة وتحقيراً لهن لأنهن يصـرن دون الآيامى ، والمسيـح نفسه كان يعامل النساء بخلاف معاملة الرجال ، وسلوكه وأخلاقه مع أمه وغيرهـا ، وحضّه الرجل على ترك ما عليه من الواجبـات نحو عيـاله ممـا يجعل البيـوت منابـع شرور ، ولقد زاد الحال سـوءاً وقبحاً مـا جاء بـه بولس القـديس من التعليم الذي صيّـر النساء كمتاع في أيدي الـرجال ، والـرجال الـدنيويـون الكرام (يقصـد الذين نبـذوا التوراة ظهـريّاً) خيـر من أعـظم رجـال التـوراة بقـدر مـا لـلآداب العـائليـة الآن من المقـام المحمود ، فإن الأديب الدنيوي يعلمنا بأن يكون الزواج ناشئاً عن المحبة الخالصة ، وهـو زواج لا يؤدي إلا إلى تثبيت وثائق التـوفيق وعدم الانحيـاز ، ويعلم بـأن الـزوج والزوجة شريكان في أحوال معيشتهما .

يقـولون إن آداب التـوراة تعليم لنا من الله ، فقـولهم هـذا عين الغـدر لـوجـوه منها : (وربـما قد كان مثل هذا الغرض الدنيـوي الجميل بخصـوص النساء مـذكوراً فيها ، غير أننا ما علمناه لخلوها من مثله الآن) إنا نعلـم أن ما ذكره علمـاء اللاهـوت بهذا الخصوص قديماً وحديثاً غيـر مقبول عقـلاً ، وكفى بالحقـائق الوجـودية داحضـاً له ، وليس في التوراة فرض واحد منقوض بل فيهـا فروض وأوامـر كثيرة جـداً تنقض بعضها بعضاً ، تحرم ثم تبيح ، على أن القيام بذلك الأمر الذي حرم أولاً يـرضي إله التـوراة ، ولا يخفى أن نتيجة هـذا التناقض يؤدي إلى عـدم إيجـاد حـد لـلإنسـان لا

يتعداه ، وإذا تدبرنا حوادث الأيام الخالية رأينا أن التوراة كانت السبب في إغراء آباء الكنيسة على اتخاذ الكذب خير واسطة لنفع الكنيسة ، ولقد آل ذلك إلى اتخاذ القتل والنهب على أنه خير قصاص لمن يسمونهم (هراطقة) وكانوا يرون الأعمال البربرية الفظيعة « صالحة » لأنها توافق أوامر التوراة .

ولقد كان الداعون إلى دين النصرانية واسطة لإطفاء نور العلم ، ومنهم من كان ذا خلق حسن واستقامة ، أما من جهة الدين فكان فظاً غليظاً جباراً ، وسبب ذلك اعتقاده أن مثل تلك الأعمال الوحشية تقربه إلى إلّه التوراة الذي أمر بها .

وقبول التوراة على أنها علم الآداب والكمال هو اعتراف بصدق أوامرها التي لا مفر لها ولا يستطيع أحد أن يصل بها ، ولقد قالت إن الإيمان وحده ينقذنا من العذاب الأليم ، انظر رسالة رومية الإصحاح الثالث العدد ٢٧ و ٢٨ : « فأين الافتخار ؟ قد انتهى بأي ناموس ؟ أبناموس الأعمال ؟ كلا بل بناموس الإيمان . إذا نحسب الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس » ثم رجعت وقالت خلاف ذلك . انظر رسالة يعقوب الإصحاح ٢ العدد ٢٤ : « ترون إذا أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده » ثم نرى خلافهما معاً في إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر العدد ٦ : « قال له يسوع : أنا هو الطريق والحق والحيوة ليس أحد يأتي إلى الأب الأبي » قال أولاً بالإيمان ثم رجع وقال بل بالأعمال ثم رجع وقال خلافهن جميعاً ، انظر إنجيل يوحنا الإصحاح السادس العدد ٤٤ : « ولا يقدر أحد أن يقبل إلي إن لم يجتذبه الأب الذي أرسلني » فتدبره .

جاء في رسالة يوحنا الأولى الإصحاح ٥ العدد ٧ : « فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد » ثم جاء في رسالة تيموثاوس الأولى الإصحاح ٢ العدد ٥ : « لأنه يوجد إلّه واحد ووسيط واحد بين الله والناس ، الإنسان يسوع المسيح » ويعلمنا الإنجيل أن المسيح جاء بالبشارة لخير الناس جميعاً ، ثم علمنا أنه لم يأتِ إلا لِأجل خراف بيت إسرائيل الضالة ، وأن المدعوين كثيرون أما المتخبون فقليل ما هم . وعلمنا أن جميع الخطايا تغفر ، وهناك يقول أيضاً إن كل خطيئة ضد الروح القدس لا تغفر . وجاء في رسالة ثيموثاوس الأولى الإصحاح الثاني العدد ٣ : « لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » ومن

قبل قال بأن الله يرسل أرواحاً مضلة ليصدق الناس الكذب ويهلكوا ، فالأولى بالتوراة وإلهها أن يقول « إن إرادة الإله أن لا تعلموا الحق حيث أنكم خلقتم للعذاب » .

قال في رسالة يوحنا الأولى الإصحاح الثالث العدد ١٥ : « كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس » . انتبه لهذا . وفي إنجيل لوقا الإصحاح ١٤ العدد ٢٥ و ٢٦ : « وقال لهم يسوع : إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وأخوته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً » . فمن رام أن يكون تلميذاً للمسيح فأهم واجباته كره أخيه وإذا فعل ذلك كان قاتلاً نفساً بموجب نص يوحنا المذكور أعلاه ، والقاتل ليس له حياة أبدية ، فإن ترم الحياة الأبدية فكن عاصياً لأوامر المسيح .

والموت شهادةً في سبيل التعاليم لا يكون خير واسطة لإشهار مبدأ أو علم أوعقيدة ، فإن البقاء نفعاً للمبدأ أو التعليم المراد نشره أكثر جدوى من الموت لأجله ؛ ويدّعي النصارى بأن موت البعض منهم قديماً قتلاً يدل على صدق التعليم ، وإثباتاً لزعمهم يوردون ما جاء بإنجيل متى الإصحاح العاشر العدد ٢٨ : « لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها » وهذا يدل على أن المسيح لا يقدر حياة الإنسان حق قدرها بجنب تعليمه أما هو نفسه فلم يرد التهلكة ، ودليلنا ما جاء بإنجيل يوحنا الإصحاح ٧ العدد ١ : « وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه » . فلم خاف ممن يقتلون الجسد ؟ وكان تلاميذ المسيح يعملون عمله « أي يحضون الناس على التهلكة أما على أنفسهم فكانوا محافظين » وهنا موقف الحيرة أنتبع أقوال المسيح أم أفعاله ؟ .

وبعض النصارى يذمون الحرب ويعدونها مخالفة لأوامر التوراة ، وتأييداً لحجتهم يوردون ما جاء بإنجيل متى الإصحاح ٢٦ العدد ٥١ : « فقال له يسوع رد سيفك إلى مكانه ، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون » ومحبّو سفك الدما يقولون لرجال السلام : إنه من الواجب أن تكون بأيدينا سيوف مسلولة لأنه بقدر ما ينتشر دين النصرانية بقدر ما تتضاعف الحاجة إلى السيوف المسلولة . ثم يقرأون تأييداً لقولهم ما جاء بإنجيل متى الإصحاح ١٠ العدد ٣٤ : « لا تظنوا أني قد جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً » وبإنجيل لوقا

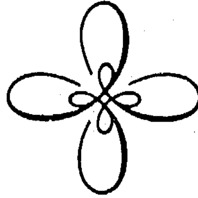
الإصحاح ٢٢ العدد ٣٦ و ٣٨ : « فقال (يسوع) لهم لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتري سيفاً . . فقالوا يا رب هوذا هنا سيفان فقال لهم يكفي » فلو نجح المسيح بحضه على استعمال الحرب وسفك الدماء لكان لمحبي الحرب أعظم حجة يحتجون بها . قال بولس الرسول أولاً : إن الفضائل هي الأصل ومن دونها كل شيء عدم ، ثم رجع عن ذلك وقال في رسالة غلاطية الإصحاح الأول العدد ٩ : « وكما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضاً : إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أنا ثيما أي ملعوناً » فيا له من أدب . وقيل في التوراة أيضاً : إن الحكمة هي الأصل فخذوها ، ثم قيل في التوراة نفسها : « الحكمة الكثيرة كرب عظيم ومن يكثر الحكمة يكثر حزنه » فمن الجهل تعليم الإنسان أن الحكمة خير من الكنوز ثم يعلم ما مر وكذلك « إن حكمة العالم جهل » فكل من يطلب الحكمة والعلم يناديه بولس في رسالته كورنثوس الأولى الإصحاح ١ العدد ١٩ : « لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء ، وأرفض فهم الفهماء » مهلاً ، لا تهلك اختراعات هذا الجيل يا بولس .

فمن هذه التعاليم التي أوردناها من التوراة يظهر جلياً عدم صلاحيتها بأن تكون دستوراً لاقتباس الآداب والأخلاق ، ولربما يقول بعض متعصبي النصارى أن ليس فيها اختلاف ، وإن ما يدعيه أهل العلم من وجود المعايب فيها هو عبث ، حيث إن كل شيء عند الله هين ، وعليه فمملي التوراة هو الصادق الأمين وغيره كاذب ، ومنهم من يقول : إن الأغلاط الناشئة من نقص علم المنتقد ، وإن كلام التوراة بسيط إذا دخل علينا من باب التقى ، بأن نقبلها إنجيلاً يعلمنا للحق ، ولا يخفى بأن نقض طبيعتنا هو الحائل دون إدراك الحق الموحى إلينا بنور روحي ، فهذه حجة المتخذين التوراة هادياً ومرشداً ، ولعمري إنها لحجج توجب عودنا أطفالاً لا عقول لنا حتى نقبل توراتهم المدعين عصمتها من الغلط والنقص .

لا ريب أن عقول المعتقدين بعصمة تعاليم التوراة مع ما فيها من المعايب الظاهرة للعيان مختلة ، ويعدون عندنا مذنبين لوضعهم ما فيها من النقائص تحت ستار الجهل والحمق بقولهم (إنها وحي إلهي) كلمة اتخذوها أحبولة لإخضاع الإنسان لأخسّ حالات الضعف البشري ، وإذا كان من واجبات الإنسان متابعة العقل والانتباه والحرية ـ لتكون له في هذه الحياة الدنيا عيشة طيبة ـ وجب عليه ألا يكون

أسيراً لتوحش الأقدمين ، ولا للتعاليم النصرانية الحديثة ، بل عليه أن يأخذ علمه عن العلوم الطبيعية ، فإن له فيها خير هادٍ ورشيد لا يضل بعده ، بخلاف التوراة التي لا تهدي إلى سواء السبيل . انتهى كلام وتعليق الكاتب الغربي « تشارلس وطس » .

هذا وقد أشرت في غضون هذا الكتاب خلال الأبحاث السابقة إلى كثير من هذه التناقضات والأضرار التي يعاني منها العالم المسيحي ، والتي يخفى الكثير منها على الناس العاديين .



إلى الأحرار والمنصفين من النصارى في العالم

من البديهي أن صحيفة الخلاف بين الشعوب والأمم لن تنطوي إلا بظهور المخلّص الذي تنتظره البشرية ، وتشعر بالحاجة إليه في ضميرها وأعماقها ، ومع ذلك ليس من الصحيح أن تبقى الساحة بيد الحكام الذين يستغلّون التعصبات المذهبية لتحريك الجماهير والشعوب ، وإشعال نار الحرب بينهم ، وإغفالهم وصرفهم عن المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الدولي بأسره ؛ وقد استفاد الحكام من هذه التعصبات للسيطرة على شعوبهم وإشغالهم بالحروب المدمرة والتعصبات المقيتة ، التي تستهلك أعظم الطاقات البشرية ، وبذلك يحفظ الحكام عروشهم . ومن هنا يتحتم على رجال الدين والفكر وأصحاب الضمائر الحية في العالم أن يفكروا في طريق الخلاص ، والعمل على حل المشاكل العالمية الجوهرية التي يعاني منها المجتمع الدولي على اختلاف لغاته وقوميّاته وتقاليده . ومن المحال عادة أن تتخلص البشرية من التقاليد والأعراف التي عاشت في ظلها وورثتها عن الآباء والأجداد ، ومن الصعب جداً أن تتحد الشعوب تحت ظل فكرة واحدة ودين واحد ، ولكن ليس من المحال أن ينصف العلماء والمفكرون في أحكامهم الصادرة في حق الآخرين .

إننا نحمل ونكن كل مودة واحترام لرجال الفكر والدين من النصارى ، وننظر إليهم نظرة القرآن المليئة بالعطف والود والاحترام ، وقد وصفهم القرآن بأعظم الصفات وأعذب العبارات فقال في حقهم :

﴿ ولتجدنّ أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ، ذلك بأن منهم

قسّيسين ورهباناً ، وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ممّا عرفوا من الحق ، يقولون ربّنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين * فأثابهم الله بما قالوا جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين ﴾[1] .

ومن خلال هذه الآيات المباركة نقطع بأن بعض علماء النصارى يحملون في قلوبهم المودة والطهارة والإيمان ، ويتعطشون للحق ، فإذا عرفوه قالوا وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربّنا مع القوم الصالحين فإلى هؤلاء العلماء الأحرار في كل العالم من الذين لا تغرّهم المظاهر والمناصب الدنيوية أتقدم ـ وبكل إخلاص واحترام ـ راجياً منهم أن يقولوا كلمة الحق والعدل والإنصاف ، بعد أن يتدبروا القرآن ويطالعوا الآيات الواردة في السيد المسيح وأمه البتول العذراء ، وما يقوله وما يعتقده المسلمون في حقهما ، ويطالعوا أيضاً ما يقوله اليهود في شأن السيد المسيح وأمّه ، وما فعلوا بهما ، ثم لينصفوا وليقولوا من أحق بالاحترام والتقدير والمصادقة ، المسلمون أم اليهود ؟ فليس من العدل والإنصاف هذا الظلم للإسلام والمسلمين عبر السنين ، وهم الذين ينزّهون السيد المسيح وأمه عن كل نقيصة وعيب ، ويعتقدون فيهما فوق ما يعتقده النصارى ، مع أننا لا نجد هذا الولاء والمحبة من اليهود ، وكأنهم أسياد النصارى ، وهم الذين تآمروا على المسيح وحاربوه وطاردوه في كل مكان في الأرياف والقرى حتى قبضوا عليه وقتلوه صلباً قتلةً مذلةً ومهينة .

عقيدة المسلمين في المسيح والسيدة العذراء

لو أنصف البشر وتخلوا عن التعصبات المذهبية لوجدوا أن أشد الناس دفاعاً عن ساحة قدس السيد المسيح وأمه ، وتنزيههما عن كل شينٍ ونقصٍ وما يخل بالعصمة وشرف النبوة هم المسلمون . وكتاب الله المجيد يكشف هذه العقيدة بكل صراحة ، فالمسيح (عليه السلام) هو كلمة الله التي أوحاها للسيدة البتول ، وجعله نبياً ، وآية ورحمة للعالمين :

---

(١) سورة المائدة : الآية ٨٢ ـ ٨٥ .

﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس في المهد وكهلاً ، ومن الصالحين ﴾[1] .

وكانت أمّه البتول العذراء آية في التقوى والطهر ، وقد أكرمها الله عز وجل بكرامة واختارها على نساء العالمين في عصرها ، وجعلها آيةً ومثلاً أعلى لكل نساء العالم :

﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ، وصدَّقت بكلمات ربّها وكتبه ، وكانت من القانتين ﴾[2] .

﴿ والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آيةً للعالمين ﴾[3] .

لم يُثْنِ القرآن على امرأةٍ كما أثنى على البتول الطاهرة الجليلة مريم بنت عمران ، التي جعلها الله وابنها آية للعالمين ، فقد كانت المثل الأعلى والقدوة الصالحة للنساء ، كما أن القرآن أغدق عليها الألقاب الجميلة والنعوت الجليلة ، وكانت حياتها مليئةً بالمعاجز والكرامات ، وحين حملت بالسيد المسيح كان حملها معجزةً وآية من آيات الله ، فقد نفخ فيها الروح الأمين فحملت بأعظم مولود ألا وهو روح الله وآيته الكبرى عيسى بن مريم (عليه السلام) :

﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيّاً * فاتّخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سويّاً * قالت إني أعوذ بالرحمٰن منك إن كنت تقيّاً * قال إنما أنا رسول ربِّك لأهب لك غلاماً زكيّاً * قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغيّاً * قال كذلك قال ربُّك هو عليَّ هيّن ، ولنجعله آيةً للناس ورحمةً منّا ، وكان أمراً مقضيّاً * فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّاً ﴾[4] .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٤٥ ـ ٤٦ .
(٢) سورة التحريم : الآية ١٢ .
(٣) سورة الأنبياء : الآية ٩١ .
(٤) سورة مريم : الآية ١٦ ـ ٢٢ .

ومـا أن وضعت ذلك المـولود المبـارك حتى خاطبهـا بذلـك الخطاب الـوديـع ليخفف عنها عبء الخوف والقلق ، وكأن الله قد أطلعـه على سبب قلقها وكشف لـه دخلية نفسها ، فكفاها الكلام وأخذ على نفسه الجواب :

﴿ فنـاداها من تحتهـا ألّا تحزني قـد جعل ربّـك تحتك سـريّاً * وهـزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيّاً * فكلي واشربي وقـرّي عينـاً ، فـإمّا تـرينّ من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً ، فلن أكلّم اليوم إنسيّاً ﴾(١) .

لقد كان كلام الوليـد العظيم معجـزة أخرى كـانت أقوى دليـل على براءتهـا ، وأسطع برهان على طهرها ، وآية بيّنة لترد بها قذف القاذفين وعيب العائبين ؛ وبهـذا الخطاب الإعجازي الذي استهلّ به المولود المبارك وهو تحتها هدأ روعها وأعاد إليها ما عزب عن لبها ، فاستجمعت قوّتها ورجعت إلى قومها تحمله :

﴿ فأتت به قومها تحمله ، قالوا ؛ يا مريم لقد جئت شيئاً فريّاً ﴾(٢) .

وهنا شاع الخبر وتحدّثوا بطهرها وقالوا :

﴿ يـا أخت هارون مـا كان أبـوك امرأ سَـوْءٍ وما كـانت أمّك بغِيّـاً * فأشـارت إليه ﴾(٣) .

لقـد خيم عليها الصمت وأطبقت شفتيهـا على سر عـظيم ، وكان هنـاك لسـان أفصح بياناً وأعظم بركة لإظهار براءتها ، إنه لسـان الحق الذي أسكت أفـواه القاذفين ليقفوا جميعاً في ذهول وحيرة :

﴿ كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً ﴾(٤) ؟

وهنا خرست الألسن ونكست الرؤوس أمام المعجـزة التي كان آيـة وحجة على الناس جميعاً ، أنطق الله لسان المولود وأطلق صوته من تلك اللّهاة وحرّك تلك الشفاه التي لم تهتدِ إلى موضع الأثداء ، موجهاً إليهم الخطاب بما يسمو على فكرهم ، ومـا وجّهوه إلى أمّه من اتّهام فقال :

---

(١) سورة مريم : الآية ٢٤ ـ ٢٦ .
(٢) سورة مريم : الآية ٢٧ .
(٣) سورة مريم : الآية ٢٨ ـ ٢٩ .
(٤) سورة مريم : الآية ٢٩ .

﴿ إني عبد الله . آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً ﴾(1) .

لقد بهرت هذه المعجزة عقولهم وبلبلت أفكارهم ، فتركتهم حيارى ليؤمن بعضهم ـ ويقول : إن المولود الجديد ليس كسائر مواليد القرية ، بل سيكون له شأن عظيم وخطب جليل ـ وليكفر البعض الآخر ويكابر ويقول ؛ إن هو إلّا حديث خرافة .

شبّ الوليد وأشرقت شمسه منذ أن حبا على مسرح الوجود فكان رحمة للعالمين ، بعثه الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، فلم يترك سبيلاً لهدايتهم إلا سلكه ، ولا باباً إلّا طرقه ، ولا موعظة إلا وعظهم بها ؛ يحاول بذلك أن يخلّص الناس من تلك الوهدة ، وينقذهم من تلك الحمأة ، وهنا شعر أحبار اليهود وكهنتهم وشيوخهم بالتيار يجرفهم ، وأحسّوا بالخطر يدهمهم ، فلم تؤثر فيهم مواعظه ، بل زادتهم حقداً وحسداً له ، لكثرة ما كان يوجهه إليهم من اللوم على أنغماسهم في الشهوات ، وتهالكهم على اللذات . وسباقهم إلى جمع المال وادّخاره ، فأجمعوا أمرهم بينهم ، وتآمروا عليه وكذبوه ووجهوا إليه التهم ، ولكنه لم يبالِ بجمعهم ولم تثنِهِ مناوأتهم ، بل صمد ونافح وكافح في سبيل الحق ، وسار في الأرياف والقصبات يزيّف آراءهم ، ويبطل حججهم ، ويفند أقوالهم ، وكان يأتي بالآية تلو الآية يدل الناس على نبوّته ، ويهديهم إلى سعادتهم ، فأيّده الله بالمعاجز الباهرة ، وآزره بالآيات الساطعة :

﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآيةٍ من ربّكم أنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ، وأنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم ، إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * ومصدِّقاً لما بين يديّ من التوراة ، ولأحلّ لكم بعض الذي حُرّم عليكم ، وجئتكم بآية من ربّكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم ﴾(2) .

تحمّل المسيح (عليه السلام الكثير من المآسي والآلام من أحبار اليهود

---

(1) سورة مريم : الآية ٣٠ ـ ٣١ .

(2) سورة آل عمران : الآية ٤٩ ـ ٥١ .

وشيوخهم ، حتى سدّوا عليه المنافذ ، وحاكوا المؤامرات ، وقذفوه بشتى أنواع التهم المناهضة للدولة الرومانية لينتقموا منه على يد الرومان ، وهنا تضرّع المسيح لربّه قائلاً :

« يا ربّ ، إنّي عالم أن الكتبة يبغضونني ، والكهنة مصممون على قتلي ، أنا عبدك ، لذلك أيها الرب الإله الرحيم استمع برحمة صلوات عبدك ، وأنقذني من حبائلهم ، لأنك أنت خلاصي ، وأنت تعلم يا رب أني أنا عبدك ، إياك أطلب يا رب[١] » .

لم يترك اليهود المسيح لأنه أصبح مصدر قلق لهم وإزعاج ، فلذا شدّدوا عليه وأخذوا يطاردونه من مكان إلى آخر ، ومن قرية إلى أخرى ، إلى أن عرفوا مكانه وجاؤوا للقبض عليه ، فرفعه الله إليه واستجاب دعاءه ، وكتب له الحياة ، وقال له جبرائيل :

« لا تخف يا يسوع ، لأن ألف ألف من الذين يسكنون فوق السماء يحرسون ثيابك ، ولا تموت حتى يكمل كل شيء ، ويمسي العالم على وشك النهاية[٢] » .

غادر يسوع هذا العالم وانطلق إلى عالم الطهر والقداسة تاركاً وراءه معجزة أخرى ، حيث حل شبهه على الخائن يهوذا ، الذي قاد الجنود وعرّفهم على مكان المسيح ، ودخل قبلهم ، فقلبه الله على شكل المسيح ، فقبضوا عليه وأخذوه وقتلوه صلباً كما أراد أن يقتل المسيح ، فقتل شر قتلة مع اللصوص والجناة ، وأصبح عبرة للآخرين .

﴿ وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبِّه لهم ، وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم إلّا اتّباع الظن ، وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾[٣] .

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، وقال المسيح يا بني

---

(١) برنابا : ١٣/٣ ـ ٧ .

(٢) برنابا : ١٣/١٠ ـ ١١ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٥٧ ـ ١٥٨ .

إسرائيل اعبدوا الله ربّي وربّكم ، إنّه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلّا إله واحد ﴾[1] .

﴿ ما المسيح بن مريم إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمّه صدّيقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبيّن لهم الآيات ، ثم انظر أنّى يؤفكون ﴾[2] .

هكذا ترك المسيح الحياة الدنيا بعد أن قضى تلك الفترة في حياته الأرضية بالدعوة إلى الله وهداية الناس وإرشادهم مجاهداً زاهداً معرضاً عن الدنيا وحطامها ، وبذلك كان المثل الأعلى للأخيار والأبرار والأحرار ، وأستاذاً للبشر ومعلماً للأخلاق والمثل العليا ، فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً .

عقيدة اليهود بالمسيح

لم تهتم أمة من الأمم كما يهتم اليهود بتاريخهم ، وقد تحوّل هذا التاريخ إلى أسفار مقدسة أصبحت تشكل القسم الأكبر من العهد القديم ، ومع أن اليهود يذكرون كل كبيرة وصغيرة ، ويبالغون في كثير من الأحداث وفي رجالهم ، فمع ذلك كله لم يرد أي ذكر للسيد المسيح في كتبهم ، ولم يعيروه أي اهتمام ، مع أنه من بني إسرائيل .

والذي تذكره الأناجيل إنما هو مخازٍ وفضائح لليهود الذين جرّعوا السيد المسيح الغصص وحاكوا المؤامرات ضده ، وكانوا ألدّ أعدائه ، فقد طاردوه حتى في الأرياف والقرى إلى أن قضوا عليه وقتلوه شرّ قتلة ؛ وهذه الأناجيل الأربعة إذا استقرأتها تجدها تصرّح في كل سفر من أسفارها وكل صفحة من صفحاتها بشكاية المسيح من اليهود ، وتململه وتذمره منهم ، وقد أعلن لتلاميذه في عدة مناسبات وعدة مرّات بأن اليهود يريدون قتله ، فلما صعد إلى أورشليم معهم :

« قال لهم ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه إلى الأمم لكي

---

(١) سورة المائدة : الآية ٧٢ ـ ٧٣ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٥ .

يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه[1] » .

ولما قبض اليهود على المسيح « حينئذٍ تركه التلاميذ كلهم وهربوا[2] » .

وفي الصباح تشاور جميع الكهنة وشيوخ الشعب حتى يقتلوه ، فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي ، ومن الطبيعي أن الحاكم الروماني لا تهمه الخلافات بين اليهود ولا يبالي بعقائدهم ، ومن هنا عمد اليهود إلى رمي المسيح (عليه السلام) بشتى أنواع التهم التي تخلّ بأمن الدولة الرومانية ، فرموه تارة بأنه يدّعي بأنه ملك اليهود ، وأخرى بأنه يحرّض الناس على القيام والثورة ضد الإمبراطورية ، وأنه يأمر الناس بعدم دفع الضرائب للدولة ؛ وهذه التهم لا شك أنها جريمة عظمى لو ثبتت عليه . ففي لوقا :

« وابتدأوا يشتكون عليه قائلين ؛ إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلاً إنه هو مسيحٌ ملك ، فسأله بيلاطس قائلاً : أنت ملك اليهود ؟ فأجابه وقال ؛ أنت تقول . فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع : إنّي لا أجد علة في هذا الإنسان ، فكانوا يشدّدون قائلين ؛ إنه يهيّج الشعب ، وهو يعلّم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل إلى هنا[3] » .

وبعد إصرار اليهود وتشديدهم على قتل المسيح حاول الوالي أن يصرفهم عن هذا العزم ، وخيّرهم بين أن يطلق المسيح أو أحد اللصوص وهو باراباس ، فقال له الجميع : ليصلب يسوع ، فقال الوالي : وأيّ شرٍّ عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين : ليصلب ، فلما رأى بيلاطس أن الكلام لا ينفع مع هؤلاء الحاقدين بل يزدادون شغباً أخذ ماءً وغسل يديه قدّام الجمع قائلاً ؛ إني بريء من دم هذا البارّ ، خذوه أنتم واحكموا عليه بحسب ناموسكم ، فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذٍ أطلق الحاكم لهم اللص ، وأمّا يسوع فجلده وأسلمه للصلب .

وفي لفظ يوحنا :

---

(1) متى : ١٨/٢ ـ ١٩ .

(2) متى : ٥٦/٢٦ .

(3) لوقا : ٢/٢٣ ـ ٥ .

« فلمـا رأى رؤساء الكهنـة والخدام يسـوع صرخـوا قائلين : اصلبـه ، اصلبه . قال لهم بيلاطس خذوه أنتم واصلبوه لأني لست أجد فيه علة ، أجابه اليهود : لنا نـاموس ، وحسب نـاموسنـا يجب أن يموت لأنـه جعل نفسـه ابن الله[1] » .

وأخيراً :

« أخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية ، وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فعرّوه وألبسوه رداءً قـرمزيـاً وضفروا إكليـلاً من شوك ووضعـوه على رأسه ، وقصبة في يمينه ، وكانوا يجثون قدّامه ويستهزئون به قائلين : السلام يـا ملك اليهود . وبصقوا عليه ، وأخذوا القصبةَ وضربوه على رأسه وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ، ومضوا به للصلب[2] » .

هذه صورة مصغّرة عن حقد اليهود ومؤامراتهم ضد السيد المسيح ، الذي كـان جاداً في رسالته ، ينكر على اليهـود ما درجـوا عليه من تـرك النامـوس وجمع الأمـوال الـطائلة التي بسـطت لهم العيش وأرغـدت عليهم الـدنيـا . ومـع تلك الحـرب التي أعلنوها ضده لم تثنِهِ عن مناوأتهم ما ألبّوا عليه من جموع وما بثّـوا من عيون ، وذلـك لأنهم شعـروا بالخـطر يحدق بهم ، والجمـاهير تتـألّب عليهم بعد أن قهـرت بيّنـاتـه ألبابهم ، وبهرت الآيات التي أقامهـا بصائـرهم ، وخصم نور الحق حجتهم ، فهـال اليهود ما رأوا من تـألّب الناس عليهم وانصـرافهم عنهم فخططوا لقتله بكـل وسيلة ؛ فرموه بأنه يحرض الناس على الثورة ، ويأمرهم بعدم دفع الضرائب للدولـة ، ويفسد الأمة ، ليقتل بحسب الشريعة الرومانية .

وحينما وجد الحـاكم الرومـاني أن اليهود يتهمـونه حسـداً وحقداً وهـو بريء ، غسـل يديـه بالمـاء قدّام الجميـع قائـلاً : إني بـريء من دم هـذا البـار ، خـذوه أنتم واحكموا عليه بحسب ناموسكم . فأجاب الجميع : دمه علينا وعلى أولادنا .

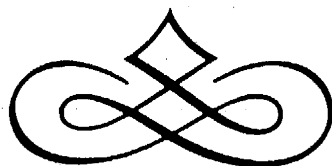
ولما كانت التهمـة كاذبـة ولم ير الـوالي فيه إلا البـراءة والطهـارة ، عمدوا إلى حيلة أخـرى وادّعوا أنـه يزعم بـأنـه ابن الله ، وبحسب النـامـوس اليهـودي يجب أن

---

(١) يوحنا : ١٩/٦ - ٧ .

(٢) متى : ٢٧/٢٧ - ٣١ . مرقس : ١٥/١ - ٢١ . لوقا : ٢٣/٢ - ٢٤ . يوحنا : ١٩/١ - ٢٥ .

يقتل . وهكذا عقدوا العزم على قتله ، ووصلوا إلى هـدفهم ـ كما تـزعم الأناجيـل ـ وقتلوا السيد المسيح شرَّ قتلة بعد أن ضربوه واستهـزأوا به وسخـروا منه . . فـاستسلم للصلب مع اللصوص خائفاً مذعوراً .



نهايـة المطـاف

بعـد عـرض هـذه الصـورة ممـا يعتقـده المسلمـون في السيـد المسيـح (عليه السلام) ، وما ترويه الأناجيل عن موقف اليهود العدائي من السيـد المسيح ، يحق لكـل إنسان حـرّ ومنصف أن يوجـه هذه التسـاؤلات لكـل الأحـرار والمفكـرين والشرفاء من النصارى في العالم :

هـل من العدل والإنصـاف أن يقف العـالم المسيحي من الإسـلام والمسلمين هذا الموقف العـدائي ، ويحارب المسلمين الـذين يحملون آيات الإكبـار والاحترام والتقديس للسيد المسيح وأمه السيدة البتول ، وينقلون له من المعاجز فوق مـا يرويـه له النصارى ، وينزهونـه عن كل نقص كمـا ينزهـون نبيّهم عن كل شين ؟ بينمـا نجد العالم المسيحي يكنّ كل محبة واحترام لليهود الذين كذّبوه واتهمـوا أمّه بـالفحشاء ، وحـاربوه وطـاردوه في المدن والأريـاف حتى قبضـوا عليـه وصلبـوه بعـد أن ضـربـوه واستهزأوا به ، ولم يعترفوا به أبداً وهو نبيّ منهم يؤمن بكتابهم ويقرّ بدينهم ؟

والأناجيل صـريحة في أن اليهـود وأبناءهم يتحملون دمـه ، ومع ذلـك يخالف البابا بولس السادس صريح الأناجيل ويبرىء اليهود من دمه .

وسؤال آخر يطالب نصارى العالم بالجواب ، وهو :

هل سمحت دولة اليهود للنصارى أن يدخلوا في أجهزتها حتى يصلوا إلى أرفع المنـاصب التي وصل إليهـا النصارى في الـدولة الإسـلامية ، فقـد شغلوا في الـدول الإسلامية المناصب العاليـة حتى وصلوا إلى رئاسـة الوزارة ، وشغلوا كـل المناصب

الوزارية ، ويكفي لتأكيد ذلك أن ترجع إلى التاريخ ، وخاصة إلى كتاب الحضارة الإسلامية لِآدم متز ، وخير شاهد على هذه الحقيقة ما نشاهده اليوم في مصر والعراق حيث إن منصب وزارة الخارجية يشغله غالباً رجل نصراني ، وفي لبنان وصل الموارنة إلى أعظم المناصب وشغلوا كل المراكز الحساسة ، واحتكروا رئاسة الجمهورية وقيادة الجيش لِأنفسهم ، وهم لا يمثّلون ربع الشعب اللبناني . ومن الواضح أن بقاء المسيحيين في العالم الإسلامي بهذا العدد وبهذه القدرة دليل ساطع على شمولية الإسلام ورحمته وسماحته ، ومعاملته لكل الشعوب بالعدالة والإنصاف .

وفي مقابل ذلك نجد أن أي أقلية مسلمة في أي بلد نصراني مضطهدة مسحوقة الحقوق ، فالمسلمون في الفلبين وفي أثيوبيا وفي يوغسلافيا وسائر الدول الأخرى يعانون الكثير من الظلم وحتى الإبادة الجماعية ، وأعظم شاهد على عظمة الإسلام وسماحته ما نشاهده في دولة الإسلام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي أعطت اليهود والنصارى حقوقهم الكاملة حتى أن لهم نواباً في مجلس الشورى الإسلامي ، وهم يتمتعون بالحرية التامة وبكامل الحقوق التي يتمتع بها المسلمون .

إن العالم الغربي يدّعي حرية الأديان ، ولكن لمن .؟!

إن هذه التساؤلات تدفعنا لأن نعاتب المخلصين من رجال الدين النصارى ،عتاباً جميلاً ، ولا نريد منهم أن يصبحوا مسلمين ، ولكن نأمل منهم أن يقولوا كلمة الحق حول الإسلام ، ويكشفوا لرعاياهم حقيقة الإسلام وحبّه لأتباع الأديان الأخرى ، واعترافه بكل الأديان السماوية ، وتقديسه لجميع الأنبياء وقوله بعصمتهم ، وحبِّه للمسيحيين خاصة الذين يودُّون أعداء المسيح وقتلته ، ويرفعونهم إلى مقام السادة ، ويضعون أنفسهم أمامهم بينما يبادلون المسلمين ـ الذي يكنّون لهم كل محبة ـ العداء والبغض ، وليس هذا من العدل والإنصاف !

إن شمولية الإسلام وسماحته واعترافه بكل الأديان يجعله الدين الوحيد الذي يحلّ المشاكل البشرية ، ويتكفّل بالسعادة لكل شعوب العالم ، وهو طريق الخلاص لو علم الناس وأنصف رجال الأديان والحكام .

وإنني أرجو من المولى عزّ وجل أن يحقّق هذه الأمنية لتسعد البشرية ، وينقطع دابر الظلم والفساد ، ويعمّ العدل والسلام في صبح قريب إن شاء الله ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصـــادر والمراجـــع

(أ) : إنجيل برنابا
أسد الغابة في معرفة الصحابة
إسعاف الراغبين
إظهار الحق
الآثار المكسيكية القديمة لكنسبرو
أبحاث في الفكر اليهودي للدكتور حسن ظاظا
الأسفار المقدسة قبل الإسلام ـ صابر طعمة
الإيمان والعقل ـ هلسلي ستيفنس
أعلام النساء ـ عمر رضا كحالة

(ب) : البيان في تفسير القرآن ـ الإمام الخوئي
بروتوكولات حكماء صهيون
البوذية ـ دافدس
بلاغات النساء ـ ابن طيفور

(ت) : تاريخ اليعقوبي
التلمـود
تفسير ابن كثير
تاريخ الهند ـ موريس

تاريخ فتح المكسيك ـ برسكوت
تاريخ الإنسان ـ دونلاب
تاريخ آداب اللغة السنسكريتية القديمة ـ مولر
تاريخ ابن بطريق
التنقيبات الآسيوية
تجليل الإيمان ـ امبرلي
(ج) : الجامع الصغير للسيوطي
(ح) : حياة الحيوان ـ للدميري
(خ) : الخرافات كما هي مبيّنة في المصانع والآثار القديمة ـ نيت
الخرافات ومخترعوها ـ فسك
خرافات البوذية ـ هاردي
خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الأخرى ـ دوان
الخرافات ـ موري
(د) : دلائل النبوة
الدر المنثور
ديانة الهند
دائرة المعارف ـ لتشميرس
الدروود الكلتيكين ـ هيجن
(ذ) : ذخائر العقبى
(ر) : رمز الأفعى ـ سكوير
(س) : سنن أبي داود
سنن الترمذي
سنن ابن ماجه
(ش) : شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد
(ص) : صحيح مسلم
صحيح البخاري
الصواعق المحرقة ـ لابن حجر

(ط) : طبقات ابن سعد
(ع) : عقائدنا ـ الدكتور الصادقي
عيون الأخبار ـ ابن قتيبة
عبادة الشجرة والأفعى ـ فركوصون
العلاقات الوثنية القديمة في النصرانية الحديثة ـ أنمن
العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ـ محمد تنير البيروتي
العرب واليهود في التاريخ
(غ) : الغدير ـ للأميني
(ف) : فرائد السمطين
فضائل علي بن أبي طالب ـ لابن المغازلي
الفارق بين المخلوق والخالق
الفكر اليهودي ـ الدكتور حسن ظاظا
(ق) : القرآن الكريم
قاموس الكتاب المقدس
قصة الحضارة ـ ول ديورانت
قصص الأنبياء ـ للنجار
(ك) : كهنوت الأبدية
كنز العمال
الكنز المرصود في قواعد التلمود
كفاية الطالب
الكتاب المقدس ـ عربي
ترجمه من اللغات الأصلية ـ جمعيات الكتاب المقدس في الشرق ـ بيروت تموز ١٨٧٠ م
كتاب مقدس ـ فارسي
ترجمه من العبرانية إلى الفارسية ـ القسيس وليم گلن بأمر من المجمع المعروف بيرتس فارين بيْبل شيستي سنة ١٨٧٨ م
الكتاب المقدس الكاثوليكي ـ دار المشرق بيروت ١٩٨٩

(م) : المقارنات بين الأديان السماوية
معجم اللاهوت الكتابي
ترجمه لجنة من كبار علماء النصارى ـ جمعيات الكتاب المقدس في الشرق ـ بيروت دار المشرق ١٩٨٦ م
معجم اللاهوت الكاثوليكي
نقله إلى العربية المطران عبده خليفة من منشورات دار المشرق بيروت ١٩٨٦
مسند أبي يعلى الموصلي
مسند أحمد بن حنبل
مصنف عبد الرزاق
مصنف ابن أبي شيبة
مسند أبي داود الطيالسي
مجمع الزوائد
مقتل الحسين ـ للخوارزمي
مستدرك الحاكم
المعجم الكبير ـ للطبراني
المسيحية الأثرية ـ لاندي
الملاك المسيح ـ بنصون
مجلة التايمز الأمريكية
المعجم الصغير للطبراني
(ن) : نظم درر السمطين
نور الأبصار
(هـ) : الهدى إلى دين المصطفى ـ للبلاغي
ينابيع المودة

المحتويات